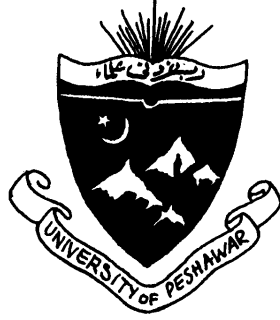


Department of Arabic
University of Peshawar

قسم اللغة العربية
جامعة بشاور



الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي

بحث لنيل درجة الدكتوراة

تحت إشراف

الدكتور نصيب دار محمد

أستاذ بقسم اللغة العربية

جامعة الكلية الإسلامية, بشاور

قدمه الطالب

مُرسل فرمان

العام الجامعي 2004-2005م

Department of Arabic
University of Peshawar



Arabic Literature & its Inspiration from Hadith of the Holy Prophet (PBUH)

Thesis of Ph.D. in Arabic Language

**Submitted By:
Mursal Farman**

**Supervised By:
Dr. Nasib Dar Muhammad
Professor, Arabic Dept.
Islamia College Univesity,
Peshawar.**

Session 2004-2005

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَىٰ .

إِن هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ .¹

كلمة الشكر التقدير

اغتناماً لهذه الفرصة يجب عليّ أن أوفي كل ذي حقّ حقه، وعملاً بقول رسول الله ﷺ : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)¹ وقوله: (من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد ابلغ في الثناء)².

فأقدم جزيل شكري إلى كل من انتسب إلى هذه الجامعة - جامعة بشاور.

ثم أشكر كل من انتسب إلى كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية: عميداً وأساتذة وموظفين ومهنيين. وأخصّ منهم بالذكر: فضيلة الدكتور نصيب دار - أستاذ بقسم اللغة العربية، جامعة الكلية الإسلامية، بشاور - فقد تفضّل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث حتى صار إلى شكله الحالي، ودفعني الأستاذ الكثير من وقته الغالي الثمين، مع كثرة مشاغله، في تصحيح ومراجعة هذا البحث، وأفادني الكثير بتوجيهاته السامية ونصائحه الصادقة، ووجدته أثناء ترددي عليه يتوقف معي توقف المرشد الحنون، فيشجعي نحو كثير من البحث والتنقيب. فجزاه الله خير الجزاء ومتعته بالصحة والعافية في الدين والدنيا.

وأشكر كذلك رئيس قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتور أنوار الحق الذي لم يبخل عليّ بجهدٍ ولا بوقتٍ ولا بنصيحة.

¹ سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم الحديث: 4811، صححه الألباني.

² الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب البر والصلة، باب المتشيع بما لم يعطه، رقم الحديث: 2035، صححه الألباني.

ب

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور يعقوب خان مروت, والأستاذ الدكتور سيد الحسنات, والدكتور الفاضل محمد سليم.

كما أشكر فضيلة الدكتور عبد القادر سليمان الأزهري الأستاذ المتقاعد بقسم الدراسات الإسلامية, الذي استفدت منه كثيراً في كتابة هذا البحث. وأشكر جميع الأساتذة في قسمي الدراسات الإسلامية والسيرة النبوية: الأستاذ الدكتور معراج الإسلام ضياء (رئيس قسم الدراسات الإسلامية), والأستاذ الدكتور قبله أياز (رئيس قسم السيرة النبوية), والأستاذ المتقاعد الدكتور محمد عمر, والأستاذ المتقاعد حبيب الرحمن, والأستاذ المشارك الدكتور ضياء الله, والدكتور الفاضل محمد قانت, والأستاذ المشارك الدكتور مشتاق أحمد, والأستاذ المساعد مبارك شاه.

كما أشكر المدخل الأساسي لدخولي في مجال اللغة العربية والدراسات الإسلامية (مركز الشيخ زايد الإسلامي) وكلّ من أسهم في بنائه بدءاً من مؤسسهم (الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله) إلى خلفائه جزاهم الله خير الجزاء لما قدموا من الخدمات للأمة الإسلامية في العالم.

كما أتوجه بالشكر أساتذة المركز الذين درست على أيديهم, وهم: الدكتور دوست محمد (مدير المركز), والدكتور صاحب الإسلام, وفضيلة الأساتذة: الدكتور فضل رحيم, ورشاد أحمد, ومقصود جان, وعزيز الدين, ومحمد فاروق, وأستاذي المحترم الدكتور رشيد أحمد الذي شجّعني كثيراً على اختيار مجال اللغة العربية والعلوم الإسلامية, فجزاهم الله عني جميعاً ألف خير.

كما أشكر أمناء المكاتب, وخاصة محمد رؤوف, أمين مكتبة قسم اللغة العربية الذي ساعدني كثيراً في توفير الكتب والوصول إلى مصادر بحثي, وأمين مكتبة مركز الشيخ زايد الإسلامي تنوير أحمد قريشي, ومساعدته محمد أمين. جزاهم الله عني

خير الجزاء.

ولم أنس خدمات ومشاعر وأدعية أسرتي وأصدقائي الذين وقفوا بجنبي في كل مشكلة, منهم: جدتي, وعمي, وعمتاي, وأبواي, وكثير معهم, لا أستطيع أن أذكرهم اسماً اسماً.

وشكري الجزيل للأخ الفاضل أمان الله الهلالي والأخ ظاهر شاه والأخ سعد الله المحمدي الذين استفدت من علمهم الغزير, وكذلك لعمتي المخلصة التي يرتحن بها معظم إنجازات حياتي. جزاهم الله عني خيراً.

الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي

المقدمة

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث،
والصلاة والسلام على من أرسله الله لإتمام الحجّة وتمييز الطيب من الخبيث،
وعلى آله وأصحابه ومن سار في نصرة دينه السير الحثيث.

أهمية الموضوع:

إن الحياة الإنسانية لها صلة قوية وعلاقة حميمة بالعلم والفن والأدب، وهذه الثلاثة عناصر أساسية في بناء حياة الإنسان، ثم الأدب هو علم وفن وتعبير عن تجارب الأقوام والأمم، وبيان لكل فرح وهم. وبهذا فإن كل قوم ومجتمع له أدبه، الذي يمثل شخصيته وذوقه وإرادته وتقاليده.

والأدب هو ترجمان لبيئة كل قوم وخصائصه وعاداته، واقتصاده ومعاشه، ودولته وسياسته، وفكره وحاله، ودينه وثقافته، وكذلك الأدب العربي هو معبر وترجمان، لفكر العرب وخصالهم وخصائصهم وعاداتهم، وهو بيان للثقافة والحضارة العربية.

انتقل الأدب العربي في أطوار كثيرة، وتأثر بالعوامل السياسية والظروف الاجتماعية والبيئة الفكرية، وإن أعظم مؤثر في الأدب العربي هو الإسلام.

من حيث أن الأمية كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، والكتابة لم تنتشر بعد بين العرب قبل الإسلام، فازداد اعتمادهم على الحفظ والذاكرة؛ لذا ما وصل إلينا من

الأدب الجاهلي أكثره من النظم, إذ هو أقرب إلى الحفظ,¹ ويقلّ فيه النثر مثل الحكم, والأمثال, والخطب, بسبب عدم انتشار الكتابة وصعوبة حفظ النثر وروايته.² وقد عالج الشاعر الجاهلي في شعره شتى الموضوعات من غزل, وهجو, ومدح, وهجاء, ورتاء, وفخر... ولما منّ الله على خلقه بإرسال رسوله ρ , وبزغت شمس الإسلام ونزل الوحي كان للإسلام موقفاً واضحاً من الشعر وهو أنه يقبل كل خير ويرفض كل شر فحافظ الأدب في هذا العصر على كثير من الخصائص التي كانت شائعة في العصر الجاهلي, وتميّز بالنفحة الدينية, فاشتهر جماعة من الشعراء الذين كانوا يدافعون عن الإسلام ويذبون عنه. وبجانب الشعر ازدهر فن الخطابة لدعوة الناس إلى الدين والخير والأخلاق الحميدة, والجهاد في سبيل الله.

كما كثر استعمال الرسائل في الاتصال بالقبائل, ودعوة الملوك إلى الإسلام ومخاطبة الزعماء, واحتلت الرسالة مكاناً رفيعاً في أدب هذا العصر, بل أصبحت من حيث الأهمية مثل الخطبة والقصيدة.

فكما أن الإسلام أدّى دوره في نشر العلم والحضارة والأخلاق الحميدة والخصال الجميلة, فكذلك تميّز أدبه بالملامح الجمالية والفنية³ في النثر والشعر.

¹ تاريخ الأدب العربي, لمحمد واضح رشيد الحسيني الندوي, ومحمد الرابع الحسيني الندوي, دار ابن كثير, بيروت, 2002م, 80/1

² الموجز في الأدب العربي وتاريخه, لحنا فاحوري, ط2: 1411هـ, دار الجيل, بيروت, 64/1. هذا, وقد عني بالنثر في العصر الإسلامي عناية كبيرة, بسبب انتشار الكتابة والتعليم, ولعدم مجاوزة الرسول ρ في كلامه من النثر إلى الشعر, وللحاجات الدعوية, وقضاء ضرورات الحكم وسياسة البلاد.

[تاريخ الأدب العربي, لمحمد واضح رشيد الحسيني الندوي, ومحمد الرابع الحسيني الندوي, 23/2]

³ انظر للتفصيل: الأدب الإسلامي: إنسانية وعالميته, لعبدنان علي رضا, ط1: دار النحوي, السعودية, 1987م, ص 264-301

وتأثير الإسلام في الأدب العربي بتأثير الكتاب والحديث فيه لكونهما مصدرين أساسيين لهذا.

والحديث عند المحدثين ما أضيف إلى النبي ρ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.⁴

إن للحديث النبوي ρ حظ وافر، ونصيب باهر ودور عظيم الأهمية، بالغ الأثر في الأدب العربي. وله مساهماته في تطوره وتطويره نثرا ونظما.

لأن النبي ρ قال: (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ).⁵

وقال: (إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ⁶ إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمَةٌ).⁷

وقال: (الشَّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ).⁸

وشجع الشعراء الذين كانوا يدافعون عن العقيدة الإسلامية، وكتاب الله ورسوله أمثال حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهم؛ فقال لحسان بن ثابت رضي الله عنه:

⁴ الكواكب الدراري شرح صحيح الإمام البخاري المعروف بشرح الكرمانى، ط2: (د.ت) دار إحياء التراث العربي، بيروت: 12/1

⁵ الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3: 1407 - 1987، تحقيق: مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ρ نصرت بالرعب، رقم الحديث: 2755

⁶ البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم الحديث: 4749

⁷ البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر..، رقم الحديث: 5679

⁸ انظر: الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1: 1409هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الأحاديث مذيبة بأحكام الألباني عليها، كتاب الشعر، باب من الشعر الحكمة، رقم الحديث: 865، صحح الألباني.

أَهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ.⁹

وكان يقول له: أَجِبْ عَنِّي.¹⁰

وكان يدعو له: اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ.¹¹

ثم الأدب العربي مليء بالأمثال الحديثية.

أما الخطب فنوع مستقل في الأدب العربي, وكان شائعاً بين العرب قبل الإسلام, وكان من امتنان الإسلام عليه وقوفه على قوائمه, وحيث اشتدت الحاجة إلى الخطابة في الدعوة, وكانت للخطب النبوية ملامحها الأدبية الخاصة في الاستدلال والعبير...

والقصة فن من فنون الأدب العالمي وكان هذا الفن أيضاً رائجاً في الأدب العربي قبل الإسلام ولكن القصة في الحديث النبوي p جاءت بشكل مؤثر وأدبي تستميل القارئ بصورها المتنوعة وأحداثها المتلاحقة, والقصص الحديثية لها خزينة في الأحاديث النبوية.

ثم تزيين الأدباء والشعراء نثرهم ونظمهم بالأحاديث النبوية, وإدراج الأحاديث في النص الأدبي والبيت الشعري في محل الاستدلال والكمال والجمال معروف في الأدب العربي.

فللحديث النبوي دور أساسي مهم في الأدب العربي وتطوره وتطويره. ولذا أردت البحث في هذا الموضوع خدمة للحديث الشريف وبيان أهميته, ومكانته,

⁹ البخاري, كتاب المغازي, باب مرجع النبي p من الأحزاب, رقم الحديث: 3814

¹⁰ البخاري, كتاب بدء الخلق, باب ذكر الملائكة, 2973

¹¹ أيضاً.

ومنزله، ودوره في الأدب العربي نثراً ونظماً.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- بيان أهمية الحديث النبوي ومنزله ومكانته في الأدب العربي.
- 2- دور الحديث في الأدب العربي وتطوره.
- 3- بيان تأثير الأدب العربي بالإسلام وحديث الرسول ﷺ.

منهجي في البحث:

- 1- قمتُ بدراسة دور الأحاديث النبوية في الأدب العربي.
- 2- قمتُ بجمع المادة العلمية من المصادر الأصلية.
- 3- قمتُ بشرح الغريب من الألفاظ والكلمات.
- 4- قمتُ بتخريج الآيات القرآنية الكريمة.
- 5- قمتُ بتخريج الشواهد الحديثية، وذكرت الحكم عليها سوى الأحاديث الواردة في الصحيحين (البخاري ومسلم) اللذين تلقتهما الأمة بالقبول، واعتمدت في الحكم على تحقيق المحدثين.
- 6- ذكرتُ ترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث.

وقد اشتمل هذا البحث (الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي) على

ثلاثة فصول غير (المقدمة) التي بينتُ فيها:

- أهمية هذا البحث.

وسبب اختياري لهذا الموضوع.

ومنهجي في البحث

وخاتمة: ذكرت فيها نتائج البحث وتوصياته, ثم ألحقت بعدها الفهارس الفنية

على الترتيب:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس محتويات البحث.

أما الفصل الأول: فقد جعلته عن:

- الأدب.

- والأدب الإسلامي.

- والحديث النبوي وأقسامه.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

أما المبحث الأول: فيشتمل على:

- معنى (الأدب) اللغوي والاصطلاحي,

- وتطور الأدب.

- والاختلاف في اشتقاق كلمة (الأدب).

المبحث الثاني: تكلمت في هذا المبحث عن الأدب الإسلامي, وبينت فيه

تعريف الأدب الإسلامي وتحديد موضوعه, ومجالاته, وخصائصه, ومصادره.

المبحث الثالث: جعلت هذا المبحث عن الحديث النبوي, وتطرقت فيه إلى

تعريف الحديث, وأقسامه.

الفصل الثاني: أثر الحديث النبوي في النثر ودوره في تطوره

أما هذا الفصل فتعرضت فيه لأثر الحديث في الخطابة, والقصة, والأمثال, والرسائل.

وهذا الفصل يشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر الحديث النبوي في الخطابة

فقد تكلمت في هذا المبحث عن:

- معنى الخطابة اللغوي والاصطلاحي

- تاريخ الخطابة

- أنواع الخطابة

- أركان الخطابة

وفي الأخير تحدّثت عن:

- أثر الحديث في الخطابة

المبحث الثاني: الحديث النبوي وأثره في القصة

وهذا المبحث يشتمل أولاً على الكلام حول:

- معنى القصة اللغوي والاصطلاحي.

- العناصر الفنية لبناء القصة.

- القصة والعرب.

- أنواع القصة.

ثم عن:

- أغراض القصة النبوية وأنواعها.

وأخيراً عن:

- أثر الحديث على القصة.

المبحث الثالث: الأمثال العربية ودور الحديث في تطورها

فقد تكلمت في هذا المبحث عن نكات عديدة متعلقة بالمثل تلقي الضوء

على جوانبها المختلفة, ك:

- معنى المثل.

- وأقسامه.

- وأهميته.

- وهدفه.

وفي الأخير تحدثتُ عما أثيرَ الحديثُ في الأمثال, في موضوعاته وأسلوبه وأنواعه..

المبحث الرابع: فن الرسائل وتأثره بالحديث النبوي ρ

ويختص هذا المبحث بالكلام حول فن الرسائل وتأثره بالحديث النبوي,

ويشتمل على الموضوعات التالية:

- الرسائل في العصر الجاهلي.

- الرسائل النبوية.

- أثر الحديث على الرسائل.

الفصل الثالث: الشعر العربي وتأثره بالحديث النبوي p .

فقد جعلت هذا الفصل عن (الشعر وتأثره بالحديث النبوي)

هذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشعر العربي

وتحدثت فيه عن:

- معنى الشعر اللغوي واصطلاحه.

- نشأة الشعر.

- مكانة الشعر والشعراء.

- موقف الإسلام من الشعر.

المبحث الثاني: أثر الحديث على الشعر

وفي هذا المبحث يدور الكلام حول تأثير الحديث في الشعر.

المبحث الثالث: الأشعار التي وردت فيها الأحاديث

وفي هذا المبحث أوردنا عدداً كبيراً من الأشعار التي اقتبس فيها الشعراء من

الحديث أو جزئه, ثم ذكرت بعد كل شعر نصّ الحديث.

الخاتمة: النتائج والتوصيات

الأدب العربي وتأثره بالحديث النبوي

كان الأدب يجري في نفوس العرب مجرى الدم مع نوعيه الأساسيين: النثر والشعر. ثم لما جاء الإسلام ازداد الشعر والنثر جرياناً.

وكان للقرآن والحديث أثر عميق في هذا الازدياد, إذ هما المصدران الأساسيان للإسلام.

ثم الحديث النبوي ρ - الذي يأتي دوره بعد القرآن - أضاف إلى اللغة العربية ثروة من المعاني, وثروة الأساليب, وهذبها تهذيباً قريباً من تهذيب القرآن, إذ سهّل ألفاظها, ورقّق أساليبها, وذهب بالحوشى منها. فكان لكل هذا أثر في جميع أنواع الأدب.

فكان العربي يرطب لسانه في شعره ونثره بشيء مما أثر عن الرسول ρ, وخطبته, ورسالته, تيمناً بقوله, واسترواحاً للسامعين, واستشهاداً على صحة ما يدعي.

سأتكلم فيما يلي عن الشعر والنثر وأثر الحديث فيهما.

الأدب

تقديم:

إن أدب أي أمة هو حياتهم, أو مرآة تنعكس فيها حياتهم الفكرية, والعقلية, والدينية, والأخلاقية, والروحانية. وهو الذي يتعيّن به صعودهم (ازدهارهم) وهبوطهم (اضمحلالهم). وإذا أراد إنسان أن يدرس حياة أي أمة بعمق فعليه بدراسة أدبهم.

وفي كلمات موجزة إن خصبة الأدب, وحيويته, وإيجابيته يعين خصبة الأمة الفكرية والعقلية, واتجاهاتهم الإيجابية, وحيويتهم الروحانية.

غير أن سؤالاً يحوك في صدورنا قبل أن نبدأ دراسة الأدب, وهو: أن الأدب ما هو؟ وكيف كان بالأمس؟ وكيف وصل إلى حالته الراهنة؟

فلذا يجب أن نراجع القواميس القديمة المستندة, ومصادر الأدب المعتمدة, ونحاول معرفة معنى كلمة "الأدب" الأصلي الذي وضع لها, كما علينا دراسة معانيها التي أضيفت إليها عبر التاريخ, والتي سببت سعتها, حتى وصلت إلى حالتها المتداولة.

والسطور التالية هي محاولة من نوعها في جني هذا الهدف.

معنى كلمة "الأدب" اللغوي

أَدَبٌ يَأْدِبُ أَدَبًا: من باب ضرب: أدبته أدبا علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.¹

الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يأدب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.²

وفي المصباح: "الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل, فالأدب اسم لذلك والجمع آداب مثل سبب وأسباب".³
وفي الحديث عن ابن عباس⁴ رضي الله عنه: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر⁵ رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ρ اللتين قال الله لهما: (إِنْ تَتُوبَا

¹ انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي, (د.ط.ت) المكتبة العلمية, بيروت, لبنان, مادة (أدب), 9/1

² انظر: تهذيب اللغة, لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى. تحقيق: رياض زكي قاسم, (د.ط.ت) دار المعرفة بيروت لبنان, تحت مادة (أدب), 132/1, ؛ لسان العرب, محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري, ط1: (د.ت) دار صادر, بيروت, تحت مادة (أدب), 206/1 ؛ تاج العروس من جواهر القاموس, لسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي, تحقيق د. عبد العزيز مطر, التراث العربي, (د.ط.ت) الكويت, تحت مادة (أدب), 74/1

³ انظر: المصباح المنير, مادة أدب, 9/1؛ تاج العروس, مادة (أدب), 74/1

⁴ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي, أبو العباس: حبر الأمة, الصحابي الجليل. لازم رسول الله ρ , روى عنه الأحاديث الصحيحة. شهد مع علي الحمل وصفين. كف بصره في آخر عمره. سكن الطائف وتوفي بها عام 68 هـ. له 1660 حديثاً.

[انظر: الإصابة في تمييز الصحابة, لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني, تحقيق: علي محمد البجاوي, ط1: 1412 هـ, دار الجيل, بيروت: ت 4772 ؛ صفة الصفوة, عبد الرحمن بن علي,

تح: محمود فاخوري ومحمد رواس, ط2: 1399 هـ, دار المعرفة, بيروت: 314/1]

⁵ عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين وأول من نودي بلقب أمير المؤمنين. هو أحد العشرة المبشرين

إلى الله فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ⁶ إلى أن يرد في الحديث: (... فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا بِأُخْذِنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ ...).⁷

وفي حديث آخر: عن النبي ρ : (مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ).⁸

وروي عن النبي أيضاً: (أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ).⁹

قيل: إن أصل الأدب الدعاء, ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة و مأدبة.¹⁰
قال أبو عبيد¹¹ عن

بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهادهم. من إنجازاته: أنه أول من اتخذ الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي، كما أنه أول من دون الدواوين، وهو أول من اتخذ بيت المال، وأول من اهتم بإنشاء المدن الجديدة، فتحت في عهده بلاد الشام والعراق وفارس وغيرها.

[انظر: الإصابة: ت 5738]

⁶ التحريم: 4

⁷ انظر: صحيح البخاري، كتاب (المظالم)، باب (الغرفة والعلبة المشرفة ...)، رقم الحديث: 2288
⁸ انظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب (البر والصلة)، باب (أدب الولد)، رقم الحديث: 1875، ضعفه الألباني.

⁹ انظر: سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط.ت)، دار الفكر، بيروت، والأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب (الأدب)، باب (البر والإحسان إلى البنات)، رقم الحديث: 3661، ضعفه الألباني.

¹⁰ انظر: اللسان وتهذيب اللغة، تحت نفس المادة ونفس الصفحة.

¹¹ أبو عبيد: القاسم بن سلام الهروي الأزدي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقهاء. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. ورحل إلى بغداد فولي القضاء. من كتبه (الغريب المصنف) و (الطهور) و (الأجناس من كلام العرب) و (أدب القاضي) و (الأمثال).

[انظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404 هـ:

315/7؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أبي بكر

الأصمعي¹²: الأذُبُّ: عجيب, يقال: جاء فلانٌ بأمرٍ أذُبِّ, أي بأمرٍ عجيب.
وأنشد:

سَمِعْتُ مِنْ صَلاصِلِ الأشْكالِ أذْباً على لَبَّاتِها الحِوَالِي¹³
ويأتي "الإذْب" أيضاً للعجب.

وأدب أدبا من باب ضرب أيضاً صنع صنيعاً ودعا الناس إليه¹⁴, فهو
آدب, وقال طرفة¹⁵: 16:

بن خلكان, تح: إحسان عباس, ط: 2, 1364هـ, دار الفكر, القاهرة: [418/1]
¹² انظر: الأصمعي: (216هـ) هو أبو سعيد عبد الملك بن ثريب من بني مالك بن أعصر. وُلد
الأصمعي في البصرة وتوفي في خراسان. كان الأصمعي صاحب لغة ونحو وإماماً في علم الشعر وروايته.
راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. صاحب الأصمعيات.

[انظر: تاريخ بغداد, للخطيب البغدادي, تحقيق: مصطفى عبد القادر, ط: 1: 1417هـ, دار الكتب
العلمية, بيروت, 414/10]

¹³ انظر: تهذيب اللغة, نفس المادة؛ البيت لذي الرمة, الأشكال: الأشْكالُ حَلِيٌّ يُشاكِلُ بعضُهُ بعضاً
يُفَرِّطُ به النساءُ, واللَّبَّةُ وَسَطُ الصَّدْرِ والمُنْحَرُ والجمع لَبَّاتٌ؛ والمراد ب (أذْب على لباتها الحوالي): يتعجب من
هذه اللَّبَّات التي عليها الحَلِيٌّ. [جمهرة اللغة, لابن دريد, (د.ط.ت), دار الفكر, مصر, 245/2]

¹⁴ انظر: المصباح المنير, نفس المادة, 9/1

¹⁵ طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد: شاعر, جاهلي, من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين,
وتنقل في بقاع نجد. من أصحاب المعلقات. بدد ثروته وهام متشرداً إلى أن اتصل بعمرو بن هند ملك
الحيرة فمدحه ثم غضب عليه الملك وأمر بقتله. له "ديوان".

[انظر: الشعر والشعراء, لابن قتيبة الدينوري, تحقيق: أحمد محمد شاكر, دار المعارف بمصر,
1386هـ: ص49؛ خزانة الأدب, عبد القادر بن عمر البغدادي, تحقيق وشرح عبد السلام محمد
هارون, (د.ط.ت), مكتبة الخانجي القاهرة, دار الرفاعي, الرياض: 414/1-417]

¹⁶ انظر: مقاييس اللغة, لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام هارون. ط: 2:
(د.ت), مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر, تحت مادة (أدب)؛ مجمل اللغة, لابن فارس. تح:
زهير عبد المحسن سلطان, (د.ط.ت), مؤسسة الرسالة. عراق, تحت مادة (أدب), مادة (أدب).

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ¹⁷

أي لا ترى الداعي يدعو بعضاً دون بعض بل يعمم بدعواه في زمان القلة وذلك غاية الكرم.¹⁸

آدِبٌ (ج) أَدَبَةٌ: وفي حديث علي¹⁹ كرم الله وجهه: (أما إخواننا بنو أمية فقادة أدبة)²⁰, الأُدْبَةُ جمع آدب مثل كتبة وكاتب وهو الذي يدعو الناس إلى المأدبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس.²¹

أُدْبَةٌ مَأْدُبَةٌ (ج) مَأْدَبٌ:

الأُدْبَةُ والمَأْدُبَةُ والمَأْدُبَةُ كل طعام صنع لدعوة أو عرس قال صخر الغي²²

¹⁷ انظر: شرح ديوان طرفة بن العبد، تقديم: سيف الدين و أحمد عصام، (د.ط): 1989م، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص52؛ أي لا ترى الداعي يدعو بعضاً دون بعض بل يُعَمِّمُ بدعواه في زمان القلة وذلك غاية الكرم

¹⁸ انظر: مصباح، تحت مادة (أدب)

¹⁹ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي. تربى في بيت النبي . رابع الخلفاء الراشدين. اتفق المسلمون على فضله وعرف عندهم بالعلم والحلم والشجاعة والكرم. من أوائل من آمن بالنبي p. له فضائل في كتب الحديث. استشهد في الصلاة. كانت مدة خلافته أكثر من 5 سنوات.

[انظر: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1407: 83/6 ؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 4، 1405 هـ، 61/1]

²⁰ انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ،: 58/1 ؛ غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد عبد المعيد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1396هـ : 146/2

²¹ انظر: اللسان، تحت مادة (أدب)، 206/1

²² صخر الغي: صخر بن عبد الله الخيثمي، من بني هذيل: شاعر جاهلي. قال الأصفهاني: لقب بصخر الغي لخلاعه وشدة بأسه وكثرة شره. وأورد أبياتاً من قصيدة تنسب إليه. قيل في سببها إن

يصف عقابا:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي قَعْرِ عُشِّهَا نَوَى الْقَسْبِ مُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ¹

والمشهور في المأدبة ضم الدال وأجاز بعضهم الفتح وقال هي بالفتح مفعلة من الأدب قال سيبويه² قالوا المأدبة كما قالوا المدعاة وقيل المأدبة من الأدب وفي الحديث عن ابن مسعود³ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةٌ (مأدبة) الله فِي الْأَرْضِ⁴ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَنْ مَأْدُبَتِهِ (مأدبته)⁵ يعني مدعاته قال أبو عبيد يقال مأدبة و مأدبة فمن قال مأدبة أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو إليه الناس يقال منه أدبت على القوم

صخرًا قتل جاراً لشعر من هذيل يدعى "أبا المثلم" ودارت بين أبي المثلم وصخر الغي مناقضات وقصائد.
[انظر: الأغاني, لأبي الفرج الأصفهاني, تحقيق: سمير جابر, ط: 2 (د.ت), دار الفكر, بيروت:
[350-344/22]

¹ انظر: لسان, تحت مادة الأدب, 206/1؛ القسبُ تَمَرٌ يابسٌ صُلْبُ النَّوَى شَبَّهَ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي وَكْرِ الْعُقَابِ بَنَى الْقَسْبِ

² سيبويه: هو أبو بشر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب. وُلد في البيضاء قرب شيراز (فارس) نحو سنة 145هـ ثم جاء إلى البصرة شاباً. فأخذ عن الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب. سيبويه أكبر علماء النحو وأشهرهم. من مؤلفاته "الكتاب" قد اشتهر هذا الكتاب شهرة عظيمة.

[انظر: تاريخ بغداد, للخطيب البغدادي, تحقيق: مصطفى عبد القادر, ط: 1: 1417هـ, دار الكتب العلمية, بيروت؛ تاريخ الأدب العربي, لأحمد حسن الزيات. (لا ط ت) دار نشر الكتب الإسلامية, لاهور:
[120/2]

³ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي, أبو عبد الرحمن (م 32هـ): صحابي. من أكابرهم, فضلاً وعقلاً, وقرباً من رسول الله p. من السابقين إلى الإسلام. وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. ولي بعد وفاة النبي بيت مال الكوفة. له 848 حديثاً.

[انظر: الإصابة في تمييز الصحابة : ت 4955]

⁴ انظر: النهاية في غريب الأثر: 58/1

⁵ انظر: غريب الحديث لابن سلام: 107/4

آدب أدبا ورجل آدب قال أبو عبيد وتأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه ومن قال مأدبة جعله مفعلة من الأدب وجعلهما البعض لغتين مأدبة و مأدبة بمعنى واحد.¹

المأدبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس وفي حديث كعب رضي الله عنه (إن لله مأدبةً من لحوم الرُوم بمروج عكَّا)² أراد أنهم يقتلون بها فتنتابهم³ السباع والطيور تأكل من لحومهم.⁴ وكذلك ورد في حديث: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةٌ لِلَّهِ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ...".⁵

وأيضاً في البخاري: "مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ...".⁶

أدب: أدب الرجل يأدب أدباً فهو أديب وأرْبَ يأرْبُ أرابةً وأرْباً في العقل

¹ انظر: اللسان ؛ تاج العروس, تحت مادة الأدب

² انظر: النهاية في غريب الأثر: 58/1

³ انتابه أمر: أي أصابه ونزل به وصديقه قصده مرة بعد أخرى يقال فلان يتتابنا والسباع تتاب المنهل.

[انظر: المعجم الوسيط, مادة: نوب].

⁴ انظر: لسان, تحت مادة الأدب

⁵ انظر: سنن الدارمي, لعبدالله بن عبد الرحمن الدارمي, دار الكتاب العربي, بيروت, تحقيق: فواز أحمد زمرلي, خالد السبع العلمي, ط1: 1407 هـ, دار الكتب العلمية, الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها, قال حسين سليم أسد: رجاله ثقات غير أن أبا سنان سعيد بن سنان - وهو أحد رواة هذا الحديث - متأخر السماع من أبي إسحاق وهو موقوف على ابن مسعود, كتاب فضائل القرآن, فضل من قرأ, رقم الحديث: 3173

⁶ انظر: البخاري, كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة, باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ, رقم الحديث:

فهو أريب¹.

قيل: أَدَّبَ فلان يأدُب أدباً: راض نفسه على المحاسن, فهو أديب.²

أَدَّب (تفعيل):

أدبه فتأدب: علّمه فتعلّم.³

وفي المصباح المنير: أدبته تأديباً مبالغة وتكثير ومنه قيل أدبته تأديباً إذا عاقبته

على إساءته لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب.⁴

وفي حديث رسول الله ﷺ لَأَنَّ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ.⁵

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: (لَيْسَ مِنْ مُؤَدَّبٍ إِلَّا وَهُوَ يُجِبُّ أَنْ

يُؤْتَى أَدْبُهُ وَإِنَّ أَدَبَ اللَّهِ الْقُرْآنُ).⁶

أَدَّبَ: آدب القوم إلى طعامه يُؤدّبهم إيداباً وأدب عمل مأدبة. وآدبته

أودب إيداباً: أدب.⁷

المأدوبة: المرأة التي صنع لها الصنيع.⁸

¹ انظر: تهذيب؛ لسان؛ تاج، نفس المادة، ونفس الصفحة.

² انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أخرجه: فهيم مصطفى هارون وآخرون، القاهرة،

1380 – 1381 هـ، 9/1

³ انظر: اللسان؛ تاج العروس، نفس المادة

⁴ انظر: مصباح، نفس المادة

⁵ انظر: سنن الترمذي، كتاب (البر والصلة)، باب (أدب الولد)، رقم الحديث: 1874، ضعفه الألباني.

⁶ انظر: سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، رقم الحديث: 3187، قال

حسين سليم أسد: إسناده صحيح إلى عبد الله

⁷ انظر: تهذيب، تحت مادة الأدب

⁸ انظر: كتاب العين، ل الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي.

تصحيح: أسعد الطيب، (د.ط.ت)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، تحت مادة (أدب)

وقال عدي بن زيد¹:

رَجَلٌ وَبُلُهُ، يُجَاوِبُهُ دُفٌّ
لِحُونٍ مَأْدُوبَةٍ، وَزَمِيرٌ²

ويقال للبعير إذا ربيض ودُلِّلَ: أديب مؤدب؛ وقال مزاحم العقيلي³:

وَهُنَّ يُصَرِّفَنَّ النَّوَى بَيْنَ عَالِجٍ وَنَجْرَانَ تَصْرِيفَ الْأَدِيبِ الْمَدْلَلِ⁴

الأدب: الظرف وحسن التناول.⁵

¹ عدي بن زيد بن حماد الحيزي العبادي: شاعر تميمي من دهاة الجاهليين، كان نصرانيا من أهل الحيرة، يحسن العربية والفارسية. هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان الثالث بما أوغر صدره فسجنه وقتله بأن خنقه النعمان بنفسه في السجن.

[انظر: خزانة الأدب : 184/1-186 ؛ الأغاني : 97/2]

² انظر: اللسان، مادة (أدب)، البيت منسوب إلى (عدي بن زيد) في غريب الحديث لابن السلام، قال ذلك في وصف المطر والرعد. الرَّجَلُ الصوت يقال سحاب رَجَلٌ أي ذو رعد، والحُون: جمع الحِوَان؛ يعني أنه يجاوبه صوت رعد آخر من بعض نواحيه كأنه قرع دف يقرعه أهل عرس دعوا الناس إليها [في التعريب والمغرب، عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (د.ط): 1405هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 81/1]

³ مُزَاحِمُ الْعُقَيْلِيِّ: مزاحم بن الحارث، أو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث، من بني عقيل بن كعب، من امر بن صعصعة. في زمن جرير والفرزدق.

[انظر: خزانة البغدادي: 43/3، 45 ؛ طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق :

محمود محمد شاکر، (د.ط.ت) دار المدني، جدة: 583]

⁴ انظر: مجالس ثعلب، لثعلب، (د.ط.ت)، دار الفكر، بيروت، 50/1؛ تهذيب اللغة: تحت مادة (أدب)؛ عالج ونجران: موضوعان

⁵ انظر: ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، (د.ط): 1979م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مادة (أدب).

الاختلاف في اشتقاق كلمة "الأدب"

عنوان الاختلاف في اشتقاق كلمة "أدب" عنوان عجيب, لأن هذا يبدو عند أول نظرة إلى كلمة "أدب" أن مادتها الهمزة والبدال والباء. فلم إذن هذا الاختلاف؟ ألا يوجد مادتها ومعناها في القواميس؟

نعم! نستطيع أن نجد معنى الأدب في القواميس تحت مادة الهمزة والبدال والباء, واشتقاقاتها المختلفة مع استعمالاتها. كذلك يمكننا أن نرى في كتب الأدب العربي تطور هذه الكلمة - توسعها وتضييقها - في العصور المختلفة, والنصوص التي تدلّ عليها. وهكذا التعاريف التي قدّمها علماء الأدب عبر الزمن.

وإذا طالعنا هذه الكتب - أي كتب الأدب - وجدنا أن علماء الأدب القدماء اتفقوا على اشتقاق الأدب - وهو الهمزة والبدال والباء - ولم يختلفوا فيه. غير أن الغرب عندما أقبل على اللغة العربية وعلومها, فأثرت فلسفتهم (الشك في كل شيء) في الأدب العربي أيضاً, ومنها إعادة دراسة كلمة أدب من زوايا مختلفة, وفي التالي تفصيلها:

1- تحقيق المستشرق الإيطالي الأستاذ نلليانو¹ : يشتقها نلليانو من

الدأب بمعنى العادة, ويرى أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد, وإنما اشتقت من

¹ نلليانو: كارلو الفونصو (1872 - 1938م) مستشرق إيطالي, ولد في تورينو, وتعلم العربية في جامعتها, ثم عين أستاذاً, ودعي ليحاضر في الجامعة المصرية القديمة, نشر "الزيج الصابي" للبيستاني, مع ترجمة لاتينية, ودراسات عن التصوف والفلسفة الشرقية, في مجلات الاستشراق, وطبعت محاضراته بالعربية عن تاريخ علم الفلك عند العرب وتاريخ الآداب العربية.

[انظر: الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي, ط5: 2002م, دار العلم للملايين, بيروت, 213/5].

الجمع, فقد جمعت "دأب" على "أدآب" ثم قلب فقيل "آداب" كما جمعت "بئر" و "رئم" على "آبار" و "آرام" ثم قلبت فقيلت "آبار" و "آرام".

ويستمر الأستاذ نلليو بقوله: وكثر استعمال "الآداب" جمعاً "للدأب" حتى نسي العرب أصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب, وخبيل إليهم أنه جمع لا قلب فيه, فأخذوا منه مفردة أدباً لا دأباً, وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة, ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعي القديم إلى معانيه الأخرى المختلفة.¹

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ الحوفي²: الأستاذ أحمد محمد الحوفي يردّ عليه في كتابه "الحياة

العربية من الشعر الجاهلي" ردّاً قاطعاً قائلاً: "وهذا فرض, وتكلف لا نقره".³

ثم جاء بأدلته:

أ- لأن كلمة آبار وآرام لم يشتق منهما مفرد أن تكون الصلة بينهما وبين بئر ورئم كالصلة بين أدب ودأب في الحروف والمعنى, فيقال مثلاً ابر وارم.

ب - لم يذكر الباحث شبيهاً في هذا الاشتقاق في اسم معنى قدمت عينه على فائه في الجمع ثم اشتقّ منه فعل جديد.

¹ انظر: في الأدب الجاهلي, طه حسين. ط2: 1927م, دار المعارف, ص23

² أحمد محمد الحوفي (ت1982م): باحث, موسوعي, لغوي, مصري, حصل على الدكتوراه عام 1952م, وعين مدرساً فأستاذاً ورئيساً لقسم الدراسات الأدبية, وبعد بلوغه سن الستين عين أستاذاً غير متفرغ. وقد انتخب عضواً لجمع اللغة العربية عام 1973م. وشارك في عدة مؤتمرات.

[انظر: تنمة الأعلام للزركلي, محمدخير رمضان يوسف, ط1: 1418هـ, دار ابن حزم, بيروت, 58/1]

³ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, أحمد محمد الحوفي, ط4: 1962م, دار القلم, بيروت,

ج - لم يرد في معجم أو نص جمع كلمة الدأب على أَدَاب, ولكن ورد في كتب اللغة جمع بئر على أبار وآبار, وجمع رئم على أرام وآرام.

د - لم يرد الدأب بمعنى الأدب, لأن الدأب العادة والشأن والاستمرار حسناً أو قبيحاً, والأدب خلق كريم في أول معانيه.¹

ردّ الأستاذ أحمد حسن الزيات²: والأستاذ أحمد حسن الزيات - وإن

استقل برأي له خاص سيأتي ذكره - يعترض على رأي الأستاذ نلينو بقوله: "ولسنا ننكر مذهب العرب في القلب, ولا اشتقاقهم أفعالاً مجردة جديدة من أفعال تحذا من أخذ, وتله يتله تلها أي ذهل وتحير من شدة الوجد من اتله يتله, وأصله وله, كأنهم توهّموا أن التاء في كل ذلك أصلية. ولكن رأي الأستاذ على رزائته ووزائته يضعفه هذه الحلقة المفقودة وهي جمع الدأب على الآداب, فإنه لم يرو في أثر ولم يرد في معجم".³

ردّ الأستاذ طه حسين⁴:

¹ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, ص: 10-11

² الزيات, أحمد حسن (1885 - 1968م): أديب وكاتب وصحفي مصري. وقد تتلمذ لكبار العلماء والمستشرقين. عمل بالتدريس, تعلم الفرنسية وحصل على الليسانس, عمل رئيساً للقسم العربي في الجامعة الأمريكية. وتم اختياره استاذاً لدار المعلمين العالية ببغداد. عدة مجامع. من أهم آثاره المنشورة: تاريخ الأدب العربي وغيرها من الكتب.

[انظر: الموسوعة العربية العالمية, مؤسسة أعمال الموسوعة, رياض, ط2: (د.ت), 684/11]

³ انظر: في أصول الأدب, لأحمد حسن الزيات. (د.ط.ت) شركة الخزندار للتوزيع, السعودية, ص8

⁴ طه حسين (1889-1973): أديب وناقد مصري كبير. لُقّب بعميد الأدب العربي. ولد في مصر. فقد بصره طفلاً. درس في الأزهر والجامعة الأهلية بفرنسا. أسس جامعة الإسكندرية وتولى إدارتها

وهكذا الأستاذ طه حسين - وإن كان قد تأثر بتحقيق الأستاذ نللينو - لكنه يعترف بأن رأي الأستاذ نللينو ك رأي غيره من أصحاب اللغة, يعتمد في أصله على الفرض.¹

ونتيجة هذا الرأي أن بعضاً من دوائر المعارف ذكرت أن أصل الأدب هو "الدأب" بدون تحقيق, فمنها: دائرة المعارف الإسلامية بالأردنية², وهكذا موسوعة الإسلام³ (The Encyclopaedia of Islam).³

2- رأي الأستاذ مصطفى جواد⁴: ويرى الأستاذ مصطفى جواد أن كلمة "أدب" مشتقة من الهذب, وقلبت الهاء همزاً كما في هيا وأيا وهراق وأراق.

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ الحوفي:

1942م. وزير المعارف 1950م, عمل على إقرار مجانية التعليم وأسس جامعة عين شمس. له إنتاج وافر يتوزع في الأدب والنقد والسير والقصيدة. له مؤلفاته الكثيرة.

[انظر: الأعلام: 231/3]

¹ انظر: في الأدب الجاهلي, ص 23

² انظر: اردو دائرة معارف إسلامية, ج: 2, ص: 229, جلد أول, 1966, نقش ثاني: 1980م, زير اهتمام: دانش كاه بنجاب, لاهور

³ The Encyclopaedi of Islam, New Edition, By a number of Orientalists, Vol: 1, pg: 175; First Encyclopaedia of Islam, Vol: 1, pg: 122

⁴ مصطفى جواد (1905 - 1969م): مصطفى جواد بن مصطفى البغدادي: أديب مدرس, من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق وبغداد مولده ووفاته ببغداد. وتعلم ببغداد وبالقاهرة ثم بالصوربون في جامعة باريس. تولى التدريس في مدارس آخرها دار المعلمين. له مؤلفات, منها: المباحث اللغوية في العراق, ودراسات في فلسفة النحو و الصرف واللغة والرسم وله ديوان.

[انظر: الأعلام للزركلي, 230/7]

لا يخلو هذا الرأي من الافتراض, لذا نرى الأستاذ الحوفي يردّه بقوله: ولكن يضعفه أن الكلمة لم تستعمل مرة على هذا الأصل لا فعلاً ولا اسماً, وأن في الكلمة الواحدة وهي ثلاثية قلب الهاء همزاً والذال دالاً. وذلك غير وارد لدى العرب.¹

3- قول الأستاذ الأب أنستاس الكرملّي²: ثم جاء الأستاذ الأب أنستاس الكرملّي فاحتال للكلمة أصلاً يونانياً.³ وهو يرى أن الأدب "صنعة الأديب الوارد في اللغة اليونانية باللفظ والمعنى, فمن معاني الأديب عندهم الحسن الغناء, اللذيذ المحادثة والمنادمة والمجالسة, المثير لهوى جلسائه بأنغامه المشجية وحديث الريق".⁴

ردّ الآخرين على هذا الرأي

ردّ الأستاذ أحمد حسن الزيات: ردّ عليه الأستاذ الزيات قائلاً: ويظهر من كلام الأب الفاضل أنه يعرض هذا الرأي للبحث دون أن يقطع بصحته أو يتثبت بحجته.⁵

ردّ الأستاذ الحوفي: يقول الأستاذ الحوفي: هذا الرأي ضعيف أيضاً, وإذا

¹ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, ص:10

² أنستاس الكرملّي (1846-1947م): راهب كرملّي, عالم بالأدب ومفردات العربية وفلسفتها وتاريخها. أصله من لبنان, وانتقل أبوه إلى بغداد. عضو المجمع العلمي العربي. لغوي, أديب. صاحب مجلة "لغة العرب", من مؤلفاته الكثيرة (أغلاط اللغويين الأقدمين) و (جمهرة اللغات)...

[المنجد في الأعلام, ط10, المكتبة الكاثوليكية, دار المشرق, بيروت, لبنان, 1980م: ص77]

³ انظر: في أصول الأدب, ص 8

⁴ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, ص: 10-11

⁵ انظر: في أصول الأدب, ص8

أراد واحد أن يثبت هذا فعليه أن يأتي بدليل أن هذه الكلمة جاءت إلى العربية من اليونانية.¹

4- افتراض الأستاذ أحمد حسن الزيات: يقول الأستاذ الزيات في كتابه

"في أصول الأدب": إن معنى الأدب في لغة السومريين الذين عمروا جنوبي العراق في فجر التاريخ, ومما لا مساغ للشك فيه أن قبائل سامية نزحت من الجزيرة العربية إلى أرضهم حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد, فغزتهم وأخضعتهم واقتبست من لسانهم وأديانهم وعمرانهم, فلماذا لا نظن أن هذه الكلمة السومرية قد دخلت العربية بلفظها ومعناها, ثم تحولت إلى آدم, واستعملت كذلك في اللغات السامية, وبقيت العربية وحدها محتفظة لقدمها وعدم اختلاطها, ثم استعملت هذه الكلمة في الوصف استعمال المصادر, فأرادوا بها الرجل الذي استكمل مزايا الإنسانية من حر الخلال, وكرم الفعال, وحسن السيرة, كما نقول اليوم فلان آدمي وفلان إنسان, ثم قلبها الزمن على وجوه الدلالات حتى صارت إلى ما صارت إليه, ومما يساعد هذا الفرض قول التبريزي² في شرح الحماسة: كان الأدب اسماً لما يفعله الإنسان فيتزين به في الناس.³

ردّ الآخرين على هذا الرأي

¹ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, ص: 10-11

² يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي, أبو زكريا: من أئمة اللغة والأدب. نشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام, فقرأ (تهذيب اللغة) على أبي العلاء المعري. ثم عاد إلى بغداد, فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي عام 502هـ. من كتبه (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام) و (تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت) و (تهذيب الألفاظ لابن السكيت).

[انظر: وفيات الأعيان: 233/2؛ الأعلام: 157/8-158]

³ انظر: في أصول الأدب, ص: 8

ردّ الأستاذ الحوفي على هذا الرأي: ردّ الأستاذ الحوفي عليه قائلاً: "إن المراد من الكلمة إذاً الرجل الكريم الأخلاق أو الممتاز بصفات, لا الخلق الكريم نفسه, ولا الصفات المميزة لبعض الناس, وليس في اللغة آثار تؤيد هذا المعنى أو تشير إليه, وحتى كلمة التبريزي نفسه صريحة في أن الأدب ميزة وحلية يتزين بها الرجل في الناس, على أن استعمال هذه الكلمة وصفاً كما تستعمل المصادر بعيد الاحتمال.¹

5- رأي الأستاذ طه حسين: لم يقبل الأستاذ طه حسين تقليد القدماء ولا افتراضات المتأخرين. وهو يعدّ هذا تكلفاً أن "الأدب" قد اشتقّ من الأدب بمعنى الدعوى إلى الولائم, وهناك صلة بينهما, واختلاف معانيها في عصور مختلفة, مظهراً عدم معرفته عن نصّ جاهلي صحيح ورد في لفظ "الأدب" أو في القرآن.

وهو يقبل ورود لفظ الأدب في حديث لكنه يرى أنه لا يثبت حكماً لغوياً إلا إذا صحّ عن النبي ρ بلفظه. وهكذا يردّ آراء الذين يستدلون بورود هذه الكلمة في كلام الخلفاء الراشدين بقوله: "الكلام المحمول على الخلفاء الأربعة كثير, وليس هناك سبيل لتحقيق ما صحّ أو لم يصح من هذا الكلام".

لكنه يرضى بشيوع هذه الكلمة في أيام بني أمية, إلا أنه يعتقد أن أول ما استعملت فيه هذه المادة هو التعليم - تعليم بطريق الرواية على اختلاف أنواعها: رواية الشعر, ورواية الأخبار, وأحاديث الأولين, ولم يطلق لفظ المؤدب على رواة الحديث والدين, بل أطلق على رواة الشعر والخبر, وعلى الذين كانوا يحترفون تعليم الشعر والخبر, وما إلى ذلك, لأبناء الأرسطراطية.

¹ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, ص: 12

ثم يقول: إننا إذا لم نجد هذه الكلمة في النصوص العربية الصحيحة, ولا في القرآن والحديث, ولا فيما ورد عن الخلفاء بطريقة قاطعة ولا في اللغات السامية الأخرى, فهنا نستطيع أن نفترض كما افترض الآخرون... فمن المحتمل أنها دخلت في لغة قريش إبان العصر الأموي من إحدى اللغات العربية التي ضاعت, لأنها لم تدون منها إلا شيئاً يسيراً بالقياس إلى ما أهمل إهمالاً.

هنا يترك الأستاذ هذا الموضوع وينتقل إلى معنى هذه الكلمة ويقول: مهما يكن أصل هذه الكلمة ومصدرها الذي اشتقت منه, فقد كانت تدل في العصر الأموي على الشعر والخبر وما يتصل بهما. وهذا المعنيان اتسعا وأضيفت إليهما علوم اللغة فتطورت حتى استقلت وعاد معنى الأدب إلى الضيق بعد السعة, وأصبح لا يدل إلا على ما نجد في كتب الكامل للمبرد¹, والبيان والتبيين للجاحظ² وغيرهما. وهذا ما يدلّ عليه هذا العلم (الأدب) في حياتنا اليوم وهو

¹ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي, أبو العباس, المبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه, وأحد أئمة الأدب والأخبار. ولد بالبصرة, وتوفي ببغداد عام 286هـ. من كتبه (الكامل) و (المذكر والمؤنث) و (المقتضب) و (التعازي والمراثي).

[أنظر: بغية الوعاة, السيوطي, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, الطبعة الأولى, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاء 1384هـ, 16/1؛ وفيات الأعيان: 495/1]

² الجاحظ (أبو عثمان) (255هـ): من أئمة الأدب العربي. ولد وتوفي بالبصرة. درس في البصرة وبغداد واطلع على جميع العلوم المعروفة في عصره. نسبت إليه فرقة الجاحظية وهي إحدى فرق المعتزلة. كان ثاقب البصيرة, متهنّ العقل, دقيق التعليل, حرّ الفكر, فجاءت كتبه تلقن العلم والأدب. وكان ذا ملاحظة دقيقة وروح مرحة فكهة وقلم رشيق فصوّر أحوال عصره وحياة أهل زمانه وأخلاقهم عاداتهم تصويراً يمتزج فيه الجد بالدعابة. من مؤلفاته الكثيرة: "الحيوان" في سبعة أجزاء. و "البيان والتبيين" و "البخلاء" و "التاج".

[أنظر: لسان الميزان, ابن حجر العسقلاني, تحقيق: دائرة المعارف النظامية, الهند, ط3: 1406هـ, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, 355/4]

مأثور الكلام نظماً ونثراً وما يتصل به من هذه العلوم والفنون التي تعين على فهم الأدب من ناحية وتذوقه من ناحية أخرى ... وهذا الذي يدل عليه الأدب عند الأمم الأجنبية القديمة أو الحديثة أيضاً كإلياذة¹ والأوديسة² وتاريخ هيرودوت³ وتوسيديد⁴ ...⁵

هنا يشعر الإنسان كأنه قرّب "الأدب" في العربية إلى "Literature" في اللغات الغربية.⁶

¹ إلياذة هوميروس Iliade: ملحمة يونانية في 24 نشيداً تروي أخبار حرب طروادة بين الإغريق والطرواديين. من روائع الشعر الملحمي العالمي. عزّمتها شعراً سليمان البستاني ونشرها في دار الهلال بمصر 1904م مصدّرة بمقدمة في هوميروس وشعراء اليونان والعرب وآدابهم.

[انظر: المنجد في الأعلام: 62]

² الأوديسة إحدى ملحمتي هوميروس الخالدين تتكون من 24 نشيداً يروي لنا الشاعر محاولة تليماخوس البحث عن أبيه أودوسيوس الذي وقع أسيراً في كاليبسو، ثم يصل بطل الأوديسة إلى أهل فاياكيا، فيعود أودوسيوس ويعود ابنه إلى أيتاكا ويتفقان على تدبير حيلة للانتقام من العشاق الذين ضايقوا بنيلوبا في غيبة زوجها فيقتلهم أودوسيوس ويسترد حكمه ويعيش آمناً في وطنه.

[انظر: الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، (د.ط): 1959، دار إحياء التراث العربي، مصر، 257/1]

³ هيرودوت أو هيرودوتس: كان مؤرخاً إغريقيا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (484 ق.م - حوالي 425 ق.م). اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها وأناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان، عرف بأبي التاريخ.

[انظر: www.wikipedia.org]

⁴ توسيديد (460-395 ق.م.) مؤرخ يوناني ومصنف كتاب (تاريخ حرب بلابوميسين).

[انظر: www.wikipedia.org]

⁵ انظر: في الأدب الجاهلي، ص 26-29

⁶ انظر: في أصول الأدب، ص 11

وهذا ما جعل الأستاذ أحمد محمد الحوفي يقول: الدكتور طه حسين كان في أول الأمر يدين برأي الأستاذ نلينو، ولكنه بعد ذلك جعل يحار في الاهتداء إلى مصدر الكلمة ولا يرتضى رأياً من الآراء، فيفترض أنها من لغة قبيلة عربية قديمة، ولكن النصوص المثبتة لمعناها الأصيل ضاعت. وهذا رأي يعتمد على هدم البناء بمعول من الخيال والفرض لا يبنى ولا يهدم.¹

¹ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص: 11

خلاصة القول

إن ما تناولته في السطور فوقانية يوضح أن في كلمة "الأدب" اختلاف. فمن الأدباء واللغويين من ذهب إلى أن "الأدب" هو نفس "الأدب" الذي ورد في الشعر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الوليمة, ثم جاء التطور فيها كما هو رأي جميع المتقدمين ومعظم الجدد سوى المستشرقين أو المتأثرين بهم.... ومنهم من ذهب إلى خلافهم كما هو رأي المستشرقين أو المتأثرين بهم مثل الأستاذ طه حسين. لكن ما الذي سبب هذا الاختلاف؟ وما هي النقطة الأساسية التي إذا عرفناها عرفنا القضية كلها؟

إن الذي اتفق عليه العلماء هو أن كلمة "الأدب":

1- وردت في الشعر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الوليمة

2- كانت شائعة في العصر الأموي وما بعدها من العصور

لكن المشكلة هي الفرق بين المعنيين مع اتفاقهما في المادة, بحيث أن العلماء إذا قرروا مادة "الهمزة والبدال والباء" الجاهلية أصل الأدب, واجهوا التفاوت في المعنى, وإذا راعوا المعنى أنكروا أصل الأدب في الجاهلية. فهنا انقسموا قسمين:

1- جماعة ترى مادة " الهمزة والبدال والباء" أصل "الأدب":

فهذه الجماعة تدين ما كان يدينه القدماء والأسلاف, وهي التي توفق بين المعنيين كي يزول التفاوت بين المعنيين المختلفين معني ومتفقين مادةً.

وخلاصة رأيهم:

أ- أن الكلمتين سيان في المادة.

ب- استعملت هذه الكلمة في العصر الجاهلي و صدر الإسلام, ونستطيع أن نراها شائعة في العصر الأموي وما بعدها من العصور.

ج- وعلى ذلك, وردت هذه المادة في الحديث النبوي, وفي كلام الخلفاء الراشدين الأربعة أيضاً.

2- جماعة تنكر أصل الأدب في الجاهلية, وخلاصة دلائلهم:

أ- مع أن الكلمتين متفقتان في المادة, لكنهما مختلفتان في المعنى.

ب- نصوص العصر الجاهلي هي ليست قوية إسناداً حتى تثبت حكماً لغوياً.

ج- أما الحديث فليس بحجة قاطعة ... أو لا يُثبت حكماً لغوياً إلا إذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشكّ, أو كان الراجح على أقل تقدير أنه صحّ بلفظه عن النبي ρ .¹

¹ انظر: في الأدب الجاهلي, طه حسين. ص23

رأي الباحث

أفضل رأي الذين يرون كلمة "الأدب" جاهلية الأصل, وذلك لعدة أسباب:

1- إذا أردنا أن نفحص أصالة الأدب من العربية ينبغي أن نختبرها في ضوء الدلائل اللغوية التي تثبت حكماً لغوياً, ولا في ضوء الدلائل التي تثبت حكماً علمياً أو دينياً.

وهذا ما فعل اللغويون القدماء بغير أي ضغط أجنبي, وكلهم اتفقوا على ذلك, ولم يشك أحد في أصالته طوال القرون, بينما إذا سلطنا مسلك المستشرقين أو المتأثرين بهم فمن المحتمل أن نشك في أصالة معظم العربية.

2- والأحاديث التي وردت فيها هذه الكلمة هي أقوى إسناداً وأكثر اعتماداً من الشواهد التي تثبت حكماً لغوياً.

3- قد لا يكون الخيار لدى الإنسان بين الدليل القوي والضعيف, وإنما يكون بين الدليل الضعيف والأضعف. فالذين يرون أصل "الأدب" من غير العربية هم عندي أضعف رأياً, وذلك لأنهم بنوا عمارة رأيهم على شكوك وافتراضات لا أساس لها. أما الذين يرون أصل "الأدب" من العربية, فبنوا رأيهم على أسس ثابتة, وهي أن ورود مادة "الهمزة والبدال والباء" في العصر الجاهلي والإسلامي وما بعدها, وكذلك وردت هذه الكلمة في أحاديث عديدة بطرق مختلفة - منها ما ذكرتها ومنها ما سأذكرها في الصفحات التالية - ما يجعلها تاريخاً لا ينكر.

تطور كلمة "أدب"

1- دلت كلمة "أدب" في العصر الجاهلي على الدعاء للمأدبة, فالآدب هو الداعي إلى المآدب, قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتفر²

2- ثم توسع العرب في معناها فاشتقوا منها الآدب بمعنى الأخلاق الكريمة والسجايا النبيلة لأنه يأدب الناس إلى المحامد, وبنهاهم عن المقابح.³

وبين المعنيين صلة وثيقة, لأن العرب يحيون في بادية مقفرة شحيحة بالزاد, فتمدحوا بالقرى, وبالغوا في الحفاوة حتى تحرق فيها بعضهم, فكان من الطبيعي أن ينتقلوا من معنى الآدب الحسي إلى ذلك المعنى الخلقى.⁴

ولا يعرف بالتحديد حدوث هذا التجوز, لكن هناك نصوص في العصر الجاهلي تدل عليه, ومنها قول بلعاء بن قيس⁵ الكناني - الذي شهد حرب الفجار الثاني⁶:

² انظر: شرح ديوان طرفة: ص52

³ انظر: تهذيب اللغة, مادة (أدب).

⁴ انظر: الحياة العربية, ص8 ؛ تاريخ آداب العرب, مصطفى صادق الرافعي, ط1: 2003, دار الكتاب العربي. بيروت, لبنان, ص23

⁵ بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر الشاعر المذكور في شعر الحماسة اسمه : حميضة ولقب: بلعاء.

[انظر: الروض الأنف: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله, طبع الجمالية, 1332هـ, مصر, 61/1]

⁶ أما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم لشهرتها وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمهما لأنهم استحلوا فيه الحرم وكانت أيامه يوم نخلة وهو الذي لم يشهده رسول الله منها وشهد

أصبحت آتي الذي آتي وأتركه * وبات أكثر رأي الناس مرتابا
 وإن أمت والفتى رهن بمصرعه* فقد قضيت من الآداب آرابا 7
 ومنها قول عتبة بن ربيعة⁸ لابنته هند⁹ يصف لها خاطبها —أبا سفيان¹⁰ —
 ولم يذكر اسمه: "يؤدب أهله ولا يؤدبونه". وردّها عليه: "وإني لآخذه بأدب البعل,
 مع لزوم قبتي, وقلة تلفتي".¹¹
 يقول الأستاذ أحمد حسن الزييات:

سائرهما. وبينه وبين مبعث النبي ست وعشرون سنة وشهد النبي ذلك اليوم مع قومه وله أربع عشرة سنة
 وكان يناول عمومته النبيل. وهاجت هذه الحرب بسبب البراض بن قيس.

[انظر: الأغاني: 60/22-61؛ الأعلام: 47/2]

7 انظر: المؤتلف والمختلف, للآمدي, تصحيح ونشر: فريس كرنكو د. مكتبة القدس, القاهرة,
 1961هـ, ص 106

8 عتبة بن ربيعة بن عبد شمس: من أعداء الإسلام وأحد أصحاب القليب الذين دعا عليهم رسول الله
 ﷺ, قتل بيدر.

[انظر: الأعلام: 200/4؛ السيرة النبوية: ابن كثير, مطبعة عيسى البابي الحلبي, القاهرة, 1385هـ,
 468/1-469]

9 هند بنت عتبة بن ربيعة, امرأة أبي سفيان بن حرب, وأم معاوية. أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها
 أبي سفيان وأقرها رسول الله ﷺ على نكاحها. توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه.

[انظر: أسد الغابة: عز الدين أبي الحسن بن الأثير الجزري, ط2: 1386هـ, 1424/1]

10 صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي, من سادات قريش في الجاهلية. وهو
 والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. أسلم يوم
 الفتح, وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن. شهد حنيناً والطائف, ففقت عينه يوم الطائف ثم فقمت
 الأخرى يوم اليرموك. فعمي. كان من الشجعان الأبطال. توفي بالمدينة عام 31 هـ.

[انظر: الإصابة: 412/2]

11 انظر: الأمالي, لإسماعيل بن محمد القالي, (د.ط): 1962م, دار الفكر, القاهرة: 104/2

"عرف الجاهليون - ولا ريب - هذه الكلمة واستعملوها على التعاقب في معانٍ ثلاثة - على ما استقره الأستاذ نلينو، استعملوها أولاً في معنى الطريقة المحمودة والعادة الحسنة، ثم استعملوها في الأخلاق الكريمة والشمائل الموروثة، ثم توسعوا فيها فأطلقوها على تهذيب النفس وتعليم المرء ما أثر من المحامد والمعارف".¹²

وفي الحديث النبوي: "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي".¹³

وقوله p في الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين: "وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا".¹⁴

وقول علي رضي الله عنه: "وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا".¹⁵

وقوله: "وقد لبس للحكمة جنتها، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها، والمعرفة بها والتفرغ لها".¹⁶

¹² انظر: في أصول الأدب، ص7

¹³ انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط): 1989م، 534/11؛ (31895)، ضعفه المناوي والسخاوي؛ النهاية في غريب الأثر: 3/1

¹⁴ انظر: البخاري: كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهل، كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، رقم الحديث: 2404

¹⁵ انظر: نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب، جمعه: محمد الرضي، تحقيق: صبحي صالح، ط5:

1412هـ، منشورات دار المحجرة، قم، إيران: 536/2

¹⁶ نفس المصدر: 535/2

وقول حجر بن عدي¹⁷ للإمام علي: "يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك,
ونتأدب بأدبك".¹⁸

وقول سيدنا عمر لابنه: "يا بني انسب نفسك تصل رحمك, واحفظ محاسن
الشعر يحسن أدبك".¹⁹

وجاء في رثاء كعب بن سعد الغنوي²⁰ - وهو شاعر إسلامي يرجح أنه
تابعي - لأخيه قوله:

حبيب إلى الزوار غشيان بيته جميل الحيا شب وهو أديب

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا فلم تنطق العوراء وهو قريب²¹

والذي يفهم من الكلمة هنا أنه ذو أخلاق عالية, حتى أن الرجال
يتحفظون بمجلسه فلا ينطقون بفاحش من القول.²²

¹⁷ حجر بن عدي الكندي (ت51هـ): من صلحاء الصحابة. قاتل في فتوح فارس. كان مع علي في
الجمل والنهروان وصقّين. قاوم معاوية. قبض عليه زياد بن أبيه, عامل العراق, وجماعة للتزامهم حق
علي, وبعث بهم إلى دمشق, فأمر معاوية بقتلهم في مرج عذراء شرقي دمشق.

[انظر: الثقات, محمد بن حبان, تحقيق: السيد شرف الدين, ط: 1395هـ, دار الفكر, 176/4]

¹⁸ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ص9

¹⁹ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ص9

²⁰ كعب بن سعد بن عمرو الغنوي, من بني غني. قيل: انه جاهلي. وذهب القالي إلى أنه "إسلامي"
وتابعه البغدادي, وزاد قائلاً: "والظاهر أنه تابعي.

[انظر: الأعلام للزركلي, 227/5]

²¹ انظر: البيان والتبيين, أبي عثمان عمرو بن بحر, تحقيق: عبد السلام هارون, ط: 1367هـ,
مطبعة لجنة التألي والترجمة والنشر, القاهرة: 168/1؛ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام, لأبي زيد

القرشي, تحقيق: علي محمد الجاوي, ط: 1967م, مطبعة لجنة البيان العربي, مصر: ص70

²² انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي, ص9

وفي أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي الأول نشأت علوم اللغة العربية ... واتسع نطاق كلمة أدب فشملت الشعر والنثر وما يتصل بهما من شرح وأخبار وأنساب ومسائل من النحو والصرف واللغة والنقد، وألفت كتب بهذا المعنى مثل طبقات الشعراء لابن سلام²³، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، والشعر والشعراء وعيون الأخبار وأدب الكاتب لابن قتيبة²⁴، لأنهم فهموا الأدب على أنه ثقافة عربية لغوية جامعة.

ولم يكن الأدب ثقافة المسلمين فقط، بل اتسعت دائرتها عما كانت عليه في القرن الأول، فتفرعت إلى القرآن الكريم وتفسيره وقراءاته ورسمه، وإلى الحديث الشريف وعلومه، وإلى الفقه وأصوله، والكلام ومذاهبه، كما ازدهرت ثقافتهم الدخيلة من منطق وفلسفة وطب وفلك...²⁵

وفي العصر العباسي تطور لفظ الأدب، فتولد من معانيه الأصلية معان أخرى اقتضتها الحال. فتولد من المعنى الأول - العادة الحسنة - إطلاق على السنة النبوية - والجاحظ هو أول من فعل ذلك، فقد قال: "فالذي لم يأخذ فينا

²³ محمد بن سلام بن عبيدالله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله: إمام في الأدب. من أهل البصرة، مات ببغداد. من كتبه (طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين) و (بيوتات العرب) و (غريب القرآن).

[الوافي بالوفيات، 114/3]

²⁴ ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عالم مشارك في أنواع من العلوم كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه وغير ذلك. سكن ببغداد وحدث بها، وولي قضاء دينور. توفي عام 276هـ. من تصانيفه الكثيرة: غريب القرآن، أدب الكاتب، المعارف.

[انظر: الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، . شرح وتعليق: يوسف علي. ط1: 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 7/1 و 78؛ الباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، طبع دار صادر، بيروت، 1400هـ: 242/2]

²⁵ انظر: الحياة العربية من الشعر العربي، ص14

بعلم القرآن ولا بأدب الرسول عليه السلام ولم يفرغ إلى ما في الفطن الصحيحة
أولى بالإساءة وأحقّ باللائمة".²⁶

وفي أواخر القرن الثالث عبروا بالأدب عن المنهج الواجب سلوكه في تلقي
علم من العلوم أو مزاولة عمل من الأعمال, فأرادوا مثلاً بأداب الدرس طريقة
التعليم والتعلم....

وربما رادف الأدب الواجب, فقد قال الإمام الغزالي²⁷ في كتاب إحياء علوم
الدين: آداب المتعلم والمعلم, وآداب النكاح والمعاشرة, وآداب الأكل والضيافة,
وآداب الصحبة والعزلة, وآداب الجمعة, وآداب الفقر, وغيرها.²⁸

وقيل للحسن البصري²⁹: قد أكثر الناس في تعلم الآداب, فما أنفعها
عاجلاً وأوصلها عاجلاً؟ فقال: التفقه في الدين [فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين]

²⁶ انظر: كتاب الحيوان, للجاحظ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, (د.ط): 1363هـ, دار الفكر,
القاهرة: 8/1

²⁷ الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي, حجة الإسلام (م 505هـ): فيلسوف, متصوف, له نحو
مئتي مصنف. من كتبه (إحياء علوم الدين) و (تأمت الفلاسفة) و (الاقتصاد في الاعتقاد) و (الفرق
بين الصالح وغير الصالح) وغيرها.

[انظر: وفيات الأعيان: 463/1؛ شذرات الذهب, ابن العماد دمشقي, ط2: 1399هـ, دار
ابن كثير, دمشق بيروت, 10/4]

²⁸ [انظر: إحياء علوم الدين, لمحمد بن محمد الغزالي, (د.ط.ت), دار المعرفة, بيروت, 48/1-261]

²⁹ الحسن البصري (أبو سعيد) (110هـ): تابعي من مشاهير الثقات ولد في المدينة وأقام في البصرة
وفيهما توفي. لقي عثمان بن عفان وعبد الله بن العباس. كان فريداً في معرفة الأحكام الشرعية والتدريس
والوعظ والحديث. أثر تأثيراً عظيماً في جيله من المسلمين, وعنه اعتزل واصل بن عطاء الذي غدا رأس
المعتزلة. له مكانة عظيمة في التصوف.

[انظر: تهذيب التهذيب: 231/2]

والزهد في الدنيا [فإنه يقربك من رب العالمين], والمعرفة بما لله تعالى عليك [يحويها كمال الإيمان].³⁰

ولما رقت العيش في مدن العراق والجزيرة في القرن الثالث, وتقلب العرب في أعطاف النعيم أولعوا بالمنادمة والتأنق, فأطلقوا الأدب على الأناقة باللباس, واللباقة في الحديث والكلام فكان الأدب والظريف بمعنى واحد.³¹

وبعد أواسط القرن الثاني, أطلق الأدب على جميع ما ترجم من العلوم ونقل من الألعاب والفنون,³² وما يدلنا على ذلك ما روي عن الوزير الحسن بن سهل³³: "الاداب عشرة: ثلاثة شهرجانية, وثلاثة أنوشروانية, وثلاثة عربية, وواحدة أربت عليهن. فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصواج, وأما الأنواشروانية فالطب والهندسة والفروسية, وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس, وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر, وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس".³⁴

وأدخل إخوان الصفا³⁵ في عداد العلوم الرياضة التي سميت الأدب أحياناً

³⁰ انظر: اللمع, لأبي نصر السراج الطوسي, تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور, (د.ط.ت) دار الكتب الحديثة, مصر ص143؛ اللباب, ص30

³¹ انظر: في أصول الأدب: 10

³² انظر: في أصول الأدب: ص10

³³ الحسن بن سهل (أبو محمد السرخسي) (ت 236هـ): وزير المأمون العباسي ووالد زوجته بوران. كان مجوسياً فأسلم. قاد وتولى ورعى الشعراء والأدباء. توفي في سرخس (خراسان).

[انظر: تاريخ بغداد: 319/7]

³⁴ انظر: زهر الآداب, لأبي إسحاق القيرواني, ط4: 1972, دار الجيل, بيروت: 142/1

³⁵ إخوان الصفا: جمعية ذات طابع سياسي ديني (983م) إسماعيلية النزعة, اتخذ أعضاؤها البصرة مركزاً لنشاطهم. جمعوا بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني وبالأخص الفيثاغوري, إذ جعلوا للحساب دوراً

السحر والكهانة والكيمياء وغيرها إلى جانب اللغة والشعر والرياضة.³⁶

وكان الغناء أيضاً يعتبر من فنون الأدب, ولذلك نرى ابن خلدون³⁷ يقول:
"وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن (الأدب) لما هو تابع للشعر, إذ
الغناء إنما هو تلحينه, وكان الكتاب والفضلاء, من الخوارج في الدولة العباسية
يأخذون أنفسهم به, حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه".³⁸

لكن إطلاق الأدب على الفنون والصناعات, وجميع العلوم غير الشرعية لم
يدم. وبعد إنشاء المدرسة النظامية ببغداد, قصر الأدب على ثمانية علوم: وهي
النحو, واللغة, والتعريف, والعروض, والقوافي, والشعر, وأخبار العرب وأنسابهم.
ثم جاء الزمخشري³⁹ فعرف علوم الأدب بأنها علوم يحتز بها عن الخلل في

كبيراً, دونوا تعاليمهم في 52 رسالة كتبت بأسلوب مسهب.

[انظر: لسان الميزان: 606/2؛ المنجد في الأعلام: ص28]

³⁶ انظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ص17

³⁷ ابن خلدون (عبد الرحمن, أبو زيد) (732-808هـ): مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي. من أعلام
زمانه في الإدارة والسياسة والقضاء والأدب والعلوم. تولى أعمالاً سياسية في فاس وغرناطة وتلمسان
ولقي دسائس ووشايات ثم توجه إلى المشرق واستقر في مصر ودرّس في الأزهر وتولى قضاء المالكية.
ألّف في التاريخ فكان فيه مؤسساً ورائداً لعلم فلسفة التاريخ والاجتماع وذلك في "مقدمته" الشهيرة
لكتاب العبر, وقد أرسى فيها أسس علم.

[انظر: نفتح الطيب, لأحمد بن محمد المقرئ, تحقيق: إحسان عباس, دار الكتاب العربي, بيروت,

1949م: 414/4؛ المنجد في الأعلام: ص10]

³⁸ انظر: المقدمة لابن خلدون, المكتبة التجارية الكبرى, (د ط ت), مصر, ص554

³⁹ الزمخشري (محمود بن عمر, أبو القاسم) (ت 538هـ): ولد في زمخشري. إمام عصره في اللغة والنحو
والبيان والتفسير. سمّوه جار الله لأنه جاور بمكة. كان معتزلي الاعتقاد. له "المفصل في النحو", و
"الكشاف عن حقائق التنزيل", كتاب الفائق في غريب الحديث" و"أساس البلاغة" و"أطواق الذهب"
و"نوابغ الكلم".

كلام العرب لفظاً وكتابة، وجعلها اثني عشر علماً بإضافة المعاني والبيان، والإملاء،
والإنشاء، والنحو، التصريف، واللغة، والعروض، القوافي، وصفة الشعر، وأخبار
العرب وأنسابهم.

وظل هذا التقسيم متبعاً حتى طال علينا الأمد، ودارت علينا الدوائر، وبدأنا
نأخذ (المسلمون) من تلاميذنا (الإنجليز)، فوضع الأدب مقابلاً لكلمة
(Literature) في الأدب الأوربي.¹

[انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط1: 1396هـ، مكتبة وهبة،

القاهرة، ص104]

¹ انظر: في أصول الأدب، ص11

تعريف الأدب الاصطلاحي

لقد عرّف الأدب بتعريفات عديدة، وأحسن تعريف عندي ما قدّمه سيد قطب¹، وهو أن: الأدب هو: "التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"².
ثم يوضح تعريفه هذا قائلاً بأنه: "تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل به ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق عن تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض"³.

حسب هذا التعريف، يعتمد العمل الأدبي على جزئيتين اثنتين، هما:

1- التجربة الشعورية، ثم

2- التعبير عنها تعبيراً موحياً جميلاً.⁴

والمراد من (التجربة الشعورية) هو تأثر الأديب أو الشاعر بمؤثرات داخلية أو خارجية، ما يحرك وجدانه، ويثير عواطفه، ويدفعه إلى التعبير عنه خلال أدوات التعبير

¹ سيد قطب بن إبراهيم (1906-1967م): مفكر إسلامي مصري، انضم إلى (الإخوان) 1953م بعد ضجة آثارتها حول مناهج التعليم بمصر. ثم اعتقل وأعدم، واختلف في تاريخ إعدامه، تأليفه مشهورة، منها: (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق).

[انظر: الأعلام: 147/3]

² انظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، ط8: 2003م، دار الشروق، القاهرة، ص11

³ انظر: في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، ط8: 2001م، دار الشروق، القاهرة، ص11

⁴ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي، لصالح آدم بيلو، ط1: 1405هـ، دار المنارة، جدة، ص52

اللغوي في قالب أدبي محدد.¹

إذن يتباد الأديب أو الشاعر إلى التعبير عمّا وجد في نفسه تعبيراً جميلاً مؤثراً في نفوس الآخرين, ليتأثروا به كما تأثر هو.²

فطبيعي أن يمرّ الفنان بـ (تجربة شعورية) قبل أن يولّد نصّاً أدبياً, إذ الإبداع هو التعبير عن هذه (التجربة الشعورية).³

ثم إذا كان هذا التعبير عن هذه التجربة في أسلوب شعري سُمّيت تجربة شعرية, وإذا كان نثراً سميت تجربة نثرية.⁴

ولا تكون التجربة ناجحة منتجة ما لم تتوافر لها الشروط المهمة التالية:

1- نضج عناصرها في نفس صاحبها, واتضاح وتبلور أبعادها في ذهنه.

2- تعاون فكره وخياله في ترتيب وتنسيق عناصرها.

3- ظهور عنصر الصدق واقتناع النفس في التجربة, ولا يعني الصدق هنا مطابقة التجربة للحقيقة والواقع, وإنما المراد به المطابقة لوجدان الأديب ومشاعره, حتى لا تعتبر ساقطة القيمة, عديمة الجدوى.

4- كون هذه التجربة ذات مغزى يفيد الحياة.

5- أن يرسم التعبير الصورة الجميلة الموحية المؤثرة, المثيرة للانفعال الوجداني في

نفوس الآخرين.⁵

¹ انظر: نظرية الأدب الإسلامي, عبد الباسط بدر, ط1: 1405هـ, دار المنارة, جدة, ص15؛ من

قضايا الأدب الإسلامي, ص52

² انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص52

³ انظر: نظرية الأدب الإسلامي, عبد الباسط, ص15

⁴ أيضاً.

⁵ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, 52-54

هذه العناصر الخمسة السالفة الذكر لن تكون لها قيمة مهمة متكاملة التجربة, ما لم يعبر عنها في صورة موحية مثيرة تنقلها إلى القلوب,¹ لأنها ما دامت مضمرة في النفس, لم تظهر في صورة لفظية معينة, فهي إحساس أو انفعال, لا يتحقق به وجود العمل الأدبي.²

¹ نفس المصدر, ص54

² انظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه, ص11

تاريخ الأدب

الشرق أسبق إلى تدوين العلم من الغرب. فقد نظم الشعراء وعالج الأمراض، ووضع الشرائع، ورصد الكواكب، والغرب في غفلة وظلام.

أما السؤال عمن سبق إلى العلم من أمم الشرق، فلا يمكن الجواب عن هذا السؤال جواباً حاسماً، إذ معظم آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال. وما تبين حتى الآن من قراءة الآثار، أن وادي النيل والفرات هما أسبق بلاد الشرق إلى الاشتغال بالعلم والأدب.

منذ ستة آلاف سنة تقريباً برز العلماء والأطباء والشعراء بمصر في عهد الأسرة الثالثة من الدولة المصرية الأولى قبل بناء أهرام الجيزة. كما وجدت آثار تدل على وجود الكتب آنذاك. وأهم ما وصل إلينا منها (كتاب الموتى) وهو كتاب الطقوس، وفيه شعر وأدب وتاريخ وعقود وعهود وأغان.

من ملوك الفراعنة من وضع كتاباً في علم الطب تداوله الناس إلى القرن الأول للميلاد. كما نبغ الشعراء بمصر منذ أقدم عصورها، وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون حول ملوكها، وينظمون القصائد في كل نصر أو فتح، يمتدحون ملوكهم ويسمّونهم أبناء الشمس، وأصحاب التاجين.

وقد تعاصر المصريون والبابليون¹، وتبادلوا العلم والمعارف. لكن الاكتشافات الأثرية تشير إلى وجود أمتين سبقتا الباليين إلى أسباب المدنية والعلم، وهما:

¹ البابليون: سكان الدولة البابلية التي حلت محل سومر وأكد وبلغت عصرها الذهبي مع حمورابي.

الأكاديون،¹ والسامريون². نزلوا وادي الفرات نحو القرن الخامس والأربعين قبل الميلاد، وما زالوا مشعلاً إلى أوائل القرن العشرين قبل الميلاد. فاقتبس الباليون من الأكاديين حروفهم المسمارية وطبعوا بها أخبارهم على آثارهم. كما كان السومريون أهل شريعة ودين وصناعة عند قدومهم الفرات. واقتبس أهل الشام والعراق عن الأكاديين والسومريين كثيراً من أسباب العلم والمعرفة.

ويكشف التنقيب الآثاري عن أول مكتبة بناها أحد ملوك العراق في (وركاء) وسمّاها مدينة الكتب، واستعان بالعلماء من سائر الأقطار في نقل علوم الآخرين إلى لسانهم وتدوين علومهم. وأقدم أثر علمي بقي سالماً إلى هذا العهد، فهو شريعة حمورابي وهي أول دولة عربية، وأقدم الآثار العلمية الباقية عربية الفكر. ثم سلكت شمس العلم غير مسلكها، وجعلت الغرب مطلعها، فانتقلت رياسة العلم من الشرق إلى الغرب. وأسبق الأمم إلى ذلك أقربها إلى الشرق أي اليونان. وعندهم أخذ الرومان وأنشأوا التمدن الروماني. ولكلّ من هاتين الأمتين كتب خاصة في تاريخ آدابها، والمرجع في ذلك إلى تاريخ آداب اللغة اليونانية، إذ هو أساس سائر لغات أوربا¹ حتى اليوم. ثم بعد نشأة

¹ أكاديون: شعب سامي، استوطن أواسط بلاد ما بين النهرين، وأسس فيها دولة قوية استمرت نحو قرنين 24 - 22 ق.م. كانت لهم حضارة مزدهرة، ولغة حلت محلّ اللغة السومرية، وأصبحت في الألف 2 لغة دولة الشرق الرسمية، عنها تفرعت البابلية والأشورية. [انظر: المنجد في الأعلام: ص58]

² السامريون: سكان السامرة أو سبطية. يخالفون اليهود في نقاط منها أنهم لا يقرون من كتب الوحي إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة ويقومون بعبادتهم على جبل جرزيم جنوبي شكيم أو نابلس.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص346]

الدول الحديثة, استقلّت كل أمة بلغتها وآدابها, وصار لكل منها تاريخ خاصّ لآداب لسانها.

فالآداب العربية التي كانت ذات يوم أساساً لآداب كل أمة ظهرت في أثناء التمدن الإسلامي أو بعده حتى في أوربّا, فهي الآن مدينة لآداب اليونان, وبدأت تأخذ من آداب تلاميذهم.²

¹ أوربّا: إحدى القارات الخمس وأكثرها كثافة بالسكان. تقع بين المحيط المتجمد الشمالي شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً والبحر المتوسط وجبال القفقاس جنوباً وبحر قزوين وجبال الأورال شرقاً.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص89]

² انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, جرجي زيدان, (د.ط): 1992م, منشورات مكتبة الحياة, بيروت,

أقسام الأدب

ينقسم الأدب باعتبارات إلى عدة أقسام:

- فباعتبار التاريخ, ينقسم الأدب العربي إلى عصور تاريخية خمسة, وهي:

1- العصر الجاهلي: ويبدأ في منتصف القرن الخامس للميلاد, وينتهي بظهور الإسلام عام 622م.

2- عصر صدر الإسلام والدولة الأموية: ويبدأ مع الإسلام وينتهي بقيام الدولة العباسية عام 132هـ.

3- العصر العباسي: ويبدأ مع قيام الدولة العباسية وينتهي بسقوط بغداد في يد التتار عام 656هـ.

4- العصر التركي: ويبدأ هذا العصر بسقوط بغداد في يد التتار, وينتهي عند عصر النهضة الحديثة عام 1220هـ.

5- العصر الحديث: ويبدأ باستيلاء محمد علي باشا على مصر ولا يزال.¹

- وباعتبار الأسلوب, ينقسم الأدب العربي إلى النثر والشعر.²

- وباعتبار التزامه بقيم الإسلام وعدم الالتزام بها, ينقسم إلى أدب إسلامي وغير إسلامي.³

¹ انظر: تاريخ الأدب العربي, ص3

² انظر: نقد النثر, لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي, تحقيق: طه حسين, وعبد الحميد العبادي, مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية, ط4: 1938م, القاهرة, مصر, ص73

³ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص56

الأدب الإسلامي

التمهيد

إن أدب أي أمة هو تعبير عن وجودها وحياتها, ونشاطها, وبيئتها وكونها, وواقعها وعالمها, وعاطفتها وشعورها, وفكرها وتصورها. إنه يصف فكرتها وعقيدتها, وظنّها وإيمانها. فهو يصدّر لنا حالة الأمة, ينمو مع نموّ الأمة, ويضعف مع ضعفها وانحيارها.

لكن الأدب لا يستطيع أن يبلغ المنزلة العالية - منزلة الفطرة السليمة, والإنسانية السوية, ومكارم الأخلاق, والصراف المستقيم - لأن أوامم البشر تحصره, وأهواؤهم تخنقه, وشهواتهم تهبط به, وآثامهم تلوّثه.

فلا يستطيع الأدب إذاً أن يبلغ منزلة عظيمة إلا إذا كان إسلامياً, أدباً مرتبطاً بالإيمان, ملتزماً منهجه (منهج القرآن والحديث), نامياً في ظلاله وعلى قواعده.

ففيما يلي أذكر تعريف الأدب الإسلامي ومنهجه باختصار.

الأدب الإسلامي

لقد تناولت مفهوم الأدب, فلننظر الآن مفهوم الأدب الإسلامي.

كما مرّ في أحد تعريفي سيد قطب للعمل الأدبي أنه: "تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل به ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس, ومن عصر إلى عصر, ولكنها في كل حال تنبثق عن تصور معين للحياة, والارتباطات فيها بين الإنسان والكون, وبين بعض الإنسان وبعض".¹

فكلّ تصوّر خاص للحياة, وللارتباطات فيها بين الإنسان والكون, من شأنه أن ينشئ قيماً تتأثر بها الآداب والفنون, سواء شعر أصحابها أنهم تأثروا بهذه القيم أم لم يشعروا.²

كذلك للإسلام موقف وتصورّ معين للحياة, تنشأ عنه قيم خاصة بها. فمن الطبيعي إذاً أن يكون التعبير عن هذه القيم ذا صبغة خاصة.³

فيقتضي ذلك أن يكون هذا التعبير المنبعث عن القيم الإسلامية مختلفاً تمام الاختلاف عن التعبير الذي يصدر عن تصور غير إسلامي.⁴

وبه يتعين مفهوم الأدب الإسلامي, وهو الأدب الذي يكون حالياً مما نهي الله

¹ انظر: في التاريخ فكرة ومنهاج, ص11

² انظر: في التاريخ فكرة ومنهاج, ص14

³ انظر: المصدر السابق, ص15

⁴ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص56

عنه ورسوله، ويتقيّد بحدود الإسلام النابعة من القرآن والسنة وأدب الصحابة.⁵

لذا سُمّي الأدب الذي اتفق مع التصور الإسلامي للحياة، أدباً إسلامياً، لكنه إذا تخلف عن كونه تعبيراً عن ذلك التصور، عاجزاً عن التوافق والانسجام معه كان غير إسلامي، مهما ادّعى الأديب بكونه مشبّع الضمير والوجدان بالتصور الإسلامي.⁶

ومن هنا نرى سيد قطب يعرف الأدب الإسلامي - مع ملاحظة تعريفه السابق للأدب عموماً - "ليس الأدب الإسلامي هو وحده يتحدث عن الإسلام أو عن حقبة من تاريخه، أو عن شخص من أشخاصه، وإنما هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية".⁷

ثم يأتي الأستاذ محمد قطب⁸ ويعرّف الفن الإسلامي - والأدب من أبوابه - فيقول: إنه "التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان".⁹

ويكاد الكاتبون والباحثون الذين خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف

⁵ انظر: تاريخ الأدب العربي، لمحمد واضح رشيد الحسني الندوي، ومحمد الرابع الحسني الندوي، العصر الإسلامي، 22/2

⁶ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي، ص 56

⁷ انظر: في التاريخ... فكرة ومنهاج، ص 28

⁸ محمد قطب (1919-): كاتب إسلامي مصري، أخو سيد قطب، مقيم حالياً بمكة المكرمة، علامة فكرية وحركية بارزة بالنسبة للحركة الإسلامية المعاصرة، صاحب مؤلفات هامة تؤسس للفكر الإسلامي المعاصر، منها: منهج الفن الإسلامي.

[انظر: www.wikipedia.org]

⁹ انظر: منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط 6: 1403هـ/1983م، دار الشروق، بيروت، ص 6

موحد للأدب الإسلامي, لا يخرجون عن ذلك إلا في بعض ألفاظ وعبارات.¹⁰

¹⁰ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص 57

مجالات الأدب الإسلام

إن مجالات الأدب الإسلامي أوسع بكثير مما يظنه من نظر إلى تعريفه أول الأمر, إذ يشمل:

- الكون كله وما فيه من أرض وسماء, وما بينهما من شمس وأقمار, وأبحر وأتجار, وسهول وجبال, وزروع وأشجار, وصبح ومساء, ونور وظلام,
فيتدبر الفنّان هذه الطبيعة ويجد يد الله وقدرته وراء كل شيء, فيفكر فيها ويعثر على آياته تدل على وحدانيته وربوبيته عزّ وجلّ.

- المخلوقات الحية من حيوان ونبات, وطير وحشرات, أشكالها مختلفة, وألوانها متنوعة, وأنواعها متعددة, فينظر فيها الفنّان بنظرة عبّرة, فيربط صلة بينها وبين بارئها, وبينها وبين بني آدم, ما يمنحه علماً بربه ومعرفة به, ويملؤه إيماناً ونوراً ...

- الإنسان, ومقامه في هذا الكون, ونوعية اختلافه عن المخلوقات, إذ أنه خليفة الله في الأرض, وليس كمثل المخلوقات الأخرى, خلقه الله معرّضاً لوساوس الشيطان, عاقلاً يفرق بين حق الله وباطل الشيطان, ثم أرسل إليه الأنبياء والرسل, يهدونهم إلى الصراط المستقيم. فالإنسان إما يؤمن بهم ويتبعهم فيستحق الجنة, أو يكفر بهم ويكفرهم ويستحق النار.

وللأديب في كل هذا مجال واسع للإبداع, إذ مجالات ذلك منفسحة لا تقتصر على زمان ولا مكان. ¹¹

¹¹ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص 58-64

- "الحبّ" حبّ الله ورسوله, وحبّ القيم والمبادئ العليا, وكذلك حبّ أفراد المجتمع الذين يحملون هذه القيم الثمينة والمبادئ العليا, ويُعلنون آراياتها, ويجتهدون في نشرها في كل أنحاء العالم.

ويمكن للأديب أن يتخذ من كل هذه المجالات الخصبة موضوعاً مبتكراً لأدبه وفنّه الإبداعي, ما دام يلتزم بالشرطين الأساسيين, هما: التصور الإسلامي, ثم التعبير عن أدبه بصورة ملائمة.¹²

¹² من قضايا الأدب الإسلامي, ص 58-64

خصائص الأدب الإسلامي

للأدب الإسلامي خصائص يتصف بها, وميزات يتميز بها عن الأدب غير الإسلامي, أهمها ما يلي:

1- الالتزام:

"الالتزام منهج وأسلوب عمل وفق تصور معين" وهو شيء معروف لدى كثير من الآداب العالمية, وعند كل مذهب من مذاهب الفن¹³, إلى أن الذين يزعمون أنهم يرفضون الالتزام, ويعدونه منافياً للقيم الفنية والجمالية, وقيداً على حرية الأديب, يلتزمون بقواعد ومبادئ, سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا, واعترفوا أم لم يعترفوا.¹⁴

وكذلك للإسلام وجهة نظر معينة في قضية ما من القضايا تكون ملتزمة لمن آمن به,¹⁵ فينبغي للأديب المسلم أن يكون على علم بها.

كما للإسلام عقائد وأخلاق, وقيم ومبادئ يفترضها على المجتمع,¹⁶ مرجعها كتاب الله وسنة نبيه ρ .¹⁷

فالأدب الإسلامي, هو أدب يلتزم بهذه القيم الربانية, ويدعو إليها ويبشّر بها.¹⁸ وعلى الأديب المسلم أن يبرز هذه القيم العقديّة والخلقية المنبعثة من القرآن,

¹³ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص65

¹⁴ انظر: المدخل إلى الأدب الإسلامي, ص76

¹⁵ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص69

¹⁶ انظر: نفس المصدر, ص66

¹⁷ انظر: المدخل إلى الأدب الإسلامي, ص79

¹⁸ انظر: نحو مذهب إسلامي, عبد الرحمن رأفت الباشا, (د.ط.ت), دار البردي, الرياض, 41

والسائدة في مجتمعه المؤمن، ويحبب الإيمان ويدعو إلى صحة المعتقد، وأن ينفر عما يناقضها، ويبغضها فيما هو بضدها.¹⁹

فينبغي أن يكون الأديب المسلم أكثر المسلمين التزاماً بما يعتقد فكراً واعتقاداً وسلوكاً، حتى يستطيع أن يعطي الصورة الحقيقية عن الحياة والإنسان وعند المجتمع خلال تصوره الإسلامي.²⁰

2- أدب هادف:

إن الأديب المسلم إذا لا يمكن له أن يقضي حياة عبث، فكيف يمكن له أن يأتي بأدب ليس من ورائه فائدة، إذ هو يعتقد أن الله لم يخلقه عبثاً،²¹ وأن الإعراض عن اللغو من واجباته الدينية،²² وأن من القول عيلاً،²³ وأن كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرٌ بمعروفٍ أو نهي عن منكرٍ أو ذكر الله.²⁴

فهدف الأدب الإسلامي هو ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور، وتأسيس قيم الفضيلة في القلوب،²⁵ وغرس مبادئ الخير والجمال في النفوس، والتباعد عن الرذيلة والقبح والشين، حتى ترتقي الحياة إلى المستوى الأصلح والأجمل.²⁶

3- الشمول والتكامل:

¹⁹ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي، ص 66-67

²⁰ انظر: في الأدب الإسلامي المعاصر، ص 39

²¹ النور: 115

²² الفرقان: 72، والقصاص: 55، والمؤمنون: 3

²³ انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، رقم الحديث: 5012، ضعفه الألباني

²⁴ انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب منه، رقم الحديث: 2412، ضعفه الألباني.

²⁵ انظر: نحو مذهب إسلامي، ص 116

²⁶ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي، ص 71-73

ليس الإنسان مخلوقاً مشتتماً على عناصر مادية فحسب, وإنما نفخ فيه الله الروح²⁷ بعد أن خلقه من طين لازب²⁸. وهذا يعني أنه ليس مثل الحيوانات الأخرى, بل يرتفع عنها لهذه النفخة الإلهية.

لذا نرى أن الإسلام لم ينظر إلى جانب الإنسان المادي بمعزل عن روحه, ولم يتناول حياته المادية كأنها هي جوهر حياته وحقيقتها, مهملاً القيم المعنوية والأشواق العليا, إذ يؤدي ذلك انحرافه عن الصراط المستقيم وسقوطه عن كرامته.

والأدب الإسلامي أدب شامل يتناول كلي جانبي حياة الإنسان غير منقوصة ولا مشوّهة, يعرض صورته بكل قيمها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ممتزجة متداخلة, إذن يخرج من الظلمات إلى النور, ويرفعه من السقوط الخلقى إلى ذروة كريم الأخلاق, ويجنّبه وساوس الشيطان, ويهديه إلى هداية الرحمن.²⁹

4- الواقعية:

يختلف مفهوم الواقعية في الأدب الإسلامي عن مفهومها في المذاهب الفنية الغربية. هذه المذاهب تحدّد واقع الإنسان ولا تتناول إلا جانباً مادياً حيوانياً من حياته دون نظر إلى الجوانب الروحية المعنوية. وهي تمثّل جانباً فردياً, أو حياة قطاع معين من قطاعات المجتمع, أو طبقة من طبقاته في لحظة معينة دون واقع المجتمع كلّ, وتعبّر عن لحظات الضعف والسقوط والهوان, دون اعتبار للقوة والسموّ والارتفاع.³⁰

²⁷ السجدة: 9

²⁸ الصافات: 11

²⁹ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص74-75

³⁰ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي, ص75

والواقع في الأدب الإسلامي يحمل مفهوماً أعمّ وأشمل، وهو الواقع البشري. فالأدب الإسلامي يتناول، في الواقع البشري، كلّ ما يحدث في حياة الإنسان من تطوّرات اجتماعية واقتصادية وسياسية، فكرة وروحية... وتصور هذا الواقع مراعيّاً مكانة الفرد في حياة البشرية، ولا يهمل واقع الجماعة، كما لا تهمل القوة والارتفاع عند تعبيره عن لحظات الضعف والسقوط.

وكذلك لا يرسم الأدب الإسلامي الشرّ بحيث يجعل منه فضيلة، ولا يصوّر الضعف جاعلاً منه بطولة.³¹

5- الإيجابية والحيوية المتطورة:

إن الأدب الإسلامي أدب إيجابي وذو حيوية نامية، وليس بأدب سلبى جامد. فالإسلام يعترف بأن الإنسان ضعيف، ويدفعه ضعفه هذا إلى الانحطاط والسقوط، ويحول بينه وبين العظائم والمكارم. فنجد الكثير من الآيات القرآنية تشير إلى هذه الحقيقة، منها: ﴿... وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾³² ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾³³ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾³⁴ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾³⁵.

³¹ نفس المصدر، ص 75-76

³² النساء: 28

³³ المعارج: 19-21

³⁴ الإسراء: 83

³⁵ يونس: 12

غير أنّ الإسلام يرى الإنسان صاحب استعداد وقدرة على الارتفاع عن السقطة بعد السقوط، والتغلب على عيوبه ومواطن ضعفه، وهو حتى يشجعه على ترك المعاصي والآثام، ويحمله على مقاومة وساوس الشيطان. وهناك آيات وأحاديث كثيرة تدل على هذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾³⁶ ... وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَأْتِيهِمْ أَجْرٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَعْصِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ³⁷، (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)³⁸.

وانطلاقاً من هذه النقطة ... فالأدب الإسلامي يرسم الإنسان وقد أصابه الضعف والهبوط، فلا يرسمه باعتبار لحظة قهر واضطرار دفع إليها المجرم المسكين دفعاً ليقع فيها، بل بهدف أن يعطف عليه، وبغاية أن يبحث له عن المعاذير، لأن الظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية من حوله هي التي ألجأته لارتكاب ما ارتكب من إثم، فهي - إذن - المجرم الحقيقي، أما هذا الفرد فإنما هو ضحية.

فالأدب الإسلامي أدب موجه لا يرضى بالواقع، وإنما يهتم بتغيير وتحسينه. فهو يصور الإنسان كما يريد الإسلام، لأنه جاء لتطوير حياة الإنسان وترقيتها.³⁹

³⁶ الرعد: 11

³⁷ آل عمران: 134-136

³⁸ انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، رقم الحديث: 78

³⁹ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي، ص 76-78

مصادر الأدب الإسلامي

القرآن الكريم والحديث النبوي هما المصدران الرئيسيان للأدب الإسلامي،⁴⁰ لأنهما يؤسسان للإسلام فكره وروحه ومنهجه، إذ الإسلام هو كل ما وصل إلينا عن طريق القرآن الكريم والحديث النبوي، ولا وجود للإسلام - لا لعقائده، ولا لأوامره ونواهيه - بدونهما.

والمصدر الثالث للأدب الإسلامي - بعد القرآن والحديث - هو كل ما وصل إلينا من الأدب موافقاً للقرآن والحديث أو على الأقل لا يكون معارضاً لهما، شعراً كان أو نثراً، ومن أيّ عصر من العصور الأدبية يتعلق هذا الأدب.

ف نجد الأدب الإسلامي في كثير من الشعر العربي منذ فجر الدعوة وحتى يومنا هذا، وفي النثر أيضاً ففي كتابات الوعاظ وقصصهم، وفي السير الشعبية، وطرائف الجاحظ، وتصانيف الصالحين وغيرهم، نرى الالتزام والارتباط بقيم الإسلام الخالدة.⁴¹

إن الأدب الإسلامي متّسع جداً، ولا يقتصر على الأدب العربي فقط، لما يدخل فيه آداب اللغات الأخرى غير العربية، بشرط أن تكون ملتزمة بقيم الإسلام، ولا تكون متعارضة معها.

لذا عدّ الأستاذ نجيب الكيلاني الأدب العربي جزءاً من الأدب الإسلامي،⁴² وأدخل في نطاق الأدب الإسلامي آداب اللغات الأخرى، مثل الفارسية والأردية

⁴⁰ انظر: المدخل إلى الأدب الإسلامي، 79

⁴¹ انظر: آفاق الأدب الإسلامي، ص38

⁴² نفس المصدر، ص34

والتركية والإنجليزية والفرنسية وغيرها.¹

فيتّضح مما تقدّم أهمية القرآن الكريم والحديث النبوي, في الأدب العربي عامة وفي الأدب الإسلامي خاصة, لا لأحدهما من أدب لا يقلّد, بل لأحدهما مقياس دخول أي أدب في نطاق الأدب الإسلامي وخروجه.

¹ انظر: المدخل إلى الأدب الإسلامي, 43

الحديث وأقسامه

التمهيد

الأحاديث النبوية هي مفسرة للقرآن الكريم وشارحة لما فيه من الأحكام الشرعية والأمور الدينية لهداية البشرية جمعاء، وأنه لا كمال للإسلام إلا بها ولا يمكن العمل بكثير من الأحكام الواردة في القرآن الكريم إلا إذا اجتمع إليها بيان الرسول ﷺ فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد قيض الله لها من عباده في كل عصر من العصور من تناقلها من صدر إلى آخر وسجلات إلى أخرى تواتراً وآحاداً ابتداءً بصحابة النبي ﷺ الذين أخذوا معهم هدي النبي ﷺ علماء وعملاً وتوزّعوا في أصقاع الأرض مبلغين ما تناولوه من هذا المصباح المنير فأناروا به أرجاءها، ثم بالتابعين بعد الصحابة فحملوا هذه الأمانة العظيمة على كواهلهم وأحسنوا الأداء، ثم بالسلف الصالح من بعدهم الذين سلكوا في الحفاظ على السنة النبوية المشرفة كل السبل الممكنة وبذلوا فيها جهوداً مضيئة حتى أن وصلت هذه السنة نقية صافية من كل الشوائب إلى الأجيال المسلمة بعدهم.

يستهدف هذا الفصل من ناحية تعريف الحديث وأقسامه وسعته، ومن ناحية أخرى يكشف لنا عن المصطلحات التي دخلت نطاق الأدب العربي عن طريق الأدب الإسلامي من أجل الحديث النبوي ﷺ.

وهذا المصطلحات نموذج لكثير من المصطلحات الأخرى، التي دخلت إطار الأدب الإسلامي من أجل الحديث النبوي ﷺ، والتي لا يمكن لي أن أذكرها في هذا البحث.

الحديث وأقسامه

الوحي ينقسم - من الله عز وجل إلى رسول الله ρ - إلى قسمين:

أحدهما: وحي متلو مؤلف تالفاً معجز النظام, وهو القرآن.

والثاني: وحي مروى منقول غير مؤلف, ولا معجز النظام, ولا متلو, لكنه

مقروء, وهو حديث الرسول ρ , وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا.¹

وعلى هذا فإن "القرآن والخبر الصحيح بعضهما مضاف إلى بعض وهما

شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى وحكمهما حكم واحد في باب وجوب

الطاعة لهما".²

فالقرآن والحديث - إذن - اتفقا في الوحي والمعنى, ولكنهما اختلفا في

اللفظ والنظم, وذلك فرق ما بين الكلام المعجز وغير المعجز.

ومن علماء الحديث والأصول من أدخل في تعريف الحديث ما كان من

أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم³, لكن الغالب أن يقيد إذا ما أريد به غير النبي

ρ .⁴

الحديث لغة: الجديد من الأشياء, والحديث أيضاً الخبر يأتي على القليل

¹ انظر: الاحكام في أصول الاحكام, علي بن أحمد بن حزم الأندلسي, ط1: 1404هـ, دار

الحديث, القاهرة, 97/1

² أيضاً

³ انظر: تدريب الراوي, عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف,

(د.ط.ت), مكتبة الرياض الحديثة, الرياض, ص6؛ أعلام المحدثين, محمد بن محمد أبو شهبة,

(د.ط.ت), مطابع دار الكتاب العربي, مصر, ص6

⁴ انظر: السنة قبل التدوين, محمد عجاج, ط2: 1408هـ, طبع أم القرى للطباعة والنشر, ص22

والكثير، والجمع أحاديث، كقطع وأقاطيع، وهو شاذ على غير القياس.⁵

ويأتي لفظ الحديث بمعنى القرآن كقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾⁶، ويأتي بمعنى التبليغ كما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾⁷ أي بلغ ما أرسلت به.

وكذلك ورد لفظ (الحديث) في الأحاديث النبوية يدل على كلام النبي ﷺ كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) فَقَالَ ﷺ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ، لَمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ.⁸

تعريف الحديث اصطلاحاً:

"كل ما صدر عن رسول الله ﷺ - غير القرآن - من فعل أو قول أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي".⁹

وحسب هذا التعريف لا يدخل الحديث الموقوف (أي الموقوف عن الصحابي) ولا المقطوع (الموقوف على التابعي) في تعريف الحديث.

لكن الجمهور يدخلونهما في الحديث أيضاً، ويسوّون في الدلالة بين الحديث والخبر، فلا فرق عندهم بينهما.¹⁰

⁵ انظر: تاج العروس، مادة (حدث)

⁶ الكهف: 60

⁷ الضحى: 11

⁸ انظر: البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم الحديث: 99

⁹ انظر: الكواكب الدراري، 12/1

¹⁰ انظر: شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، طبع مصطفى

والتعريف المختار للحديث: "ما أضيف إلى النبي ρ من قول أو فعل أو

تقرير أو وصف خلقي أو خلقي أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي".¹¹

وقول الرسول ρ : مثل (إنما الأعمال بالنيات)¹².

وفعله عليه السلام: مثل رواه البخاري عن أنس¹³ قال: (إن خياطاً دعا رسول الله ρ لطعام صنعه قال أنس ابن مالك فذهبت مع رسول الله ρ إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله ρ خبزاً ومرقاً فيه دبء وقد يد فرأيت النبي ρ يتتبع الدبء من حوالي القصعة قال فلم أزل أحب الدبء من يومئذ)¹⁴.

والتقرير: مثاله ما ورد في البخاري: قال رسول الله ρ يوم الأحزاب (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) . فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي ثم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ρ فلم يعنف واحدا منهم.¹⁵

أي فمنهم من صلى العصر في بني قريظة بعد غروب الشمس ملتزماً بظاهر

الباي الحلي، القاهرة، 1368هـ: ص3

¹¹ انظر: منهج النقد في علوم الحديث، لنور الدين عتر، (لاط): 1392هـ، دار الفكر، بيروت: ص19

¹² انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي، رقم الحديث: 1

¹³ أنس بن مالك: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الإمام أبو حمزة الأنصاري النجاري المدني خادم رسول الله ρ وله صحبة طويلة وحديث كثير وملازمة للنبي ρ منذ هاجر إلى ان مات ثم أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي طائفة وعمر دهر، توفي سنة (91 هـ).

[انظر: ابن سعد: 10/7؛ تذكرة الحفاظ، لشمس الدين عبد الرحمن الذهبي، طبعة الهند: 1357هـ:

[44/1

¹⁴ انظر: البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم الحديث: 1986

¹⁵ انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ρ من الأحزاب ... ، رقم الحديث: 3893

النص, ومنهم من صلى العصر في الطريق خشية فوات الوقت متأولاً أن الرسول ρ إنما أراد بما قاله في أن يسرعوا في سيرهم. فأقرّ النبي عمل الفريقين.

ومثال الوصف الخُلقي حديث: (كَانَ النَّبِيُّ ρ أَحْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِأَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ρ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيْلُ كَانَ أَحْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)¹⁶, أو كحديث أم المؤمنين عائشة: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ...) ¹⁷.

ومثال الوصف الخُلقي كوصف أنس بن مالك له: (كَانَ النَّبِيُّ ρ رَنْعَةً مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ أَزْهَرَ لَيْسَ بِالْأَدَمِ وَلَا بِالْأَبْيَضِ وَلَا الْأَمْهَقِ رَجُلَ الشَّعْرِ لَيْسَ بِالسَّبَطِ وَلَا الْجُعْدِ الْقَطَطِ...) ¹⁸.

تقسيم الحديث

ينقسم الحديث باعتبار وصوله إلينا أو باعتبار عدد الرواة إلى قسمين:

1- المتواتر.

2- خبر الآحاد.

1- المتواتر: المتواتر لغةً اسم فاعل من التواتر وهو التتابع, كقولنا: تواترت الأشياء إذا تتابعت مع فترات, وجاءت بعضها في إثر بعض وتراً وتراً من غير أن

¹⁶ انظر: البخاري, كتاب فضائل القرآن, باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ρ, الرقم: 4711
¹⁷ انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل, لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني, (د.ط.ت), مؤسسة قرطبة, القاهرة, الأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها, باقي مسند الأنصار, حديث عائشة رضي الله عنها, رقم الحديث: 24645, صححه الأرنؤوط.

¹⁸ انظر: مسند أحمد, مسند المكثرين من الصحابة, مسند أنس بن مالك رضي الله عنه, رقم الحديث: 13543, تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

تنقطع.¹⁹

واصطلاحاً: هو ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب, عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه, على ألا يختل هذا الجمع في أي طبقة من طبقات السند, وكان مستندهم الحسن.²⁰

ومعنى (جمع كثير) أي من غير تقييد بعدد, إنما المقصود العدد الذي يحصل به إحالة العقل تواطؤهم أي اتفاقهم على الكذب.

والقول (عن مثلهم إلى انتهاء السند) خرج به ما كان آحادياً في بعض الطبقات ثم رواه عدد التواتر بعد ذلك, فإنه لا يكون متواتراً.

والقول (وكان مستندهم الحسن) أخرج القضايا الاعتقادية التي تستند إلى العقل, مثل وحدانية الله وأخرج القضايا العقلية الصفة مثل كون الواحد نصف الاثنين, فإن العبرة فيها للعقل لا للأخبار.²¹

شروط الحديث المتواتر:

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن المتواتر هو ما توافرت فيه أمور أربعة:

1- أن يكون عدد الرواة كثيراً.

2- أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

¹⁹ انظر: اللسان, مادة (وتر), 273/5

²⁰ انظر: مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث), أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري, ط1: 1984م, مكتبة الفارابي: ص109؛ تدريب الراوي: 371؛ نخبة الفكر, لابن حجر العسقلاني, طبع المكتبة الفاروقية: ص4؛ حجة الله البالغة في أسرار الأحاديث وعلل الأحكام, لأحمد بن عبد

الرحيم الدهلوي, المطبعة الخيرية, مصر, 1322هـ: 104/1

²¹ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص380-381

3- أن توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند.

4- أن يكون مستند خبرهم الحس, كقولهم: سمعنا أو رأينا أو لمسنا, أو

نحو ذلك.²²

وهذا النوع قطعي الثبوت, وهو بمنزلة العيان, يجب العمل به, ويكفر

جاحده, والتواتر أعلى مراتب النقل.²³

وينقسم المتواتر إلى قسمين:

1- متواتر لفظي: هو ما اتفق رواته المذكورون في لفظه وفي معناه.²⁴

كحديث (مَنْ كَذَبَ مُتَعَمِّدًا عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ فِي النَّارِ)²⁵ رواه عن النبي

ﷺ بهذا اللفظ بضع وسبعون صحابياً²⁶, وحديث (نَزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ سَبْعَةَ

أَحْرَفٍ)²⁷ رواه سبع وعشرون صحابياً.²⁸

²² انظر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر, للإمام أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني, طبع مكتبة

الفاوقية: ص 11

²³ انظر: أصول الحديث علومه ومصطلحه, محمد عجاج الخطيب, ط 4: 1401 هـ, دار الفكر,

بيروت: ص 301

²⁴ انظر: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار, محمد بن إسماعيل الصنعاني, تح: العلامة

المحدث محمد ناصر الدين الألباني, ط 1: 1405 هـ, المكتب الإسلامي, بيروت, ص 49

²⁵ انظر: البخاري, كتاب العلم, باب إثم من كذب على النبي ﷺ, رقم الحديث: 107؛ مسلم بن

الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي,

بيروت, مقدمة, باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ, رقم الحديث: 3

²⁶ انظر: مقدمة ابن الصلاح: ص 135

²⁷ انظر: البخاري, كتاب فضائل القرآن, باب أنزل القرآن على سبعة أحرف, 4705؛ مسلم,

كتاب صلاة المسافرين وقصرها, باب أن القرآن على سبعة أحرف, رقم الحديث: 818

²⁸ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص 381

2- متواتر معنوي: (هو ما اختلفا في لفظه ومعناه مع رجوعه لمعنى كلي)¹
 كلي¹ أو (هو ما اتفق نقلته على معناه من غير مطابقة في اللفظ), ومثال ذلك ذلك أحاديث الشفاعة, وأحاديث الرؤية, وأحاديث نبع الماء من بين أصابعه ρ , وغير ذلك.²

وشروط المتواتر المعنوي هي عين شروط المتواتر اللفظي, إنما يختلفان في أن المتن المنقول يتطابق لفظه في المتواتر اللفظي, ويتوافق في معنى معين تشتمل عليه المتون الكثيرة في المتواتر المعنوي.³

وجود المتواتر:

وقد اختلف العلماء في وجود الحديث المتواتر, فمن العلماء من يرى عدم وجوده أصلاً, فهو مذهب ابن حبان⁴ والحازمي⁵.

وقد ادعى ابن الصلاح⁷ ندرة الحديث المتواتر وبالغ غيره فنفى وجود

¹ انظر: رفع الأستار: ص 49-50

² انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية, فتاوى ابن تيمية, لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية, تحقيق: عبد الرحمن الرحمن النجدي, ط 1: 1382 هـ, طبع الرياض: 16/18

³ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص 382

⁴ هو محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي علامة, محدث, مؤرخ, جغرافي, أحد المكثرين من التصنيف. من مصنفاته: (المسند الصحيح). توفي عام 354 هـ.

[انظر: تذكرة الحفاظ: 92/3]

⁵ هو أبو بكر محمد بن عثمان الحازمي الهمداني. تفقه ببغداد, وارتحل في طلب العلم. غلب عليه الحديث واشتهر فيه. توفي عام 584 هـ. [وفيات الأعيان: 294/4]

⁶ انظر: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار, محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة السلفية - المدينة المنورة: 404/2

⁷ هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي, الشهرزوري, الشافعي المعروف ابن الصلاح تقي الدين الدين أبو عمرو (577 - 643 هـ) محدث, فقيه, أصولي, نحوي, عارف بالرجال, له كتاب " معرفة

المتواتر. وتبعه النووي¹ في ذلك.

لكن العلماء رفضوا ذلك وردوه بأنه ناشئ من قلة الاطلاع على كثرة الطرق, وهم يؤكدون أن المتواتر في الحديث غير قليل. فالحافظ ابن حجر² أثبت كثرة وجود المتواتر بطريقة واضحة ميسرة.

ويمكن أن نوفق بينهما بحيث ما قاله ابن الصلاح إنما أراد به المتواتر اللفظي, وظاهر أنه قليل الوجود, وما قاله الحافظ ابن حجر فأراد به المتواتر الذي يشمل المعنوي وهو كثير.

وأما القول بعدم وجود المتواتر فهو ناشئ عن قلة الاطلاع كما قال الحافظ ابن حجر.³

والحديث المتواتر كثير الوجود, وحسبنا في ذلك أن ننظر إلى شعائر الإسلام وفرائضه كالصلاة والوضوء والصوم فقد نقل صفات ذلك عن النبي ρ عدد التواتر من الصحابة, ونقله عن الصحابة عدد التواتر عن التابعين وهكذا, وغير ذلك كثير

أنواع علم الحديث" يعرف بمقدمة ابن الصلاح, و " الامالي" و " الفتاوى" جمعه بعض أصحابه, و " شرح الوسيط - خ" في فقه الشافعية, و " صلة الناسك في صفة المناسك" و " فوائد الرحلة" و " أدب المفتي والمستفتي" و " طبقات الفقهاء الشافعية".

[انظر: معجم المؤلفين, عمر رضا كحاله, دار إحياء التراث, بيروت: 257/6؛ الأعلام: 408/4]

¹ هو الإمام يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي الشافعي. فقيه, حافظ, محدث, لغوي. قرأ كثيراً من العلوم. من أهم مصنفاته (شرح المسلم). توفي عام 677 هـ. [معجم المؤلفين: 202/13]

² ابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي ويعرف بابن حجر شهاب الدين أبو الفضل محدث, مؤرخ, أديب, شاعر, صاحب المصنفات, منها: (فتح الباري شرح صحيح البخاري) و (الإصابة في تمييز الصحابة) توفي عام 852 هـ.

[انظر: شذرات الذهب, 27/7]

³ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص 383-384

نقلته الأمة وأجمعت عليه من الأقوال والأفعال.¹

المؤلفات في الحديث المتواتر اللفظي والمعنوي كثيرة، ومن أجمع هذه الكتب كتاب السيوطي (الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة) ورتبه على الأبواب أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرج وطرقه. ثم لخصه في كتاب سماه (قطف الأزهار)²

ومن هذه الكتب كتاب أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني³ (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، وكذلك كتاب الشيخ عبد العزيز الغماري (إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة على الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة).⁴

والنوع الثاني للحديث هو:

2- خبر الآحاد: خبر الآحاد مركب إضافي، يتركب من (الخبر) فهو

مضاف، و (الآحاد) وهو مضاف إليه.

فالخبر لغة: ما ينقل ويحدث به قولاً أو كتابةً، ويطلق على قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، يقال: خَبَّرَهُ بكذا وأَخْبَرَهُ نَبَأَهُ واستَخْبَرَهُ سألَهُ عن الخَبَرِ

¹ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص 383-384

² انظر: تدريب الراوي: ص 373-374

³ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، أبو عبد الله: (1274 - 1345 هـ) مؤرخ محدث، مكث من التصنيف. مولده ووفاته بفاس. رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة سنة 1332 هـ فأقام إلى سنة 1338 وانتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة 1345 وعاد إلى المغرب. له تصانيف، منها (نظم المتناثر في الحديث المتواتر).

[انظر: الأعلام: 6/73]

⁴ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص 385

وطلب أن يُخبره , والجمع أخبار.¹

والآحاد في اللغة: جمع الواحد, والواحد أول عدد الحساب, ويجمع على وحدان, أو هو جمع الأحد بمعنى الواحد.²

ف (خبر الواحد) في اللغة: يطلق على ما رواه الواحد فقط.³

(خبر الآحاد) اصطلاحاً:

فقد اختلف في تعريفه, فالذين قسموا الخبر إلى قسمين (متواتر وآحاد) – وهم المحدثون وجمهور الأصوليين – قالوا في تعريفه: (هو ما لم يجمع شروط التواتر).⁴

أما الذين قسموا الخبر إلى ثلاثة أقسام (متواتر ومشهور وآحاد) – وهم طائفة من الحنفية – وجعلوا المشهور قسماً مستقلاً بنفسه ولم يدخلوه في المتواتر كالجصاص⁵ ولا في خبر الآحاد كما فعل غيرهم قالوا في تعريفه: (هو كل خبر يرويه الواحد أو الاثنان فصاعداً عن الرسول ρ ولا يتوفر فيه شرط المتواتر).⁶

¹ انظر: اللسان: تحت مادة (خبر), 222/4

² انظر: اللسان: تحت مادة (وحد)؛ انظر أيضاً (المعجم الوسيط): مادة (وحد)

³ انظر: نزهة النظر: ص21

⁴ انظر: نزهة النظر: ص21

⁵ هو أحمد بن علي الرازي الحنفي المعروف بأبي بكر الجصاص, فقيه, مجتهد. ورد بغداد في شببته, ودرس وجمع وتخرج به المتفقهة. من تصانيفه (أحكام القرآن).

[انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, لجمال الدين أبي الحسن يوسف بن تغري الأتابكي,

(د.ط.ت), طبع دار الكتاب, بيروت, 138/4]

⁶ انظر: المنار شرح كشف الأسرار, لأبي البركات النسفي, ط1: 1406هـ, دار الكتب العلمية,

بيروت: 13/2

وقولهم (ولا يتوفر فيه شرط المتواتر) أي كثرة الرواة لا تكون بالغة, أو هي كثرة يؤمن تواطؤها على الكذب في بعض الطبقات, دون البعض من حيث العدد.¹

ينقسم خبر الآحاد إلى أقسام تالية:

الحديث المشهور

لغة:

المشهور في اللغة اسم مفعول من الشهرة بمعنى ظهور الشيء في شُئعة حتى يَشَهَره الناس, والشهرة وضوح الأمر وظهور الشيء, والمشهور المعروف. يقال شهره شهراً وشهرةً: أي أعلنه وأذاعه, وشهر السيف: أي سلّه من غمده ورفعته.²

واصطلاحاً:

لقد اختلفت آراء المحدثين والفقهاء في تعريف الحديث المشهور كاختلافهم في تعريف الخبر الواحد.

فمن الفقهاء من قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام وجعل الخبر المشهور قسماً مستقلاً عرفوا الخبر المشهور بأنه:

(ما كان من الآحاد في الأصل ثم انتشر فصار ينقله قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب).³

¹ انظر: حجية السنة ومصطلحات المحدثين وأعلامهم, لعبد المتعال محمد الجبري, ط1: 1407هـ,

مكتبة الوهبة, القاهرة, ص85

² انظر: اللسان: مادة (شهر) 431/4

³ انظر: أصول البزدوي - كنز الوصول الى معرفة الأصول, علي بن محمد البزدوي الحنفي, (لات),

أما الذين قسموا الخبر إلى قسمين وجعلوا المشهور قسماً من خير الآحاد قالوا في تعريفه: (هو كل حديث له طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم يبلغ حد التواتر).¹

وقد يطلق اسم المشهور على الأحاديث التي اشتهرت على السنة الناس العوام أو الفقهاء أو الوعاظ أو النحاة أو المحدثين.

فالمشهور عند أهل الحديث (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَنَّتْ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ² وَذَكَوَانَ³)⁴ , والمشهور عند المحدثين والعلماء والعوام: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ)⁵ , والمشهور عند الفقهاء (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)⁶ , والمشهور عند الأصوليين

مطبعة جاويد بريس, كراتشي: ص152

¹ انظر: شرح نخبة الفكر: ص5 ؛ نزهة النظر: ص17

² رغل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهتة: جد جاهلي. بنوه بطن من بهتة، من سليم، من العدنانية. وهم الذين مكث النبي ﷺ يقنت في الصلاة شهرا ويدعو عليهم.

[انظر: الأعلام: 28/3]

³ ذكوان بن ثعلبة بن بهتة: جد جاهلي. بنوه بطن من سليم، من العدنانية. ينسب إليه كثيرون، منهم صفوان بن المعطل، وعمير ابن الحباب، والحجاف بن حكيم السلميون (من سليم) الذكوانيون.

[انظر: الأعلام: 7/3]

⁴ انظر: البخاري: كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب دعاء الإمام على من نكث عهداً، رقم الحديث: 2999 ؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا

نزلت بالمسلمين نازلة، رقم الحديث: 677

⁵ انظر: البخاري، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه...، رقم الحديث: 6551

⁶ انظر: موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس أبو عبدالله الأصبغي، دار القلم، دمشق، ط1: 1413هـ/1991م، تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة، كتاب البيوع في التجار، باب القضاء، رقم الحديث: 1429؛ مسند أحمد، مسند، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث: 2867، حسنه الأرئوط.

(إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)¹ , والمشهور عند علماء العربية (نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ لَوْ لَمْ يَخْفِ اللَّهُ لَمْ يَعْصِيهِ) ليس له إسناد² , و (أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ بِيَدِ أَيِّ مَنْ قُرَيْشٍ) معناه حق لكن ليس لهذا اللفظ إسناد إلى النبي ρ³ , والمشهور بين العامة (السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِّنَ الْعَذَابِ)^{4,5}.

وينقسم الحديث المشهور باعتبار قبوله ورده إلى : الصحيح , والحسن , والضعيف , تبعاً لحال روايته.⁶

فمثال المشهور الصحيح (إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ)⁷ ومثال المشهور الحسن (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)⁸ ومثال المشهور الضعيف (أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ كَانَ بِالصَّيْنِ)⁹.

الحديث المستفيض

¹ انظر: البخاري, كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة, باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ, رقم الحديث: 6919

² انظر: كشف الخفاء , إسماعيل بن محمد العجلوني, (د.ط.ت), مكتبة التراث العربي, حلب, 1829/2

³ انظر: كشف الخفاء: 231/1

⁴ انظر: البخاري, كتاب أبواب العمرة, باب السفر قطعة من العذاب, رقم الحديث: 1710

⁵ انظر: حجية السنة: ص93 ؛ منهج النقد في علوم الحديث: ص387-389

⁶ انظر: تدريب الراوي: ص368-369

⁷ انظر: صحيح البخاري, كتاب الجمعة, باب فضل الغسل يوم الجمعة, رقم الحديث: 837

⁸ انظر: الموطأ, كتاب البيوع في التجار, باب القضاء, رقم الحديث: 1429

⁹ انظر: لسان الميزان: 192/1 ؛ تاريخ بغداد, للخطيب البغدادي, تحقيق: مصطفى عبد القادر,

ط1: 1417هـ, دار الكتب العلمية, بيروت: 363/9

المستفيض لغةً:

المستفيض مأخوذ في اللغة من (فاض الماء) إذا سال وانتشر.¹

واصطلاحاً:

وأما في الاصطلاح فاختلف فيه؛ وأكثر ما يستعمل عند الأصوليين.

وهو الحديث المشهور عند جماعة من العلماء. وقيل بأن ثمة فرقاً بينهما, وأصحاب هذا الرأي اختلفوا في التفرقة بينهما: فمنهم من قال: المشهور أعمّ من المستفيض لأن المستفيض في ابتدائه وانتهائه وأثنائه سواء, والمشهور ليس كذلك. ومنهم من عكس وجعل المشهور أعمّ من المستفيض.²

وقيل: إنه ما تلقته الأمة بالقبول, من غير اعتبار عدد, فهو والمتواتر بمعنى واحد على هذا القول.³

إن المستفيض كالمشهور ليس دائماً صحيحاً, فمنه: الصحيح, والحسن, والضعيف, تبعاً لحال الرواة.⁴

الحديث العزيز

تعريفه لغةً:

العزيز في اللغة صفة مشبهة من عزّ يعزّ عزاً وعزّة وعزازة. والعزّ في الأصل

¹ انظر: اللسان: مادة (فيض)

² انظر: شرح نخبة الفكر: ص5؛ تدريب الراوي: 173/2

³ انظر: منهج النقد: ص392

⁴ انظر: تدريب الراوي: 174/2

القوة والشدة والغلبة¹, قال تعالى ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾² أي غلبني, ويقال عَزَّ يَعُزُّ بالفتح إذا اشتدَّ.

وعزَّ الشيء يعزُّ عزة وعزازة وهو عزيز أي: قلَّ حتى كاد لا يوجد. والعزير هو القليل النادر يكاد لا يوجد أو القوي الشريف المكرم أو الملك وذلك لغلبته على أهل مملكته أو المنيع, الذي لا ينال ولا يغلب ولا يعجزه شيء ولا مثل له.³

تعريفه اصطلاحاً:

لقد اختلف في تعريف الحديث العزيز الاصطلاحي:

قال الحافظ ابن حجر: (هو ما لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين).⁴

فمراده من هذا أن يتحقق في روايته اثنان ولو في طبقة واحدة وأن لا تقل الرواة عن اثنين في كل طبقة والزيادة في بعض الأحيان على اثنين لا تضر إذ الحكم للأقل. والحديث إذا رواه في بعض الطبقات راويان فقط, ثم رواه أكثر من ذلك لم يخرج عن كونه عزيزاً, لأن الأقل يقضي على الأكثر.⁵

ومثال العزيز, ما روه الشيخان من حديث أنس, والبخاري من حديث أبي هريرة, أن رسول الله ﷺ قال: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَالِدِهِ)⁶.

¹ انظر: مختار الصحاح, محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي, تحقيق: محمود خاطر, طبعة جديدة

, 1415هـ, مكتبة لبنان, بيروت, مادة (عزز), ص 467

² ص: آية 23

³ انظر: اللسان, مادة (عزز), 375/5-376

⁴ انظر: نزهة النظر: ص 18

⁵ انظر: منهج النقد في أصول الحديث: ص 393

⁶ انظر: البخاري, كتاب الإيمان, باب حب النبي ﷺ من الإيمان, رقم الحديث: 14

ورواه عن أنس قتادة¹ وعبد العزيز بن صهيب², ورواه عن قتادة شعبة³ وسعيد, ورواه عن عبد العزيز إسماعيل بن عليّة⁴ وعبد الوارث⁵, ورواه عن كل جماعة⁶.

وقد يكون العزيز صحيحاً, أو حسناً, أو ضعيفاً تبعاً لأحوال رواه⁷.

الغريب

الغريب لغةً: المنفرد البعيد عن الأهل⁸.

¹ قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: (61 - 118 هـ) مفسر حافظ ضير أكمه. أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. [انظر: تذكرة الحفاظ: 1/123]

² عبد العزيز بن صهيب البناني مولاهم البصري الأعمى (م 130) روى له (البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه).

[انظر: تهذيب الكمال, 18/150]

³ شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الازدي، مولاهم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام: (م 160 هـ). من أئمة رجال الحديث، حفظاً ودراية وثبتاً.

[انظر: تهذيب التهذيب: 4/338]

⁴ إسماعيل بن عليّة مولى بني أسد من أهل البصرة وعليّة أمه واسم أبيه إبراهيم وكنيته أبو بشر يروى عن عبد العزيز بن صهيب (110هـ-194هـ) منه روى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والعراقيون وقد روى شعبة بن الحجاج عنه حديثين.

[الثقات, محمد بن حبان التميمي, 6/44]

⁵ عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو عبيدة، العنبري بالولاء، التنوري البصري: (102 - 180 هـ) حافظ ثبت. أئمة الحديث.

[انظر: تهذيب الكمال, 18/99؛ الأعلام: 4/178؛ تذكرة الحفاظ: 1/237]

⁶ انظر: تدريب الراوي: 2/181؛ أصول الحديث: ص364

⁷ انظر: شرح نخبة الفكر: ص5؛ تدريب الراوي: ص368-369

⁸ انظر: اللسان, مادة (غرب), 1/637

واصطلاحاً: (هو ما يتفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند).¹

والشرط في الغريب تفرد الراوي بالحديث في طبقة من طبقات السند وإن زاد في بعض الطبقات على الواحد فلا يخل إذا الحكم للأقل.
والغريب إما مطلق وإما نسبي:

الغريب المطلق: هو الذي يرويه عن الصحابي راو واحد فقط كحديث: (الْوَلَاءُ حُمَةٌ كُلُّ حِمَّةِ النَّسَبِ, لَا يُبَاعُ, وَلَا يُوهَبُ) تفرد بروايته عبد الله بن دينار², عن الصحابي عبد الله بن عمر³, عن رسول الله ﷺ⁴.

الغريب النسبي: هو ما تفرد به راو واحد في أثناء التحمل, يعني رواه واحد في طبقة من طبقات السند, بعد أن يرويه عن الصحابي أكثر من راو واحد, وسمي غريباً نسبياً, لأن التفرد وقع في راو واحد في طبقة واحدة بينما روى عن أكثر من واحد في طبقات أخرى, وهو أحسن درجة من الغريب المطلق إذا كان الرواة ثقات.⁵

أقسام الحديث باعتبار القبول والرد

¹ انظر: شرح النخبة, ص 21

² هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوي المدني مولى ابن عمر ثقة مات سنة 127 هـ.

[انظر: تقريب التهذيب, لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني, تحقيق: محمد عوامة, ط1:

1406هـ, دار الرشيد, سوريا: 413/1]

³ هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي, العدوي ولد سنة ثلاث من المبعث

النبي, أسلم مع أبيه وهاجر. كان من أئمة الدين. مات سنة 72 هـ. [انظر: الإصابة: 107/4]

⁴ انظر: الدارمي, كتاب الفرائض, باب بيع الولاء, رقم الحديث: 3159

⁵ انظر: حجية السنة: ص 94-95

ينقسم الحديث باعتبار القبول والرد إلى قسمين: (مقبول ومردود).¹

1- الحديث المقبول: (هو ما رجح صدق المخبر به).

2- الحديث المردود: (والمردود وهو ما يرجح كذب المخبر به).²

ثم ينقسم الحديث المقبول باعتبار القوة والضعف إلى قسمين:

1- الصحيح. 2- حسن.

1- الصحيح: الصحيح في اللغة خلاف السقيم, بريء من كل عيب أو ريب.³

وفي الاصطلاح: (فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل

الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً ولا معللاً).⁴

ويوجب هذا التعريف وجود خمسة شروط في الحديث الصحيح:

1- اتصال السند: وبهذا يخرج المنقطع, والمعضل, والمعلق, والمدلس وغيرها

مما لم يتوفر فيه شرط الاتصال.

2- أن يكون رواته عدولاً, والعدل من استقام دينه, وحسن خلقه, وسلم

من الفسق وخوارم المروءة.

3- أن يكون رواته ضابطين, والضبط هو تيقظ الراوي حين تحمله وفهمه

لما سمعه, وحفظه لذلك من وقت التحمل إلى وقت الأداء.

4- أن لا يكون المروي شاذاً, والشذوذ هو مخالفة الثقة من هو أرجح منه.

5- أن يسلم المروي من علة قاذحة كإرسال موصول, أو وصل منقطع, أو

¹ انظر: تيسير علوم الحديث, لمحمود طحان, (د.ت.ط), دار نشر الكتب الإسلامية, لاهور: ص31

؛ انظر: منهج النقد: ص48

² انظر: قفو الأثر في صفة علوم الأثر, رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي, تحقيق: عبد

الفتاح أبو غدة, ط2: 1408هـ, مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب: 48/1

³ انظر: اللسان, مادة (صحح)

⁴ انظر: مقدمة ابن الصلاح: ص9

رفع موقوف.¹

ومثاله ما ورد في صحيح البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف² قال أخبرنا مالك³ عن ابن شهاب⁴ عن محمد بن جبير بن مطعم⁵ عن أبيه⁶ قال: (سَمِعْتُ الرَّسُولَ ﷺ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ).⁷

وهذا الحديث صحيح لاجتماع الشروط الخمسة فيه حيث إنه روي متصل السند بواسطة العدول الضابطين ولم يعارض ما هو أقوى منه وليس فيه علة من

¹ انظر: أصول الحديث: ص305؛ منهج النقد: ص224

² عبد الله بن يوسف التنيسي أبو محمد الكلامي أصله من دمشق، ثقة متقن، من أثبت الناس في الموطأ. مات سنة 218 هـ.

[انظر: تقريب التهذيب: 223/2]

³ مالك بن أنس الأصبحي، أبو عبد الله الإمام المدني (93 - 179 هـ) إمام الهجرة، رأس المتقين، وكبير المثبتين. من مؤلفاته: الموطأ، ورسالة في "الوعظ" "المسائل" ورسالة في "الرد على القدرية" وكتاب في "النجوم" و " تفسير غريب القرآن".

[انظر: تقريب التهذيب: 223/2؛ الأعلام: 257/5]

⁴ هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه. مات 125 هـ.

[انظر: تقريب التهذيب: 207/2]

⁵ محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل النوفلي ثقة، عارف بالنسب. مات على رأس المائة.

[انظر: تقريب التهذيب: 150/2]

⁶ جبير بن مطعم: هو صحابي جليل كان من أكابر قريش وعلماء النسب. قدم على النبي ﷺ في أسارى بدر فسمعه يقرأ الطور، فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبه. أسلم بين الحديبية والفتح. مات سنة 57 هـ في خلافة معاوية.

[انظر: الإصابة: 235/1]

⁷ انظر: البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الجهر بالمغرب، رقم الحديث: 731

العلل.¹

ينقسم الصحيح إلى قسمين:

أ- الصحيح لذاته: وهو الذي اشتمل على أعلى صفات القبول التي

أسلفناها.

ب- الصحيح لغيره: (وهو الحديث الذي يكون راويه متأخراً عن درجة

أهل الحفظ والإتقان غير أنه من المشهورين بالصدق والستر وروي مع ذلك حديثه من غير وجه).²

وسمي صحيحاً لغيره لأنه لم تتوفر فيه أعلى صفات القبول, كأن يكون راويه العدل غير تام الضبط, فهذا الحديث دون الحديث السابق, فلو عضد هذا الحديث طريق آخر مثله يكون صحيحاً لغيره, فالصحيح لغيره ما صُحِّح لأمر أجنبي عنه, إذ لم يشتمل على صفات القبول على أعلاها.³

ومثاله : حديث محمد بن عمرو⁴ عن أبي سلمة⁵ عن أبي هريرة : أن رسول

الله ﷺ قال : (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ).⁶

¹ انظر: توضيح الأفكار: 294/2

² انظر: مقدمة ابن الصلاح: 20/1

³ انظر: أصول الحديث: ص 306 ؛ شرح نخبة الفكر: ص 8

⁴ هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني. صدوق. له أوهام. مات سنة 145 هـ.

[انظر: تقريب التهذيب: 196/2]

⁵ أبو سلمة قيل: اسمه عبد الله, وقيل: إسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني. ثقة, مكثّر.

مات عام 94 هـ.

[انظر: تقريب التهذيب: 43/2]

⁶ انظر: سنن الترمذي, كتاب الطهارة, باب السواك, رقم الحديث: 22, صححه الألباني.

فمحمد بن عمرو بن علقمة : من المشهورين بالصدق والصيانة لكنه لم يكن من أهل الإتقان حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته فحديثه من هذه الجهة حسن . فلما انضم إلى ذلك كونه روي من أوجه آخر زال بذلك ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه وانجبر به ذلك النقص اليسير فصح هذا الإسناد والتحق بدرجة الصحيح.¹

وحكمه: قيل: إن ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم يوجب العلم اليقيني, وقيل: يوجب العلم الظني, ومن ثم فهو - على هذا القول - غير ملزم في الاعتقاد, وملزم في الفروع, وهي الأحكام العملية كأحكام العبادات والمعاملات, وذلك أن حياة الناس العامة إنما تبنى على الرأي الراجح, وهو ما يفيد حديث الآحاد الصحيح والحسن.²

2- الحسن: الحسن لغةً ضد القبيح.

واصطلاحاً: (ما رواه عدل خفيف الضبط متصل الإسناد من غير شذوذ ولا علة).³

وللحديث الحسن نوعان: (حسن لذاته, وحسن لغيره).

أ- الحسن لذاته: هو الذي ذكرناه آنفاً. وسمي (حسناً لذاته) لأن حسنه ناشئ عن توفّر شروط فيه, لا نتيجة شيء خارج عنه.⁴

¹ انظر: مقدمة ابن الصلاح: 21/1-22

² انظر: حجية السنة: ص 85

³ انظر: ألفية الحديث, لجلال الدين السيوطي, تحقيق: أحمد شاكر, طبع عيسى البابي الحلبي, القاهرة, 1353هـ. ص 40

⁴ انظر: شرح نخبة الفكر: ص 11

ب- الحسن لغيره: وهو ما كان في إسناده مستور لم تتحقق أهليته, غير أنه ليس مغفلاً كثيراً خطأ فيما يرويه, ولا هو متهم بالكذب في الحديث ولا بسبب آخر مفسق, على أن يعضد براوٍ معتبر من متابع أو شاهد.¹

الاحتجاج بالحسن:

يحتج بالحديث الحسن بنوعيه كما يحتج بالحديث الصحيح, ويعمل به, وإن كان الحسن دون الصحيح في القوة, ولهذا أدرجه بعض العلماء في طائفة الصحيح, منهم الحاكم² وابن حبان وابن خزيمة³, مع اعترافهم بأنه دون الصحيح في القوة بدليل ترجيح الصحيح عليه عند التعارض.⁴

ارتقاء الحسن إلى الصحيح بتعدد طرقه:

إذا روي الحديث الحسن لذاته من وجه آخر قوي وارتقى من الحسن إلى الصحيح, لأن راوي الحديث الحسن متأخر عن درجة الحافظ التام الضبط, مع كونه عدلاً, فما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظه زال بوجود الطريق الآخر, أو الطرق الأخرى, التي تجبر ذلك القصور, وارتفع من الحسن إلى الصحيح,

¹ انظر: مقدمة ابن الصلاح: ص13؛ تدريب الراوي: 89

² هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه المعروف بالحاكم النيسابوري: إمام أهل الحديث في عصره. كان عالماً عارفاً, كثير المصنفات. منها (المستدرک) و (معرفة علوم الحديث). مات عام 405 هـ.

[انظر: تاريخ بغداد: 473/5]

³ هو الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى إمام نيسابور في عصره. كان فقيهاً, مجتهداً, عالماً بالحديث. تزيد مصنفاته على 140 مصنفاً, منها: (الصحيح). مات عام 331 هـ.

[انظر: الثقات لابن حبان: 156/9؛ تذكرة الحفاظ: 720/2]

⁴ انظر: أصول الحديث: ص333؛ تدريب الراوي: ص91

لاعتضاد أحدهما بالآخر.¹

وقد أخذنا مثاله وتكلمنا عنه تحت حديث (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي
لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ).²

والكتب التي يكثر فيها الحسن:

- الجامع الصغير للإمام السيوطي, سنن الترمذي, مصابيح السنة, سنن
ابن ماجه, سنن النسائي.³

أنواع المقبول باعتبار العمل به

ينقسم الحديث المقبول باعتبار العمل به إلى قسمين:

1- المحكم و مختلف الحديث. 2- الناسخ والمنسوخ.

1- المحكم ومختلف الحديث:

أ- المحكم:

المحكم لغةً المتقن, والذي لا اختلاف فيه ولا تناقض.⁴

وفي الاصطلاح: (ما سلّم عن المعارضة).⁵

¹ انظر: أصول الحديث: ص333 ؛ تدريب الراوي: ص103

² انظر: سنن الترمذي, كتاب الطهارة, باب السواك, رقم الحديث: 22, صححه الألباني.

³ انظر: حجية السنة: ص113

⁴ انظر: اللسان: مادة (حكم)

⁵ انظر: نخبة الفكر: ص15

وهذا هو الغالب في أحاديث الرسول ρ لأن الأحاديث المتعارضة قليلة جداً بالنسبة لمجموع الأحاديث.¹

ب- مختلف الحديث:

المختلف لغةً: من الاختلاف, يقال: اختلف الشيئان إذا لم يتفقا ولم يتساويا.²

وفي الاصطلاح: إن عورض (الحديث المقبول) بمثله, فإن أمكن الجمع فهو مختلف الحديث).³

ومثاله حديث (لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ)⁴ مع حديث (لا يورد ممرض على مصح)⁵ وحديث (فَرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ)⁶. ووجه الجمع بينهما: أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سبباً لإعدائه مرضه. ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب: ففي الحديث الأول: نفى ρ ما كان يعتقد الجاهلي من أن ذلك يعدي بطبعه ولهذا قال: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟). وفي الثاني: اعلم بأن الله سبحانه جعل ذلك سبباً لذلك وحذر من الضرر الذي يغلب وجوده عند وجوده بفعل الله سبحانه وتعالى.⁷

¹ انظر: تيسير مصطلح الحديث, للطحان: ص55

² انظر: تاج العروس, مادة (خلف)

³ انظر: نخبة الفكر: ص15

⁴ انظر: صحيح مسلم, كتاب السلام, باب (لا عدوى ولا طيرة...), رقم الحديث: 2220

⁵ أيضاً.

⁶ انظر: صحيح البخاري, كتاب الطب, باب الجذام, رقم الحديث: 5437

⁷ انظر: مقدمة ابن الصلاح: 170-171

2- ناسخ الحديث ومنسوخه:

النسخ لغة: الإزالة أو النقل.¹

واصطلاحاً: هو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي متراخ عنه".²

ومثال النسخ قوله - ρ : (كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا...)³.

هذا من أهم العلوم في فنون مصطلح الحديث وأصعبها.

الحديث المردود

المردود: اسم مفعول من (ردّ يردّ رداً ومردّاً أي صرفه, وردّ عليه أي لم يقبله

وخطأه).⁴

وفي الاصطلاح: (هو ما يرجح كذب المخبر به).⁵

وذلك بفقد شرط من شروط الحديث المقبول, وشروطها (العدالة, والضبط

(ولو لم يكن تاماً), والاتصال, وفقد الشذوذ, وفقد العلة القادحة, والعاقد عند

الاحتياج إليه).⁶ ويشتهر هذا القسم أيضاً باسم الضعيف.⁷

¹ انظر: اللسان, مادة (نسخ)

² انظر: أصول الحديث: ص 287-288

³ انظر: صحيح مسلم, كتاب الجنائز, باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه, رقم الحديث:

1623

⁴ انظر: القاموس المحيط, مادة (ردد)

⁵ انظر: قفو الأثر: ص 48

⁶ انظر: منهج النقد, ص 267

⁷ انظر: حجية السنة: ص 97

وفي حكم الضعيف ثلاثة مذاهب:

- 1- لا يعمل به مطلقاً في الفضائل كان أو غيرها.
- 2- يعمل به مطلقاً سواء كان في الأحكام أو في الفضائل أو غيرها.
- 3- يعمل به في الفضائل والمواعظ فقط, وذلك بعد توفر شروط فيه,

وهي:

أ- ألا يكون الضعف شديداً.

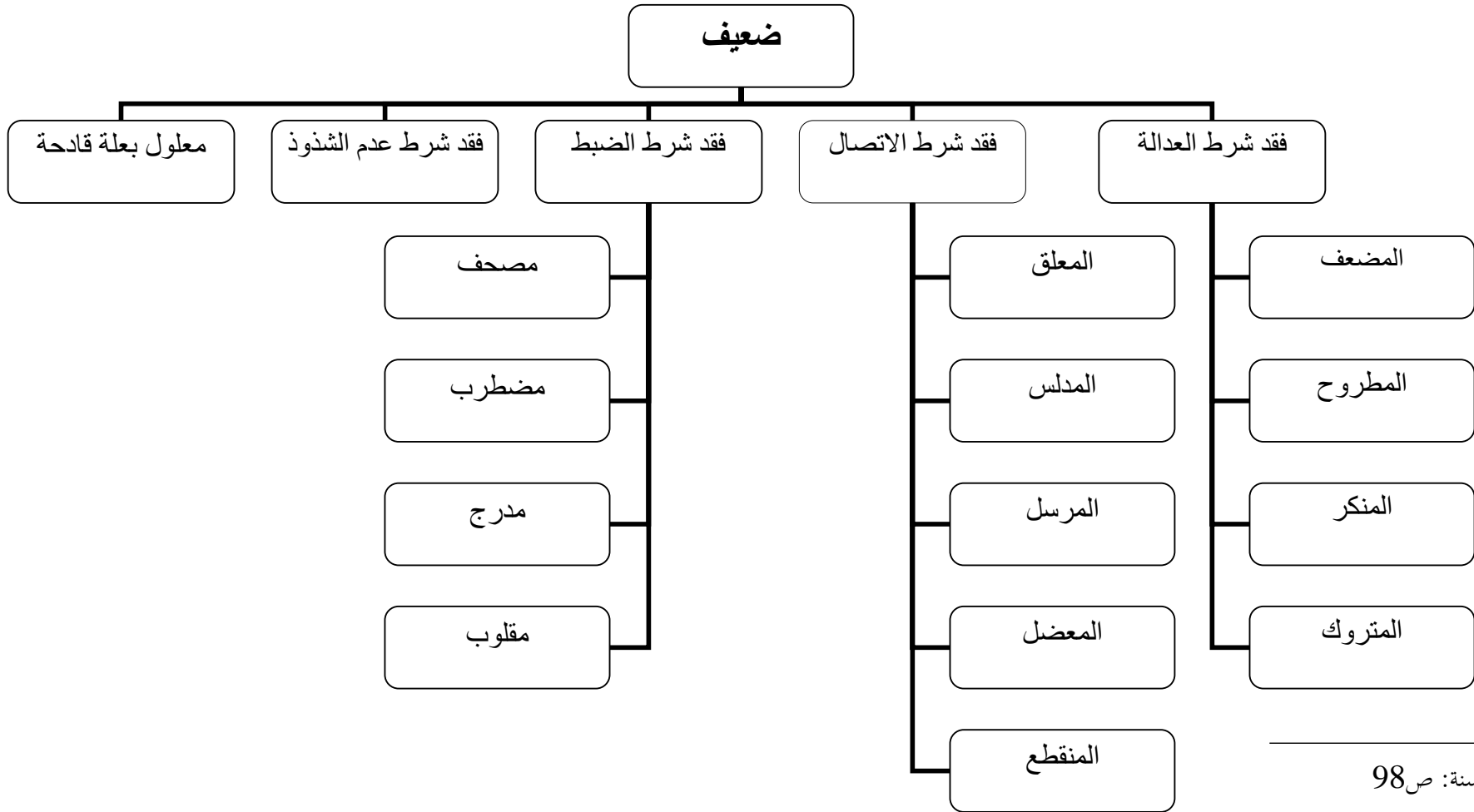
ب- أن يندرج تحت أصل معمول به.

ج- ألا يعتقد عن العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط.¹

والمذهب الثالث هو الذي أخذ به جمهور العلماء.

هذه كانت أقسام الحديث الأساسية. وللحديث أقسام أخرى فروعية تنشأ عن فقدان شروط الحديث الصحيح السالفة الذكر. نكتفي على الإشارة إليها, لأن الكلام حولها يخرج عن نطاق هذا البحث:

¹ انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث, شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي, ط1:



الخطابة وأثر الحديث عليها

التمهيد

إن الخطابة والشعر جنسان أدبيّان مهمّان. ومن الصعب أن يفضّل أحدهما على الآخر، إذ في فضيلة كل منهما دلائل تغلب دلائل الجنس الآخر.

قيل: إن العرب كانوا يفضلون الشعر على الخطابة قبل الإسلام، لأنهم كانوا يعتقدون أن للشعر أثر في النفوس، يهزه هزّاً عنيفاً، ويدفعها إلى ما يرمي إليه دفعاً قوياً دون النشر. فلما كثر الشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السوق، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر.¹

وهكذا يكاد النقد العربي يجمع على أن الخطابة أرقى الفنون الأدبية مكانة.² مع الاعتراف لأهمية الشعر، لا يخفى ازدهار الخطابة بعد مجيء الإسلام حتى صارت الخطابة في المرتبة الأولى من الفنون الثرية، بل كانت من الناحية العملية مقدمة على الشعر.³

ولما اتخذ الإسلام الخطابة وسيلة لنشر الدين، فمن الضروري أن يكون لبطل الإسلام p ولكلامه تأثير عميق في هذا الفن المهمّ من الفنون الأدبية. ففيما يلي سأتكلم عن الخطابة وتاريخها وأنواعها وأثر الحديث عليها.

¹ انظر: البيان والتبيين: 170/1

² انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، لأحمد أحمد بدوي، ط2: 1960م، مكتبة نخضة مصر، ص24

³ انظر: أدب الخلفاء الراشدين، جابر قميحة، ط1: (د.ت)، دار الكتاب المصري، ص17

الخطابة

قبل أن أبدأ بالحديث عن (الخطابة) لا بدّ أن نتعرف المعنى اللغوي لـ(الخطابة) أو مشتقاتها:

الخطابة لغةً:

الخطابة: من الحَطَب, وهو سبب الأمر¹, أو هو أمر شديد ينزل², أو هو أمر جليل³, أو هو أمر وشأن صغر أو عظم⁴.

وخطب الخاطب على المنبر خطابة وخطبة, وذلك الكلام خطبة أيضاً, أو هي الكلام المنشور المسجع⁵.

وقيل: (الخطبة) الواحدة من المصدر, كالقومة من القيام, والجمع (الخُطْب).⁶ وخطب مخاطبة وخطاباً: وهو الكلام بين متكلم وسماع, وهو مراجعة الكلام.⁷

والاسم منها (الخطاب), وإذا جُعِلَ وصفاً لازماً قيل (خطيب), كما قيل (راحم)

¹ انظر: كتاب العين: مادة (خطب): 222/4 ؛ المحيط في اللغة, إسماعيل بن عبّاد, تحقيق: شيخ محمد

حسن آل ياسين, ط1: 1994, عالم الكتب, بيروت 293/4

² انظر: المصباح المنير: مادة (خطب): 173/1

³ انظر: نقد الشر, ص94

⁴ انظر: اللسان: مادة (خطب): 360/1 ؛ القاموس المحيط: مادة (خطب): 103/1

⁵ انظر: القاموس المحيط: مادة (خطب): 103/1

⁶ انظر: المصباح المنير: مادة (خطب): 173/1

⁷ انظر: المحيط في اللغة, مادة (خطب), 293/4

و (رحيم). وجعل (رحيم) أبلغ في الوصف وأبين في الرحمة, وكذلك لا يسمى (خطيباً) إلا من غلب ذلك عليه وعلى وصفه, وصار صناعة له.¹

سبب تسمية الخطابة بهذا الاسم:

سميت الخطبة بهذا الاسم لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجلّ وتعظم.²

الخطابة اصطلاحاً

لقد قدّمت للخطابة تعريفات عديدة, فمنها ما يتعد بعضها عن بعض كثيراً, ولكن منها ما ليس جامعاً لكل أنواع الخطابة وجزئياتها, ومنها ما ليس مانعاً لدخول أشياء أخرى, فبعضها ما يلي:

فابن خلدون عرّف الخطابة أثناء تعريفه بكتاب أرسطو³ "المختص في المنطق":
الخطابة: القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات.⁴

¹ انظر: نقد الشر: 94-95

² انظر: نقد الشر: 94

³ أرسطو: أرسطو أو أرسطاطاليس بن نيقوماخس (384 - 322 ق.م.) مربي الاسكندر. فيلسوف يوناني من كبار مفكري البشرية. تأثرت بوارد التفكير العربي بتأليفه التي نقلها إلى العربية النقلة السريان وأهمهم إسحاق بن حنين. مؤسس مذهب "فلسفة المشائين". مؤلفاته في المنطق والطبيعات والإلهيات والأخلاق أهمها: "المقولات" و "الجدل", و "الخطابة", و "كتاب ما بعد الطبيعة", و "السياسة", و "النفس".

[انظر: الفهرست: 345/1؛ المنجد في الأعلام: ص34]

⁴ انظر: المقدمة, ابن خلدون, المكتبة التجارية الكبرى, (د ط ت), القاهرة, ص491

وكذلك عرّفت الخطابة بأنها: صفة راسخة في نفس المتكلم, يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين, وحملهم على ما يراد منهم, بترغيبهم, وإقناعهم.¹

فمن أوضح ما قيل في تعريف الخطابة أنها عرّفت بـ: فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إلقاءية تشتمل على الإقناع والاستمالة.²

وهذا التعريف ينبني على عناصر, وهي:

1- أن يكون الحديث مخاطبة إلى جمهور من الناس, فإذا كان الإنسان يتكلم مع شخص أو شخصين فإنه ليس بحاجة إلى أسلوب خطابي عادة, ويكفيه شرح المعنى المراد في صوت هادئ وطريقة ألفها الناس في أحاديثهم, فهذا ليس خطبة.

2- أن يكون بطريقة إلقاءية, وهذا يعني جهازة الصوت وتكييفه باختلاف نبراته وتجسيم المعاني التي تتضمنها الخطبة, وإبداء التأثير بها, ومكملات هذه الطريقة التي تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد, كما يبدي الخطيب انفعالاته بما يقول, فكل ذلك يثير السامعين ويوجه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه.

3- أن تكون الخطبة مقنعة بحيث يتضمن أدلة وبراهين تثبت صحة فكرة الخطبة. فإذا كانت الخطبة خالية من مثل هذه الأدلة فإنها ستكون تعبيراً عن رأي الخطيب فقط,

¹ انظر: الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب, محمد أبو زهرة, دار الفكر العربي, 1934, ص19

² انظر: مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية, إعداد عبد الرحمن المصطاوي, ط1: 2002م, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ص7

وتكون راسبة فاشلة لأنها عجزت عن أداء الغرض المقصود.

والخطيب الناجح هو الذي يوضّح الأدلة التي يسوقها توضيحاً كافياً شافياً، يأتي فيه بكثرة المترادفات، ويكرّر فيه بعض الجمل، ويصرّ عليها لتقرير معان خاصة وجزئيات وأمثلة تبين الفكرة وتثبتها في أذهان سامعيه.

4- أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة أي تقدر الخطبة على أن توجه عواطف الناس وتحملهم على العمل حتى يستجيبوا للرأي الذي تدعو إليها الخطبة. وذلك لأن المخاطب قد يدين لرأي أو يؤمن بفكرة لكن إيمانه هذا لا يدفعه إلى أن يسعى إلى تحقيق تلك الفكرة.

فعنصر الاستمالة من أهم عناصر الخطبة، لأنه هو الذي يلبي الغرض المقصود.¹ ومثاله رجل يدمن المخدرات ويشرب الخمر، فهو يوقن بعواقب ما يفعله، ومآله السوء في الدنيا والآخرة، ولكن يقينه هذا لا يدفعه إلى ترك ما يفعل.

فالخطيب يكون بحاجة إلى التمتع بموهبة قوة التأثير في مخاطبيهم ليحملهم على الإقدام، والصمود، ومغالبة العادة.

¹ انظر: مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية، ص 7-8

تاريخ الخطابة

إن تاريخ الخطابة قديم جداً، بقدم الإنسان، لأنها تقتضي الاجتماع البشري للتوجيه والإرشاد، وقيادة الناس في هذه الحياة.

لقد بعث الله عزّ وجل الرسل والأنبياء منذ بدء التاريخ الإنساني في أقوامهم يدعوهم إلى عبادة الله ويحذروهم من الشيطان وكيدِهِ ، يقول الله تعالى: (رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).¹

وكان هناك أيضاً أعداء هؤلاء الأنبياء والرسل, أصحاب البيان واللسن، استطاعوا بقوة خطابتهم أن يستميلوا الشعوب، ويؤثروا في أفكارهم, ويستولوا على عقولهم.

ومن هؤلاء المعاندين فرعون يستخف قومه, ويسفه موسى p ، فالتفت الناس إلى شخصيته ومنزلته، فيقول الله عز وجل عنه: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ. فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ. فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ).²

¹ سورة النساء،: 165

² سورة الزخرف: 51-54

الخطابة عند اليونانيين:

يؤكد بعض الباحثين أن الخطابة كعلم له أصول ومناهج, ويقولون إن اليونانيين هم أول من دوّنوا علم الخطابة. وذلك لأن أسبابها في عصرهم, ودواعيها اشتدت, والرغبة إلى القول فيهم قويت. فلرقي الخطابة في اليونان عدة أسباب, منها:

1- استمرار الحروب واتصال المشاجرات, وهذه الأحوال تقتضي تأييد ودحض رأي آخر, وتحسيس المقاتلين وتشجيع المحاربين, وتحريك العوام وإثارة الجماهير.

2- ولما كانت أثينة تستعدّ استعداداً عسكرياً كانت إسبرطة مركز الفنّ في العالم, وازدهرت فيها التمثيلات والفنون والخطابة والأدب.

3- كان النظام اليوناني أيضاً تشجع على الخطابة, وتكثر فيه فرصها. فكانوا إذا أدلي أمامهم برأي من الآراء قام صاحبه أو مؤيدوه إلى تأييده أو معارضته. فإذا بلغ الخطباء المؤيدون والمعارضون إلى نهاية خطبهم طلب من حضر إعلان رأيه, والجماهير عادة يفعلون بفصاحة الخطيب وبلاغته أكثر مما يفعلون بدلائلهم العقلية والمنطقية.

4- كان النظام القضائي في اليونان أيضاً يساعد انتشار الخطابة وازدهارها. فقد كان مجلس القضاء يشتمل على عدد كبير من القضاء يتجاوز المائة. وهذا العدد كافٍ أن يجعل القضاء جمهوراً. والمحامون هنا كانوا يسلكون سبيل التأثير في عواطف القضاء ويحتفلون ببلاغة الخطبة وبيانها أكثر من كونها مدللة بحجج متصفة بالروح القانوني, فكان ذلك مدعاة إلى نهضة الخطابة لأنها هي التي تحقق للمتقاضين ما يريدون.

5- اضطر نظام اليوناني جمهور الشعب أن يتعلموا الخطابة ويتدربوا عليها, وذلك لأن على كل شخص الدفاع عن نفسه حسب النظام الرائج في ذلك الوقت, ولم يكن

لديهم نظام توكيل محامٍ بمهمة المرافعة. فتطلب ذلك وجود المعلمين هناك يعلمون الناس الخطابة وسبل النفود في مشاعر السامعين والسيطرة على عواطفهم. لذلك كان الشبان يتعلمون الخطابة ويتدربون عليها استعداداً لما عسى أن يواجههم من مواقف سياسية وقضائية.¹

لذا نرى أن الناس في اليونان كانوا مولعين بالفصاحة والبلاغة وحسن الإلقاء, حتى كان الخطيب يتقلد الوظائف العالية, ويشغل الأعمال الراقية, وهكذا كانت المناصب العالية خاصة للذي كان له نبوغ في الخطابة وعبقورية في البلاغة.²

الخطابة عند الرومانيين:

من أهم شروط الخطابة الحرة, لأن الخطابة لا تنمو إلا في بيئة تتمتع بحرية إظهار الرأي. لكن الروم لم تكن فيها حرية كافية. مع ذلك برز فيها خطباء ممتازون بين حين وآخر وبرزت مواقف خطابية عظيمة من مواقف بروتوس³ وأنطونيوس⁴, ذلك أن الشدائد وأزمات الحياة تدعو إلى الخطابة وتظهر الخطباء.

¹ انظر: مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية, ص 27

² انظر: الخطابة, أبو زهرة, ص 12-18

³ بروتس (مرقص يوليوس) (85-42 ق. م.): سياسي روماني كانت له الباع الطولى في المؤامرة على يوليوس قيصر ولي نعمته. قتل نفسه في الحرب ضد اوكتافيوس وانطونيوس.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص 128]

⁴ انطونيوس مرقس (83-30 ق. م.): قائد روماني حالف اوكتافيوس ثم خاصمه بعد أن فتنته كليوباترا ملكة مصر وانحزم في وقعة أكسيوم البحرية 31 ق. م. انتحر في حصار الإسكندرية.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص 80]

وفي العصر المسيحي بانث الخطابة الدينية واقتضت الأحوال ظهور خطباء ممتازين, لكن المسيحية بقيت محبوسة. ولما صارت المسيحية ديناً رسمياً واعتنقت الحكومة المذهب الكاثوليكي⁵, وأراد هرقل التوفيق بين المذاهب المتضاربة, فلم يحقق شيئاً إلا أن زاد هذه المذاهب مذهباً آخر. فسبب بطشهُ وظلمه موتَ الخطابة وتكميم أفواه الخطباء.⁶

فاستمرّ فن الخطابة وأسهم في تطوره ورفيّه كل قوم وأمة, إلى أن بلغ ذروته لما بلغ العرب هذا الفن. فكان نصيبهم في ذلك أوفر, لأجل اهتمامهم باللسان, وعنايتهم بفصاحته. وذلك لأن فرص تطوّر الخطابة كانت عندهم أكثر, لما كانوا يقدمون الخطباء بين يدي كل شأن من شئون الحياة, بين يدي الحروب, وعند قدوم الوفود, وفي الاحتفالات والمناسبات, وللإرشاد والإصلاح, وللثراء والعزاء, وعند طلب النكاح.⁷ ثم جاء الإسلام فكان اهتمامه بالخطبة وطريقة إلقائها أشدّ, وعنايته بها أقوى, فصارت من الدين في بعض المواضع والحالات. وستتكلّم عن الخطابة في هذا العصر بالتفصيل...

⁵ الكاثوليكية (الكنيسة - أي الجامعة): هي الجماعة التي أسسها السيد المسيح ورتب مؤمنيتها تحت سلطان الرسل والأساقفة من بعدهم برأسهم القديس بطرس هامة الرسل والخبر الأعظم خليفته. وهي تتفرّع في وحدة الإيمان والسلطة, إلى طوائف تتباين بطقوسها ولغاتها.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص 578]

⁶ انظر: مرشد الخطيب, ص 27-28

⁷ انظر: الخطابة, محمد أبو زهرة, ص 219-229. وخصائص الخطبة والخطيب, نذير مكتبي, ط 1:

1409هـ, ط دار البشائر الإسلامية, بيروت, ص 11-15

أنواع الخطب

في الحقيقة لا تنحصر أنواع أو فنون الخطبة في عدد, وإنما هي تتبع حاجات الأمة. وفي الماضي حصر أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أقسام:

1- الخطب التشبثية: التي تتعلق بالمدح أو التأبين أو التعزية وغيرها من الأمور التي تتعلق بجادث ثابت أو حال قائمة, زمنها الحاضر.

2- الخطب القضائية: وهي تتعلق بأمور حدثت فيما مضى, ويتناقش الخصمان في تبعاتها, زمنها الماضي, إذ أكثر معانيها يتعلق به.

3- خطب الشورى: وهي تتعلق بأخذ الأهبة للمستقبل, وإعداد العدة لما يكون فيه, كان أكثر معانيها يتعلق بالمستقبل, وهو زمن وقوعها.⁸

وفي عصرنا الحاضر شاعت الخطابة في فنون وموضوعات, ولكل منها طرائق خاصة. وقد حصرت على تباين موضوعاتها في أقسام جامعة لها, وهي:

4- الخطب السياسية: هذا النوع من الخطب يبين سياسة الدولة تقريراً, أو نقداً, بيان ما يجب أن تكون الحكومة عليه في إدارتها لجميع جوانب الحياة المختلفة, وهي تنمو تحت ظل الحرية وتستمدّ غذاءها في جو حر طليق.

وتشعبت الخطابة السياسية إلى شعب, وانقسمت إلى أقسام:

أ- الخطب النيابية.

⁸ انظر: الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب, ص 153

ب- الخطب الانتخابية.

ج- خطب النوادي.

د- خطب المؤتمرات السياسية.⁹

5- الخطب القضائية: وهي التي تلقى في ساحة المحاكم، طلباً للحكم في أمر

ما. وهي تختلف باختلاف المحاكم التي تلقى بها، فقد تكون في أمر جنائية أو أمر مدني أو حالة من الأحوال الشخصية.¹⁰

6- الخطب الدينية: هي التي تعتمد على تعاليم الدين أو تلقى لغرض من

أغراضه، فهي تشمل الخطبة المنبرية التي تلقى في الجمع والأعياد ويوم الحج الأكبر وعند صلاة الاستسقاء...¹¹

7- الخطب العسكرية: وهي التي يلقيها قادة الجيوش والأمرء في ميادين القتال،

يشجعون الجنود على القتال، ويحمسون عواطفهم للقتال والنزال، ويشيروهم على نيل فضيلة الشهادة...

8- الخطب العلمية: وهي الإلقاء الذي يكون في جامعات البلاد الراقية لتنوير

أذهان المتعلمين، وتثقيفهم، وترقية للرأي العام ونشراً للثقافة في ربوع البلاد...

9- خطب التآبين: وهي التي تقال في مناقب الرجال عند وفاتهم وفاءً لهم على

ما أسندوا من جميل وحسن صنيع، وحثاً للسامعين على اقتفاء آثارهم، عزاء للمكلمين

⁹ انظر: الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص153

¹⁰ انظر: الخطابة وإعداد الخطيب، لعبد الجليل شلي، ط2: 1982م، دار القلم، كويت: ص112

¹¹ نفس المصدر: ص140

بهم ...

10- خطب المدح: وهي نوعان:

أ- قسم تاريخي تقريرى: وفي هذا النوع يمدح عظماء الرجال لا للتقرب منهم بل لدراسة أحوالهم وتقريباً لمذاهبهم. وهذه إما علمية إذا كان الغرض منها البحث والتحليل, وإما سياسية إذا كانت للدعوة لمذهب العظيم السياسي.

ب- والنوع الثاني يكون بذكر المناقب والصفات إعلاء لشأن الممدوح, لابتغاء منفعة منه.

- خطب الشكر: وهي التي يذكر فيها الخطيب النعمة التي أسداها إليه الممدوح.¹²

11- الخطب الاجتماعية: هذا النوع من الخطب يتناول المشاكل الاجتماعية التي يكون المجتمع في حاجة ماسة إلى حلها. ومن أمثلة ذلك: دعوة خطيب القرية لإنشاء مدرسة أو نادٍ بها أو يقترح شق الترععة أو إقامة جسر أو يدعو شخص في مجتمع لإنشاء دار أمومة تساعد المرأة الموظفة.¹³

12- خطب المحافل: وهي ما تلقى في حفلات التكريم لبعض الأشخاص, وقد تكون بسبب انتقال موظف كبير من عمل إلى آخر أو من بلد لآخر أو بسبب تقاعده, أو قيامه بعمل خطير أو استقباله قادماً من السفر.¹⁴

¹² انظر: الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب, ص 153-216

¹³ انظر: مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية, ص 23

¹⁴ انظر: مرشد الخطيب ص 24

13- خطب النكاح: كانت العادة العادة عند العرب إذا أراد الرجل الزواج من

امراً أن يتقدم عنه رجل من عشيرته يعبر عن رغبته في طلب يدها، فهو يلقي الخطبة أمام عشيرة المرأة، يذكر فيها مناقب الرجل الراغب بابتهم وصفاته التي يتصف بها، ومنزلته في قومه.

وبعد أن يُنهي خطبته يقوم رجل من أهل الفتاة، فيخطب خطبة قصيرة يجيبه فيها قبولاً أو رفضاً.¹⁵

ومن أمثلة هذا النوع من الخطب خطبة ألقاها عم النبي ρ أبو أمام قوم السيدة خديجة الكبرى¹⁶ رضي الله عنها طالباً يدها لسيدنا الرسول محمد ρ.¹⁷

أركان الخطابة

إن للخطابة من حيث هيكلها ثلاثة أركان يعتمد عليها بناؤها ويتم بها بناؤها، وهذه الأركان الثلاثة هي:

1- خطيب: مؤدي الخطبة.

¹⁵ انظر: خصائص الخطبة والخطيب، ص 23

¹⁶ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قریش: (68 - 3 ق هـ) أم المؤمنين، زوجة رسول الله ρ الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة. ولدت وتوفيت بمكة، تزوجها رسول الله بعد وفاة زوجها الأول أبي هالة بن زارة التميمي، وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعت بها إلى الشام، فولدت له القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء.

[انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، (د.ط.ت) دار صادر، بيروت:

[7/8

¹⁷ انظر: جمهرة خطب العرب: لأحمد زكي صفوت مطبعة مصطفى الباوي الحلبي، ط2: 1933م، 77/1

2- الخطبة التي تلقى أمام المستمعين.

3- والمخاطبون الذين يستمعون إلى الخطبة المؤداة.

ولا شك أن الخطابة التي تفتقد أحد هذه الأركان الثلاثة فلا قيمة لها مطلقاً، لأن كل ركن من هذه الأركان لا فائدة له دون الآخر، لذا يجب أن تتوافر هذه الأركان الثلاثة مجتمعة في الخطبة.

وفي التالي أتناول كل ركن من هذه الأركان:

الركن الأول: الخطيب

الخطيب هو الشخص الذي يقتدر على التصرف في فنون القول حين يخاطب جمهوراً من الناس لمحاولة إقناعهم بما يجول في خاطره من أفكار والتأثير في نفوسهم بما يستعبر في أعماقه من عواطف.¹⁸

إن الخطيب هو أهم أركان الخطابة لأنه العامل الرئيسي في هذه الأركان، لذا يجب عليه أن يتصف ببعض الصفات والآداب، حتى يستميل إليه القلوب، ويؤثر فيها، ويقنعها بقوله.

لقد كتب النقاد عدة صفات للخطيب المثالي، فيمكن أن حصرها - على تباينها - في ثلاثة أنواع جامعة لها:

أ- الصفات التي تتعلق بذهن الخطيب أو عقله:

¹⁸ انظر: خصائص الخطبة والخطيب: ص 241

1- فأول صفات الخطيب أن يكون رابط الجأش, ساكن الجوارح¹⁹؛ ومعنى رابط الجأش: هو من يربط نفسه يكفها عن الفرار لجرأته وشجاعته,²⁰ والمراد منه هنا هدوء الخطيب في كلامه, وتمهله في منطقه,²¹ وأن يضبط نفسه, ولا ينفعل إذا تعلقت به العيون, وبمضي في خطبته على تمهل ورسل.

فالخطيب الذي يتمتع برباطة الجأش يلقي خطبته بقوة وثبات, أما إذا أصابه الروع, أو طرأه ارتباك, أو اعترته الدهشة, فهي أسباب تؤدي إلى الارتجاج والحصر,²² ولن يصيب الخطيب إذن هدفه الذي يرميه بخطبته, ولن يخلص إلى حبات القلوب.²³

2- أن يكون ذكياً: من أهم أسباب نجاح الخطيب كونه ذكياً, يدرك مواطن القول, وأثره في قلوب المخاطبين. كما عليه أن يعرف مدى تحمّل سامعين. فإذا رأى من القوم الرغبة إلى كلامه, والاهتمام بما يقول, واستزادوا, فزادهم على مقدار رغبتهم. وإذا رأى منهم الإعراض عن الاستماع, اختصر خطابه.²⁴

فالخطيب البارع هو الذي يقدر على تصرف الكلام, ويمهر بإطالة خطبته وإيجازها على السواء. يستطيع أن يطيل خطبته إذا احتاج, وأن يجيزها إذا لم ير مواضع القول.

¹⁹ انظر: عيون الأخبار, ابن قتيبة, (د.ط): 1963م, وزارة الثقافة والإرشاد, مصر, 173/2

²⁰ انظر: اللسان: مادة (جأش), 269/6

²¹ انظر: الصناعتين في الكتابة والشعر, أبو هلال العسكري, تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل,

ط1: 1952م, مطبعة عيسى البابي الحلبي, مصر, ص21

²² انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص632

²³ انظر: البيان والتبيين: 96/1

²⁴ انظر: نقد النثر, قدامة بن جعفر, ص96

وذلك لأن الإيجاز في موضع الإكثار، والإكثار في موضع الإيجاز ضعف وتقصير.²⁵

وجرأة الخطيب أيضاً يقتضي عدم اكترائه بما يحدث في المجلس مما يضعف قوته أثناء الخطابة، كقيام وخروج بعض الناس من الصفوف الأمامية أو نظر بعض الآخرين في صحيفة أو كتاب. وما ينفع الخطيب في هذه الحالة أن لا يبالي بما يحدث وينتبه إلى الآخرين.²⁶

3- الرفق: من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الخطيب الرفق، لأن الخطيب يواجه من السامعين منهم المؤيد لآرائه التي يعرضها عليهم، ومنهم المعارض. والرفق أو اللطف في هذه الحالة هو خير أسلحة يمكن أن يتسلح بها أي خطيب لمحاربة المعارضين، حتى يخلص إلى قلوبهم.

كما يجابه الخطيب جمهوراً ذات عقيدة معينة، ويريد أن يزيل أثر هذه العقيدة عن قلوبهم، فعليه الملائفة معهم للوصول إلى هدفه.

وربما لا يفيد الخطيب إلا الشدة في التعامل مع المخاطبين، ويرى الخطيب ذلك من تاريخهم. وقد يكون الخطيب نفسه عنيفاً، لا يرضيه سوى العنف في خطابته،²⁷ كما نرى ذلك في زياد²⁸ والحجاج²⁹.

²⁵ انظر: نقد النثر، لأبي الفرج، ص 96-97

²⁶ انظر: الخطابة وإعداد الخطيب: 45-46

²⁷ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 633-634

²⁸ زياد بن أبيه: أمير من القادة الفاتحين. من كبار رجال الدولة الأموية. أصله من الطائف. أمه سمية. يكتنف الغموض نسبه لذا دعي "ابن أبيه". ناصر علماً ضدّ الأمويين حتى إذا توفي علي، ألحقه معاوية بنسب أبيه أبي سفيان، بعد أن استدعاه إلى دمشق. ولأه الكوفة. توفي بالطاعون في الكوفة عام 53 هـ.

4- من الصفات اللازمة التي يجب الاتصاف بها للخطيب هي الإيمان بدعوته التي يدعو إليها في خطبته والإخلاص. وهذان شرطان أساسيان تسهمان في نجاح الخطيب, لأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب أيضاً, أما إذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.³⁰

وقد ورد في كتاب الله الثناء على المخلصين بقوله عزّ وجلّ: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)³¹ وكذلك في أحاديث الرسول μ في من أعطى ومنع وأحبّ وأبغض لله عزّ وجلّ فقد استكمل الإيمان.³²

أما إذا كان الخطيب متجرداً من صفة الإخلاص, ضعيف الثقة بقوله, غير قوي

[انظر: تاريخ ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون, ط4: (د.ت), دار إحياء التراث العربي, بيروت : 5/3-15؛ الكامل في التاريخ, لابن الأثير, دار صادر للطباعة والنشر, بيروت, 1960م: 3/195؛ الأعلام: 53/3]

²⁹ الحجاج بن يوسف الثقفي: قائد وخطيب عربي. ولد في الطائف واشتهر بولائه للبيت الأموي. ولاه عبد الملك بن مروان إمرة جيشه فقضى على ابن الزبير وابن الأشعث وتولى مكة والمدينة والطائف والعراق. أسس مدينة واسط في العراق وفيها توفي عام 95 هـ. ووسّع حدود الامبراطورية العربية حتى آسيا الوسطى. قضى على الخوارج. عني بشؤون الري والإصلاح النقدي. اشتهر بالخطابة والشدة في الحكم.

[انظر: وفيات الأعيان: 1/123؛ تهذيب التهذيب: 2/210؛ تهذيب تاريخ دمشق الكبير, لابن عساكر, هذبه: عبد القادر بدران, ط2: 1399هـ, دار المسيرة, بيروت: 4/48]

³⁰ انظر: البيان والتبيين: 1/73

³¹ النساء: 146

³² انظر: سنن أبي داود, كتاب السنة, باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه, رقم الحديث: 4681, صححه الألباني.

الإيمان, فيتسرّب هذا الضعف إلى سامعيه أيضاً, مهما حسن بيانه, وفصح لسانه, وغزر علمه, واتسعت ثقافته, وبرعت خطابته, فإنه لن يتمكن من الوصول إلى أعماق الناس والتأثير في نفوسهم, لأن الذي لم يظهر فيه أثر دعوته فكيف يتأثر به الآخرون.³³

5- أن لا ينسأ أبدأ الموضوع الذي أسس عليه خطبته, حتى لا يتنقل من موضوعه إلى موضوع آخر, ويطيل في الكلام وينسى موضوع خطبته. وقد يستطرد الخطيب من موضوعه إلى آخر حتى تصبح خطبته مزيج الموضوعات, فيقع السامعون في التخليط من أمرها, ولا يستطيعون تركيز فكرهم فيها, فلا يصبح لهم منها أي فائدة ولا هدف.³⁴

6- أن يكون حاذقاً بإثارة عواطف الناس وتحريك أهوائهم, حتى يسيطر على أحاسيسهم ويجعلهم يحسّون بمشاعر ما يريدونها من الحبّ والبغض والرغبة والنفور والفرح والحزن والرجاء واليأس والشجاعة والخوف والحمية والأنفة والغضب وغيرها ويسوقهم إليها.³⁵

ب- الصفات التي تتعلق بأوصاف بيانية:

6- طلاقة اللسان: اللسان هو أداة الخطيب الأولى, فلا بد أن تكون الأداة

³³ انظر: مرشد الخطيب: ص 16؛ خصائص الخطبة والخطيب: ص 250-251

³⁴ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 638

³⁵ انظر: الخطابة لأبي زهرة: ص 67-68

سليمة كاملة, ليتسنى له استعمالها على أكمل وجه وأتمه.³⁶
 فسلامة الخطيب من آفات النطق كاللجلجة³⁷, والتمتمة³⁸, واللثغة³⁹,
 والفأفة⁴⁰.... وهذه العيوب إذا لم تصلح كانت مصدر استهانة السامعين بالخطيب,
 بل مصدر سخرتهم به.⁴¹

7- جهازة الصوت: وهي من أسمى صفات الخطيب, وكان العرب يفضّلون
 الخطيب المفوّه ذا بيان, ويصفونه بأشّدق. كما وردت في بعض الخطباء الممتازين أبيات
 تجلي هذه الصفة, منها:

إن صاح يوماً حسبت الصخر منحدرًا والريح عاصفة, والموج يلتطم⁴²
 وكذلك ذمّ بعض الخطباء برقة الصوت, وضالته, فقال:
 ومن عجب الأيام أن قمت خاطباً وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر⁴³
 ومما لا ريب فيه أن الصوت الممتلئ مما يملأ نفوس السامعين هيبه لصاحبه.⁴⁴

³⁶ انظر: الخطابة لأبي زهرة, ص56

³⁷ التردد في الكلام. [انظر: اللسان: مادة (لجج)]

³⁸ ردّ الكلام إلى التاء والميم. [انظر: اللسان: مادة (تمم)]

³⁹ عدم القدرة على تكلم الرءاء. [انظر: اللسان: مادة (لثغ)]

⁴⁰ ترديد الفاء في الكلام. [انظر: اللسان: مادة (فأفأ)]

⁴¹ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص635

⁴² انظر: البيان والتبيين: 80/1

⁴³ انظر: البيان والتبيين: 82/1

⁴⁴ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص636

8- فصاحة اللسان وجودة النطق: من أهمّ شروط الخطابة فصاحة لسان

الخطيب وجودته في النطق, كما عليه أن يُحسن الإلقاء, قوة وليناً, فلا يكون الإلقاء على وتيرة واحدة, حتى لا يصيب السامع الملل, ما يوجب إعراضه عن الخطبة.

كما لا يعتمد على أسلوب السجع الممقوت, فإن من شأن ذلك إضاعة المعنى, والتركيز على اللفظ مع ضرورة مراعاة قواعد اللغة العربية, لأن عدم مراعاتها يحدث خللاً في المعنى.⁴⁵

ج- الصفات التي تتعلق بهيئة الخطيب وشخصيته وزيّته:

9- حسن الهندام⁴⁶ والمظهر: من مكونات الخطيب أن يكون حسن الهندام جميل المظهر, لأنّ لهيئته أثر في استقباله الحسن أو السيء. فجيب أن يلقي الخطيب خطبته وهو في ملابس وهيئة حسنة, لأن ذلك أدعى إلى انتباه الناس واستمالتهم إليه, وميلائهم نحوه, مع الاجتناب من الإسراف في العناية بالملبس إلى حدّ التكلّف.⁴⁷

إنّ حُسن الهندام وجمال المظهر وإن لم يكونا من الصفات التي تقوم عليها الخطابة, إلا إنّها شيء يتطلّب العناية بهما, لأنّ النظر يؤثر في القلب تأثير الكلام في السمع.⁴⁸

وقد يكون الخطيب قبيح المنظر, رثيث⁴⁹ الهيئة, سوء الملبس, ما يؤدي إلى

⁴⁵ انظر: خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً, لأمير بن محمد المدري, www.saaaid.net, ص7

⁴⁶ الهندام: حسن القد وتنظيم الملابس. [انظر: المعجم الوسيط, مادة (هندم)]

⁴⁷ انظر: خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً, ص7

⁴⁸ انظر: الخطابة لأبي زهرة, ص58

⁴⁹ رثيث: أي قبيح.

انصراف الناس عنه, ويحطّ من حسن الخطبة فتفتقر إلقاء وتأثيراً.⁵⁰

10- الاقتصاد في الإشارات وحركات اليد: الإشارات تعبّر عن انفعال الخطيب بخطبته, ولا بدّ للخطيب منها, لأن الذي لا يتأثر بما يقول فكيف ينفعل به المستمعون.⁵¹

غير أنّ الإكثار في كلّ شيء مضرّ, فالإكثار في الإشارات وكثرة حركات اليد تحطّ هيبة الخطيب من أذهان المستمعين, ويشغلهم عن متابعة الخطيب في فكرته.

11- أن يقلل مما ينفر منه مثل التنحج والسعال, وبعض الحركات المثيرة كالعبث باللحية والحركات المشينة.⁵²

الركن الثاني: الخطبة

الخطبة المثلى عند النقاد هي التي:

1- عنى فيها الخطيب بمقدمة الخطبة. والمقدمة بعيدة الأثر في نجاح الخطيب عند السامعين لأنها أوّل ما يقدّمه إليهم, وشديدة التأثير في تهيئة السامعين للالتفات والإصغاء لأنها أوّل ما يستمعونه. فإن تلقى السامعون المقدمة بالقبول, ثبتت الخطبة في نفوسهم, ووقعت في قلوبهم.

لذا يهتمّ الخطباء بمقدمات خطبهم, ويبدلون كل ما يمكن لهم من جهد وقوة في

[انظر: المعجم الوسيط, مادة (رث)]

⁵⁰ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 637

⁵¹ انظر: الخطابة وإعداد الخطيب: ص 42

⁵² انظر: الموسوعة العربية العالمية, 109/10

تحسينها من اختيار المعاني والأسلوب.

واستحسن نقاد العرب أن تفتتح الخطبة ما يشير إلى موضوع الخطبة, فكانوا مثلاً في تحميداتهم التي يبدءون بها خطبهم, يشيرون إلى الهدف من الخطب, وكانوا يفرقون بين صدر خطبة الزواج, وخطبة العيد, وخطبة الصلح وغيرها.⁵³

2- وعنى فيها بالانتقال من فكرة إلى فكرة, حتى ترتبط أجزاء الخطبة بعضها ببعض, ويصبح الغرض بذلك واضح المعالم بين التقاسيم.⁵⁴

3- وعنى فيها بخاتمة الخطبة⁵⁵: الخاتمة هي آخر ما يقولها الخطيب من خطبته, ولها أثر باقٍ في نفوس سامعيه. ومن جمال الخطبة أن النفس تتوسم إتيان الخاتمة, لأنه عرف أن الخطيب تخلّص من عرض فكرته. أما إذا كان في نفس السامع رغبة في المزيد من الكلام, فمعناه أنه لم يعط الموضوع حظّه.

ولأن الخاتمة هي آخر ما يلقيه الخطيب, فهي أعلق بنفوس المخاطبين من الكلام, وأكثره اتصالاً بقلوبهم, وتضمن البقاء لأثر الخطبة. فإن كان وقعها حسناً نالت الخطبة من السامعين حظاً ومنزلة. أما الوقع السيء فيذهب بتأثير الخطبة, ويزري بها, ويضيع هدفه المقصود.⁵⁶

4- وعنى فيها أن لا يعيد أفكاراً سبقت, لأن النفس تسأم التكرار وتأخذه

⁵³ انظر: زهر الآداب, للحصري, تحقيق: زكي مبارك, المكتبة التجارية, القاهرة, 1344هـ: 96/1

⁵⁴ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 639

⁵⁵ انظر: البيان والتبيين: 98/1 و 91 و 92

⁵⁶ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 639

الملال. وقد يسبب التكرار التطويل ما يثير الملل في السامعين, أو يحملهم على الخيال بأن الخطيب فقير في الأفكار.⁵⁷

وحدة الموضوع:

وقد انتبه النقاد إلى ضرورة وحدة الموضوع, بحيث تتركز الخطبة فيه ويدور حوله الكلام كله, واعتبروا الخروج منه إسهاباً.⁵⁸

أما الموضوعات المتفرقة, فلا يستطيع السامعون متابعتها, وتزول عن أذهانهم بعد انتهاء الخطيب من خطبته.

كما أن الوحدة في الموضوع يتيح للخطيب فرصة الإحاطة بموضوعه من الجوانب كله, وأن يعطي الموضوع حقه.⁵⁹

لكل مقام مقال:

مثل يراد به هنا مطابقة الخطبة للأشخاص الذين يخاطبون, وملائمتها للموطن الذي يقال فيه. فربّ خطبة حسنت في موضع ثم كانت مستكرهة في غيره. لذا على الخطيب ملاحظة أحوال السامعين, وإدراك مقتضى الحال, لينجح في إلقائه, ويصل إلى هدفه وهو الإقناع والتأثير.⁶⁰

⁵⁷ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 640

⁵⁸ انظر: الصناعتين: ص 5

⁵⁹ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 640

⁶⁰ نفس المصدر, ص 640-641

الركن الثالث: السامعون

الركن الثالث من العملية الخطابية هو السامعون, فالذي وقف عنده النقاد, عناية بأحوال السامعين فأمران: 61

1- ملاءمة الأسلوب مع مستوى عقول السامعين: إن الناس طبقات, ولكل طبقة من الناس مستوى عقولهم يجب مراعاتها. فلا بدّ أن يختلف أسلوب الخاصة أو المثقفين عن أسلوب العامة. فأسلوب الخاصة أسلوب جزل ذو كلمات ممتازة يعرفونها بحكم ثقافتهم. أما أسلوب العامة فهو أسلوب سهل واضح جلاء, لا يستخدم الخطيب فيها كلمات لا يعرفونها. هذا ما أكّد عليه الجاحظ في البيان والتبيين:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني, ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين, وبين أقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً, ولكل حالة من ذلك مقاماً, حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني, ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات, وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات". 62

2- مسألة الإيجاز والإطناب: إنّ مسألة الإيجاز والإطناب من أهمّ الأمور التي اهتمّ بها النقاد, واستحسنوا معرفة الخطيب بمواضع القول واحتمال السامعين له. فالإيجاز في موضع الإطناب يدلّ على قصور الخطيب عن أفهام سامعيه, وكذلك الإطناب في موضع الإيجاز يتولّد منه الإضجار والملالة. 63

61 انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص 636

62 انظر: البيان والتبيين: 106/1

63 انظر: نقد النثر: 96

أثر الحديث على الخطابة

وكما سبق أن الحديث النبوي ρ هو المؤثر الأساسي - بعد القرآن - في الأدب العربي كله عامة وفي النثر خاصة. ثم الخطابة هي الجنس الأدبي الذي اعتمد عليه النبي ρ في نشر دعوة الرسالة الإسلامية وبعده خلفاؤه اتباعاً له، ويتبع سننه المسلمون حتى عصرنا الراهن.

وفي العصر قبل الإسلام - أي العصر الجاهلي - كان الشعر يسود على الأجناس الأدبية الأخرى - مثل الخطابة والحكم والأمثال وغيرها. وإن لحق به السقوط فكان نتيجة سقوط الشعراء، غير أنه كان يفضل على غيره من الأجناس الأدبية كلها عامة.

وذلك لأن العرب قبل الإسلام كانوا قد ألفوا أن التأثير العميق في قلوب السامعين يكون للشعر دون النثر.⁶⁴ لكن هذه الحالة تغيرت بعد نزول القرآن وبعثة النبي ρ ، عندما استطاع القرآن والكلام النبوي أن يصل إلى ذلك التأثير. وهما أثرا في العرب إلى حد أن الشعر ضلّ في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ولم ينتبه إليه المسلمون إلا إذا حُمِل على الإسلام بالشعر.

فبعثة النبي - عليه السلام - سببت تغليب الخطابة على الشعر. أضف إلى هذا ما كان له - عليه السلام - من شخصية عظيمة وفصاحة وبلاغة، وذكاء نفاذ، فقد أثرت هذه المواصفات وغيرها في تنشيط الخطابة، وكونها بطلاً بين الأجناس الأدبية. وعلى ذلك فقد أرسى ρ للخطابة أصولاً ومبادئ التي لا مفرّ لها لأي خطيب برز بعده، والتي صار خلافتها عيباً دينياً أو أدبياً على سواء.

⁶⁴ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 24

وفي التالي أتناول بعض تلك المبادئ التي رسخها لنا رسولنا ρ والتي اتصفت بها خطبه ρ :

1- الافتتاح وبراعة الاستهلال والبداية المثيرة للانتباه:

إنّ أهم أساليب الإقناع المقدمة، ولها أثر فعّال في جذب انتباه السامعين واستمالتهم، وحملهم على ما يريد منه الخطيب.⁶⁵

كان خطباء الجاهلية يبدأون بالموضوع مباشرة، مجرداً عن المقدمة أو عن التمهيد، وكانوا يستعملون دائماً: "أيها الناس" أو "أيها الملك" أو "يا معشر" أو مثل هذه العبارات، والخطيب المشهور في الجاهلية قسّ بن ساعدة⁶⁶ الإيادي كان افتتح هكذا في هذه الخطبة: "أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات...".⁶⁷ وقال هانئ بن قبيصة الشيباني⁶⁸: "يا معشر بكر! هالك معذور خير من ناج فرور، إن الحذر

⁶⁵ انظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ρ ، سعيد بن علي، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1417هـ، ص 114

⁶⁶ قس بن ساعدة بن عمر بن عدي بن مالك من بني إباد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه (أما بعد). وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي ρ قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده.

[انظر: البيان والتبيين: 27/1؛ الأغاني: 40/14؛ خزنة البغدادي: 267/1]

⁶⁷ انظر: جمهرة خطب العرب، 38/1

⁶⁸ هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني: أحد الشجعان الفصحاء في أواخر العصر الجاهلي. كان سيد بني شيبان. أسره (وديعة اليربوعي) يوم الغبيطين في الجاهلية، وهو بين تميم وشيبان؛ ظفرت فيه تميم وأسر هانئ. وأقام في الأسر مدة القيظ والربيع، ثم افتُدي بعد ذلك.

لا ينجي من القدر, وإن الصبر من أسباب الظفر ... " 69.

بعد مجيء الإسلام, فتح لنا النبي ﷺ باباً جديداً في افتتاح الخطب, وسنّ لنا سنة فيها ما زال المسلمون يتبعونها ولن يزالوا. فأضاف إلى بداية الخطابة كلمة التمجيد والتحميد لله والثناء عليه ما هو أهله والتسليم والصلاة على النبي ﷺ.

كما يقول ابن قتيبة: "تتبع خطب رسول ﷺ, ووجدت أوائل أكثرها: "الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ, وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا, مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَامُضِلَّ لَهُ, وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَاهَادِي لَهُ, وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ". 70

وكذلك لو تتبعنا بدايات خطب النبي ﷺ لوجدناها مثيرة للانتباه بدءاً بخطبة الصفا حيث صعد الصفا ثم قال: " يَا صَبَاحَاهُ " 71 وفي خطبة أول جمعة البدء بالحمد والثناء على الله بما هو أهله في أول خطاب يوجه لجماعة المسلمين التي قامت في المدينة أمة من دون الناس, ويوم فتح مكة بدأ الرسول ﷺ بخطبته بقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي

[انظر: البيان والتبيين, تحقيق هارون, 161/3 ؛ الأعلام: 68/8]

69 انظر: جمهرة خطب العرب, 37/1

70 انظر: عيون الأخبار, 231/2

71 انظر: البخاري, كتاب التفسير, باب سورة المسد, رقم الحديث: 4687 ؛ صحيح مسلم, كتاب الإيمان,

باب في قوله تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين), رقم الحديث: 207

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي ... ﴿72﴾ , وفي خطبة حجة الوداع قال ρ :
﴿أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا وَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا هَذَا حَرَامٌ وَشَهْرٌ حَرَامٌ وَيَوْمٌ
حَرَامٌ...﴾ 73. 74

فالتزم الخطباء في صدر الإسلام أن يفتتحووا خطبتهم بما افتتح به نبيهم ρ حتى
سميت الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ρ بـ
(البراء), كما يقوله الجاحظ: "وعلى أن خطباء السلف الطيب, وأهل البيان من التابعين
بإحسان, ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدئ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد: البراء". 75

2- الاقتباس من القرآن: تعدّ خطب النبي ρ المثل الأعلى والنموذج الإسلامي
لما كانت تتضمنه من الفصاحة العظمى والبيان الرفيع والحكمة والموعظة الحسنة وجوامع
الكلم وبدائع الحكم.

القرآن الكريم هو المصدر الفني للأدب النبوي من أوله إلى آخره , وذلك لأنه ρ
كان مهبط الوحي, وتلقى القرآن نجماً نجماً طول حياته النبوية أي لمدة 23 سنة, فكان
ρ أول قارئ, وأول حافظ, وأول مؤمن به. كان ρ يذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه,

72 انظر: البخاري, كتاب اللقطة, باب كيف تعرف لقطة أهل مكة, رقم الحديث: 2254 ; مسلم, كتاب

الحج, باب تحريم مكة وصيدها, رقم الحديث: 1355

73 انظر: سنن ابن ماجه, محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني, دار الفكر, بيروت, تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي, مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي, والأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني عليها, في كتاب
المناسك, باب الخطبة يوم النحر, الرقم: 3048, صححه الألباني.

74 راجع: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ρ, ص 114

75 انظر: البيان والتبيين: 6/2

ويفكر في كلامه طوال الليل والنهار, حتى أصبح القرآن جزءاً لازماً من حياته, وهذا ما جعل عائشة - رضي الله عنها - تصف خلقه p: (فإن خلق نبي الله p كان القرآن)^{1.2} القرآن)^{1.2}

لقد أثر القرآن الكريم في خطبه تأثيراً كبيراً, وهذا من شدة تأثره p بالقرآن أن يشوق الآخرين إليه, ويشجعهم على قراءته, واختياره على ما سواه من أحاديث الناس, فيقول p في إحدى خطبه بعد الحمد والثناء: (إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ, قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ, وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ, وَاخْتَارَهُ مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ, إِنَّهُ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ, أَحَبُّوا مِنْ أَحَبِّ اللَّهِ وَأَحَبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ, وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ, وَلَا تَفْسُقُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ, أَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً,)³

فنجد أيضاً للقرآن أثراً واضحاً في معاني خطبه, إذ يقول في خطبة حجة الوداع: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاطَمَهَا بِأَبَائِهَا فَالْنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ (...)⁴

نجد هذا الكلام في آية القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

¹ انظر: مسلم, كتاب صلاة المسافرين وقصرها, باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض, رقم

الحديث: 743

² انظر: العصر الإسلامي, لشوقي ضيف, ط7: 1963م, دار المعارف بمصر, ص121

³ انظر: جمهرة خطب العرب, 152/1

⁴ انظر: الترمذي, تفسير القرآن عن رسول الله, باب سورة الحجرات, رقم الحديث: 3193, صححه الألباني.

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ﴿١﴾.

ومن مثل هذه الأمثلة قوله في إحدى خطبه: (إِنَّ لَهْنَ (أي لنساءكم) عَلَيْكُمْ حَقٌّ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ)،² ونفس الكلام موجود في هذه الآية القرآنية: ﴿هِنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.³

فاتبع الخطباء المسلمون نبيهم ρ وأخذوا ينهجون نهج القرآن في الاستدلال، إذ وجدوا فيه أبلغ طرق الإقناع الخطابي، فقد اجتمع في أدلة القرآن الكريم ما لا يمكن أن يجتمع في أدلة سواها.

فتأثروا بطريقته، واقتبسوا من عباراته وشاع بينهم الاقتباس منه؛ حتى كان من مزايا الخطبة أن تكون مشتملة على شيء من القرآن الكريم،⁴ حتى كان فيهم من جعل خطبته برمتها مجموع آيات من القرآن⁵ كما فعل مصعب بن الزبير⁶ لما قدم العراق وأراد

¹ الحجرات: 13

² انظر: مسند أحمد، مسند الكوفيين، مسند عم أبي حرة...، رقم الحديث: 20714، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح غيره مقطعا وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد؛ مجمع الزوائد، نور الدين علي المهشمي، (د.ط): 1412 هـ، دار الفكر، بيروت: 585/3

³ البقرة: 187

⁴ انظر: الخطابة: أصولها وتاريخها، لأبي زهرة، ص 261

⁵ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجرحي زيدان، (د.ط): 1992م، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان:

188/1

⁶ مصعب بن الزبير: أخو عبد الله بن الزبير الخليفة المنافس لعبد الملك بن مروان. ناب عن أخيه في العراق. قاوم الخوارج بشدة وحارب المختار الثقفي وقضى عليه 687م. أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام. خرج إليه عبد الملك بنفسه على رأس جيشه وعرض عليه الأمان وولاية العراقيين، على أن يرجع عن القتال، فأبى.

أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله، فصعد المنبر وقال: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَنْبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. (وأشار بيده نحو الشام) وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. (وأشار بيده نحو الحجاز) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" ¹ (وأشار بيده نحو العراق).²

وقد بلغ تأثير القرآن في الناس إلى حدّ أن الاقتباس منه أصبح معيار قيمة الخطبة، وتجرّد الخطبة عنه أو خلوّها منه صار عيباً شنيعاً، لذا كان العرب يسمون الخطبة التي لم تنزّين بالقرآن ولم يتحلّ بالصلاة على النبي μ بالشوهاء.³

3- الخطابة الدينية:

كانت الخطابة في العصر الجاهلي تدور حول موضوعات قليلة مثل المنافرة والمفاخرة والنصح، والإرشاد وغيرها - كما مرّ - وتكاد تخلو من الخطابة الدينية تقريباً.

فالنبي μ عزّف الخطابة العربية بصنف جديد للخطابة وهو الخطابة الدينية، ووسّع آفاقه، وطوّره تطويراً لم يعرفه الأدب العربي من قبل ومن بعد، فهو الذي رسمها وفجر

قتل في المعركة عند دير الجاثليق عام 71 للهجرة. اشتهر بشجاعته وكرمه.

[انظر: الطبقات الكبرى، 135/5]

¹ القصص: 1-6

² انظر: البيان والتبيين، 362-361/1

³ نفس المصدر: 215/1

ينابيعها بحيث أصبحت مادة الخطباء من بعده.¹

ولأن نعرف ما قدّم للخطابة الدينية من تطوير الموضوعات, سأتكلم حول هذا في (التنوع في الموضوعات).

4- التنوع في الموضوعات:

لقد نوع النبي ρ في موضوعات الخطب الجاهلية. فخطب الرسول ρ تختلف موضوعاتها عن موضوعات الخطب الجاهلية. كان العرب يستخدمون الخطابة في موضوعات, مثل: المنافرة والمفاخرة, والنصح والإرشاد, والحث على قتال الأعداء, والدعوة إلى السلم وحقن الدماء, وفي المناسبات الاجتماعية المختلفة كالزواج والإصهار.²

أما موضوعات خطب الرسول ρ فتتناول موضوعات عديدة, ولا شك أنها تلتقي على غاية واحدة, وهي بيان حقيقة الإسلام وتربية المسلمين من جميع النواحي, ويمكن بيانها بأنها كانت تدور حول الموضوعات الآتية:

أ- تثبيت رسالته ونبوته:

هذا موضوع واجهه كل نبي بعثه الله إلى قومه, لأن تشكّ في أوّل الأمر في كون النبي نبياً, وهذا ما حدث لبنينا ρ فهو بعد ما أمره الله عزّ وجلّ بإنذار عشيرته بقوله (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)³ يلقي هذه الخطبة الأولى " يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ"

¹ انظر: العصر الإسلامي, لشوقي ضيف, ص 121

² انظر: الفن ومذاهبه, لشوقي ضيف, ط 10: 1960م, دار المعارف, بيروت, ص 27

³ الشعراء: 214

فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ¹ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ
أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ".²

ب- التوحيد:

التوحيد هو أساس الدين الإسلامي ومحور الرسالة المحمدية, بل هو أساس
الرسالات السابقة كلها. كانت قريش لا تنكر عبادة الله كقرون أولى, وإنما كانت تعبد
معه إلهاً غيره لتقربهم إلى الله زلفى³, فأمر الله نبيه ρ بإخراج الناس كافة من ظلمات
الشرك إلى نور التوحيد, فحرص النبي ρ على ذلك, فكان يخطب بين مشركي العرب من
قريش وغيرهم ويدعوهم إلى وحدانية الله, ومن خطبه: " اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ لَا أُغْنِي
عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا... " ⁴, وكان يقول
في خطبه: " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ".⁵

ج- التقوى:

¹ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: زعيم قريش في الجاهلية, وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في
المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلاً, ذا أناة ونجدة, فصيح اللسان, حاضر القلب, أحبه قومه ورفعوه من شأنه,
فكانت له السقاية والرفادة. جدّ رسول الله, اسمه شيبعة, لكن لقبه (عبد المطلب) غلب عليه.

[انظر: الكامل لابن الأثير: 4/2 ؛ الطبري: 176/2]

² انظر: صحيح مسلم, كتاب الإيمان, باب في قوله تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين) رقم الحديث: 307

³ الزمر: 3

⁴ انظر: صحيح البخاري, كتاب التفسير, باب (وأندر عشيرتك الأقربين) رقم الحديث: 4398

⁵ انظر: صحيح البخاري, كتاب الصلاة, باب (الاجتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد) رقم

الحديث: 442

إن للتقوى أهمية كبيرة، ولا أحد ينكر ذلك، لذلك يهتم به جميع المسلمين. وقد ورد في القرآن والحديث متون كثيرة، فمن الطبيعي أن يجعله رسول الله ﷺ موضوعاً من أهم موضوعات دعوته.

هذا كان نموذجاً ما تناوله ﷺ من موضوعات في خطبه، وإذا تتبعنا خطبه وجدناها متنوعة جداً، فتناولنا بعضها بالتفصيل ونكتفي بذكر أسماء بعضها: كالجهد في سبيل الله، وذكر الموت والحث على الإعداد للآخرة، وذكر كتاب الله، وبيان تشريعات الإسلام، وغيرها من الموضوعات.

5- القناعة بما يدعو إليه والمسؤولية الذاتية:

إن الأخلاق السامية والطباع الكريمة هي التي تعين للإنسان سيرة مثالية، وتخطط له معالم حياته، والرسول ﷺ - وهو خير أسوة وأوّل نموذج لكلّ من يقوم بعملية الاتصال في الإعلام الإسلامي، رضي الله عنه بحلقه ﷺ وجعله لنا قدوة، وامتدحه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾¹ وقال ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)² وفي رواية (مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ)³.

¹ القلم: 4

² انظر: مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 8939، علق شعيب الأرنؤوط على هذا الحديث بقوله: صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث.

³ انظر: المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1411هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص،

لذا نرى أنه ρ لما ادعى النبوة لم يجرؤ أحد من الكفار أن يتهمه بالكذب والخيانة - كما جاء في القرآن العظيم ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾¹ - مع شدة مخالفتهم له وحرصهم على معارضته, وإنما لجئوا إلى حيل أخرى ككونه مجنوناً أو شاعراً وغيرهما ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾².

وخير شاهد على صدق النبي ρ وأمانته خطبة الصفا, لما خاطب ρ قومه وقال: ﴿لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا أَوْ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي قَالُوا: مَا جَرَّئْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا﴾³ ولم يكذبوه.⁴

كما يجب أن يكون الخطيب على قناعة تامة بما يدعو إليه، حتى يستطيع على يمكن له أن يقنع السامعين ويؤثر فيهم.

ويظهر لنا شدة ثقة النبي ρ بدعوته في حين لما أطعمه الكفار في مكة بكل ما لديهم من السيادة والأموال حتى يتمكنوا منه أن يتنازل عن رأيه, لكن لم يستطيعوا ذلك.⁵

كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء, من كتاب آيات رسول الله, رقم الحديث: 4221, هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه, تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم.

1 الأنعام: 33

2 الصافات: 36

3 انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان, باب قوله تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين) رقم الحديث 307

4 انظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ρ , ص 123

5 سيرة ابن هشام: 130/2

وكذلك نرى النبي ρ أنه لما رأى الضعف في عمه أبي طالب¹ عن حمايته، قال ρ له: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته).²

فهذا الجواب كان نتيجة عن شدة تأثيره بدعوته، و يقينه في ربه، واعتماده على نصرته. وهذا ما أدى إلى شدة تأثيره في السامعين، وإيقانه إياهم بدعته، وتشبيتهم على الدين الجديد.

ومن أمثلة شدة تأثيره في السامعين، اعتراف المشركين أنفسهم أنه لم يؤمن أحد بهذا الدين (أي الإسلام) ثم فارقه. فنرى الحوار الذي دار بين قيصر وأبي سفيان، وأحد الأسئلة التي سألها قيصر: (أخبرني عن صحبه أيجبه و يكرمه أم يقليه و يفارقه؟) فأجاب أبو سفيان: ما صحبه رجل ففارقه.³

وكذلك يجب التوافق بين عمل الخطيب وقوله، إذ الناس يشاهدون عمل الخطيب بدقة النظر، فامتثال الخطيب بأحكام الإسلام أدعى أن يجعل كلامه مقبولاً عند الناس، وإلا لا يثقون بكلامه.

¹ أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: (85 ق هـ-3 ق هـ) وعم النبي ρ وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء. نشأ النبي ρ في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. دعاه النبي ρ إلى الاسلام، فامتنع خوفاً من أن تعيره العرب، ووعده بنصرته ضد قريش، اضطر المسلمون بعد وفاته إلى الهجرة من مكة.

[انظر: طبقات ابن سعد: 75/1]

² انظر: سيرة ابن هشام: 101/2

³ انظر: سيرة ابن كثير: 494/3

كما ورد الدم في القرآن عمن يأمر الآخرين بعمل لا يأتيه، وينهى عن عمل ويأتي مثله. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾¹. وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾².

فالخطيب الذي يدعو الناس بالقول والعمل، يصير مؤثراً أشد التأثير، تجتمع حوله الأفئدة وتحوم حوله النفوس. فبين لنا رسول الله ρ حال من خالف قوله عمله في صورة مخيفة رهيبة،³ فيقول (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ).⁴

الختام:

كما كان النبي ρ يستفتح خطبه بالتحميد والتمجيد كذلك كان يختمها إما بدعاء كخطبته التي ألقاها عن الأنصار وقال في الأخير (اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ!)⁵ أو بسلام كخطبة حجة الوداع التي ختمها بـ (وَالسَّلَامُ

¹ البقرة: 44

² الصف: 2 , 3

³ انظر: خمسون وصية ووصية، ص6

⁴ انظر: صحيح المسلم: كتاب الزهد والرقائق: باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، رقم الحديث: 2989

⁵ انظر: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - رقم

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ¹ أو بقول: "أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ".

لقد وضع النبي ρ هذا الشكل الجديد للخطابة وطبقها مدة طويلة، واتبعه أصحابه - رضي الله عنهم - الذين كانوا يتبعونه في كل شيء، فقلد الخطباء والعلماء والدعاة بعد عصر صدر الإسلام هذه العادة في خطبهم حتى اليوم.

تعيين الأوقات:

كانت الخطابة في العصر الجاهلي محدودة الاستعمال. وكان استعمالها ينحصر فيما يواجهه العرب من الحروب والمنافرات وغيرها من الأحوال.

ولما جاء الإسلام ازدهرت الخطابة ازدهاراً عظيماً، ولهذا الازدهار أسباب منها أن الخطابة لم تكن جزءاً من حياة العرب، وإنما الشعر يحلّ هذه المنزلة. أما الخطابة فقد كانت وسيلة دفع بعض الحوائج التي سبق ذكرها.

فاهتم الإسلام بالخطابة ورفع منزلتها وجعلها جزءاً لازماً من حياة المسلمين. وقرّر للعرب خطباً أسبوعية كخطب الجمعة وخطباً سنوية كخطب الأعياد ومواسم الحج.

ففي صلاة الجمعة يجتمع المسلمون في المساجد ويقوم الخطباء قبل الصلاة بإلقاء خطبتين، الأولى قصيرة وتتضمن تلاوة آي من القرآن الكريم والتوجه إلى الله تعالى بالأدعية، فيما تكون الثانية طويلة يتناول فيها الخطيب قضايا تمس حياة المسلمين السياسية والاجتماعية والدينية والخلقية.

الحديث: 11748، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن

¹ انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه، (د.ط): 1965م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 13/2؛ البيان

والتيبين: 15/2

وكذلك خطب الأعياد ومواسم الحج.....

ومن الواضح أن ذلك يساعد كثيراً على ازدهار فن الخطابة ويسهم إسهاماً كبيراً في توسيع ميادينه.¹

تأثير الحديث في لغة الخطابة:

إن لهذا الأثر ناحيتان:

أ- إن الحديث أضاف إلى اللغة ثروة من المعاني, وثروة الأساليب, التي كانت تعد من النبي ρ ابتداءً وابتكاراً مثل قوله: "حَمِي الْوَطِينُ"², ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: "الْمُضْعَفُ أَمِيرُ الْقَوْمِ"³, وقوله: "مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ"⁴, وقوله: "هُدْنَةُ عَلَى دَخَن"⁵,

¹ انظر: الأدب العربي (من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي), لحبيب يوسف مغنية, ط 1: 2002هـ, دار ومكتبة الهلال, بيروت, ص 331

² انظر: مسلم, كتاب الجهاد والسير, باب غزوة حنين, رقم الحديث: 1775؛ مجمع الأمثال, أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, دار المعرفة, بيروت, 104/2؛ ويضرب للأمر إذا اشتد

³ انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, أبو الفتح الموصلي, ط 1: 1979م, دار الكتب العلمية, بيروت, 110/2؛ أي إن الأمير واجب الحكم فهو يتبع وإذا كان المضعف أمير الركب كانوا مؤتمرين له في سيرهم ونزولهم

⁴ انظر: المستدرک على الصحيحين, صححه النيسابوري والذهبي؛ مجمع الأمثال: 182/2؛ أي مات ولم يُقتل وأصله أن يموت الرجل على فراشه فتخرج نفسه من أنفه وفمه

⁵ انظر: سنن أبي داود, كتاب الفتن والملاحم, باب ذكر الفتن ودلائلها, رقم الحديث: 4244, حسنه الألباني؛ المستقصى في أمثال العرب, أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, ط 2: 1987م, دارالكتب العلمية, بيروت, 389/2؛ لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه أي لا يصفو بعضهم لبعض ولا ينصع

وقوله: "لَا يَنْتَطِحُ عَنزَان" ¹ وقوله p لمن ساق إبلاً بعنف, وعليها نساء وقوله p: "رُوَيْدَكَ رِفْقاً بِالْقَوَارِيرِ". ²

ب- ولأن الحديث هذب اللغة تهذيباً قريباً من تهذيب القرآن الكريم إذ سهل ألفاظها, ورقق أساليبها وذهب بالحوشى ³ منها, فكان لكل هذا أثره في الخطابة؛ لأنها شعبة الأدب الأولى في ذلك العصر, بل أعظم شعبه وأظهر مظاهره. ⁴

حُبَّهَا كَالكَدُورَةِ الَّتِي فِي لَوْنِ الدَّابَّةِ أَيْ سَكُونِ لِعَلَّةٍ لَا لِلصَّلْحِ.

¹ انظر: كنز العمال, 683/12, رقم الحديث: 35491, حديث مرسل؛ البيان والتبيين: 220/1؛ يضرب للأمر الذى لا غير له ولا يدرك به ثأر.

² انظر: النهاية في غريب الحديث, 659/2؛ مجمع الأمثال: 351/2؛ أي أمهل وتأنَّ ³ الحوشى: من الكلام الغريب الوحشى.

[انظر: المعجم الوسيط, مادة: وحش]

⁴ انظر: الخطابة: أصولها وتاريخها, ص 263

ترطيب الخطيب لسانه بأحاديثه p واستشهاد بها:

إن كثيراً من الخطباء كان يرطب لسانه في خطبه بشيء مما أثر عن الرسول p, تيمناً بقوله, واسترواحاً للسامعين وليكسبوا كلامهم روعة, وليستشهدوا بكلام الرسول p على صحة ما يدعون, وإذا علمت أن أكثر الخطب في ذلك العصر, كانت تدور على مبادئ الدين قوامها, علمت مقدار عنايتهم برواية أحاديث رسول الله p, والاستشهاد بها في خطبهم؛ فإن الحديث إذا صح عندهم كان فيه فصل الخطاب, واعتقدوا أن الخطيب بروايته يصيب محض الصواب.¹

اللين والرفق : من الصفات التي يجب على الخطيب أن يتحلى بها اللين والرفق مع مخاطبيه, لأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف, فأسلوب الرفق واللين أدعى إلى استمالة السامعين وإقناعهم, أما أسلوب الشدة والعنف والغلظة فلا جدوى له في الواقع, وهذا ما يأمر الله به نبيه محمداً p بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.²

وقال جلّ وعلا أيضاً: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.³

والرسول p يقول: (إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

¹ أيضاً.

² آل عمران: 159

³ الأعراف: 199

شأنه¹ ويقول: (الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ).²

فتؤكد الآيات والأحاديث أن أسلوب الفظاظ والخشونة سبب لإعراض الناس وتوحشهم، وأسلوب اللين والتودد سبب المحبة والأنس والألفة، لأن الناس ينفرون بطبائعهم من الفظاظ والخشونة والعنف ويألفون الرقة واللين والرفق.³

تطويل الخطبة وتقصيرها:

إن مسألة تطويل الخطبة وتقصيرها مسألة نسبية، تتوقف على أحوال السامعين وظروفهم، فالخطيب الماهر هو الذي يعين مقدار الخطبة من حيث الطول والقصر، ملاحظاً أحوالهم وظروفهم.⁴

فإذا رأى الخطيب من المخاطبين إداراً وإعراضاً، أو وجد جمهورهم من البسطاء والعوام الذي لا يستطيعون متابعة الخطيب ذهنياً فينبغي له الاجتناب عن الإطالة.⁵

وهذا ما نجد في أحاديث الرسول ρ :

¹ انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 2594

² انظر: مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي مالك سهل بن سعد الساعدي، رقم الحديث:

22891، تعليق شعيب الأرنؤوط: متن الحديث حسن.

³ انظر: خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً، ص 7

⁴ انظر: خصائص الخطبة والخطيب: ص 164

⁵ انظر: مرشد الخطيب: ص 49

عن أبي وائل¹ قال: حَطَبْنَا عَمَّارًا² فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا يَا أَبَا الْيَقْظَانَ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ فَلَوْ كُنْتَ تَنْفَسْتَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مِئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا)³.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ⁴ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمَلِّكُمْ، وَإِنِّي أَتَحَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا.⁵

أما إذا رأى الخطيب من المستمعين إقبالا ورغبة فليطنب, كما إذا كان جمهور

¹ أبو وائل: شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي أسد خزيمه ويقال أحد بني مالك بن ثعلبة بن دودان الكوفي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز.

[انظر: تهذيب الكمال, 548/12]

² عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان: (57 ق هـ - 37 هـ). صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان. وهو أول من بنى مسجدا في الإسلام (بناه في المدينة وسماه قباء) وشهد الجمل وصفين مع علي. وقتل في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة. له 62 حديثا.

[انظر: الإصابة, 469/2]

³ انظر: صحيح مسلم, كتاب الجمعة, باب تخفيف الصلاة والخطبة, رقم الحديث: 869

⁴ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: (م 32 هـ) صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادما رسول الله ﷺ، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، له 848 حديثا.

[انظر: الإصابة, 233/4]

⁵ انظر: صحيح البخاري, كتاب العلم, باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة, رقم الحديث: 70

المستمعين من المثقفين, فليست الإطالة هنا بمذمومة ويحسن للخطيب أن يتوسّع في موضوعه ويتعمّق في معالجة أفكاره وآراءه,¹ بل الإيجاز مذموم في موضع الإكثار², وذلك إذا كان جمهور المستمعين يملك الاستعداد الكامل للتلقي الطويل والقدرة على الاستيعاب.³

لذا نرى أن خطب الرسول ρ لم تكن جميعها على نسق واحد من حيث طولها أو قصرها, فثبت في الصحيح أنّ رسول الله ρ كان يقرؤها كلّ يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس.⁴ ولا ريب في أن قراءة سورة (ق) التي تُعدّ خمساً وأربعين آية, تحتاج بقراءة رسول الله ρ وفق أحكام التجويد والتلاوة إلى مدّة لا بأس بها من الزمن تُضمّ إلى سائر مدّة الخطبة.⁵

هذا ما يشير إليه الجاحظ: " واستعمل ρ المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضوع القصر".⁶

التكرار وحسن البيان :

التكرار نوعان: تكرار ممدوح, وتكرار مذموم.

فالتكرار المذموم ما يكون بتكرار الكلمات أو إعادة العبارات نفسها. وهذا النوع

¹ انظر: مرشد الخطيب: ص 49

² انظر: نقد الشر, قدامة بن جعفر, ص 96

³ انظر: مرشد الخطيب: ص 50

⁴ انظر: مسلم, كتاب الجمعة, باب تخفيف الصلاة والخطبة, رقم الحديث: 1442

⁵ انظر: خصائص الخطبة والخطيب: 164-165

⁶ انظر: البيان والتبيين: 221/1

يُملّ الإنسان ويصيب الضجر.

أما التكرار الممدوح، فلا يكون بتكرار جمل معينة حرفاً بحرف، وإنما يكون بالأسس التي يعرض الخطيب من خلالها مضمون الخطبة. وفائدة هذا الأسلوب الإيضاح والتأكيد. وتزداد قيمته إذا كان مختلف الأشكال متنوع الصور.

يقول صاحب الكشاف في أهمية التكرار عند تفسير قوله تعالى: (المثاني): هذا بيان كونه متشابهاً لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة، والمثاني جمع مثني بمعنى مردود ومكرر لما ثني من قصصه وأبنائه وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعدته ووعيده ومواعظه ... "

ثم بيّن فائدة التكرار أن النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله.

ثم استدلل - رحمه الله - بنصح النبي ρ ثلاث مرات وسبعاً، وبيّن سرّه هذا التكرار أنه كان لتركيز الوعظ في قلوب السامعين وغرسه في صدورهم.¹

وحسن هذا النوع في كونه متجدد العبارات، متنوع الأساليب، أحياناً بالاستفهام، وأحياناً بالتنبيه، وأحياناً بالتقرير، وأحياناً بالترغيب والترهيب، وغيرها من الأساليب البلاغية.

فنرى أن النبي ρ كان يكرر موضوعاً واحداً خلال ثلاث عشرة سنة في مكة

¹ انظر: تفسير الكشاف، للزمخشري، ط1: 1397هـ، دار الفكر، بيروت، 3/395

المكرمة, وهو (قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا).¹

فهل كان عليه الصلاة والسلام يكرر هذه الجملة فقط طوال هذه المدة الطويلة؟
والجواب: لا. ومثل هذا التكرار آفة يُمل الإنسان.

في القرآن الكريم الكثير من هذا النوع. ومن ذلك تقرير التوحيد، وقصص الأنبياء،
وأحداث القيامة.

وهناك نوع آخر من التكرار وهو تكرار الكلمات الرئيسية أو الهامة: فإذا مر
الخطيب بهذه الكلمات فله أن يكررها حتى تثبت في قلوب السامعين.²

ونجد هذا الأسلوب من التكرار في عدة مواضع: في سورة الرحمن, وفي سورة
القمر, وفي سورة المرسلات, والقارعة.

أمثلة تطبيقية: قال الله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾³

ومثاله من الحديث قوله p وهو على المنبر (أن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في
أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي
طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فأنما هي بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذيني ما
أذاها).⁴

¹ انظر: مسند أحمد, مسند المكثرين, مسند أبي هريرة, رقم الحديث: 16066, تعليق شعيب الأرنؤوط :
صحيح وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين.

² انظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول p , ص 120

³ القارعة: 321

⁴ انظر: البخاري, كتاب النكاح, باب ذب الرجل على ابنته في الغيرة والإنصاف, رقم الحديث: 4932

فقوله (لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن) من التكرير الذي هو أشد موقعا من الإيجاز لانصباب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه من التزوج بابنة أبي جهل بن هشام.¹

وكذلك في حديث الرسول ﷺ (التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات)², كما في حديث قال (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن). قيل ومن يا رسول الله؟ قال (الذي لا يأمن جاره بوائقه).³

فهذا التكرار له غرضه وفائدته كالتأكيد والتحذير والتهويل, فلا يُعدُّ عيباً من عيوب الكلام.

والأمثلة الأخرى من التكرار في الحديث:

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ⁴ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: (أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ). حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ.⁵

¹ انظر: المثل السائر: 150/2

² انظر: مسلم, كتاب البر والصلة, باب تحريم ظلم المسلم, رقم الحديث: 2564

³ انظر: البخاري, كتاب الأدب, باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه, رقم الحديث: 5670

⁴ النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: (م 65هـ) أمير، خطيب، شاعر، من أجراء الصحابة. من أهل المدينة. له 124 حديثا.

[انظر: أسد الغابة, 22/5]

⁵ انظر: مسند أحمد, مسند الكوفيين, حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ, رقم الحديث: 18422, تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل سماك بن حرب وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَدْرِعِ¹ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: (يَوْمُ الْخُلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخُلَاصِ. يَوْمُ الْخُلَاصِ، وَمَا يَوْمُ الْخُلَاصِ؟. يَوْمُ الْخُلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخُلَاصِ، ثَلَاثًا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يَوْمُ الْخُلَاصِ؟ قَالَ: يَجِيءُ الدَّجَالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا فَيَنْظُرُ الْمَدِينَةَ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَتَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصَلِّيًا، فَيَأْتِي سَبْحَةَ الْجَرْفِ فَيَضْرِبُ رُؤُوفَهُ ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخُلَاصِ).²

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ³ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلْسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ). قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ).⁴

تغيير نبرة الصوت: من أسباب ضعف التأثير، وتطرق الملل والسآمة إلى

¹ محجن بن الادرع الاسلمي: (م 60 هـ) من كبار الرماة. صحابي. كان من سكان المدينة. ثم سكن الصبرة، وهو الذي اختط مسجدها. وعمر طويلا. وروى خمسة أحاديث.

[انظر: الإصابة, 778/5]

² انظر: مسند أحمد, مسند الكوفيين, حديث محجن بن الأدرع, رقم الحديث: 18996, تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه عبد الله بن شقيق لم يسمع محجن بن الأدرع.

³ أبو بكره الثقفي (م 52 هـ) نفيح بن الحارث بن كلدة الثقفي، أبو بكره: صحابي، من أهل الطائف. له 132 حديثا.

[الإصابة, 467/6]

⁴ انظر: صحيح البخاري, كتاب الشهادات, باب ما قيل في شهادة الزور, رقم الحديث: 2511

السامعين, أن يتحدث الخطيب بطبقة رتيبة على وتيرة واحدة.¹

عندما الخطيب نفسه كذلك فليبحث عن أي جملة مناسبة لتغيير من خلالها نبرة صوته بما يتوافق مع أسلوب الجملة.

التوقف قبل وبعد الأفكار المهمة:

الخطابة فنّ يستطيع به الإنسان طريقة إبلاغ أفكاره في أحسن صورة, ثم طريقة التأثير في سامعيه وحملهم على العمل بما يريد من خطبته.

ومن المميزات التي تجعل الخطيب ناجحاً, والخطبة مؤثرة, وقوف الخطيب بعد كل فكرة هامة, يريد الخطيب تركيزها في أذهان المستمعين. فعليه إذاً أن يصمت بعد كل فكرة مهمّة ما يجعل السامعين متنبهين ومتوجهين إلى كل ما سيأتي بعد هذا الصمت المفاجئ.

إن دراسة خطب الرسول ρ يكشف أنه ρ كان يستخدم أسلوب الصمت المفاجئ, وفي التالي أتناول بعض الأمثلة التطبيقية:

الأمثلة من الحديث: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ρ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: (أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: (أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: (أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: (أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ

¹ انظر: الخطابة وإعداد الخطيب: ص 43

اسمِهِ، قَالَ: (أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ).¹

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ² رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤَخَّرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.

قَالَ: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟) قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً قَالَ: (يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ).³

فالتوقف إذا جاء على وجهه دون تكلف وتصنع، فيزيد الخطبة قوة وتأثيراً. أما التكلف فهو يزري بالخطبة ويذهب بحسنه وجماله.⁴

¹ انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب حجة الوداع، رقم الحديث: 4144

² مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ. شهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. بعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. مات عام 18 هـ.

[انظر: الطبقات: 3/120؛ الإصابة: ت 8039؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبي الحسن بن الأثير الجزري، طبع القاهرة: 1386هـ: 4/376]

³ انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، الرقم: 30

⁴ انظر: خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً، ص 10

أسلوب الحوار: إشراك الجمهور في العملية الاتصالية:

هناك أساليب أخرى يجب أن يصطنعها الخطيب ليظفر باجتذاب انتباه السامعين, لأن الخطيب مهما كانت خطبته حسنة العبارات والأسلوب, إلى أن لم يستطع أن يشد انتباههم ويربطهم به, فلن يتابعوا أفكاره ويشاركوا معه في انفعالاته وعواطفه.

من هذه الأساليب أسلوب الحوار, وأثبتت الدراسات أنه أسلوب إعلامي رفيع المستوى, ولها دور في جذب انتباه المخاطبين, ودفعهم إلى قبول الأفكار, واستشارة العقل والوجدان.

ولقد كشف التحليل الإعلامي لخطب النبي ρ أن من أهم دلالات هذه الخطب استخدام الرسول ρ لأسلوب الحوار والإقناع المشترك في خطبة الصفا, ¹ يقول ρ : (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُتُّمُ مُصَدِّقِي).² وكذلك قوله في حجة الوداع: (أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ) قالوا: "نعم" قال ρ : (اللَّهُمَّ اشْهَدُ).³

¹ انظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ρ , ص 114

² انظر: البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب (وأندر عشرتك الأقرين) رقم الحديث: 4397

³ انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب حجة الوداع: رقم الحديث: 4141

الحركات والإشارات:

الحركات والإشارات جزء هامّ من حياة الإنسان, ولا يمكن له الاستغناء عنها, فإنه مهما كان هادئاً يحرّك إمّا يده أو رأسه أو منكبيه, أو عيونه أو حواجبه, وهي أداة من أدوات التعبير.¹

وفي هذا يقول الجاحظ: (وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة... وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتفتل والتثني...)².

الحركات والإشارات تتولّد من انفعال الخطيب بما يقول ويلقي على السامعين, فالخطيب الذي يكون هادئاً أثناء إلقائه, فهو كأنه لم يفعل بكلامه نفسه, فكيف يتوقّع من خطبته أن يفعل بها السامعون.³

أمثلة من الحديث:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ⁴ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْدِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ: (بُعِثْتُ أَنَا

¹ انظر: خصائص الخطبة والخطيب: ص 275

² انظر: البيان والتبيين: 56/1

³ انظر: مرشد الخطيب: ص 15

⁴ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي: صحابي, من المكثرين, روى عنه جماعة من الصحابة. غزا تسع عشرة غزوة. كان له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. توفي عام 78 هـ. له 1540 حديثاً في الصحيحين وغيرهما.

[انظر: الإصابة: 213/1]

وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ) وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: (أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)... الحديث.

وفي رواية: يَحْمَدُ اللَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ عَلَىٰ إِثْرِ ذَلِكَ وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ: ... ثُمَّ سَأَقُ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.¹

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَفِيَ الْمِنْبَرَ فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قَبْلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُثَلَّتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" ثلاثاً رواه البخاري.² عن أبي هريرة أنه قرأ {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَمِيعًا بَصِيرًا} قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ.³

كما ينبغي للخطيب التجنب عن الإسراف في الحركات والإشارات حتى لا يكون موضع سخرة وهزاء، لذا نرى أن الصحابة والتابعين يكرهون الإسراف فيها، ويعدونه خروجاً عن سنة رسولنا ﷺ.

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ⁴ أَنَّ عُمَارَةَ بْنَ رُوَيْبَةَ¹ رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ² عَلَىٰ

¹ انظر: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: 867

² انظر: صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، رقم الحديث: 716

³ انظر: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية والمعتزلة، رقم الحديث: 4728، صححه الألباني.

⁴ حصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ الأنصاري الأشهلي، أبو محمد المدني، (م 126 هـ)، روى له: د س (أبو داود - النسائي)، رتبته عند ابن حجر: مقبول، رتبته عند الذهبي: ثقة.

الْمَنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ فَقَالَ: قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ الْمُسَبَّحَةِ.³

أسلوب تحويل الانتباه:

من أساليب الإقناع المهمة "أسلوب تحويل الانتباه". وهذا يعني صرف انتباه السامعين من المشاكل والعوائق إلى الفرص. يستخدم الخطيب هذا الأسلوب لتثبيت أقدام المخاطبين، ويمنعهم من الفشل وذهاب الريح.

وسيرة رسولنا ﷺ حافلة بهذا الأسلوب، فنجده ﷺ - مثلاً - في غزوة بدر يحوّل انتباه الصحابة من قلة قوّة مادّيّة إلى كثرة قوّة معنوية كانوا يتمتعون بها، وهي كونهم على الحق في سبيل الله. فحوّل ﷺ انتباههم من قلة زادهم إلى كثرة فضل ربّهم، ومن قهر الأعداء إلى غلبة الله، ومن متاع الدنيا إلى سعادة الآخرة، وحوّلهم من اللجوء إلى الأسلحة والتوكّل عليها إلى ملجئ الله والتوكّل عليه.⁴

وهذا الأسلوب يستخدم تبعاً للظرف الاتصالي، ففي خطبة غزوة بدر حوّل

¹ عمارة بن روية الثقفي، أبو زهير الكوفي، صحابي، توفي بعد 70 هـ، روى له: م د ت س (مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي)، رتبته عند ابن حجر: صحابي.

[انظر: الإصابة، 581/4]

² بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي: (م 75 هـ) أمير، كان سمحا جوادا. ولي إمرة العراقين (البصرة والكوفة) لاختيه عبد الملك سنة 74 هـ.

[انظر: تهذيب، 248/3]

³ انظر: أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين على المنبر، رقم الحديث: 1104، صححه الألباني.

⁴ انظر: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، ص 120

الرسول ﷺ انتباه جماعة المسلمين إلى القوة الحقيقية وهي قوة الإيمان لرفع الروح المعنوية للجندي المسلم، وفي خطبة غزوة تبوك حوّل الرسول ﷺ انتباه الجيش من المعركة مع العدو إلى الانتصار على النفس وجهاده لتخليص الرأي العام من الجاذبية المادية وجاذبية الهوى وجاذبية الأعراف السائدة، وتقوية الجبهة الداخلية قبل الاتصال الحضاري بالأمم الأخرى.

أسلوب إحكام الاتصال والتزام بث الحقائق والبعد عن الهجاء الجاهلي:

لقد كان مجتمع العرب قبل الإسلام هو مجتمع المفاخرة والمنافرة بالحق أو بالباطل، وكان الشعر فيه للمدح والهجاء أكثر من الأغراض الأخرى، وعندما جاء الإسلام علم الرسول ﷺ فن الاتصال بالناس، فبينما كانت المفاخرة والمنافرة في صفوف المشركين يوم بدر قد أخذت حيزاً كبيراً من اتصالاتهم بالناس كان الرسول ﷺ أبعد الناس عن الهجاء السياسي وهو يقوم بالإعداد المعنوي لجند الإسلام في بدر، ويوم فتح مكة دخل الرسول ﷺ خاشعاً لله حامداً شاكراً لنعم ربه عليه، هذا الأسلوب هو غاية ما يطمح إليه رجال الإعلام والاتصال بال جماهير.¹

¹ الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، ص 121-122

القصة وأثر الحديث فيها

التمهيد

عرف الإنسان القصة منذ القدم. ولا يوجد أدب من الآداب العالمية إلا وكان للقصة فيها وجود. فالأدب العربي، مثل الآداب العالمية، وجدت القصة منذ زمن بعيد.

ثم القصة النبوية ρ موضوع مهم من موضوعات الأدب العربي. مع أن النبي ρ لم يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، وإنما الهدف الأساسي لسرد النبي ρ تلك القصص هو الدعوة والتبليغ، لأنه ρ من أجله بعث، ومن أجله اصطنع الأساليب الكثيرة.

سأتكلم في الفصل التالي عن القصة وعناصرها الفنية، وأنواعها، وأهميتها عند العرب، ثم عن أغراض القصة النبوية ρ وأنواعها، وأثر الحديث عليها.

القصة وأثر الحديث فيها

قبل أن أقوم بدراسة القصة الحديثية يجدر بي أن أقف على جملة من الأمور, منها: تعريف كلمة "القصة" لغةً واصطلاحاً, وعناصرها, وأنواعها, وأهميتها, ونشأتها عند العرب.

القصة لغةً واصطلاحاً

القصة لغةً:

إن مادة كلمة "القصة" (قصص) ولها عدة معانٍ, منها: "البيان" كما جاء في القرآن الكريم ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾¹, ومنها "تتبع الأثر شيئاً بعد شيء" كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾² أي اتبعي أثره, "وقيل للقاص يقص القصص لاتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً"³ ومنها "الخبر وهو القصص والقصص الخبر المقصوص" وسمي الخبر الطويل قصصاً لأن بعضه يتبع بعضاً فيطول, وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص.⁴

والقصة الأمر والحديث⁵, أو هي: الخبر, وهو القصص. وقص على خبره يقصه قصاً, وقصصاً: أوردته. والقصص: الخبر المقصوص. وتقصص كلامه حفظه.

¹ يوسف: 3

² القصص: 11

³ انظر: تهذيب اللغة: مادة (قصص) 256/8

⁴ انظر: لسان العرب, مادة قصص, 74-73/7

⁵ انظر: محيط المحيط, بطرس البستاني مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, 1993م, 173/2

وتقصص الخبر: تتبعه... " 6

وفي اللسان: " .. القاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها.. " 7.

ونلاحظ مما سبق من هذه الدلالات اللغوية حول مادة (قص) أنها في الأصل تعني التتبع والاقتفاء, وهو معنى ملحوظ في القصة التي هي الجملة من الكلام المقصوص, والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاص حين يمارس عمله في قص الخبر فهو يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها.

القصة اصطلاحاً:

لقد عرّف بعض الأدباء المعاصرين القصة بأنها "حكاية حوادث وأعمال, وتصوير شخصيات بأسلوب مشوق ينتهي إلى غاية مرسومة وغرض مقصود" 8. وعرّفها آخرون بأنها: "حكاية ثرية طويلة تستخدم من الخيال أو الواقع أو منهما معاً, وتبنى على قواعد معيّنة من الفنّ الكتابي" 9.

وقال بعض الآخرين: "القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب, وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة, تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة, تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة, على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه

6 انظر: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة, لابن سيده, ط1: 1391هـ, نشر البايع الحلبي, مصر: مادة (قصص) 65/5

7 انظر: اللسان: مادة (قصص)

8 انظر: فن القصة: أحمد أبو سعيد, دار الشروق الجديد, بيروت, 1959م, 7/1

9 انظر: المعجم الوسيط, مادة (قصص), 746/2

الأرض. ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثير".¹

العناصر الفنية لبناء القصة الحديثة

هناك بعض الأصول تعتبر من القواعد الأساسية في بناء القصة الأدبية, ويجب على القاص أن يراعيها في قصته, والتي نسميها هنا عناصر القصة, وهي:

1- الحدث أو الأحداث:

الحدث هو الموضوع الذي تدور حوله القصة, ويعدّ العنصر الرئيسي فيها, إذ يعتمد عليه في تنمية المواقف, وتحريك الشخصيات,² وبعث القوة والحركة والنشاط في القصة, وسوق الحوادث, الواحدة تلو الأخرى, حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة, التي تطمئن إليها النفس, والتي تتفق مع منطق الكاتب, ونظرته الخاصة للحياة.³

2- الشخصيات:

لا بد للقصة من وجود الشخصيات فيها, لأن القارئ حينما يقرأ القصة, لا يعني بالحوادث إلا لأنها تلقي أضواء على مسارب⁴ شخصيته,⁵ لأن الشخصية

¹ انظر: فن القصة, لمحمد يوسف نجم, دار الثقافة, بيروت, ص9

² انظر: القصة في القرآن, لثناء الله حسين, مجلّة (الدراسات الإسلامية), العدد الأول, والمجلّد (40), الربيع (يناير-مارس) 2005م, مجمع البحوث الإسلامية, الجامعة الإسلامية العالمية, إسلام آباد, ص193

³ انظر: فن القصة, لمحمد يوسف نجم, ص31

⁴ مسرب (ج) مسارب: مكان السروب. [المعجم الوسيط, 425/1, مادة: (سرب)]

⁵ فن القصة, لمحمد يوسف نجم, ص53

الشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث.¹
 فعلى الكاتب أن يحسن رسم شخصيات القصة, لأن الذي يعلق بذهن
 القارئ بعد القراءة, هو ليس تطور الحوادث وتعقدتها, بل الشخصية الإنسانية
 النابضة التي خلقها الكاتب.²

3- الحكمة:

الحبكة هي بنية القصة, فإذا كانت الحكاية هي مادة القصة, فإن الحكمة
 هي نظام يشد أجزاء الحدث ويتولى تركيبها وترتيبها في بناء متكامل.³

4- البيئة

ومن العناصر الأساسية لبناء القصة (بيئة القصة). هي التي تدور فيها
 الأحداث وتتحرك الشخصيات.⁴ وهي حقيقة القصة الزمانية والمكانية, وتسمى
 الجو أيضاً. وهي من أهم عناصر بناء القصة, لأن الحدث لا بد أن يقع في زمان
 ومكان. فالكاتب يستعين في رسم بيئة قصة, بنفس الوسائل التي يستعين بها في
 سرد الحوادث أو رسم الشخصيات أي بالملاحظة والمشاهدة, أو من قراءاته
 الخاصة, أو ينسجها بخياله نسجاً, مسلطاً عليه قوة الاختراع والإبداع, معتمداً
 على يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة.⁵

¹ انظر: القصة في القرآن, ص194

² انظر: فن القصة, لمحمد يوسف نجم, ص53

³ انظر: معجم مصطلحات نقد الرواية, لـ د. لطيف زيتوني, ط1: 2002م, دار النهار للنشر,
 بيروت, ص72

⁴ انظر: القصة في القرآن, ص194

⁵ انظر: فن القصة, لمحمد يوسف نجم, ص108

5- أسلوب القصة:

أسلوب القصة هو الطريقة التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه, لتحقيق أهدافه الفنية.¹ للأسلوب أنواع, منها:

فالسرد: هو عملية نقل الأحداث والوقائع والمواقف من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية تصورها وتمثلها لدى القارئ, بطريقة تجعله يتخيلها وكأنه يراها ويشاهدها, فيها حركة وفيها حياة. وللسرد عدة طرق: منها (السرد المباشر) و (السرد الذاتي) و(طريقة الوثائق).

والحوار: الحوار هو جزء هامّ من الأسلوب التعبيري, ومن أهم وسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات, ومن أهم مصادر المتعة في القصة, والتي تتصل بها شخصيات القصة بعضها ببعض.

إن الحوار يستعمل أحياناً في تطوير الحوادث, واستحضار الحلقات المفقودة, ويستخدم هذا الأسلوب لجعل القارئ أكثر قرباً من الحدث, لأنه أوثق صلة بالحياة, وأصدق تعبيراً عن النفس الإنساني.²

لكن مما يؤخذ على أسلوب الحوار استعمال اللهجة العامية, والتي تؤدي إلى بلبلة وسوء الفهم.³

أما الوصف: فإنه أسلوب يتخلل العمل القصصي كله, ويمهد به الكاتب لعبارات المتحاورين, وقد يستخدمه الكاتب غير مرتبط بالحدث, أو بالحوار ليصر به أحداث القصة, وهو يؤدي في القصة وظيفة فنية خاصة وهو يمثل الجو النفسي

¹ فن القصة, محمد يوسف نجم, ص112

² نفس المصدر, ص117-118

³ نفس المصدر, ص120-122

الذي تجري فيه أحداث القصة.¹

6- الفكرة:

المراد من الفكرة: هو الفكر الذي يسود القصة, وما يدور حوله الحكاية والأحداث. فيجب أن لا تكون الفكرة المعالجة مصوغة في قالب وعظي أو على هيئة حكمة وألا يظهر فيها تحبيذ أو النهي عن شيء. بل يجب تكون الحكمة أو الموعظة مطوية في غضون الحوادث, خالصة إلى القارئ دون ظاهرة من المؤلف وأن يكون التحبيذ أو النهي كامناً في أعطاف السرد غير ملموس بالكلام المكشوف.²

¹ فن القصة, محمد يوسف نجم, ص 149

² انظر: عن اللغة والأدب والنقد, محمد أحمد الغرب, المركز العربي للثقافة والعلوم, بيروت, ص 393-

القصص والعرب

عرف الإنسان الحكاية منذ القدم. ولا يوجد أدب من الآداب العالمية إلا وكان للقصّة فيها وجود، ولكن هذا الوجود كان يختلف من أدب إلى آخر. والأدب العربي مثل الآداب العالمية.

عرف العرب القصّة منذ أقدم العصور، وتراثهم حافلٌ بالأشكال القصصية المختلفة التي تدل بشكل جازم على فطرة تنشئ القصّة وتتذوقها.¹

وقد شهد لذلك بعض المستشرقين من مثل: كارل بروكلمان²: "لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو إليه الأعين عند عرب الجاهلية، بل كان القاص يقوم أيضاً مقاماً هاماً إلى جانب الشاعر في سمر الليل، بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة، وفي مجالس أهل القرى والحضر. وليس هناك بطبيعة الحال تسجيلات معاصرة لهذه الأقاويص".³

كما يقول المستشرق نالينو إلى مثل ما ذهب إليه بروكلمان، فأقر بأن عرب الجاهلية كان لهم تراثهم القصصي المتعلق بأنسابهم وغزوهم وأيامهم، وذكر أن العرب كانوا يسردون قصصهم في المواسم والأسمار ..⁴

¹ انظر: القصص في الحديث النبوي، عمر بن حسن الزبير، ط1: 1398هـ، المكتبة السلفية، القاهرة، ص33

² بروكلمان Brockelmann (1868-1956م): مستشرق ألماني. له "تاريخ الآداب العربية" و "تاريخ الشعوب الإسلامية".

[انظر: المنجد في الأعلام: ص129]

³ انظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ط3: 1962م، دار المعارف، بيروت، 128/1

⁴ انظر: الأدب الجاهلي، غازي طليمات وعرفان الأشقر، ط1: 2001م، دار الفكر، دمشق، ص702-703

فهناك بعض المستشرقين يرون أن الأدب العربي القديم كان فقيراً من الناحية القصصية إلى حد كبير, وأن العرب لم يعرفوا القصة ولم يمارسوها في ماضيهم, مثل المستشرق الفرنسي ارنت رينان¹, وغيره,² كما قال بلاشير³: "تجدر الإشارة من جهة أخرى إلى أن الانتحال لا يبقى محصوراً في الشعر بل يتناول النثر, حتى لتستطيع الجزم أنه ليس لدينا باستثناء القرآن سطر واحد من النثر, يرجع تاريخه إلى هذا العهد".⁴

لكن النظر الدقيق يرجح كفة بروكلمان ونلليو للأمر التالية:

- 1- القصة ظاهرة إنسانية عرفتها الشعوب القديمة, والعرب من هذه الشعوب الموغلة في القدم, فلماذا يعرفها جيران العرب, ويجهلها العرب؟
- 2- نصّ القرآن الكريم في مواضع كثيرة على شيوع القصص بين الناس, وأشار إلى أن قصص الأنبياء كانت معروفة على نحو ما, فجاءهم القرآن الكريم بالوجه الصحيحة لهذه القصص, ولأخبار الصالحين....

¹ رينان (إرنست) Renan (1823-1892): كاتب وعالم أثري فرنسي. له "حياة يسوع". كان من أول المهتمين بالتنقيب في لبنان وفلسطين.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص317]

² انظر: القصص في الحديث النبوي: ص33

³ بلاشير. ريجس, ل. (R. L Blachere) (1900 - 1973 م): من علماء المستشرقين ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع الفرنسي الأعلى (الأنستيتو) بباريس. فرنسي, ضليع من العربية. ألف بالفرنسية كتباً كثيرة ترجم بعضها إلى العربية. من كتبه (ترجمة القرآن الكريم) و (تاريخ الأدب العربي) نقله إلى العربية د. إبراهيم الكيلاني, و (قواعد العربية الفصحى) و (أبو الطيب المتنبي) نقله إلى العربية د. أحمد أحمد البدوي, و (معجم عربي فرنسي إنكليزي).

[انظر: الأعلام: 72/2]

⁴ انظر: الأدب الجاهلي, ص703

3- في الأدب الموروث عن العصر الجاهلي قصص كثيرة، ولا موضع للخلاف في صحة هذه القصص، بل الخلاف في الزمان الذي تنتمي إليه. ولا يضيرها عزوها إلى الطور الثالث من تاريخ العرب، وهذا الطور - على تأخر العهد به - جاهلي لا إسلامي، وهو طور العرب المستعربة، وهم الذي يسميهم بعض المؤرخين: العدنانيين أو الإسماعيليين. والقصص التي تحدرت إلينا من هذه الفترة أحلاط من قصص الملوك والرحلات والحروب والأساطير، وأخبار الجحان، والنوادر والخرافات.

4- الشك في حفاظها على بنائها الفني الذي سبق الطور الثالث لا يلغيها، وإذا صحّ أنه أصابها تغيير فهذا التغيير لم يخرجها عن أصلتها وانتمائها إلى عرب الجاهلية. وهب التحريف أصابها في عصر صدر الإسلام فأصلها ثابت، وعزوها إلى العصر الجاهلي حقّ لأبناء ذلك العصر.

5- ذكرت كتب الأدب أن نفرًا من القصاصين الجاهليين المشهورين قد أدركوا الإسلام، فكيف ننكر على العصر الجاهلي الذي أنبتهم فن القصة، وبضاعتهم كلّها منه؟ وأشهرهم: النضر بن الحارث¹، وقيم الداري²، والأسود بن

¹ النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين بيدر. له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم. ولما ظهر الإسلام وآذى رسول الله ﷺ كثيراً. كان إذا جلس مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار. أسر في بدر، وقتله المسلمون.

[الكامل لابن الأثير: 26/2 ؛ الأعلام: 33/8]

² تميم بن أوس بن خارجة الداري: صحابي، نسبته إلى الدار بن هانئ، من لخم. أسلم سنة 9 هـ. كان يسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان. فنزل بيت المقدس، أول من أسرج السراج في المسجد. كان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين. له 18 حديثاً في البخاري ومسلم.

[انظر: الإصابة، 367/1]

سريع¹.

6- قد تضعف الرواية المحفوظة في الصدور ثقة القارئ في انتماء النصوص كلها إلى الجاهلية الأولى, لكنها لا تضعف انتماء القصة كاملة إلى العصر الجاهلي المتأخر. لأن طائفة كبيرة من هذه القصص تتصل بأيام العرب وأنسابهم, والعرب حراس على مفاخرهم لا يفرطون فيها, والرواة الذين نقلوها ثقات لم يوصفوا بالانتحال والوضع والتزويد.

7- إن عصر التأليف في هذا اللون من الأدب هو عصر التأليف في الألوان الأخرى, هو - وإن تأخر بضع سنين - فتأخره لا يشكك في صحة التراث القصصي. ذكر بروكلمان أن أول من ألف في هذا الفن أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بأبي العيلاء² إذ صنف كتاباً في قصص الحمقى وأقوالهم وأفعالهم. ثم أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري³ إذ صنف كتاباً فيه مجموعة من قصص وحكايات ونوادير طريفة, وكتاباً آخر هو كتاب "المجالسة وجواهر العلم" وفيه قصص وأحاديث. ويمكن أن نلحق بهذه الكتب كتاب "الأوراق" لأبي بكر

¹ انظر: تاريخ الآداب العربية, للرافعي, ص242

² أبو العيلاء: محمد بن القاسم بن خلاد: ولد ونشأ في الأهواز وتوفي في البصرة. أديب وشاعر. تلقى العلم على أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد. انتقل إلى بغداد واتصل بالمتوكل في سامراء. له أخبار ونوادير في قصر الخليفة ومجالس الأمراء حفلت بما كتب الأدب. (م 282هـ).

[انظر: الوافي في الوفيات: 571/1]

³ أحمد بن مروان الدينوري المالكي, أبو بكر: قاض, من رجال الحديث. كان على قضاء (القلزم) ثم ولي قضاء أسوان بمصر عدة سنين. وتوفي بالقاهرة عام 333 هـ (أو 310هـ). من كتبه (المجالسة وجواهر العلم) و (الرد على الشافعي) و (مناقب مالك) وفي العلماء من يتهمه بوضع الحديث.

[انظر: كشف الظنون, لحاجي خليفة, منشورات مكتبة المشى, بيروت: 1591؛ الأعلام: 256/1]

محمد بن يحيى الصولي¹ فإن فيه قصصاً لم تُعر إلى أصحابها, لكنها أصابت حظاً من الفن القصصي غير يسير.²

8- الدليل اللغوي: وإذا نظرنا في اللغة العربية من أجل أن نستبين الصلة

بين العرب وعنصر القصة من خلال ظاهرة اللغة نجد مجموعة من الألفاظ التي تدل بوضوح على رسوخ العنصر القصصي كلون من ألوان التعبير الأدبي منذ العصر الجاهلي في المجتمع العربي. وهذه الألفاظ متنوعة بحيث تعطي دلالة على تنوع الآثار القصصية تنوعاً يلائم الباعث للأثر القصصي من ناحية ويلائم وظيفته التي يراد له أن يحققها من ناحية ثانية, كما تؤكد لنا هذه الألفاظ أن العقلية العربية كان لها علم ما بالإبداع القصصي بوجه عام.

نجد من هذه المصطلحات "الحكاية" وهي تحمل معنى التقليد والمحاكاة³, فالحكاية مرتبطة بمحاكاة الواقع, وكأنما المتحدث بها يتحرى أن يصور الواقع الذي حدث ويحاكيه في حديثه.

وهناك أيضاً "الرواية" وهي نقل الخبر أو الحديث من شخص إلى آخر⁴, وكذلك "المقامة" وهي في الأصل من المقام وهو المكان الذي يقوم فيه المتحدث إلى القوم,⁵ كما يطلق أيضاً على القوم المجتمعين في المكان الذي هو بمثابة

¹ محمد بن يحيى بن عبد الله, أبو بكر الصولي: من أكابر علماء الأدب. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباسي (الراضي والمكتفي والمقتدر). وله تصانيف, منها: (الأوراق) و (أخبار الراضي والمتقي) و (أخبار الشعراء المحدثين). وله (أدب الكاتب) و (أخبار القرامطة) و (الغمر).

[انظر: وفيات الأعيان: 508/1؛ النجوم الزاهرة: 296/3؛ تاريخ بغداد: 427/3]

² انظر: الأدب الجاهلي, ص 703-705

³ انظر: لسان العرب, مادة (حكي), 191/14

⁴ انظر: اللسان, مادة (روى), 348/14

⁵ انظر: اللسان, مادة (قوم), 498/12

المنتدى، يستمع فيه القوم من أحدهم إلى سرد الأحاديث والأخبار، وقد قال زهير¹:

وفيهم مقامات حسان وجوهها
وفي معنى الجماعة أيضاً قال لبيد³:

ومَقَامَةٌ غُلِبَ الرَّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى بَابِ الْحَصِيرِ قِيَامٌ⁴

وقد تطورت المقامة من خلال هذا المعنى إلى أن أصبحت فناً معروفاً له شخصيته الأدبية على يد بديع الزمان الهمداني⁵ والحريري⁶ فيما بعد. وهناك "السمر" وهو يطلق على الحديث بالليل⁷، ثم صار يراد بـ "السمر"

¹ زهير بن أبي سلمى (نحو 530 - 627م): شاعر جاهلي من أصحاب المعلقة. دقيق الوصف متين التنسيق، رزين مترو، ميال إلى الحكم. يعتبر من أشعر شعراء عصره. له "ديوان".

[انظر: الأعلام: 52/3]

² انظر: زهير بن أبي سلمى: ديوانه: 35/113 ل

³ لبيد بن ربيعة (نحو 560 - 661م): من بني عامر. شاعر مخضرم من أصحاب المعلقة. انتقل إلى الكوفة بعد إسلامه. اشتهر برثاء أخيه أربد. له "ديوان".

[انظر: الأعلام: 24/5]

⁴ انظر: ديوان لبيد: 10/290 م

⁵ بديع الزمان: هو أبو الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان، من أدباء العصر العباسي. ولد في سنة 375هـ بهمدان وبها نشأ وتوفي سنة 398هـ. وفيه قال الثعالبي: "هو بديع الزمان ومعجزة همدان، ونادرة الفلك، وبكر عطار، وفرد الدهر، وغرة العصر".

[انظر: معجم الأدباء: ج2، ص161؛ وفيات الأعيان: ج1، ص127]

⁶ القاسم بن علي بن محمد عثمان، أبو محمد الحريري البصري: الأديب الكبير، صاحب (المقامات الحريرية) سماه (مقامات أبي زيد السروجي). ومن كتبه (درة الغواص في أوهام الخواص) و (ملحة الإعراب) و (صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور). مولده بالشام ووفاته بالبصرة عام 516هـ.

[انظر: وفيات الأعيان: 419/1 خزانة البغدادى: 117/3]

⁷ انظر: اللسان: 377/4، مادة (سمر).

ذلك الحديث الذي يتناول في تلك المجالس الليلية، وقد ضاقت الدلالة شيئاً فشيئاً حتى صارت تعني ضرباً من الحكايات والقصص المتميزة بنوع من السرد القصصي والتي يراد منها تزجية الفراغ في الليالي المقمرة وقد اجتمع القوم للحديث والاستماع.

كما نجد أيضاً "الخرافة": الخرافة حديث مستملح كذب خرافة¹ من بني عذرة² أو من جهينة³ اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس⁴.

وكذلك "الأسطورة" تعني الحديث الباطل الكاذب وجمعها الأساطير أي الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها⁵، كما نجد "الأمثال المبنية على الحوادث" كقول العرب: "وافق شئ طبقة"⁶ و "قطعت جهيزة قول كل خطيب"¹

¹ خرافة: كان رجلا من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهرًا طويلًا ثم رده إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة.

[انظر: مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، رقم الحديث: 25283، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد وللاختلاف عليه في وصله وإرساله]

² عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث، من قضاة، من قحطان: جد جاهلي. من بني بطون عامر، وكاهل، وإياس، وعوف، ورفاعة. انتقلت جماعات منهم إلى الأندلس.

[جمهرة أنساب العرب، ابن حجر الأندلسي، تحقق: ليفي بروفنسال، مطابع دار المعارف، مصر، 1948م، ص419]

³ جهينة بن زيد بن ليث، من قضاة: جد جاهلي، النسبة إليه (جهني) نزل كثيرون من بنيه بعد الاسلام، بالكوفة والبصرة وصعيد مصر.

[الباب، 259/1]

⁴ انظر: اللسان: 66/9، مادة (حرف).

⁵ انظر: تهذيب اللغة: 351/7

⁶ وتفصيل هذا الحادث ان طَبَقَةُ قَبِيلَةٍ من إباد كانت لا تطاق فوقع بها شئ بن أقصي بن عبد القيس

" و "الصيف ضيعت اللبن² ".

لكن أشهر الألفاظ في اللغة التي تدل على شكل التعبير القصصي وأكثرها صراحة في ذلك هو لفظ "القصة" التي قد تناولها بالتفصيل.³

القول الوسط:

فما سبيل التوفيق إذن بين هاتين الفئتين؟ خير ما قيل في هذا هو أن الذي لم يعرفه العرب هي القصة في ثوبها الجديد وبقواعدها وأصولها الفنية المعروفة الآن. وعرفوا القصة الحديثة الفنية الحديثة إلا في العصور الحديثة.⁴

بن أفضى بن دُعْمَى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار فانتصف منها وأصابته منه فصار مثلاً للمتفقيين في الشدة وغيرها.

[انظر: مجمع الأمثال, 359/2]

¹ والحادث وراء هذا المثل: أنّ قوماً بينا يخطبون في صلح بين حين قتل أحدهما من الآخر رجلاً ويسألون الرضا بالدية جاءت أمه اسمها جهيزة فقالت إن القاتل ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله فقبل ذلك يضرب لأمر قد فات وايس من إصلاحه وقيل هي جهيزة التي يضرب بها المثل في الحمق وإنه مثل فيمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

[انظر: المستقصى في أمثال العرب, 197/2]

² وأصل هذا المثل ان عمرو بن عمرو بن عدس تزوج بنت عمه دختنوس بنة لقيط بن زرارة بعد ما أسن وكان أكثر قومه مالا فكرهته فطلقها ثم تزوجها فتى جميل الوجه أجذبَتْ فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوبة فقَالَ عمرو "في الصيف ضيعت اللبن".

[انظر: مجمع الأمثال, 68/2؛ كتاب جمهرة الأمثال, لأبي هلال العسكري, ط2: 1988م, دار

الفكر, دار الفكر, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش, 576/1]

³ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص38

⁴ نفس المصدر: ص74

أنواع القصة

1. الفابليو: (أي الخرافة الصغيرة) وهي حكايات شعبية انتشرت من نصف القرن الحادي عشر إلى أوائل القرن الحادي عشر للميلاد. وكانت في سماتها وميزاتها قريبة إلى الملهاة¹. وكانت فيها بعض الصبغ الخلقية أو الاجتماعية أو الواقعية أو النقدية أو اليومية، التي يقاسيها جمهور من الناس.

2. قصص الحب والفروسية: هذا النوع من القصص يدور حول المرأة التي يحبها الرجل، وهي قصص يمتزج فيها حسّ الفروسية بحسّ الحبّ. وللعرب في هذا النوع دور بارز، لأنهم تلقوا هذه الظاهرة الفنية والإشعاع من خلالها على العصور الوسطى.

مع أن اليونان عرفوا الحبّ وكانت في فلسفة أفلاطون مساحة ذات أهمية كبيرة، إلا أن العرب أعطوا للحب نوعاً من الأهمية بحيث أنزلوا من سماء التجريد إلى أرض الواقع.

كان الحب قبل ذلك غير مقتصر على المرأة، فألزمه العرب بها، وخلطوا حسّ الحبّ بحسّ الفروسية كأنه سبب لحبّ الحميلات، واهتموا بهذا النوع اهتماماً كبيراً، لا مثال له في الآداب الأوربية.²

وفي عصر النهضة الكلاسيكية ظهر نوعان من القصص:

3. قصص الرعاة: وهي قصص أقرب إلى واقع الحياة بالنسبة إلى قصص الحبّ والفروسية. فالحوادث فيها ذات صبغة إنسانية، وأبطالها دائماً من

¹ الملهاة: مسرحية منثورة أو منظومة تصف معائب الناس ورتائلهم في صور مضحكة.

[المعجم الوسيط، 843/2، مادة (هو)]

² انظر: عن اللغة والأدب والنقد، ص178

الطبقة الأرستقراطية. وقد نشأ هذا النوع على التوالي في الأدب الإيطالي أولاً، ثم في الأدب الإسباني ثانياً، ثم في الأدب الفرنسي.

4. قصص الشطار: برز هذا النوع من القصص في أوروبا أثناء قرني السادس والسابع عشر للميلاد، وظهرت في بادئ الأمر في أسبانيا¹ نتيجة عن التأثير بالمقامات العربية، بعدما تمّ رواج المقامات هناك. ومن المؤكد تاريخياً أن مقامات الحريري عرفت في الأدب العربي في أسبانيا.

ومن مميزات هذه القصص أنها قطعت مسافة فسيحة نحو الواقع . . . وكان المؤلف يسردها بضمير المتكلم كأنها جرت له، وكان يملؤها بهجاء المجتمع اللاذع، ويبدو البطل فيها مترحلاً (بوهيمياً)، هائماً² على وجهه، منقطعاً عن مجتمعه، نفعي النظرة والحكم، غريزي الإحساس بالأشياء ...

ويوجد بين المقامات العربية وبين قصص الشطار الإسبانية التشابه، ما يؤكد ويدل على مدى تأثير كتاب الأسبان بها في قصصهم.³

وفي أواخر القرن الثامن عشر، وفي ظل الحركة الرومانتيكية ظهرت:

5. القصة الاجتماعية: وهي تصوّر لنا التطور الطبيعي الذي حدث لقصص العادات والتقاليد، وقد جاء هذا اللون من القصص مستجيباً لطبيعة الحركة الرومانتيكية في ميلها الشديد إلى إعطاء أفراد المجتمع حقوقهم ومعاملتهم بالعدل، وليعمّ بينهم التعاون الاجتماعي، وتكون بينهم السيادة للشعب ...

¹ مملكة إسبانيا هي مملكة، تقع في الجزء الجنوبي الغربي من القارة الأوروبية.

(www.wikipedia.org)

² هام على وجهه: خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه وفي الأمر تخير فيه واضطرب وذهب كل مذهب.

[المعجم الوسيط، 1004/2، مادة (هام)]

³ انظر: عن اللغة والأدب والنقد، ص 179

6. والقصص التاريخية: التي كانت صدى لحرص الرومانتيكيين على إحياء ماضيه الوطني التاريخي. ويعد (الترسكوت)¹ الأب الشرعي للقصة التاريخية في أوروبا.²

7. قصص الأشباح: وهي نوع من القصص التي تبدو حية، وتملاً النفس بالرعب وتبتّ فيها الفرع، وتدعو إلى الدهش. وقد يقصد إلى الوعظ والنصيحة، أو الإخافة وإثارة الهلع في النفس.

وهذا النوع موجود في الآداب العالمية، ومعروفة في الأدب الغربي وغيره.

8. قصة الأطفال: وهي نوع من القصص الخرافية، ومعروف في الغالب عند جميع الأمم.

يذيع بها صيت الهند والصين، يكتبه كتّاب كبار. ولأنها قديمة ومن القصص الشعبية، فإن كتّاب كثير منها غير معروفين.

ويكثر اعتماد هذا اللون من القصص على الأساطير والخرافات والأعمال الخارقة بأسلوب سهل مطّول. وهي تسهم في تنمية التصور والخيال في قلوب الأطفال، وخاصة إذا أحدث الكاتب في قصته بعض الحيل السحرية.

9. القصة البوليسية: وهي لون من الأدب القصصي الخيالي يتناول جريمة محيرة وعدداً من مفاتيح الحلّ مع شرطي سري يحلّ اللغز، في معظم القصص

¹ والترسكوت: Walter scott le talisman : الكاتب البريطاني الشهير سير والتر سكوت هو واحد من أهم الكتاب البريطانيين في كل العصور، وهو من أبرز كتاب رواية الفروسية، والنبيل. وقد عاش في الفترة بين عامي 1777، و1832، وهو صاحب العديد من المؤلفات ومنها «ايفانفو»، و«سيدة البحيرة» و«القمز الأسود»، و«روب روي» «rob roy» وغيرها من الروايات.

[انظر: <http://www.suhuf.net.sa>]

² انظر: عن اللغة والأدب والنقد، ص 179

البوليسية تكون الجريمة جريمة قتل, والمفاتيح إمّا مؤدّية إلى الحلّ أو إلى الابتعاد عنه.¹

وقد بدأ هذا الفن القصصي عام 1841م بقصة (القتلة في شارع مورج).²

10. قصة الجامعة: نوع من القصص الشعبية التي يرويها راوٍ واحد, وهي عبارة عن سلسلة من الحكايات المختلفة, لا يربط بينها سوى الراوي, مثل قصص ألف ليلة وليلة.

11. قصة الحيوانات: نوع من القصص التي يجعل المؤلف فيها البطلَ حيواناً, وتدور الأحداث حول تصرفه. ومثل هذا كثير في القصص الرمزي.³

وكتاب (كليلة ودمنة) من أهم الكتب في هذا النوع, ترجمه عبد الله بن المقفع من الفارسية إلى العربية في أسلوب جميل متين.

ازداد عدد قراء هذا الكتاب في العصر العباسي وما بعده من العصور, ووضعت بعد ذلك قصص على نسقه وأسلوبه. فألف سهل⁴ بن هارون كتاب

¹ انظر: الموسوعة العربية العالمية, 18/195

² انظر: المعجم المفصل في الأدب, محمد التونجي، الدكتور, ط1 : 1413هـ, دار الكتب العلمية, بيروت ص708

³ انظر: المعجم المفصل في الأدب, ص708

⁴ سهل بن هارون, أبو عمرو: كاتب بليغ, حكيم, من واضعي القصص, يلقب (بزرجمهر الإسلام) فارسي الأصل, اشتهر بالبصرة, واتصل بخدمة هارون الرشيد, وارتفعت مكانته عنده, حتى أحلّه محل يحيى البرمكي صاحب دواوينه. من كتبه (ثعلة وعفرة) و (الإخوان) و (المسائل) و (المنزومي والهلذلية) و (ديوان رسائل).

[انظر: فوات الوفيات, ابن شاکر, تحقيق: إحسان عباس, دار صادر, بيروت, 1973م: 181/1؛

إرشاد الأريب, لشهاب الدين ياقوت الحموي, ط2: 1923م, مطبعة هندية, مصر: 258/4]

(ثعلة وعفرة)، وجمع فيه عدداً كبيراً من الحكم العملية. ومن كتبه أيضاً كتاب (النمر والثعلب).¹

وكذلك ألف أبو عبد الله محمد بن زفر² كتاب (سلوان المطاع في عدوان الأتباع) متأثراً بطريقة (كليلة ودمنة).

كما كتب ابن عربشاه³ كتاباً عنوانه (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) يشتمل على عشرة أبواب، تختص الخمسة الأخيرة منها بقصص على لسان الحيوان. وقد نظم شعراء كثيرون كتاب (كليلة ودمنة)، منهم ابن الهبارية⁴، وعنوان منظومته (نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة) وعارضه بكتاب (الصادح والباغم).⁵

¹ انظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ط5، بيروت 1985م، 213/2

² أبو عبد الله: محمد ابن أبي القاسم بن علي القرشي المعروف: بابن زفر المكي حجة الدين النحوي، المتوفى: سنة 568 هـ، صنفه: لبعض القواد بصقلية سنة 554.

[انظر: كشف الظنون: 998/2]

³ عربشاه (أحمد بن محمد) (م 854هـ) مؤرخ ورحالة ومترجم. ولد ونشأ بدمشق وتوفي بمصر. سباه تيمور إلى سمرقند فتعلم على كبار علمائها. جال ببلاد المشرق وتعلم التركية والمغولية. له "عجائب المقدور في نوائب تيمور" و"فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء".

[انظر: الفهرست: 1216/2؛ الأعلام: 228/1؛ المنجد في الأعلام: 459]

⁴ محمد بن محمد بن صالح العباسي، نظام الدين، أبو يعلى، المعروف بابن الهبارية: شاعر هجاء. ولد في بغداد وأقام مدة بأصبهان، وفيها ملكشاه ووزيره نظام الملك. وله مع الوزير أخبار. توفي في كرمان عام 509هـ. من كتبه (الصادح والباغم) و أراجيز في ألفي بيت على أسلوب كليلة ودمنة، و (نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة) و (فلك المعاني) و (ديوان شعر).

[انظر: وفيات الأعيان: 15/2؛ الوافي بالوفيات، لصالح الدين الصفدي، ط2: 1381هـ،

انتشارات جهان، طهران، إيران: 130/1]

⁵ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي، شعبان محمد مرسى، ط2: 1995م، دار الثقافة العربية،

12. القصة الخيالية: وهي تعتمد على أخيلة الكاتب وتصوراته البعيدة المتناول. وقد يقصد الكاتب إلى أن يطابق الواقع أخيلته وتصوراته.

13. قصة داخل القصة: سردٌ لقصة طويلة يعترضها سردٌ آخر مكرر، وبعد انتهائها تتابع القصة الطويلة سردّها. وتعتمد القصة الثانية أو الثالثة ... على نوع من الاستطراد المعتد على التشابه والتذكير، كقصص كليلة ودمنة، وقصص شهرزاد.

14. القصة الرمزية: قصة لها أكثر من معنى،¹ ومغزاها أبعد من ظاهرها.² معظم هذه القصص تتضمن معاني أخلاقية أو دينية.³ كتبت هذه القصص في عصور الملوك الجبارين، لأن الإنسان وخاصة الأديب حين ما يرى منكراً وظلماً في المجتمع فيضطر إلى بيانه. ففي العصر العباسي كان الأدباء والكتّاب من ظلم الخلفاء، فلجؤوا إلى أسلوب خفي رمزي.⁴

ويدخل في هذا النوع القصص الفلسفية مثل (حي بن يقظان) و (سلامان وأبسال) أو القصص الأدبية ذات المعنى البعيد مثل (رسالة الغفران) للمعري، أو قصص الحيوانات التي تنطق الحيوانات حكماً ونصائح مثل (كليلة ودمنة).⁵

15. القصة الشعبية: قصة تنسب إلى الأدباء المشهورين، لكنها في الحقيقة سمعها رواتها من الناس، ثم كتبوها، ولا يمكن لباحث اليوم تحديد زمنها،

¹ انظر: الموسوعة العربية العالمية، 196/18

² انظر: المعجم المفصل في الأدب للتونجي، ص708

³ انظر: الموسوعة العربية العالمية، 196/18

⁴ انظر: تطور القصة العربية وأثرها على القصة الغربية، لمحمد إسحاق منصور، د. مجلة (الثقافة

الإسلامية)، العدد الثالث، 2004م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، ص148

⁵ انظر: المعجم المفصل في الأدب للتونجي، ص708

وتعيين الحد الذي أضافه هؤلاء الرواة في القصص أو نقصوا منها.¹ ومن مميزات عدم الاكتراث بالأسلوب الفني، والاهتمام بالتسلسل المنطقي، والإثارة، والشعبية، مثل قصص أبي زيد الهلالي، وعنترة بن شداد.²

16. القصة الشعرية: حكاية شعرية، تشتمل على مقاطع قصيرة، تتبع سير الأحداث. ولأنها يتوارثها جيل بعد جيل، لذا لا يعرف في الأغلب مؤلفها. وهي تخلو من أسلوب التنميق، غير أنها تحفل بالأمثال الشعبية والأقوال الوعظية. وهي تطول مع مرور الزمن، إذ تضيف عليها الأجيال.

هذه الأقاصيص الشعرية تروى في كثير من الأمم، وفي الأدب البريطاني وحده حول ثلاثمائة قصة شعرية، يعود تاريخ معظمها إلى القرن الرابع عشر للميلاد. وحول حياة "شارلمان"³ وحروبه مع العرب في عهد هارون الرشيد⁴ قصائد شعبية تروى حتى الآن.

17. القصة العلمية: استفاد المسلمون العرب من علم اليونان والروم

¹ انظر: تطوّر القصة العربية وأثرها على القصة الغربية، ص 138

² انظر: المعجم المفصل في الأدب للتونجي، ص 709

³ شارلمان: أو شارل الكبير Charlemagne (742-814م): ملك الإفرنج وامبراطور الغرب. مؤسسة السلالة الكارولوية. جعل أكس لاشابل (آخن) عاصمة له. حاول الاستيلاء على إسبانيا ففشل في سرقسطة 778م.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص 381]

⁴ هارون الرشيد ابن المنصور العباسي: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم. ولاة أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني وافدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعت بها إلى خزانة الخيفة في كل عام. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المهادي. ازدهرت الدولة في أيامه. توفي في عام 193هـ.

[انظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت:

والهند والسند، ثم أسهموا حظاً وافراً في العلوم المختلفة من الطب والفيزياء والكيمياء،¹ حتى كتب بعضهم قصصاً أساسها على الافتراضات العلمية، واعتمادها على الاستنتاجات المنطقية، غير محتملة الوقوع. من أمثلتها قصص رحلات الفضاء، أو جولات إلى عالم مجهول متوقع منطقياً وغير موجود حالياً. هذا الفن ليس بجديد، وكان معروفاً لدى الإغريق أيضاً في القرن الثاني. استعمل المعري² هذا الفن في رحلة ابن القارح برسالة الغفران.

18. القصة الفلسفية: هي القصص التي تتركز على الفلسفة. ويقصد بها شرح الأفكار، وإقناع الآخرين بما وصل إليه الكاتب الفيلسوف، كابن رشد³ في "حي بن يقظان"، والمويلحي⁴ في "حديث عيسى بن هشام". ويعدُّ فولتير¹ من

¹ انظر: تطور القصة العربية وأثرها على القصة الغربية، ص 149

² المعري: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (م 449 هـ): ولد في معرة النعمان. شاعر مفكّر. فقد بصره في الرافعة من عمره. درس في حلب وطرابلس وانطاكية. سافر إلى بغداد ثم عاد إلى المعرة عاش فيها معتزلاً العام متزهداً. من مؤلفاته "سقط الزند" وهو مجموعة قصائد و"اللزوميات" في الفلسفة العالائية و"رسالة الغفران".

[انظر: الفهرست: 901/1؛ المنجد في الأعلام: ص 17]

³ محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي: الفيلسوف. عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. اتهمه خصومه بالزندقة، فنفي إلى مراكش، وأحرق بعض كتبه، ثم أذن له بالعودة إلى وطنه، فعاجلته الوفاة بمراكش عام 595 هـ. صنف نحو خمسين كتاباً، منها: (فلسفة ابن رشد) و (الحيوان) و (بداية المجتهد ونهاية المقتصد).

[انظر: شذرات الذهب: 320/4]

⁴ المويلحي (محمد بن إبراهيم) (1868 - 1930 م): أديب وصحافي مصري. ولد وتوفي بمصر. أنشأ مع أبيه جريدة "مصباح الشرق". أشهر أعماله "حديث عيسى بن هشام"، وقد صيغ على نسق المقامات وتميز بأسلوبه القصصي.

[انظر: المنجد: 697]

أعمق كتابِ القصة الفلسفية ولا سيما "كانديد"².

ويتفاوت فهم هذه القصص تفاوت مستوى قراءها وسامعيها. فمنهم من يقف عند حدود الظاهر, ومنهم من يغوص في أعماقها, ويستخرج منها الحكمة العملية, والفوائد الجمّة.

ويعد كتاب (كليلة ودمنة) كتاباً مهماً من هذا النوع, وهو مجموعة من القصص, ألفها الفيلسوف الهندي بيدبا³ باللغة السنسكريتية, وجعل أبطالها من الحيوان, وعدد القصص في هذا الكتاب خمس عشرة قصة, عنوان الكتاب مأخوذ من اسم حيوانين ورداً في باب الأسد والثور, يدعي أولهما كليلة, والثاني يقال له دمنة, وهما أخوان ابنا آوى...⁴

19. القصة القصيرة: قصة لا تتجاوز بضع صفحات تتضمن عادة

حدثاً واحداً وشخصيات قليلة ويمكن قراءة أغلبها في جلسة واحدة. وبعد هذا النوع واحد من أقدم الأشكال الأدبية. وقصص (ألف ليلة وليلة) أمثلة على شكل

¹ فولتير (فرنسوا ماري أرواي) Voltaire (1690 – 1778م): ولد في باريس. مؤلف فرنسي. من نوابع زمانه. أقام في بروسيا وسويسرا. تزعم حركة الفلسفة المادة وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية ونقدتهم بقلمه الرشيق اللاذع. كتب في الشعر والتاريخ والمسرح والمراسلة والفلسفة وأجاد في أكثرها. من مؤلفاته المحاورات الفلسفية, "كانديد", "زئير", "محمد", "شارل 2".

[انظر: المنجد في الأعلام: ص533]

² انظر: المعجم المفصل في الأدب للتونجي, ص709

³ بيدبا Bidpay : معناه بالسانسكريتية "صاحب العلم". إليه تُنسب مقدمة وكتاب "كليلة ودمنة" المقدم لدبشليم ملك الهند.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص157]

⁴ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي, ص23

القصة القصيرة.¹

20. القصة القصيرة جداً: وهي قصة نثرية موجزة, تتميز بضخمها وقصرها, وقد لا تتجاوز ألفاً وخمسمائة كلمة.

تحتاج كتابتها إلى مهارة عالية لتناول الصراع والتشخيص وعرض المشاهد ببراعة وتأمل. وتوجد فيها كل مقومات القصة القصيرة, ولكن بشكل مكثف.

21. قصة المغامرات: يزخر هذا النوع من القصص بالأحداث والموجه غالباً للأحداث. ويهتم القارئ في هذا الفن بماذا سيحدث بعد ذلك, من غير التفكير بكيف ولماذا؟ ويدخل في هذا النوع من القصص قصص الخيال العلمي وقصص الغرب الأمريكي وقصص الألغاز.²

22. القصص الدينية: هذه القصص وردت في الكتب الدينية, وتدور حول الأنبياء ومعاملة أقوامهم معهم. وترمي هذه القصص إلى العبرة والعظة, وإصلاح النفس, والسير على الصراط المستقيم.

لكن المفسرين كلهم لم يلتزموا بتحري الحق عند شرح هذه القصص, وإنما اختلفوا فيها. فبعضهم اكتفى بما ورد في القرآن وما صحّ والأحاديث الصحيحة, وبعضهم تجاوز حدود العقل والنقل, واختار اتجاه الذين أسلموا من علماء أهل الكتاب, وأخذ يروي عنهم.³

لذا سببت هذه القصص إدخال الكثير من أساطير الأمم الأخرى على المسلمين ومن أخبار اليهود والنصارى.⁴

¹ انظر: الموسوعة العربية العالمية, 197/18

² انظر: المعجم المفصل في الأدب, ص 710

³ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي, ص 27-28

⁴ انظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه, ص 422

ومن هذه الكتب المملوءة بالأساطير، كتاب الثعالبي¹ المسمّى بـ (العرائس)، الذي روى فيه مؤلفه كثيراً من الخرافات عن كعب الأحبار²، وعن وهب بن منبه³، وعن عديد من أهل الملل الأخرى. إنه كان مولعاً بالتوسع في العجائب والغرائب على ما يبدو....⁴

23. القصة الخرافية: الحرف لغة فساد العقل من الكبير⁵، وأصل الخرافة (الحديث المستملح من الكذب، وقالوا حديث خرافة ذكر ابن الكلبي⁶ في قولهم حديث خرافة أن خرافة من بني عذرة أو من جهينة اختطفته الجن⁷ ثم رجع إلى

¹ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل . أبو منصور الثعالبي النيسابوري الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية (م 430هـ): أديب ولغوي ومؤرخ عباسي. له "يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر" في الآداب والتاريخ و"لطائف المعارف" و"فقه اللغة" و"كتاب الأمثال".

[انظر: الوافي في الوفيات: 2756/1؛ الموسوعة العربية الميسرة، 580/1]

² كعب الأحبار أبو إسحاق ابن ماته الحميري اليماني الكتابي : اسلم في خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر. توفي عام (32هـ). وروى له أبو داود والترمذي والنسائي.

[انظر: الوافي للوفيات: 3280/1]

³ وهب بن منبه من يكنى أبا عبد الله (م 102 هـ) أصله من الفرس، ولاءه عمر بن عبد العزيز صنعاء، اتهم بالقدر فحبس وامتنحن.

[انظر: الطبقات الكبرى: 554/5؛ الأعلام: 125/8]

⁴ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 27-28

⁵ انظر: اللسان: 62/9، مادة (حرف).

⁶ ابن الكلبي: (147هـ) عنوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض بن وزير بن عبد الحارث الكلبي، الضرير من علماء الكوفيين، رواية لأخبار، عارف بالشعر والنسب. من كتبه: التاريخ، وسيرة معاوية وبني أمية.

[انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط4:

1406هـ، موسوعة الرسالة، بيروت: 65/6؛ الفهرست: 91/1]

⁷ انظر: مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، مسند عائشة، رقم الحديث: 25283، ضعفه الأرنؤوط.

قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس)).¹

ثم انتقل معنى الخراف من الدلالة على باطل الأحاديث ومصنوفها إلى الدلالة على القصص الموضوعة على ألسنة الحيوانات, والنباتات والجمادات. والغاية من هذه القصص التريية والوعظ, وتقديم النصح بقلب قصصي جذاب. وهذا النوع من القصص كثير قديم, كان شائعاً بين الشعوب المختلفة, كقصة السبع والسنور المصرية القديمة التي وجدت مكتوبة على ورقة من أوراق البردي, وكليلة ودمنة السنسكريتية الأصل, وحكايات إيسوبوس اليونانية. ومنها في العربية حكاية الأرنب والثعلب حينما احتكما إلى الضب...²

24. قصص البخلاء: هذا النوع من أعرق القصص عند العرب, ولديهم

فيه قصص عجيبة في كل عصور الأدب. ارتقى هذا الفن ذروة ازدهار في العصر العباسي, إذ زاد في هذا الفن كتاب وفاضوا وأبدعوا, ويرأسهم الجاحظ. فقد صنّف في هذا الموضوع كتاب (البخلاء), سجّل فيه عجائب البخلاء وغرائبهم, وفلسفتهم, وبلاغتهم في الدفاع عن شحهم.

وقد راع الجاحظ سهل بن هارون, وهو كاتب, بليغ, حكيم, ولكن البخل كان سجية فيه, وله رسائل يدافع فيها عن البخل والبخلاء, وقد روى عنه أبو عثمان الجاحظ عدداً من قصص شحه, مضحكة, مدهشة, لبلاغة سهل, وقدرته على الجدل, وطريقته في إثبات رأيه, ووضوح حججه, وسلامتها من التناقض.³

25. قصص الأسفار: كان العرب في العصر الجاهلي يقومون بأسفار

كثيرة, وهذه الأسفار تسفر عن قصص كثيرة تصور لنا أحوال رحلاتهم, وصعوبات

¹ انظر: اللسان: 66-65/9, مادة (خرف).

² انظر: الأدب الجاهلي, ص 711

³ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي, ص 30-31

الطرق التي كانوا يكابدونها، والمخاطر التي تعترض طرقهم. وتتحدث هذه القصص أيضاً عن قوّة الجنّ وأخطار الغيلان - وهي حسب ظنهم نوع من الشيطان تظهر للناس في الفلاة فتتلوّن لهم في صور شتى، وتضلّهم وتهلكهم¹ - والسعالي (أي العُول)².

ومن أهم رحلاتهم رحلة قافلة كسرى إلى اليمن³ المسماة يوم الصفقة⁴ وقصة فتكة البراض⁵، وقصة الأعشى⁶ وتابعه الجني مسحل⁷، وقصة أولاد نزار بن معد مع الأفعى بن الأفعى الجرهمي⁸، ورحلة أبي طالب إلى الشام والبشرى التي

¹ انظر: المعجم الوسيط، 667/2، مادة (غول)

² انظر: المعجم الوسيط، 431/1، مادة (سعل)

³ اليمن: الجمهورية اليمنية هي إحدى الدول العربية وتقع جنوب شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب آسيا. تبلغ مساحتها حوالي نصف مليون كيلومتر مربع يحدها من الشمال السعودية ومن الشرق عُمان. لها ساحل جنوبي على بحر العرب و ساحل غربي على البحر الأحمر.

[www.wikipedia.org]

انظر للتفصيل: الأغاني، 318/17

⁴ أيضاً.

⁵ هو البراض بن قيس الكنانى أحد فتاك العرب الذين يضرب بهم المثل في الفتك كالحارث بن ظالم وعمرو بن كلثوم.

[انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط1: 1965م، ص128]

⁶ الأعشى الكبير أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل. ولد الأعشى بقرية باليمامة. أول من سأل بشعره ووفد إلى مكة يريد النبي p ومدحه بقصيدة، فلقبه أبو سفيان بن حرب فجمع له مائة من الإبل ورده فلما صار بquam منفوحة رمى به بعيه فقتله. [انظر: معجم الشعراء، للمرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م، ص101]

⁷ مسحل: شيطان الأعشى. [انظر: معجم الشعراء: ص2]

⁸ الأفعى الجرهمي: حكيم جاهلي قديم كان معاصراً لنزار (أبي ربيعة ومضر) وكان منزله بنجران (في

زَفَّها له بجيرا الراهب¹.²

26. قصص اللصوص: هذه القصص تصوّر لنا من يتجردون للغارات, ويقطعون الطرق على الناس, ويسلبون منهم أموالهم. هم زادوا في العصر العباسي, ومنهم من قطعوا الطريق على الشيخ أبي حامد الغزالي, وأخذوا خرجه (وعاء الأمتعة), بما فيه من كتب وزاد.

وكان الحكام يقاومون هؤلاء اللصوص ويحبسونهم في السجن. وقد صنّف الجاحظ بعض هذه الحكايات.³

27. قصص الملوك: شهدت جزيرة العرب حضارات, يتولاها ملوك عظام, ووضعت حولها قصص, تزخر بها كتب التراث العربي. ومن هذه القصص قصة حُجر⁴ الملقب بأكل المرار مع زياد بن الهبولة الغساني⁵, وغيرها...⁶

مخالف اليمين) تقصده العرب في قضاياها فيحكم بينها ولا يرد حكمه.

[انظر: الكامل لابن الأثير: 11/2]

¹ بجيرا: راهب في بُصرى عرف النبي p بصفاته النبوة لما ذهب به عليه السلام أبو طالب إليه.

[انظر: الوافي في الوفيات: 26/1]

² انظر: الأدب الجاهلي, ص 708-709

³ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي, ص 33-34

⁴ حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر, من كندة, من بني حمير: سيد كندة في عصره. كان في عهد تباع اليمين, في الجاهلية. وولي على قبائل معدّ بن عدنان, في الحجاز. لقب بأكل المرار لتشوّه في وجهه.

[انظر: ابن خلدون: 272/2؛ خزنة البغدادي: 502/3]

⁵ زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح وهو ملك في ربيعة بن

نزار ومنزله بغمير ذي كندة. [انظر: الأغاني: 382/16]

⁶ انظر: الأدب الجاهلي, ص 705-706

ومن هذا النوع القصص التي تروي أخبار ملوك الحيرة، كقصة النعمان¹ وبنائه قصر الخورنق وغدره بسنّمار²، وقصة المنذر³ بن ماء السماء في حربه مع الغساسنة، وقصص ملوك الغساسنة، وكتب الأدب زاخرة بها.⁴

28. قصص الحروب: كان العرب غارقين في الفوضى والجهلة، لا عمل لهم إلا الغزو والنهب والحرب.⁵ فقصص حرومهم وأطول من قصص أسفارهم،⁶ والتي تعرف بـ (أيام العرب)⁷.

من أيام العرب حروب البسوس، وهي من أشهر ملاحم العربية، وأحداثها وقصصها من أجمل الأحداث والقصص، وأشدّها ارتباطاً بطبيعة الأمة العربية في

¹ وهو النعمان الأكبر ونسبه: النعمان بن امرئ القيس، وهو الذي بنى القصر (الخورنق) لابنه ليكون عنده فيه، فاستحسنه وكره أن يبني مثله، فقتل بناءه (سنّمار).

[انظر: البداية والنهاية: 193/2]

² سنّمار: بناء رومي الأصل. قيل: إنه بنى للنعمان بن امرئ القيس قصر (الخورنق) بقرب الكوفة، وصعد إليه النعمان، فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قط، فقال له سنّمار: إني أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله، فقال النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ قال: لا؛ فقال: لأدعّها وما يعرفها أحد، وأمر به فحُذِف من أعلى القصر، فتقطع. وضربت العرب به المثل: جزاه جزاه سنّمار.

[انظر: مجمع الأمثال، 107/1؛ معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر،

بيروت: 483/3]

³ المنذر بن امرئ القيس الثالث ابن النعمان بن الأسود اللخمي، وماء السماء أمه: نالت المناذرة ملوك الحيرة وما يليها من جهات العراق في الجاهلية، ومن أرفعهم شأنًا وأشدّهم بأسًا وأكثرهم أخبارًا.

[انظر: ابن خلدون: 265/2؛ الكامل: 194/1؛ الأعلام: 292/7]

⁴ انظر: الأدب الجاهلي: ص 708

⁵ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، 26/1

⁶ انظر: الأدب الجاهلي، ص 709

⁷ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، 26/1

العصر الجاهلي. ومهما يكن حظُّها من الغلو قليلاً أو كثيراً فإنَّ النفس تطمئنُّ إليها أكثر مما تطمئنُّ إلى الإلياذة¹ والأوديسة², والتفصيل عن ذلك في كتاب أيام العرب, أو كتب الأدب الأخرى, التي عنيت بإبرازها وروايتها مشفوعة بالشعر الحماسي. ومن هذا النوع قصة داحس والغبراء³, وحروب الأوس والخزرج⁴.

29. قصص العشاق: هذا النوع من القصص أيضاً من أقدم الأنواع

القصصية في الأدب العربي, إذ كان يوجد في العصر الجاهلي أيضاً, لكنه ازدهر بعد الإسلام, ولاسيما في عصر بني أمية.⁵

ومن هذا النوع قصص الحب الصريح - وهو الحب المادي - ازدهر في

¹ إلياذة هوميروس Iliade : ملحمة يونانية في 24 نشيداً تروي أخبار حرب طروادة بين الإغريق والطرواديين. من روائع الشعر الملحمي العالمي. عزَّها شعراً سليمان البستاني ونشرها في دار الهلال بمصر 1904م مصدرّة بمقدمة في هوميروس وشعراء اليونان والعرب وآدابهم.

[انظر: المنجد في الأعلام: 62]

² الأوديسة إحدى ملحمتي هوميروس الخالدتين تتكون من 24 نشيداً يروي لنا الشاعر محاولة تليماخوس البحث عن أبيه أودوسيوس الذي وقع أسيراً في كاليبسو, ثم يصل بطل الأوديسة إلى أهل فاياكيا, فيعود أودوسيوس ويعود ابنه إلى أيتاكا ويتفقان على تدبير حيلة للانتقام من العشاق الذين ضاقوا بنيلوبا في غيبة زوجها فيقتلهم أودوسيوس ويسترد حكمه ويعيش آمناً في وطنه.

[انظر: الموسوعة العربية الميسرة: 257/1]

³ داحس حرب كانت في زمن الجاهلية مشهورة وكان سببها أن فرسا (داحس) لقيس بن زهير بن جذيمة ابن رواحة الغطفاني أجراه مع فرس (غبراء) لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤبة الغطفاني, فجاءت داحس سابقاً فأمر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء, فشبت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل ابن بدر وجماعات آخرون.

[انظر: البداية والنهاية: 155/3؛ السيرة النبوية, لابن هشام, تح: مصطفى السقا والأبياري وعبد الحفيظ, مطبعة مصطفى الحلبي, 1355هـ: 123/2]

⁴ انظر: الأدب الجاهلي, ص 709

⁵ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي, ص 35

العصر الأموي على يدي عمر بن أبي ربيعة¹, ويرجع سبب ازدهاره إلى تشجيع الأمويين باللهو، والغناء، والعيش، ليملؤوا فراغ الناس، حتى يتعدوا عن السياسة.² ومن هذا النوع أيضاً الحب العذري³، وهو الحب الصادق، يعتمد على الوفاء، واليأس، والأسى في الحب.⁴ وكثير من هؤلاء العشاق فقدوا عقولهم، وأصابهم الجنون. ومجانين عشاق العرب مشهورون، كمجنون ليلي، وجميل بثينة⁵، وكثير⁶ عزة.⁷ وقد زاد هذا النوع من القصص في العصر العباسي، بسبب الترف الذي عم كثيراً من القوم، وفارغ بالهم، وشيوع الجواري.

¹ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أرق شعراء عصره، نفي مدة لتشبيهه بالنساء، وغزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات غرقاً عام 63هـ.

[انظر: الأغاني: 70/1]

² انظر: المعجم المفصل في الأدب، 344/1

³ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص35

⁴ انظر: المعجم المفصل في الأدب، 345/1

⁵ جميل بُثينة (م 82 هـ): جميل بن عبد الله الشاعر الأموي المشهور من بني عذرة. صاحب بثينة أحد متيمي العرب أحبها وهو صغير فلما كبر خطبها فردّ عنها فقال الشعر فيها وكان يأتيها سرّاً ومنزلهما وادي القرى. في شعره من صدق العاطفة وبساطة التعبير ما حبه إلى المغنين.

[انظر: الوافي في الوفيات: 1550/1؛ المنجد: ص218]

⁶ كثير بن عبد الرحمن بن الأسود: شاعر، من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه. أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفاً في حبه. توفي بالمدينة عام 105هـ.

[انظر: الأغاني: 25/8؛ الوفيات: 433/1؛ شذرات الذهب: 131/1]

⁷ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص35

وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج¹ الأصفهاني بعض هذه القصص. وتناول هذا الموضوع بعض مؤلفي العصر العباسي، وأفردوا له بمؤلفات خاصة.²

30. الأوابد: ذكر القلقشندي³ (أوابد العرب) في كتابه الكبير الحجم (صبح الأعشى)، وشرح معناها، وربطها بالقصص التي وضعت لها، فقال: ((هي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية، بعضها يجري مجرى الديانات، وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات، وبعضها يجري مجرى الخرافات. وجاء الإسلام بإبطالها. وهي عدة أمور: الكهانة (الإخبار بالغيب)، والزجر⁴، والطيرة⁵، والميسر (القمار)، والأزلام⁶، والبحيرة¹،

¹ علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القري، أبو الفرج الأصبهاني (م 356هـ): من أئمة الأدب، الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي. ولد في أصبهان. من كتبه (الأغاني) و (مقاتل الطائين) و (نسب بني عبد شمس) و (القيان) و (أيام العرب). [انظر: وفيات الأعيان: 334/1؛ تيممة الدهر، للثعالبي، ط1: 1399، دار الفكر، بيروت: 278/2]

² انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص35

³ أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري: المؤرخ الأديب البحاثة. ولد في قلقشنده (بقرب القاهرة)، ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة عام 821هـ. وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء. أفضل تصانيفه (صبح الأعشى في قوانين الإنشاء). وله (ضوء الصبح المسفر) و (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب).

[انظر: الضوء اللامع، للسخاوي، دار الحياة، مصر، 1354هـ: 8/2؛ الأعلام: 177/1]

⁴ زجر: الطير أثارها ليتيمن بسنوحها أو يتشاءم ببروحها.

[المعجم الوسيط، 389/1، مادة (زجر)]

⁵ الطيرة: ما يتفأل به أو يتشاءم منه.

[نفس المصدر، 574/2، مادة (طار)]

⁶ (الزلم) السهم الذي لا ريش عليه (ج) أزلام) وكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام وكانوا يكتبون عليها الأمر أو النهي ويضعونها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً فإذا خرج ما فيه الأمر مضى لقصده وإن خرج ما فيه النهي كف والظلف أو الذي خلفه.

والسائبة²، والوصيلة³، والحامي⁴، وإعلاق الظهر⁵ ورمي البعرة⁶، ووأد البنات (قتلهن كانوا يقتلونهن خشية العار) ... والهامة⁷، وتأخير البكاء على الميت للأخذ بثأره ... والغول⁸، وضرب الثور لتشرب البقر¹، وتعليق سن الثعلب، وسن الهرة²

[نفس المصدر، 399/1، مادة (زلم)]

¹ البهيرة: الناقة كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أذنّها وأعفوها أن ينتفع بها ولم يمنعوها من مرعى ولا ماء وقد أبطلها الإسلام.

[نفس المصدر، 40/1، مادة (بحر)]

² السائبة: المهملّة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر.

[نفس المصدر، 466/1، مادة (ساب)]

³ الوصلة: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ومن الشاء التي وصلت سبعة أبطن.

[نفس المصدر، 1038/2، مادة (وصل)]

⁴ الحامي: من الإبل الذي طال مكثه عند أصحابه حتى صار له عشرة أبطن فحموا ظهره وتركوه.

[نفس المصدر، 200/1، مادة (حمى)]

⁵ إعلاق الظهر كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة عمد إلى البعير الذي كملت به مائة فأغلق ظهره بأن ينزع شيئاً من فقراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم أن إبل صاحبه قد أمأت.

[صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي القلقشندي، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس

الدين، ط 1: 1407هـ/1987م، دار الكتب العلمية، بيروت، 459/1]

⁶ رمي البعرة كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها دخلت حفشا يعني خصا وليست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى تمضي عليها سنة ثم يؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به أي تتمسح به فقلما تفتض بشيء إلا مات ثم تخرج بعد ذلك فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع ما شاءت من طيب أو غيره.

[صبح الأعشى، 460/1]

⁷ الهامة: الرأس وأعلاه أو وسطه ويقال هو هامة القوم سيدهم ورئيسهم وجماعة الناس وطائر صغير من طير الليل يألف المقابر والبومة وطائر يزعم العرب أنه يخرج من هامة القليل ويقول اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره ويقال له الصدى. [المعجم الوسيط، 1000/2، مادة (هام)]

⁸ الغول: تزعم العرب أنه نوع من الشياطين تظهر للناس في الفلاة فتتلون لهم في صور شتى وتغولهم أي تضللهم وتهلكهم.

... وتعليق الحلبي على السليم³ ... وكى السليم ليبراً الأجر⁴ ورمي سن الصبي
المتغر في الشمس⁵...)).⁶

ولكل من هذه الأوابد قصة وضعت حولها، وانتشرت، وتناقلها الناس،
ولاكتها الألسن، فظنّها الناس أبدية العيش، لذا سميت بالأوابد. فلما جاء
الإسلام، أبطلها، فلم يبق من هذه القصص إلا ما وضع للكشف عن أصولها.⁷

31. القصة البطولية: كانت القصص البطولية كثيرة في الأدب العربي في

العصر الجاهلي والإسلامي، ولكنها كانت أكثرها في صورة شعرية، وكل الشعر
الحماسي يتحدث عن أعمال الأبطال.

[نفس المصدر، 667/2، مادة (غول)]

¹ كانوا يزعمون أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب فيضربون الثور ليشرب.

[صبح الأعشى، 462/1]

² كان العرب تزعم: ان الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة فعلق عليه شيء من ذلك سلم من آفته.

[أيضاً]

³ تعليق الحلبي على السليم وهو الملسوع كانوا إذا لسع فيهم إنسان علقوا عليه الحلبي من الأساور
وغيرها ويتركونه سبعة أيام ويمنع من النوم فيفيق.

[صبح الأعشى، 463/1]

⁴ كى السليم من الإبل ليبراً الجرب منها كانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها عر وهو الجرب فكروا
صحيحاً إلى جانبها ليشم رائحته بريء وربما زعموا أنه يؤمن معه العدو.

[أيضاً]

⁵ كان العرب تزعم: إن الغلام إذا أضر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال أبليني بها
أحسن منها أمن على أسنانه العوج والفلج والنغل.

[صبح الأعشى، 464/1]

⁶ نفس المصدر، 454/1

⁷ انظر: الأدب الجاهلي، ص 711

فبادئ ذي بدء كتبت هذه القصص البطولية الشعرية في النثر في العصر العباسي، منها قصة شاعر جاهلي كبير وبطل عظيم عنتره، وكان محباً لعبلة ابنة عمه.¹ وفي القرن الرابع الهجري بدأت سيرته الخيالية تكتب في صورة قصة مسهبة، وأول من فعل ذلك هو يوسف بن إسماعيل المصري²، وفعل ذلك بإشارة العزيز بالله³، الخليفة الفاطمي حين ذلك.

ثم تتابعت الزيادات في هذه القصة، وأضاف عليها الآخرون من وقت لآخر، حتى بلغت اثنين وثلاثين جزءاً.⁴

32. الأسطورة: الأسطورة قصة خيالية، لها حدث تاريخي واقعي، ذات أصل شعبي، وتجسّم فيها قوى الطبيعة بأشخاص، تنبع من صميم الشعب ومعتقداته.⁵ وقد تشرح الأسطورة بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون.⁶

¹ عبلة: حبيبة عنتره، أحبها من صباه، لقد اتفقت الرواة والباحثون على أنّ عنتره لم ينعم بهذا الحب. قيل: إنه فاز بالزواج منها. [عنتره وعبلة، إعداد أنطوان القوّال، ط1: 1992م، منشورات جروس برس، لبنان، ص12-14]

² يوسف بن إسماعيل: أبو يعقوب الساوي الصوفي قال أبو نعيم الحافظ: قدم أصبهان في سنة (343هـ). كثير الحديث. كان من الصالحين. أقام بنيسابور مدة ثم خرج إلى مرو وبقي بمرو إلى أن مات بها سنة ست (346هـ).

[انظر: مختصر تاريخ دمشق: 3769/1]

³ نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) ابن المنصور العبيدي الفاطمي، أبو منصور: صاحب مصر والمغرب. كانت في أيامه فتن، وكان كريم الأخلاق، حليماً، أديباً، فاضلاً. وفي زمنه بني قصر البحر وقصر الذهب وجامع الفراقه، في القاهرة. توفي عام (386هـ).

[انظر: ابن خلكان: 152/2؛ ابن خلدون: 51/4]

⁴ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص38

⁵ انظر: المعجم المفصل في الأدب، 90/1

⁶ نفس المصدر، 91/1

ومن أساطير العرب ما نسبت إلى الأجرام السماوية وتشرح أوضاعها، منها: ((أن الدبران خطب الثريا، وأراد القمر أن يزوجه بها، فأبت عليه ودلت عنه، وقالت للقمر: ما أصنع بهذا السيروت¹ الذي لا مال له؟ فجمع الدبران قلاصه² يتحول بها، فهو يتبعها حيث توجهت، يسوق صداقها قدامه³)).⁴

33. قصص المجون: يشتهر في التراث العربي نوع من القصص لصللة الرجال بالنساء، وما ينتج عن هذه الصلة من خلاعة وهو فسوق، وما يدور في مجالس الشراب من عبث ورفث. وأكثر الأبطال في هذه القصص من الخلعاء الفتاك، وأقلهم من كبراء القوم الذين يجدون في الشباب الفراغ والجددة متسعاً عن الكد، فيلهون ويقصفون...

من هذه القصص قصة عدي بن نصر⁵ مع رقاش أخت جذيمة⁶ بن مالك الذي استخلص عدي لنفسه،¹ وقصة فتاك العرب وعدائهم

¹ السيروت: أي الفقير. [انظر: اللسان: مادة سيرت]

² قلاصة: أي نوقه. [انظر: اللسان: مادة قلص]

³ انظر: صبح الأعشى: 175/2

⁴ انظر: الأدب الجاهلي، ص 710

⁵ عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عمرو بن نمارة بن لحم وكان له جمال و ضرب، استخلصه جذيمة لنفسه وولاه شرابه، وهويته أخته (رقاش) فراسلته فدافعها بالخشية من جذيمة فقالت له اخطبني منه إذا أخذت الخمر منه و أشهد عليه القوم ففعل وأعرس بها من ليلته و أصبح مضرجا بالخلوق وارب جذيمة شأنه ثم أعلم بما كان منه فعرض على يديه أسفا وهرب عدي فلم يظهر له أثر ثم سألها في أبيات شعر معروفه فأخبرته بما كان منه فعرف عذرها وكف و أقام عدي في أخواله إياد إلى أن هلك وولدت رقاش منه وسمته عمرا وربي عند خاله جذيمة.

[انظر: ابن خلدون: 210/2 ؛ الأغاني 202/15-204]

⁶ جذيمة بن مالك بن نصر، من بني أسد بن خزيمه: جدّ جاهلي.

تأبّط شراً² مع امرأة من بني فهم، وقصة امرئ القيس³ بدارة جلدل⁴ التي رواها الفرزدق⁵، وقصة الشاعر الجاهلي المنخل⁶ مع المتجرّدة الذي كان ينادم النعمان.

34. النوادر: كان كثير من الملوك والأشراف يستمتعون في مجالسهم بما يروى من قصص الفكاهة، واتخذ بعض الملوك ندماء عرفوا برواية النوادر أو

[انظر: اللباب: 216/1؛ الأعلام: 114/2]

¹ انظر: الأغاني 202/15-204

² تأبّط شراً: ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر: شاعر عدّاء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بشعره. يقال إنه كان ينظر إلى الظبي في الغلاة فيجري فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل.

[انظر: خزنة الأدب: 66/1 ثم 358/3 و 457]

³ امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي: شاعر جاهلي. ولد في نجد وتوفي في أنقرة. من أصحاب المعلّقة. من أشهر شعراء الجاهلية بل أولهم منزلة. كان ابن حجر الكندي ملك بني أسد. قُتل أبوه فهمّ في المطالبة بالثأر واستعادة الملك فهرب من المنذر بن ماء السماء فسُمّي (الملك الضليل) ولجأ إلى السمّوال في تيماء واستنجد بيوستينيانس قيصر على أعدائه فأكرمه ومنحه إمارة فلسطين. لكنه أصيب بأنقره بمرض كالجُدري فسَمّاه الرواة ب (ذي القروح). له ديوان.

[انظر: الأغاني: 77/9؛ تهذيب ابن عساكر: 104/3؛ الشعر والشعراء: ص31]

⁴ انظر: الأغاني: 342-343/10

⁵ الفرزدق واسمه همام بن غالب بن صعصعة، سمي الفرزدق لأنه شبه وجهه بالخبرة وهي فرزدقة، بيته من أشرف بيوت بني تميم، شاعر مشهور، مناقضاته مشهورة مع جرير، وقد فضله جرير على نفسه.

[انظر: طبقات فحول الشعراء: 298/2؛ معجم الشعراء: 146/1]

⁶ المنخل بن مسعود بن عامر، من بني يشكر: شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان ابن المنذر. وهو الذي سعى بالنابغة الذبياني إلى النعمان في أمر (المتجرّدة) ففر النابغة إلى آل جفنة الغساني، بالشام. ومن أشهر شعر المنخل رائيته التي قالها في (هند) بنت عمرو بن هند، وبلغ خبرها عمراً (أبأها) فأخذ المنخل فقتله.

[انظر: الأغاني: 158/9؛ الشعروالشعراء: ص150]

اختراعها, كنوادر سعد القرقرة¹ هازل النعمان بن المنذر² ملك الحيرة, ونوادره مشهورة معه.³

¹ سعد القُرْقَرَة - وهو رجل من أهل هَجْر - كان النعمان بن المنذر يضحك منه وكان للنعمان بن المنذر فرس يقال له اليعموم يُرْدَى من ركبته فقال يوماً لسعد : اَرْكَبْهُ واطلب عليه الوحشَ فامتنع سعد فقهره النعمان على ذلك فلما ركبته نظر إلى بعض ولده وقال هذا القول فضحك النعمان وأعفاه من ركوبه.

[انظر: مجمع الأمثال, 93/1 ؛ المستقصى في الأمثال, 371/2]

² النعمان (الثالث) بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي, أبو قابوس: من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. كان داهية مقداماً. ممدوح النابغة وحسان وحاتم الطائي. صاحب إيفاد العرب على كسرى وباني مدينة النعمانية. ملك الحيرة إرثاً عن أبيه, كانت تابعة للفرس, فأقره عليها كسرى فاستمر على أن نقم عليه كسرى (أبرويز) أمراً, فعزله وسجنه إلى أن مات عام 15 ق هـ.

[انظر: الكامل: 171-173؛ ابن خلدون: 265/2]

³ انظر: الأدب الجاهلي: ص712

أغراض القصة النبوية ρ

إن القصة النبوية ρ بجميع أنواعها قصة ملتزمة, لأنه ρ لم يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة, وإنما الهدف الأساسي لسرد النبي ρ تلك القصص هو الدعوة والتبليغ, لأنه ρ من أجله بعث ومن أجله اصطنع الأساليب الكثيرة.

فاستهدف - عليه السلام - بالدرجة الأولى والآخرة, موضوعات دينية أساسية, كقيم الإسلام, وقضايا العقيدة والرسالة, وغيرها, فمن بعض أغراض قصصه:

1- الدعوة:

كان الغرض الأسمى في القصة النبوية هو الدعوة إلى الإسلام, والالتزام بمبادئه وتعليماته, لأنه ρ بُعث من أجل الدعوة إلى الله واتباع دينه وإلى سلوك الطريق المستقيم الذي هو دين الإسلام, وقد قال تعالى: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾¹.

وكما أن القصة تتمتع بعدة خصائص, ما يعطيها قدرة على التأثير وتصوير نواحي الحياة, وعرض الشخصيات بما تحمله من أخلاق وأفكار واتجاهات نفسية وغيرها, وتحريك وجدان الإنسان, والإثارة في نفسه غريزة حب الاستطلاع, فقد استعمل النبي ρ هذا الأسلوب في دعوته ليعرض مبادئ الإسلام في صورة عملية متحركة, ويبث الحياة في قلوب مخاطبيه, ويوقظ الحركة في عقولهم, ويجعل انتباههم حياً يقظاً, حتى يفتح عقولهم للاستيعاب والتقبل الواعي.

فنى النبي ρ يستخدم القصة من خلال عدة أساليب, فأحياناً تكون

¹ النحل: 125

الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى كما ورد في قصة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَاحِبُ
بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ فَيُنشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِّلاً كُلُّ
سِجِّلٍ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَلْ تَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ
فَيَقُولُ أَظَلَمْتُكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ ثُمَّ يَقُولُ أَلَاكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ فَيَهَابُ الرَّجُلُ
فَيَقُولُ لَا فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرِجُ لَهُ
بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا
هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِّلَاتِ فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ فَتُوضَعُ السِّجِّلَاتُ فِي كِفَّةٍ
وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِّلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ.¹

ونجد في الحديث أيضاً أمثلة قصصية عديدة تؤكد نبوة سيدنا محمد ﷺ وأنه
مرسل من الله عز وجل، كما في رواية عن ابن مسعود² قَالَ أَكْثَرْنَا الْحَدِيثَ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ثُمَّ غَدَوْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأُمَّمِهَا فَجَعَلَ
النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفْرُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ
حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ مُوسَى مَعَهُ كَبْكَبَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَعْجَبُونِي فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ فَقِيلَ
لِي هَذَا أَخْوَكُ مُوسَى مَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالَ قُلْتُ فَأَيْنَ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي انظُرْ عَنْ
يَمِينِكَ فَانظَرْتُ فَإِذَا الظَّرَابُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ ثُمَّ قِيلَ لِي انظُرْ عَنْ يَسَارِكَ
فَنظَرْتُ فَإِذَا الْأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ فَقِيلَ لِي أَرْضِيَتْ فَقُلْتُ رَضِيْتُ يَا رَبِّ

¹ انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، رقم الحديث: 4300، صححه الألباني.

² عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من السابقين إلى الإسلام. وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. كان خادماً رسول الله وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، له 848 حديثاً.

[انظر: الإصابة: ت 4955؛ حلية الأولياء، أبو نعيم، ط 4: 1405 هـ، دار الكتاب العربي،

رَضِيْتُ يَا رَبِّ قَالَ فَقِيلَ لِي إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ....¹

وقد تتجه الدعوة إلى الإسلام مباشرة، في شكل بين جلي، مثل أن تصور القصة الإسلام بأنه هو الدين الصحيح، والمقبول عند الله تبارك وتعالى، وأن من آمن به وأسلم فهو يأخذ أجراً وافياً، كما في القصة التالية: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ عُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلْتُ الْيَهُودَ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلْتُ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبْتُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضَلِّي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ.²

وقد يكون هدف القصة إثارة عواطف تتفق مع مبادئ الإسلام وأخلاقه وقيمه، فإذا كان كذلك فتكون الدعوة متهجة إلى المسلمين مباشرة، وإلى غيرهم بطريق غير مباشر، كما في قصة: عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ، فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَذُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ، فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى

¹ انظر: مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر، رقم الحديث: 3806، صححه الأرناؤوط.

² انظر: البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، رقم الحديث: 2107

أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ, فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ, فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ, وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ, فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ, فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ, فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قَالَ فَتَادَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذَكَرَ لَنَا: أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ.¹

هذه القصة تقدم الدعوة إلى التوبة في صورة حية نابضة, تدفع الإنسان إلى التوبة, وتحمله عليها, وتثير عواطفه ووجدانه.

وقد تدعو القصة إلى العمل بواجبات الدين وفرائضه, كما في هذه القصة:
عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا, فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا, وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا.²

تستهدف هذه القصة إغراء الإنسان إلى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ويعد ذلك واجباً دينياً اجتماعياً.³

2- بناء العقيدة:

من القصص الحديثية ما يبني أساس عقيدة المسلم, فمنها ما نخبرنا ببعض

¹ انظر: مسلم, كتاب التوبة, باب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ, رقم الحديث: 4967

² انظر: البخاري, الشركة, هل يقرع في القسمة والاستهام فيه, رقم الحديث: 2313

³ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص351

صفات الله عز وجل, ونرى في القصة النبوية ρ أن أبرز هذه الصفات هي صفة إجابة النبي ρ , ومن هذه القصص قصص تشتمل على أخبار حول عالم الغيب, كما في قصة الإسراء والمعراج: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ρ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحُطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَقُلْتُ لِلْحَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهِ قَالَ مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصْبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيَتْ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَعُغِصِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ فَقَالَ لَهُ الْحَارُودُ هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ قَالَ أَنَسُ نَعَمْ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ فَأَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْحَالَةِ قَالَ هَذَا يُحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا فَسَلِّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى

إِدْرِيسَ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ
 وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْحَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلٌ مِنْ هَذَا قَالَ
 جَبْرِيلُ قَيْلٌ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلٌ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلٌ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ
 الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونَ قَالَ هَذَا هَارُونَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
 فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ
 السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلٌ مِنْ هَذَا قَالَ جَبْرِيلُ قَيْلٌ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلٌ وَقَدْ أُرْسِلَ
 إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ هَذَا
 مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ
 فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قَيْلٌ لَهُ مَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ
 الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ
 جَبْرِيلُ قَيْلٌ مَنْ هَذَا قَالَ جَبْرِيلُ قَيْلٌ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلٌ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ
 نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ
 فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ
 ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبُفْهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ وَإِذَا وَرْفُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ
 قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ مَا
 هَذَانِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ ثُمَّ
 رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ
 فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ
 خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ بِمَا أُمِرْتُ قَالَ أُمِرْتُ
 بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي وَاللَّهِ
 قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجِلَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ
 التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ

فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ
إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ
فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ بِمِ أَمَرْتُ قُلْتُ
أَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ
وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجَلَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ قَالَ
فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي.¹

وكذلك في قصة "الرؤيا والملكين"²، و "آخر رجل يدخل الجنة": قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ
رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا
فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَهُ أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا
رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ
أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي أَوْ أَتُضْحَكُ بِي وَأَنْتَ
الْمَلِكُ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ قَالَ فَكَانَ يُقَالُ
ذَٰكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزَلَةً.³

إن في هذه القصة جزء من عقيدة المسلم، بأن يؤمن بما في الغيب من

الملائكة والجنة والنار.⁴

¹ انظر: البخاري، كتاب المناقب، باب المعراج، رقم الحديث: 3598

² انظر: البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب حدثنا قتيبة حدثنا حماد، رقم الحديث: 4572

³ انظر: مسلم، الإيمان، آخر أهل النار خروجا، رقم الحديث: 272

⁴ انظر: خصائص القصة الإسلامية: مأمون فريز جزار، ط: 1408هـ، دار المنارة، جدة، ص 167

3- التريية:5

من أبرز جوانب القصة النبوية وأهمها التريية, ومن المفهوم أنه p كان يستخدم أسلوب القصة في تكوين الجيل الأول من الصحابة تكويناً إسلامياً متيناً, وإعدادهم لحمل رسالة الإسلام, والاتباع بمنهجه القويم في طريق لاحب⁶, كان لا بد للسير فيه بثبات واستقامة من ذلك الإعداد وتلك التريية, والملاحظ أن التريية بالقصة لم تكن هي كل البرنامج التربوي الذي أعد الرسول p على منهاجه صحابته الكرام, ولكن القصة كانت حلقة واحدة, ووسيلة من وسائل ذلك البرنامج النبوي p , ساهمت بدور كبير في نجاح العملية التربوية التي تلقها المسلمون الأوائل.

فاستعمل رسول الله p أسلوب القصة للتريية, واستخدمه استخداماً حسناً في الحصول على غرضه التربوي, فاستخدم طرقاً مختلفة ووسائل شتى يمكن إجمالها في أربعة أشياء:

أ- عن طريق التعليم: إن (التعليم بالقصة) يبدو ظاهرة بارزة في القصة النبوية p . فقد علّم النبي p المسلمين الإسلام, وشرح تعاليمه, ووضح مبادئه, وأرسخها في قلوبهم في أسلوب سهل بسيط, وزودهم بكثير من قضايا هذا الدين الجديد وأحكامه, ليبنى الرعيل الإسلامي الجديد, على أساس قوي, نابع من العلم الصحيح, المستنبط من مفاهيم الدين الجديد.

فمما علّمنا هو أن نصدّق الرجل إذا أقسم بالله, مهما كان الأمر. كما فعل عيسى - عليه السلام - مع الرجل الذي رآه يسرق, كما في رواية رواه أبو

⁵ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص353

⁶ اللاحب: الطريق الواضح.

[المعجم الوسيط, 817/2, مادة (لحب)]

هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ
أَسْرَقْتَ قَالَ لَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آمَنْتُ بِاللَّهِ
وَكَذَّبْتُ بِصَرِي. ⁷

فمن تعامله التي جاءت بها القصة النبوية التحوُّط والاجتناب مما فيه الشبهة
والريب, كما فعل رجلان إحدى قصصه النبوية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ اشْتَرَى رَجُلًا مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا
لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي
اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ
وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي
تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ وَقَالَ الْآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا
الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا. ⁸

ومن قصصه التعليمية (قصة سليمان عليه السلام في حكومته بين المرأتين
المتخاصمتين في طفل). وهذه القصة تعلِّمنا أهمية اتصاف الحاكم بين الناس
بالفطنة والحصافة في استبانة وجه الحق.

وكثيراً ما يكون التعليم في القصة النبوية عن طريق الحوار, كالحوار الذي
جرى في القصة التالية بين الله عزَّ وجلَّ والملائكة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الدِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا
يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحْفُونُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ

⁷ انظر: سنن النسائي, كتاب آداب القضاة, باب كيف يستحلف الحاكم, رقم الحديث: 5427,
صححه الألباني.

⁸ انظر: البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء, باب حديث الغار, رقم الحديث: 3213

وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانْ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهَمِّ جَلِيسَتِهِمْ.¹

ب- التربية بالترهيب والترغيب:

(التربية بالترهيب والترغيب) تنبع متركزاً على ما ركب الله في الإنسان من طبيعتي الخوف والرجاء، اللتين تتقابلان في النفس الإنسانية من جهة، وتتجاوران فيها من جهة أخرى. الخوف والرجاء قوتان مختلطتان في أعماق الكائن البشري؛ بحيث تعينان للإنسان جهته في الحياة ويحددان أهدافه وسلوكه، كما يحددان أيضاً أفكاره، ومشاعره، إذ أنه سيختار منهج حياته منطلقاً في ذلك من خوفه ورجائه.²

وقد تمسك النبي ρ بهذا الأسلوب، وصوّب هاتين الطبيعتين إلى جهة إيجابية، بناءً في الحياة الإنسانية، تدفعه إلى قصد السبيل، فاستغل النبي ρ بقوة

¹ انظر: البخاري، كتاب الدعوات:، باب فضل ذكر الله عز وجل، رقم الحديث: 5929

² انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص 155-172

الخوف فيه وعمل على أن ينقيها من المخاوف السلبية، التي لا تملك أن تغير من واقع الإنسان شيئاً، ولا أن تنفعه بشيء، كالخوف من الموت مثلاً؛ لأن الخوف منه لا ينجي منه، ولا يغير من الأمر شيئاً، فالخوف هنا ضرر بلا نتيجة نافعة، كما نجد صوراً رهيبية لعذاب القبر في قصة (الأسئلة الثلاثة)¹ أو كقصة (المسئولية والجزاء)² عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا قُلْنَا لَا قَالَ لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلْبٌ مِنْ حَدِيدٍ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلْبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخِرِ مِثْلَ ذَلِكَ وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا يَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ قُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَّدَ الْحَجْرُ فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى ثُقْبٍ مِثْلِ التَّنُورِ أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاهُ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ قَالَ يَزِيدُ وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ

¹ انظر: مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي مسند السابق، رقم الحديث: 12965، وعلق عليه الأرئوط بقوله: حديث صحيح وهذا إسناد قوي.

² انظر: البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1297

كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيُخْرِجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِيبَانٌ وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرِ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِيبَانٌ ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ قَالَا نَعَمْ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَدِّحُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفَعَّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الرُّزَاءُ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ آكِلُوا الرِّبَا وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ وَالذَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ فَارْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ قَالَا ذَاكَ مَنْزِلُكَ قُلْتُ دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي قَالَا إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ.¹

كما تقدم لنا القصص النبوية ألواناً من العذاب التي يواجهها أهل الجنة، وما يكابدونها من أنواع الألم والشدة والذلة، وهم يصلون سعير جهنم التي تكاد تتميز من الغيظ عليهم، مثلما نجد في قصة (هل من مزيد)² وقصة (يغاثون بطعام)³ إلى غير ذلك من قصص البعث واليوم الآخر.¹

¹ انظر: البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1297

² انظر: مسند أحمد، مسند باقي المكثرين، باقي المسند السابق، 8461، صححه الأرئوط.

³ انظر: سنن الترمذي، كتاب صفة جهنم عن رسول الله p، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار،

وأما التربية بالترغيب في القصة النبوية ρ , فأساسها أيضاً على الاستفادة من قوة الرجاء في طبيعة الإنسان. وقد سلكت القصة فيها مسلك القرآن, الذي يسعى إلى تصويب قوة الرجاء نحو القيم الخليقة بالرجاء, ويحمل على التطلع نحو الأفضل.

ومن هذا المنطلق تتجه قوة الرجاء لدى الإنسان في القصة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رضاه ومغفرته, وإلى ما أعده للمؤمنين من صور.

وقد رسمت لنا القصة النبوية بعض جوانب من ذلك النعيم في مظاهر معنوية, كما تقدم لنا طرفاً من ذلك القصة التالية: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ρ أَنَّهُ قَالَ هَلْ تَذُرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمِ الثُّغُورُ وَيُتَّقَى بِهِمِ الْمَكَارِهِ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرُتِكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفْتَأْمُرْنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَتُسَدُّ بِهِمِ الثُّغُورُ وَيُتَّقَى بِهِمِ الْمَكَارِهِ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ.²

وكذلك من القصص النبوية ما يصور لنا إحلال الله تبارك وتعالى رضوانه على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً وهو نعمة معنوية تبعث فيهم الشعور

رقم الحديث: 2511, وضعه الألباني.

¹ انظر: القصص في الحديث: ص 360

² انظر: مسند أحمد, مسند المكثرين من الصحابة, مسند عبد الله بن عمرو بن العاص, رقم الحديث:

6283, قال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

بالأمن, ويملئوهم بالطمأنينة, النابعة من رضوان الله عليهم.¹
ومن هذه القصص قصة ترسم لنا نعمة النظر إلى الله تبارك وتعالى والتمتع
برؤية وجهه² الكريم.³

ج- التربية بالموعظة: من أساليب التربية التي اتخذها النبي ρ في قصصه
(أسلوب التربية بالموعظة), وهو طريق العبرة المستمدة من قصص الماضيين.
وقد اختار النبي ρ من قصص الماضيين أحداثاً تزخر بالموعظة. وما لا شك
فيه أن الموعظة تحمل قوة تأثيرية شديدة عميقة ونفاذة, إذ العبرة تظهر في عرض
قصصي شيق, يربط السامع بأحداث القصة وشخصياتها, من خلال مشاركته
الوجدانية لهم, وانفعاله بمواقفهم تعاطفاً معهم أو ضدهم.

والقرآن الكريم في حديثه عن الماضين من أهل الكتاب وغيرهم سلك طريق
القصة؛ لأنها أكثر قدرة على حمل العبرة ونقلها إلى السامعين, وقد كانت العبرة
والعظة في تلك القصص الماضية في القرآن الكريم غرضاً رئيساً نص عليه القرآن
صراحة في محكم تنزيله, قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا
كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^{4, 5}.

وقد وجدت القصة النبوية ρ في أخبار بني إسرائيل وغيرهم من الأمم

¹ انظر: مسلم, كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها, باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط
عليهم أبداً, رقم الحديث 5057

² انظر: مسند أحمد, مسند الكوفيين, من حديث جرير بن عبد الله, رقم الحديث: 19228, قال
الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

³ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص360

⁴ يوسف: 111

⁵ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص361

السابقة أحداثاً وتجارب ذات دلالات مؤثرة، وذات مقاصد تربوية هادفة، فجعلت من ذلك كله مادة طيبة صاغت على أساسها قصصها ذات المغزى الوعظي، وجعلت منها دروساً يتذكر بها المؤمنون، ويستخلصون منها العبرة التي تعينهم في ترسم الطريق المستقيم، ولتكون أيضاً رصيماً يضاف إلى تجاربهم يواجهون به ما يصادفهم من مشكلات أو مواقف مماثلة.

ومن القصص الوعظية التي ساقها الرسول ρ على أصحابه من أجل العبرة بما فيها، قصة (داؤد وملك الموت): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ كَانَ دَاوُدَ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ قَالَ فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغُلِقَتِ الدَّارُ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ الدَّارَ وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ وَاللَّهِ لَتُفْتَضِحَنَّ بِدَاوُدَ فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ فَقَالَ دَاوُدُ أَنْتَ وَاللَّهِ مَلِكُ الْمَوْتِ فَمَرَحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ أَطْلِي عَلَى دَاوُدَ فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُرِينَا رَسُولُ اللَّهِ ρ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمَصْرَحِيَّةُ.¹

وفي هذه القصة بدا الغرض التربوي الوعظي في صورة بارزة واضحة، وقد قصّها ρ في مرض موته، وقصد بها تهيئة نفوس المسلمين لتحمل المصيبة التي تصيبهم بموته ρ ، ولأن يأخذوا العبرة من وفاة النبي داؤد عليه السلام، ليكون ذلك

¹ انظر: مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي السند السابق، رقم الحديث: 9422، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه.

عوناً على استقبال رسولهم ρ بالتسليم والرضا.

وهناك قصة الذي (جزع فانتحر): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ كَانَ فِي مَن كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعٌ فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادِرِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.¹

وهذه القصة تختم بتحذير مباشر من الانتحار: (بادرني عبدي بنفسه, حرمت عليه الجنة) وهو صوت يظل يتردد في الأسماع وتنتهي القصة, ولكن ذلك الصوت لا ينتهي ويظل يشع إجماعاً رهيباً يفرضه هذه النهاية التعيسة للمنتحر.²

د- التربية بالتوبة: إن الضعف أمر واقع في حياة الإنسان, والنصوص القرآنية تشير إلى تلك الحقيقة, منها: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾³. وهذا يقتضي أن يخطئ الإنسان وينحرف. لكن الله عز وجل لم يترك الإنسان ساقطاً, بل جعل له مخرجاً من ذلك, وهو التوبة. إن التوبة من أهم الوسائل التي تحفظ الإنسان من الوقوع في أهواء نفسه, وضعفه الفطري إلى الأبد.

فالقصة النبوية ρ تحقق بالتوبة وظيفتين أساسيتين في تربية المذنب:

الأولى: أنها تفتح الطريق أمام المذنب الطريق المسدود, ليتطهر من ذنوبه, ويستقيم من الانحراف, ويستأنف المسير في المسار الصحيح, ويدفعه إلى أن يكون عضواً صالحاً في المجتمع.

ففي القصص النبوية أمثلة بعض التائبين الذين أصابهم الضعف في وقت من الأوقات, ثم أفاقوا من سقطتهم, ورجعوا إلى الجادة, تائبين, مستغفرين, متأتمنين, بل عادوا أكثر صلاحاً وتقياً.

¹ انظر: البخاري, أحاديث الأنبياء, ما ذكر عن بني إسرائيل, رقم الحديث: 3204

² انظر: القصص في الحديث النبوي: ص362

³ النساء: 28

ومن هذه الأمثلة القصصية قصة (الكفل)¹ الذي لا يتورع عن ذنب يفعلهُ، وفي إحدى نزواته مع المرأة المحتاجة صادف من المرأة تمنعاً عنيفاً كان وراءه موقف أخلاقي ينطلق من مبدأ الرفض للفاحشة، وما زالت تأبى هذا من خلال موقفها المتحرج حتى استيقظ ضميره، واستغفر ربه وأتاب وتاب، فقبل الله توبته، ومات من ليلته، وفي صباح اليوم التالي وجد مكتوباً على بابه، إن الله قد غفر للكفل، ومثل هذه القصة، قصة (الرجل والمرأة)^{2.3}.

والثانية: أن المذنب عندما يتوب إلى الله ويستغفر من ذنوبه، يجد في التوبة علاجاً لآلامه النفسية، التي أصابته بعد الشعور بالذنب، ويضع عن كواهله وزر ذلك الشعور.

ففي القصة النبوية أمثلة واضحة لهذا النوع، منها قصة (الرجل الذي قتل مائة شخص)، فإنه لما تاب قبل الله توبته، فتوفي وهو في رحمة الله ومغفرته⁴:

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاغْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا

¹ انظر: الترمذي، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع منه، باب منه، رقم الحديث: 2420، ضعفه الألباني.

² انظر: مسلم، أول مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي، رقم الحديث: 17691

³ انظر: القصص في الحديث النبوي، ص363

⁴ انظر: القصص في الحديث النبوي، ص364

نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ).¹

4- التَّزْيِينُ بِالتَّسْرِیَةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ: مِنْ أَهَمِّ الْأَغْرَاضِ الَّتِي اسْتَهْدَفْتُهَا

القصة النبوية غرض (التسرية عن المسلمين وتخفيف ما يكابدونه من ضغط عاطفي).

كان المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية وقبل أن ينتشر الإسلام، يعانون أشد أنواع العقاب والتعذيب والتنكيل من قبل قريش. وذلك لأن المسلمين تركوا دين آبائهم - دين عبادة الأصنام - واعتنقوا الإسلام.

فلما اشتد الإيذاء والتنكيل، بلغ الأمر بالمسلمين إلى أن شكوا إلى الرسول ﷺ من شدة ما يلقون من أذى قريش، يقول الصحابي خباب بن الأريث - رضي الله عنه - : ((شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا...))^{2,3}

ولأنه لم يكن وقت القتال والمصادمة، اتخذ النبي ﷺ موقف تثبيت المسلمين وتقوية عزائمهم.

فاتخذ ﷺ من القصة وسيلة يزيل بها عن قلوب أتباعهم همومهم، ويخفف عنهم ما نزل بهم من عنت وأذى من قبل أعدائهم المشركين.

¹ انظر: مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث: 4967

² انظر: البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3343

³ انظر: القصص في الحديث: ص 364-365

ومن أجل تحقيق هدفه هذا، قص ρ على من جاءوا إليه بهذه الشكوى قصة (الرجل الذي شقَّ رأسه باثنين).

وهذه القصة تصور شدة ما يلقاه أسلافهم من المؤمنين، وتعرض بعض ما كانوا يلقونه من أبشع ألوان التعذيب، حتى لقد كان الرجل منهم يحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق به نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ولكنه مع ذلك ثابت صابر لا يحيد ولا يلين ولا يصدده ولا يصد أمثاله عن دينهم، وفي نهاية القصة يبشر الرسول ρ المسلمين بالنصر والتمكين فيقول لهم: ((قَالَ ρ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاِثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)).¹

¹ انظر: البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: 3343

أنواع القصة في الحديث النبوي ρ

يرى محمد بن حسن الزبير أن أنواع القصة النبوية ρ ثلاثة، وهي:

1- القصة الواقعة للرسول ρ .

2- القصة التمثيلية.

3- القصة الغيبية.

1- القصة الواقعة للرسول ρ: هذه القصص تجارب ذاتية حدثت للرسول

ρ في أحيان مختلفة من حياته، وفي ظروف شتى. وهي تشبه المذكرات التي يدونها الإنسان عما يحدث له في حياته.

فاختار النبي ρ من القصص الواقعة له من أهم تجاربه وأكثرها إثارة، ليجعلها مادة قصصية، ينسج منها وقائع ما يقصه على أصحابه مستهدفاً من وراء ذلك، ما يحققه عرض هذه التجارب من تعميق إيمان الصحابة بالرسول والرسالة، حين تجسد هذه التجارب النادرة في حياة الرسول ρ أمام المسلمين، ممثلة في هذه الصور القصصية.¹

فقصة (شق الصدر) من أهم هذه القصص، والتي أخبرنا ρ فيها عن فترة صباه، عندما كان يعيش بين ظهرائي بني سعد بن بكر².

¹ انظر: القصص في الحديث، ص 267

² سعد بن بكر بن هوازن، من عدنان: جدّ جاهلي. امتاز بنوه بالفصاحة. وفيهم نشأ النبي ρ في طفولته، إذ تسلمته حليلة (السعدية) من أمه، وحملته إلى المدينة، وأحسن تربيته. ولما رده إلى مكة نظر إليه عبد المطلب فامتألاً سروراً، وقال: جمال قريش، وفصاحة (سعد) وحلاوة يثرب.

[انظر: نهاية الأرب، النويري، طبعة دار الكتاب، القاهرة: ص 240؛ جمهرة أنساب العرب، ص 253

؛ الأعلام: 84/3]

قص النبي ρ هذه القصة على الصحابة عندما سأله رجل سؤالاً، وهو: كَيْفَ كَانَ أَوَّلَ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فأجابه الرسول ρ بهذه القصة: كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا فَقُلْتُ يَا أَحِي اذْهَبْ فَأَتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنَا فَأَنْطَلَقَ أَحِي وَمَكَّثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ فَأَقْبَلَ طَائِرَانِ أَبِيضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَهْوَى هُوَ قَالَ الْآخَرُ نَعَمْ فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا فَشَقَّ بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ائْتِنِي بِمَاءٍ تُلْجُ فَعَسَلَ بِهِ جَوْفِي ثُمَّ قَالَ ائْتِنِي بِمَاءٍ بَرَدٍ فَعَسَلَ بِهِ قَلْبِي ثُمَّ قَالَ ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ فَذَرَّهُ فِي قَلْبِي ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ حُصْنُهُ فَحَاصَهُ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي أَشْفِقُ أَنْ يَخْرَجَ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ فَقَالَ لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ وَفَرَّقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ التَّبَسَّ بِِي فَقَالَتْ أُعِيدُكَ بِاللَّهِ فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلْتَنِي عَلَى الرَّحْلِ وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بُلَّغْتَنَا إِلَى أُمِّي فَقَالَتْ أَدَيْتُ أَمَانَتِي وَذَمَّتِي وَحَدَّثْتَهَا بِالَّذِي لَقِيتُ فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ وَقَالَتْ إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ خَرَجَ مِنِّي يَعْنِي نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ.¹

ويبلغ عدد هذا النوع من القصص خمسة عشر نصاً²، منها: قصة رأى فيها النبي ρ جبريل عليه السلام، وهو ρ في طريقه إلى مكة، بعد أن اعتكف بغار

¹ انظر: سنن الدارمي، المقدمة، كيف كان أول شأن النبي ρ ، رقم الحديث: 13، قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف بقية بن الوليد يدللس تدليس التسوية وقد عنعن في هذا الاسناد.

² انظر: القصص في الحديث، ص 267

حراء لمدة شهر، وهناك في بطن الوادي رأى جبريل على كرسي بين السماء والأرض....¹، ومنها قصة (صوت من السماء)² فقد سألته عائشة³ رضي الله عنها: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ فأجابها بهذه القصة، ذكر فيها تجربة من التجارب العظام التي قد يمرّ بها الداعي، تجربة ممتلئة بالمواعظ الحسنة، والدروس المفيدة، وما يلزم على كل داعية تعلمها والتحلي بها في طريقه الصعب إلى الله.

2- القصة التمثيلية: القصة التمثيلية قصة ضربها الرسول ﷺ لتوضيح

قضايا كلية وحقائق عقلية مجردة، وجسدها في قالب قصصي حسي، ليعرضها على أصحابه وغيرهم من المسلمين، واستهدف منا تأكيدها في نفوسهم، بوضعها في صورة تجعل السامعين والقراء أكثر قدرة على الفهم والإدراك، بصرف النظر عن كونها واقعية من الناحية التاريخية أم لا. ومن هذه القصص قصة عبد فقد راحلته:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.⁴

¹ انظر: البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب حدثنا قتيبة حدثنا حماد...، رقم الحديث: 4572

² انظر: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث: 2992

³ عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين. أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. لها 2210 أحاديث. توفيت في المدينة عام 58 هـ.

[انظر: الإصابة، كتاب النساء، ت 701؛ طبقات ابن سعد: 39/8]

⁴ انظر: مسلم، التوبة، في الحز على التوبة والفرح بها، رقم الحديث: 4932

وفي هذه القصة يوضح النبي ρ فكرة أن الله يفرح أشد فرحاً في حين يتوب إليه عبده.¹ وهذه الفكرة - أي فكرة فرح الله بتوبة عبده - فكرة معنوية مهمة، حرص الرسول ρ استقرارها في شعور المسلمين، ورسوخها في نفوسهم، لذا عمد إلى تمثيلها في قصد فقد راحلته ثم وجدها يعد يأس، عندئذ استولت عليه حالة شديدة من الفرح، أخرجته عن طوره حتى ليقول من شدة فرحه (الله أنت عبدي وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح.

ومنها قصة (القائم على حدود الله):

عن النبي ρ قال مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا.²

ومنها قصة (المستأجر والأجراء)³، وقصة

(موضع اللبنة)⁴، وقصة (قوم سفر)¹.

¹ انظر: القصص في الحديث النبوي، ص 276

² انظر: البخاري، الشركة، هل يقرع في القسمة والاستهام فيه

³ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ ... وَاسْتَأْجَرَ أَجْرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قَالَ لِلْقَوْمِ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ وَقَالَ مِثْلُ مَا قَالَ الْقَوْمُ ... وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ نَبِيَّةً يَوْمَهُمْ فَعَمِلُوا حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ...

[انظر: البخاري، الإجارة، الإجارة من العصر إلى الليل، رقم الحديث: 2110]

⁴ مَثَلِي فِي النَّبِيِّينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَأَجْمَلَهَا وَتَرَكَ مِنْهَا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبِنَاءِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ لَوْ تَمَّ مَوْضِعُ تِلْكَ اللَّبْنَةِ.

3- القصص الغيبية: وهذه القصص مصدرها الوحي, وهي تنقسم إلى

أقسام:

أ- القصة التاريخية: أي وقائع وقصص تاريخية وقعت في الماضي, كقصة (الأبرص والأقرع والأعمى): **إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْ أَنَّ حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقْرُ هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقْرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ فَقَالَ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقْرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْعَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ عَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِي الْحِيَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغَ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يُقَدِّرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ**

[انظر: سنن الترمذي, المناقب عن رسول الله, في فضل النبي p, رقم الحديث: 3546, حديث حسن]

¹ انظر: مسند أحمد, من مسند بني هاشم, بداية مسند عبد الله بن عباس, رقم الحديث: 2402,

تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

² انظر: القصص في الحديث النبوي, ص 278-279

وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبْلُغَ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَعْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أُمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَيَّ صَاحِبِيكَ.¹

ومنها قصة (أصحاب الأعداء)² وغيرها من القصص.

ب- قصص المستقبل: هذه القصص معروفة لدى العلماء والمسلمين بـ

(أحاديث الفتن والملاحم)، وموضوعها أحداث ستحدث في نهاية الزمان، وتأتي

كعلامات بين يدي الساعة. ومن هذه القصص قصة يأجوج ومأجوج

وهذه القصص النبوية تفسر ما جاء مجملاً في القرآن الكريم عن علامات

يوم القيامة. ومن هذه القصص قصة يأجوج ومأجوج:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَخْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَنَخْفِرُهُ غَدًا فَيَعِيدُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتْهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَخْفِرُونَهُ غَدًا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَنْنُوا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرُكُوهُ فَيَخْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَنْشِفُونَ الْمَاءَ وَيَتَخَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَزُمُونَ بِسَهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ فَيَقُولُونَ فَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ

¹ انظر: البخاري، أحاديث الأنبياء، حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، الرقم: 3205

² انظر: مسلم، الزهد والرفائق، قصة أصحاب الأعداء والساحر والراهب والغلام، الرقم: 5327

السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ نَعَمًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُنَّ وَتَشْكُرُ شُكْرًا مِنْ لِحْمِهِمْ.¹

ومن هذه القصص قصة (المسيح الدجال)، وقصة (أمر الساعة)، وغيرها
من القصص.²

ج- قصص البعث واليوم الآخر: إن قضية البعث والنشور من أصعب
القضايا التي جابه بها النبي ﷺ لأن العرب تعرضوا لها منكرين جاحدين في إصرار
قاس. جاء في الروايات أن أبي بن خلف أو العاص بن وائل³ أتى النبي ﷺ مرة
بعظم حائل بيده، (فقال: يَا مُحَمَّدُ أَتَرَى أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا رَمَى! فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: نَعَمْ وَيَبْعَثُكَ اللَّهُ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ)، فنزلت هذه الآية (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي
الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ⁴).⁵

هذا الحادث وغيره لا يدل إلا على كون قضية البعث والنشور قضية أنكرها
العرب إنكاراً باتاً، واستغربها أشد ما يكون الاستغراب.
ويسجل القرآن إنكار العرب هذه القضية في عدة آيات، منها: ﴿وَقَالَ

¹ انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج
ومأجوج، رقم الحديث: 4070، صححه الألباني.

² انظر: القصص في الحديث: ص 290

³ العاص (أو العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: (م 3 ق هـ) أحد الحكام في الجاهلية.
كان نديما لهشام بن المغيرة. وأدرك الاسلام، وظل على الشرك. ويعد من (المستهزئين) ومن (الزنادقة)
الذين ماتوا كفارا وثنيين.

[الأعلام، 247/3]

⁴ يس: 77-78

⁵ انظر: تفسير القرطبي، في تفسير سورة يس، تحت آية 77-78

الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ. أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ. ¹

تجاه هذا الإنكار العنيف لهذه القضية الأساسية في الدعوة الإسلامية, قام
الني ρ بتأكيد قضية البعث بكل ما لديه من وسائل الأساليب - ومنها أسلوب
القصة أيضاً - فاستعملها النبي ρ بشكل مستفيض في الحديث عن أحداث
البعث واليوم الآخر, ولا شك أن انتهاج القصة في عرض اليوم الآخر وتأكيده أبلغ
بكثير مما لو تناول هذه القضية بصورة تقريرية نظرية.²

وقد تناولت القصة النبوية ρ الحديث عن اليوم الآخر في أربعة وأربعين
نصاً,³ نتناول بعضاً منها هنا.

وعند استعراض قصص النشر واليوم الآخر, يتضح أن أحداثه تبدأ بالنفخة
الثانية في الصور, حيث يخرج الناس من أحداثهم قياماً ينظرون, ثم يقال: (يَا أَيُّهَا
النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتَوْلُونَ .. الخ)⁴ ويحشر الناس جميعاً في صعيد
واحد (يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفَعُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَلْبِغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ
وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ...) ⁵ ثم يذهب الناس إلى الأنبياء يبحثون عن
شفيع ينجيهم من هذه الحالة الشاقة الصعبة, ويعرض الرسول ρ موقف الناس هذا

¹ سبأ: 7, 8

² انظر: القصص في الحديث: ص 290-291

³ انظر: القصص في الحديث: ص 292

⁴ انظر: مسلم, كتاب الفتن وأشراط الساعة, باب في خروج الدجال ومكته في الأرض ونزول عيسى,

رقم الحديث: 5233

⁵ انظر: البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب ذرية من حملنا مع نوح, رقم الحديث: 4343

وترددهم على الأنبياء في طلب الشفاعة في عدد كثير من القصص, ثم يقام الجسر
(بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا
الرُّسُلُ وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ...) ¹ ثم تعرض القصة ألواناً من
الحساب. وكذلك بعض المرائين الذين نجد صورة لهم ممثلة في الرجل الذي يدور في
النار كما يدور الحمار, وقد اندلقت أمعاء بطنه وأهل النار مجتمعون حوله. ²

وكذلك حين يطرح فوج من أهل النار فيها, يقال لها: (هَلْ امْتَلَأْتِ فَتَقُولُ
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ
ثُمَّ قَالَ قَطُّ قَالَتْ قَطُّ قَطُّ ..) ³ و (يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ
مِنَ الْعَذَابِ فَيَسْتَنغِيثُونَ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ
فَيَسْتَنغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُعَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ ..) ⁴

وكذلك الجنة, لا يشتهي فيها شيئاً إلا تحقق مهما كان, حتى ليتدلل
أحدهم فيطلب من الله أن يزرع في الجنة فيقول الله له: (أَلَسْتَ فِيمَا سِتَّتَ قَالَ
بَلَى وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُرْعَ قَالَ فَبَدَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ
فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ...) ⁶
وكذلك قصة أهل الجنة وأهل النار لكي يكتمل نعيمهم وشقاؤهم, في نهاية

¹ انظر: البخاري, كتاب الأذان, باب فضل السجود, رقم الحديث: 764

² انظر: البخاري, كتاب بدء الخلق, باب صفة النار وأنها مخلوقة, رقم الحديث: 3027

³ انظر: سنن الترمذي, كتاب صفة الجنة عن رسول الله, باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار,
رقم الحديث: 2480, صححه الألباني.

⁴ انظر: سنن الترمذي, كتاب صفة جهنم عن رسول الله p, باب ما جاء في صفة طعام أهل النار,
رقم الحديث: 2511, ضعفه الألباني.

⁵ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص 293

⁶ انظر: البخاري, المزارعة, كراء الأرض بالذهب والفضة, رقم الحديث: 2177

المطاف: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ ...) ¹.

د- قصص من عالم الغيب: وكذلك نجد في الحديث النبوي p مجموعة

من القصص تتعلق بعالم الغيب, وهي ذات موضوعات شتى, لكن يجمعها رابط واحد, وهو أن كلها تتحدث عن أمور غيبية, ولا شيء إلى معرفة أي شيء منها إلا عن طريق من طرق الوحي, كقصة كلمة عبد حمد بها الله: اِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَعَضَّتْ بِالْمَلَائِكِينَ فَلَمْ يَدْرِيأ كَيْفَ يَكْتُبَانَهَا فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَا يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي قَالَ يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا اَكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا. ²

أو كقصة أشد من الريح: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ p قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَتَعَجَّبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ قَالَ نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالَتْ يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ قَالَ نَعَمْ النَّارُ قَالَتْ يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْمَاءِ قَالَ نَعَمْ الْمَاءُ قَالَتْ يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ قَالَ نَعَمْ ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ. ³

¹ انظر: البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب قوله وأنذرهم يوم الحسرة, رقم الحديث: 4361

² انظر: ابن ماجه, كتاب الأدب, باب فضل الحامدين, رقم الحديث: 3791, ضعفه الألباني.

³ انظر: مسند أحمد, باقي مسند المكثرين, مسند أنس بن مالك, رقم الحديث: 11805, تعليق

أو كقصة جر السلسلة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصِّفَا فَيُصَعِّقُونَ فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيْلُ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيْلُ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالَ فَيَقُولُونَ يَا جِبْرِيْلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ فَيَقُولُ الْحَقُّ الْحَقُّ الْحَقُّ.¹

أو كقصة من أحبه الله² أو كقصة (حفت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات)³ أو
مثل قصة (المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام).^{4,5}

هذا بعض ما ورد من النصوص القصصية في الحديث النبوي ﷺ، وعلى من

¹ انظر: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم الحديث: 4113، صححه الألباني.

² إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيْلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيَحِبُّهُ جِبْرِيْلُ فَيُنَادِي جِبْرِيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.

[انظر: البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث: 2970]

³ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيْلَ إِلَى الْجَنَّةِ لِيَنْظُرَ مَا أَعَدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا ... فَرَجَعَ إِلَيْهَا قَالَ فَوَعِظْتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ... قَالَ أَذْهَبَ إِلَى النَّارِ فَانظُرْ إِلَيْهَا ... فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعِظْتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعِظْتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا.

[انظر: سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة عن رسول الله، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، رقم الحديث: 2483، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح]

⁴ إن موسى قال لآدم عليه السلام ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة بعد أن نفع الله فيك من روحه وعلمك الأسماء فقال له آدم عليه السلام: وَمَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا مُوسَى ... قَالَ (آدم لموسى) أَمَّا وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فِيمَ تُلُومِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي.

[انظر: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم الحديث: 4080، حسنه الألباني]

⁵ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص 295-298

يريد أن يشاهد صور مفصلة كاملة للقصص التي وردت في أحاديث الرسول ρ ,
أن يرجع إلى أمهات كتب الحديث.

أثر الحديث في القصة

1- تطهير القصة الإسلامية من الموضوعات الخرافية:

كانت للعرب قصص نسجت حول أوأبدهم - والأوابد ((هي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية, بعضها يجري مجرى الديانات, وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات, وبعضها يجري مجرى الخرافات... وهي عدة أمور: الكهانة, والزجر, والطيرة, والميسر, والأزلام, والبحيرة, والسائبة, والوصيلة, والحام, وإعلاق الظهر... ورمي البعرة, ووأد البنات... والهامة, وتأخير البكاء على الميت للأخذ بثأره... والغول, وضرب الثور لتشرب البقر, وتعليق سن الثعلب, وسن الهرة... وتعليق الحلي على السليم... وكى السليم ليبراً الأجر... ورمي سن الصبي المثغر في الشمس...)).¹

وهي سميت بالأوابد لأنها شاعت, وتداولها الناس, فعاشت بينهم أفعالاً وكلاماً, وظنها العرب أبدية العيش فسموها الأوابد, ثم جاء الإسلام فنسخها, فلم يبق منها غير القصص التي نسجت للكشف عن أصولها.

ومن أعاجيب أخبارهم في ذلك أن هند ابنة عتبة بن ربيعة² كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي³, وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن,

¹ انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء, 454/1

² هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: (م 14 هـ) صحابية، قرشية، عالية الشهرة. وهي أم الخليفة الأموي " معاوية " بن أبي سفيان.

[انظر: الطبقات الكبرى, 170/8]

³ الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم: أحد الفصحاء المقدمين، من قريش، في الجاهلية. كان ندبما لعوف بن عبد عوف الزهري (أبي عبد الرحمن) وهو عم " خالد بن الوليد " وعده ابن حبيب في " أشراف العميان " وقال: قتل بالغميصاء. [الأعلام, 133/5]

فخللا البيت يوماً فاضطجع الفاكه هو وهند فيه، ثم نهض الفاكه لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رآها ولّى هارباً وأبصره الفاكه فأقبل إلى هند فركضها برجله وهي نائمة فانتبهت. فقال: من ذا الذي خرج من عندك. فقالت: لم أرَ أحداً وأنت الذي أنبهتني. فقال لها: اذهبي إلى بيت أبيك فأقيمي عنده! وتكلم الناس فيها. فقال له أبوها: إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن، فخرجوا في جماعة من قومها إلى كاهن من كهّان اليمن ومعهما هند ونسوة أُخرى، فلما شارفوا بلاد الكاهن، قالت هند لأبيها: إنكم تأتون بشراً يصيب ويخطئ ولا آمنه أن يسميني ميسماً يكون عليّ سبّة. فقال أبوها: سأختبره لك فصقّر لفرسه حتى أدلى، فأدخل في إحليله حبة حنطة وشدّ عليها بسير، فلما دخلوا على الكاهن، قال له عتبة: إنا قد جئناك في أمر وقد خبأت لك خبأً اختبرك به فانظر ما هو فقال ثمرّة في كمرّة. فقال أريد أبين من هذا. فقال: حبة برّ، في إحليل مُهر. فقال له: انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحدهنّ فيضرب بيده على كتفها ويقول انهضي حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء ولا زانية وتلدنّ مليكاً اسمه معاوية؛ فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فجذبت بيدها من يده. وقالت: إليك عني! فوالله لأحرص على أن يكون من غيرك، فتزوجها أبو سفيان ابن حرب فولدت له معاوية، فكان من أمره ما كان إلى أن انتهت به الحال إلى الخلافة، وقد أخبر جماعة من الكهنة بمبعث النبي μ قُرب ظهوره منهم سطيح⁴ الكاهن وغيره.⁵

كانت للعرب قصص قبل الإسلام، منها ما لم تكن تلائم التعليمات

⁴ هو ربيع بن ربيعة، كاهن جاهلي غسّاني، من المعمرين، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه.

[انظر: الأعلام: 14/3]

⁵ انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 455-454/1

الإسلامية، فقام الإسلام بنسخها، ولم يبق منها إلا قليل. فهذا كان توجيهاً إيجابياً من قبل الإسلام - القرآن والحديث - أن يطهر الأدب الإسلامي من مثل هذه السلبيات، ووجهه إلى الإيجابية التي تعتمد على الواقعية والهدف.

2- أثر قصة الإسراء والمعراج على الأدب العربي:

وقد كان لقصة (الإسراء والمعراج) أثر كبير في الأدب العربي والأجنبي، وأثره في الأدب العربي نجده في مظهرين؛ الأول، ما نجده من امتداد حديث المعراج في روايات متعددة، ظهرت عليها علامات الوضع والتزيّد، ويُرَى فيها الاضطراب، وأطلق واضعوها العنان لخيالهم إلى حد كبير، وقد ثار حولها كلام كثير من قبل المحدثين والمفسرين والمؤرخين، ولا شك أن هذه الروايات من وجهة النظر الأدبية تعتبر كسباً أدبياً لفن القصة في الأدب العربي، والمظهر الثاني، الذي يبدو فيه أثر قصة (الإسراء والمعراج) في الأدب العربي أيضاً، هو (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري⁶، التي تمثل رحلة خيالية إلى الجنة والنار، فلا شك أن قصة (المعراج) هي التي أوحى إليه بفكرة الرسالة، وما سجله فيها من رحلة في عالم الغيب، ومقابلته لكثير من الشخصيات التي طواها الفناء، ومشاهدة بعض أحداث ذلك العالم الغيبي غير المنظور، وهذه عناصر تشترك فيها رحلة المعري مع حديث المعراج، فالمعراج رحلة إلى عالم غيبي، وكان الرسول ρ في أثناء الرحلة وفي كل سماء يلتقي ببعض الأنبياء ويتحدثون معه ρ ، كما أنه شاهد بعض أحداث ذلك العالم.

وقد أثر (المعراج) أيضاً في بعض متصوفة الأدب العربي كمحي الدين بن عربي الأندلسي⁷؛ حيث نجده في الفتوحات المكية يذكر العرش والسدرة، وأنوار

⁶ لقد مرت ترجمته.

⁷ ابن عربي (أبو بكر محمد بن عبد الله) (ت 543 هـ / 1148م): عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والنحو والتاريخ. ولد في اشبيلية وتوفي بالقرب من فاس. ولي القضاء بإشبيلية.

الجليل تبارك وتعالى. وكذلك أبو زيد البسطامي⁸ كانت له رحلة روحية تخيل أنه قام بها إلى السماء, وهو يبدوها بأنه رأى في المنام كأنه عرج به إلى السماوات ... الخ.⁹

3- أثر قصة الإسراء والمعراج على الأدب الأجنبي:

وحيث نتلمس أثر (المعراج) في الأدب الأجنبي, نجد شواهد كثيرة على أن قصة المعراج انطلقت في تأثيرها إلى آفاق عالمية أوسع, ولعل الأدب الفارسي كان حظه من التأثير كبيراً, كما يبدو في آثار متصوفة الفرس, وعلى رأسهم الشاعر الكبير (سنائي)¹⁰ الذي نجده يكتب رحلة خيالية يصور فيها مقامات المتصوفين وأحوالهم من خلال رموز ومصطلحات يعرفها أهل التصوف. وفي إيطاليا¹¹ تعد (كوميديا دانتي الإلهية), مفخرة الأدب الإيطالي, وقد

من مؤلفاته: (شرح الجامع الصحيح للترمذي), (العواصم من القواصم).

[انظر: المنجد في الأعلام: ص12]

⁸ البسطامي (طيفور بن عيسى, أبو يزيد البسطامي) (ت 261هـ): صوفي شهير كان جده مجوسياً يُستدل مما جاء عنه أنه أول من قال بمذهب الفناء ووحدة الوجود. توفي ببسطام.

[انظر: الأعلام: 235/3؛ المنجد في الأعلام: ص132]

⁹ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص270-271

¹⁰ سنائي (عبد المجيد) (ت نحو 1180م): آخر الشعراء الغزنويين الكبار في الهند له ديوان مدح فيه عظماء الرجال. بكته أحدهم على انصرافه عن مديح الله إلى مديح البشر فترك الشعر وقضى باقي حياته في الزهد.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص367]

¹¹ إيطاليا: هي دولة أوروبية تقع في جنوب القارة الأوروبية. تتكون إيطاليا من ثلاث أجزاء أساسية، الأرض المتصلة بأوروبا، وجزيرتين هما صقلية وسردينيا.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص50]

اختلف كثير من المستشرقين حول تأثير دانتي¹² بقصة (المعراج) وعدم تأثره، ولكن المستشرق (آسين بلاسيوس)¹³ استطاع أن يتناول هذه القضية بشيء من الجدية والموضوعية، إلى أن انتهت أبحاثه إلى إثبات الأثر الإسلامي في كوميديا دانتي من خلال مقارنة متأنية بين كثير من مواد (الكوميديا) وبين ما يشبهها في القرآن والحديث، وكذلك بمقارنتها بأثار ابن عربي أيضاً.

وقد جاء بعد بلاسيوس مستشرق إيطالي هو الأستاذ (مونيري دي فييار)¹⁴ وتتبع هذه القضية حتى عشر على ترجمتين خطيتين لقصة المعراج، وكانت واحدة منهما مكتوبة بالفرنسية، والأخرى باللاتينية، وقد جاء بعد ذلك الأستاذ الإيطالي (تشيرولي)¹⁵ فقام بدراسة المخطوطتين، لينتهي إلى تأكيد رأي بلاسيوس الأسباني، ومونيري الإيطالي.

ومما يؤكد بشكل قاطع تأثير دانتي بحديث المعراج، هو وجود ذكر لقصة المعراج المترجمة في كتابين من تأليف كاتبين إيطاليين، عاش أحدهما في منتصف القرن الرابع عشر، والآخر في أواخر القرن الخامس عشر، كما يصرح المستشرق الإيطالي (امبرتوريزيانو)^{16.17}.

¹² دانته ألياري Dante Alighieri (1265 - 1321م): من أعظم شعراء إيطاليا ومن رجالات الأدب العالمي. خلد اسمه بملحمته الشعرية (الكوميديا الإلهية) وصف فيها طبقات الجحيم والمطهر والفردوس في سفرة وهمية قام بها بقيادة فرجيليوس وحببته بياتريس.

[انظر: المنجد في الأعلام: ص281]

¹³ لم أجد ترجمته فيما لدي من المصادر.

¹⁴ أيضاً.

¹⁵ أيضاً.

¹⁶ أيضاً.

¹⁷ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص271-272

4- التنوع في الموضوعات:

كما سلف في (موضوعات القصة النبوية ρ) أن النبي ρ تناول في قصصه موضوعات عديدة، وقد أحصى البعض عدداً كبيراً من القصص في الحديث النبوي ρ ما يبلغ عددها إلى (139) نصاً تختلف في عرضها، مجردة عن التكرار وتعدد الروايات.¹⁸

هذه القصص النبوية ρ هي ثروة عظيمة أثرت في القصة العربية والإسلامية من ناحية، وفي الأدب العربي والعالمي من ناحية أخرى.

5- الهدف:

كما تناولنا سابقاً في (أغراض القصة النبوية ρ) كيف كانت القصة خاضعة للغرض الديني، مسخرة من أجل خدمته، وتوضيح قيمه ومبادئه، وتعميقها في نفوس المسلمين، وذلك لأن كل نشاط، فناً قصصياً كان أو غير ذلك، له هدف ورسالة ووظيفة في منطق الإسلام وهو تعبير قيم الإسلام.

والقصة النبوية ρ تعطينا في هذا المجال مثلاً حياً على أن الأدب الإسلامي أدبٌ موجه، وهي قيمة نقدية يجب أن تأخذ مكانها اللائق في مجال النقد الأدبي في مجال القصة بخاصة. كما يجب أن ينظر إليها قاصصونا المسلمون بعين الاعتبار والأهمية.¹⁹

6- الواقعية:

والواقعية في القصة النبوية ρ تعني أنها تخبر عن أمور حدثت، وشخصيات وجدت، وأنه ليس فيها اختراع للشخصيات، أو تلفيق للحوادث، وهي واقعية في طريقة تناولها للموضوعات، وعرضها للشخصيات. وقد تجلت فيها أكثر ملامح

¹⁸ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص 271-272

¹⁹ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص 270

الواقعية في القصة القرآنية، فهي واقعية مثالية، حيث تعرض لنا لحظات الهبوط التي تلم بالإنسان، ولكنها لا تقف عندها طويلاً، بل تصور لنا الإنسان وقد ارتقى وسما بعد هبوطه. وهذا ما نجده في قصة (ثلاثة كانوا في كهف فوق الجبل على باب الكهف)²⁰ وقد ظهر عليها عندما همّ بها الخوف من الله عز وجل، فغف عنها وترك لها المال الذي أعطاه إياه.²¹

7- الوسيلة النظيفة:

كانت القصة النبوية ρ وهي تلم بلحظات الضعف عند الإنسان وتصورها، تستعمل وسيلة نظيفة تستطيع بها أن تنقل تلك اللحظة وتعبر عنها، ولكن دون أن ينزل التعبير نفسه، أو تنزل القصة ذاتها إلى مستوى تلك اللحظة الهابطة، ومن أجل ذلك تختار القصة طريقة مناسبة في التعبير والعرض تحقق لها الوسيلة النظيفة السامية ينشدها منهج الفن الإسلامي، ونستطيع أن نتبين مظاهر هذه النظافة في القصة النبوية ρ في أكثر من أسلوب:

- استعمال القصة للألفاظ والعبارات العفيفة عند عرض موقف الفاحشة، ولحظات الجنس، واستعمال الكنايات المناسبة، وتفضيلها على العبارات الصريحة المكشوفة، وقد نجحت القصة في هذا برغم ما في موضوعات الجنس من حرج شديد، واستطاعت أن تفي بالغرض الموضوعي والفني من خلال وسيلة رفيعة، كما نجد مثلاً في قصة (الكفل) مثل هذه العبارة: (... على أن يطأها، فلما قعد منها

²⁰ انظر: مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي، رقم الحديث: 17691، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن ورجاله ثقات.

²¹ انظر: خصائص القصة الإسلامية: ص 229

مقعد الرجل من امرأته ..¹ وكذلك في قصة (الرجل والمرأة) حيث يقول الرجل وهو يراود المرأة عن نفسها: (لا والله ما هو دون نفسك) وقوله وهو يصف حاله معها: (فلما تكشفتها)² ونجد هذه العفة في العبارة في قول المرأة نفسها وهي تخاطب الرجل حول هذا الموقف الجنسي (اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه)³.

- ونجد أن القصة النبوية p تحمل أيضاً وصف محاسن المرأة، وتصوير مفاتنها، وما هي عليه من إغراء، يثير تلهذ المتابع للقصة بمشاهد الجنس المنحرفة.

- كما نلاحظ أنه p يمر سريعاً بمواقف الضعف والهبوط، ولا يقف عندها طويلاً؛ لأنها لا تستحق ذلك، ولا تستأمله، وهي ليست سوى عارض من عوارض الحياة لا يلبث الإنسان أن يفيق منه، ويستعلي عليه.

- وعلى العكس من ذلك يقف طويلاً عند لحظة الإفاقة والارتفاع والسمو، لأنها جديرة في نظره p بالوقوف الطويل أمامها، والإعجاب بها، وتركيز الإضاءة عليها، لأنها اللحظة اللائقة بالإنسان.⁴

¹ انظر: الترمذي، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع منه، باب منه، رقم الحديث: 2420، ضعفه الشيخ الألباني.

² انظر: مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي، رقم الحديث: 17691، قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

³ انظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث: 3206

⁴ انظر: القصص في الحديث النبوي: ص 382-380

الأمثال العربية ودور الحديث في تطورها

التمهيد

الأمثال لها أهمية كبيرة لدى كل الشعوب. وهي لا تقتصر على طبقة من طبقات المجتمع, كما لا تقتصر على أمة من الأمم. فكل من العامة والحكماء والأدباء والعلماء يضربونها على السواء.

لقد عرف العرب المثل منذ القدم. فقد جرى المثل على ألسنتهم مجرى الشعر. وأدبهم حافلٌ بالأمثال المستقاة من حياتهم وأخلاقهم وعاداتهم, توضح لنا أحوال معاشرتهم وهيئة اقتصادهم, ومعرفتهم ببيئتهم.

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أفصح العرب. وكان يعرف دور المثل ومكانته عند قومه, كما كان يتلو آيات الأمثال المضروبة للناس, ويجد أثرها في الردّ والتحدي, والترغيب والترهيب. فحظي المثل باهتمامه كوسيلة من وسائل معينة على أداء مهمة تبيين الإسلام

في الفصل التالي, نتناول الكلام حول المثل, والهدف من ضربه, وأهميته ومكانته, وتأليف العلماء في هذا الفن, وأنواعه, ثم عن أثر الحديث النبوي فيه.

الأمثال ومكانتها

الأمثال لغةً:

الأمثال، جمع كلمة المثل، والمثل في اللغة كالمثل، وهو الشبه.¹ فالمثل: الشيء الذي يُضرب بشيء مثلاً فيجعل مثله.² وبه قال الزمخشري³: "المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير... ثم قيل للقول السائر مضربه بمورده"⁴، وكذلك قال الإمام الراغب الإصفهاني⁵ إن "المثل عبارة عن قول في شيء يُشبهه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوّره نحو قولهم "الصيف ضيعت اللبن"⁶، فإن هذا القول يشبه

¹ انظر: اللسان، تحت مادة (مثل)، 610/11

² نفس المصدر، 611

³ الزمخشري: (ت 538هـ) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري جاز الله كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب. واسع العلم، كبير الفضل متفنناً في علوم شتى مذهب المعتزليّ. من مؤلفاته: "المفصل في النحو"، و "الكشاف عن حقائق التنزيل"، و "كتاب الفائق في غريب الحديث"، و "أساس البلاغة"، و "أطواق الذهب"، و "نوابغ الكلم"

[انظر: طبقات المفسرين، 415/2]

⁴ انظر: الكشاف للزمخشري: 195/1

⁵ الراغب الأصفهاني (ت 502هـ): الحسين بن محمد، أبو القاسم الأصفهاني (الأصبهاني) العروف بالراغب. أديب، من الحكماء العلماء. سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء) و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الأخلاق) و (المفردات في غريب القرآن).

[انظر: روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري، تحقيق: محمد أسد الله، مكتبة إسماعيليان، طهران، إيران:

ص 249؛ كشف الظنون: 36/1]

⁶ انظر: مجمع الأمثال: 68/2

قولك أهملت وقت الإمكان أمرك.⁷

وضرب المثل: هو اعتبار الشيء بغيره "واضرب لهم مثلاً"⁸؛ أي اذكر لهم ومثّل لهم.⁹ و "ضرب الله مثلاً"¹⁰ أي وصف وبيّن, وقولهم: ضرب له المثل بكذا, إنما معناه بيّن له ضرباً من الأمثال أي صنفاً منها.¹¹

المثل اصطلاحاً:

لقد عرفّ العرب المثلَ فنياً بعد أن عرّفوه لغةً, فتناولوه من جوانب مختلفة, حتى اجتمعت لدينا العديد من التعريفات له, وكل تعريف يصوّر لنا جانباً من جوانبه, حتى نستطيع أن نرى صورة كاملة له. ففي التالي بعض التعريفات للعلماء واللغويين, نحاول بها أن نرى رؤية كاملة للمثل:

1- قال أبو عبيد القاسم بن سلام¹²: "هذا كتاب الأمثال, وحكمة العرب في الجاهلية والإسلام, وبها كانت تعارض كلامها, فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في

⁷ انظر: مفردات القرآن, الراغب الإصفهاني، الإمام, تحقيق نديم مرعشلي, مكتبة المرتضوية, (د-ط-ت) تحت مادة (مثل), ص 482

⁸ يس: 13

⁹ انظر: اللسان, 545/1, تحت مادة: ضرب

¹⁰ التحريم: آية 11

¹¹ اللسان: 549/1, مادة ضرب

¹² القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي, بالولاء, الخراساني البغدادي, أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقهاء. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدباً. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة, من كتبه (الغريب المصنف) و (الطهور) و (الأجناس من كلام العرب) و (أدب القاضي) و (الأمثال).

[انظر: تذكرة الحفاظ: 5/2؛ ابن خلكان: 418/1؛ طبقات اللغويين والنحويين, للزبيدي, تحقيق: محمد

أبو الفضل, ط2: (لات), دار المعارف, مصر: 215؛ الأعلام: 176/5]

المنطق بكناية غير تصريح, فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجازاللفظ, وإصابة المعنى, وحسن التشبيه.¹

فالأمثال في هذا التعريف:

أ. الحكمة الناتجة عن التجربة.

ب. كما أنه يزعم أن التعبير بالمثل كناية بطريقة غير مباشرة. وهذا غير صواب إذا أخذنا الكناية بمعناها الاصطلاحي في علم البيان, لأن ثمة أمثال كثيرة في الأسلوب التمثيلي. أما إذا أخذنا الكناية في هذا التعريف بمعناها الاصطلاحي فهو صواب, ولا بأس به إذاً.

ج. والتعبير "إيجاز اللفظ" تعبير مصيب, لأن التعبير بالمثل عن تجربة أو موقف معين, أسهل في الصياغة من الناحية اللغوية, وأكثر اختصاراً من التعبير التجريدي المباشر, الخالي من التصوير.

د. والتعبير "حسن التشبيه" تشير إلى أن أبا عبيد يعد (حسن التشبيه) من سمات الأمثال, فإنه لا شك, لا يمكن إلا في الأمثال التصويرية, غير أن كتابه يشتمل على عدد كبير من الأمثال غير التصويرية.²

2- أما ابن السكيت³, فيعرف المثل بما يأتي: "المثل لفظ يخالف لفظ

¹ انظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها, لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي, تحقيق: فؤاد علي منصور, ط1:

1998م, دار الكتب العلمية, بيروت: 486/1

² انظر: الأمثال العربية القديمة, لرودلف زهايم, ترجمة رمضان عبد التواب, ط4: 1987م, مؤسسة الرسالة, بيروت, ص23

³ يعقوب بن إسحاق, أبو يوسف, ابن السكيت (ت 244 هـ): إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان, خوزستان, تعلم ببغداد. اتصل بالمتوكل العباسي, فعهد إليه بتأديب أولاده, وجعله في عداد ندمائه, ثم قتله,

المضروب له, ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ".¹

أ. ويظهر في هذا التعريف أن التعبير (التصويري) غير المباشر, أمر ضروري كذلك.²

3- ويعرف المبرد³ المثل على النحو التالي: "وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول".⁴

أ. يتناول المبرد جانباً آخر من المثل, وهو كونه قولاً سائراً.⁵

4- ويقول الفارابي⁶: المثل: ما تراضاه العامة والخاصة, في لفظه ومعناه, حتى

لسبب مجهول. من كتبه (إصلاح المنطق) و (الألفاظ) و (الأضداد) و (القلب والإبدال) و (شرح ديوان عروة ابن الورد) و (شرح ديوان قيس ابن الخطيم) و (سرقات الشعر) و (الأمثال) وغيرها.

[انظر: ابن خلكان: 309/2 ؛ الفهرست: 72-73]

¹ انظر: مجمع الأمثال للميداني: 6/1

² انظر: الأمثال العربية القديمة, ص24

³ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي, أبو العباس, المبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه, وأحد أئمة الأدب والأخبار. ولد بالبصرة, وتوفي ببغداد عام 286هـ. من كتبه (الكامل) و (المذكر والمؤنث) و (المقتضب) و (التعازي والمراثي).

[انظر: بغية الوعاة: 116 ؛ وفيات الأعيان: 495/1]

⁴ انظر: مجمع الأمثال للميداني: 5/1

⁵ انظر: الأمثال العربية القديمة, ص25

⁶ محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ, أبو نصر الفارابي: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل, مستعرب. انتقل من فاراب إلى بغداد, ونشأ فيها, ألف بها أكثر كتبه. اتصل بسيف الدولة, وتوفي بدمشق عام 339هـ. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. عرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول). له نحو مئة كتب, منها: (الفصوص) و (إحصاء العلوم) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) و (إحصاء

الإيقاعات). [انظر: وفيات الأعيان: 76/2 ؛ البداية: 224/11]

ابتدلوه فيما بينهم, وفاهوه به في السراء والضراء, واستدروا به الممتنع من الدر, ووصلوا به إلى المطالب القصية, وتفرجوا به عن الكرب والمكربة, وهو من أبلغ الحكمة, لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة, أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"¹.

أ. هذا التعريف يبرز قضية ثبات الأمثال وتداولها.

ب. وفيما عدا ذلك, إمكانية التعبير عن أشياء لا يعبر عنها بطريق مباشر, إلا بصعوبة, وتلك ملاحظة صائبة جداً.

ج. ويتضح في هذا التعريف تأثير المثل النفسي العميق, إذ الأمثال تتحدث عن الحاجة الشخصية في ثوب إنساني عام, ولهذا يحسّ بها كل شخص على سواء.

د. وأخيراً يبرز الفارابي, السمة اللغوية الفنية التي يمكن أن تكون للأمثال, ويدلل على هذا بالإستحسان العام, الذي تلقاه الأمثال بين الناس.²

5- أما المرزوقي³ فيعرف المثل: "المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها, أو مرسلة بذاتها, فتتسم بالقبول, وتشتهر بالتداول, فتنتقل عما وردت فيه, إلى كل ما يصح قصده بها, من غير تغيير يلحقها في لفظها, وعما يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني, فلذلك تضرب, وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها"⁴.

¹ انظر: المزهر: 486/1

² انظر: الأمثال العربية القديمة, ص25

³ أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن, أبو علي المرزوقي: عالم بالأدب, من أهل أصبهان. كان معلم أبناء بني بُويه فيها. من كتبه (الأزمة والأمكنة) و (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام) و (شرح المفضليات) و (الأمالي).

[انظر: معجم الأدباء: 5م34؛ إنباه الرواة على أبناء النحاة, لجمال الدين القطفي, تحقيق: محمد أبو

الفضل, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1973م, دار الكتب, القاهرة: 106/1؛ بغية الوعاة: 159]

⁴ انظر: المزهر: 486/1

أ. ففي هذا التعريف توضيح لحقيقة المثل, فهو يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي, كما يظل مثلاً يضرب, وإن جهل أسبابه, ولا يغير لفظه في أية حالة من حالات استعماله.¹

¹ انظر: الأمثال العربية القديمة, ص 25-26

الهدف من ضرب الأمثال

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ليكون التأثير بتلك الصورة أشد وأقوى من الأفكار المجردة، كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.¹

حتى ضربت فيه الأمثال ببعض الأشياء التافهة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.²

أهمية الأمثال ومكانتها

أهمية الأمثال الاجتماعية:

للمثل أهمية كبيرة بالنسبة إلى حياة العرب الاقتصادية والبشرية والاجتماعية والسياسية والقبلية، حتى قيل ان الشعر إذا كان ديوان العرب، فالأمثال تأتي بعده في الأهمية³، وقد بلغت عنايتهم بالأمثال أحياناً عنايتهم بالشعر، ولذلك قال جرجي⁴

¹ الزمر: 27

² البقرة: 26

³ انظر: الموسوعة العربية العالمية، 695/1

⁴ جرجي زيدان (1861-1914م) جرجي بن حبيب زيدان: منشئ مجلة "الهلال" بمصر، وصاحب

زيدان: "إنها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر".¹

وقد عرّف العرب المثل فنّيّاً بعد أن عرفوه لغةً² كجنس أدبي قائم بذاته، كالشعر والخطابة والقصة³، وهذا إن دلّ على شيء فدلّ على أهمية ومكانة المثل لدى العرب واهتمامهم به.

وقد تعدّ الأمثال من أقدم وأعرق أنواع الأدب عند كل الشعوب تقريباً، وفيها تتمثل روح الشعب وينعكس فيها الشعور والتفكير وطرائق التعبير، كما تحمل في طياتها صورة عن المجتمع بعاداته وتقاليده ومعتقداته.⁴

أهمية الأمثال الأدبية:

الأمثال لها أهمية أدبية رفيعة لدى كل الشعوب⁵، وهي لا تقتصر على طبقة من طبقات الناس، فكل من العامّة والحكماء والأدباء والعلماء يضربونها على السواء، كما لا تقتصر على أمة من الأمم، لذا لا نجد أمة من الأمم إلا للمثل فيها وجود.

التصانيف الكثيرة. ولد وتعلم ببيروت، ورحل إلى مصر، فأصدر مجلة الهلال (اثنين وعشرين عاماً) وتوفي بالقاهرة. من كتبه: "تاريخ مصر الحديث-ط" جزآن، و "تاريخ التمدن الإسلامي-ط"، و "تاريخ العرب قبل الإسلام-ط" و "تاريخ الماسونية العام-ط" و "تراجم مشاهير الشرق-ط" و "الفلسفة اللغوية-ط" و "تاريخ اللغة العربية-ط" و "آداب اللغة العربية-ط".

[انظر: الأعلام للزركلي: 117/2]

¹ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، 57/1

² انظر: المعجم المفصل في الأدب، 758/2

³ انظر: الموسوعة العربية العالمية، 697-696/1

⁴ نفس المصدر: 696/1

⁵ نفس المصدر: 695/1

وسبب تداول الأمثال يرجع إلى أن النفس تأنس بها، وتقبلها بسرعة وتنقاد لما ضرب لها. وهذا أمر لا ينكره أحد.

وقد لوحظ أيضاً أن الأمثال كلما ضربت ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً،¹ وذلك لأن الأمثال تقرب المراد، وتفهم المعنى، وتوصله إلى ذهن السامع، وتحضره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير.²

فالعامة يستخدمون الأمثال في الحالات المتجددة ليعبروا بها عن شعورهم وأفكارهم وأغراضهم ومعتقداتهم، ليصلوا بها إلى المطالب القصية، ويفرجوا بها عن الكرب والمكربة.³ فقد أثر عن ابن المقفع⁴ قوله في أهمية المثل في حياة العامة: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنف للسمع، وأوسع لشعب الحديث".⁵

ويضرب الحكماء والأدباء الأمثال كما يستعملها العامة من الناس، وذلك ليبينوا للناس تصرف الأحوال، بالنظائر والأشباه والأشكال؛ ويرون هذا النوع من القول أنجح

¹ انظر: اعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م: 291/1

² انظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، لعبد المجيد محمود، مكتبة البيان، الطائف، ص 84

³ انظر: المزهري: 375/1

⁴ عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق. أصله من الفرس. ولد في العراق مجوسياً وأسلم، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي. وترجم له (كتب أرسطوطاليس) الثلاثة، في المنطق، وكتاب (المدخل إلى علم المنطق) المعروف بإيساغوجي. وترجم عن الفارسية كتاب (كليلا ودمنة). وأنشأ رسائل غاية في الإبداع، منها (الأدب الصغير) ورسالة (الصحابة). واتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلي سنة 142هـ.

[انظر: البداية والنهاية: 96/10؛ خزنة الأدب: 459/3-460؛ الأعلام: 140/4]

⁵ انظر: مجمع الأمثال للميداني، تقديم نعيم حسن، في (التقديم)، 8/1

مطلباً، وأقرب مذهباً. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾¹، وقال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾².

والعلماء يضربونها لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو يحتاج إلى ما يدل عليه وعلى صحته، والمثل مقرون بالحجة. ألا ترى أن الله عز وجل لو قال لعباده: إني لا أشرك أحداً من خلقتني في ملكي، لكان ذلك قولاً محتاجاً إلى أن يدل على العلة فيه ووجه الحكمة في استعماله؛ فلما قال: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾³ كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به أنه لا شريك له في ملكه من خلقه، لأنهم عالمون أنهم لا يقرون أحداً من عبيدهم على أن يكون فيما ملكوه مثلهم.

فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ونطقت ببعضه على ألسن الوحش والطيور – كما في كتاب كليلة ودمنة مثلاً. وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها، وتصريف القول فيها، حتى يتبين لسامعه ما آلت إليه أحوال أهلها عند لزومهم الآداب أو تضييعهم إياها.⁴

¹ الروم: 59

² إبراهيم: 45

³ الروم: 28

⁴ نقد النثر، ص 67

أهمية الأمثال التاريخية:

قد تحتفظ الأمثال بكثير من الحوادث التاريخية، فمثلاً المثل (أشأم من بسوس)¹، فـ (بسوس) حرب (494-534) جرت بين بكر² وتغلب³ ابني وائل دامت أربعين سنة. كان كليب بن ربيعة⁴ التغلبي أعز العرب في زمانه بالجاهلية. رأى يوماً ناقه البسوس ترعى أرضاً هي في حماه فأمر بقتلها. والبسوس هي حالة جسّاس بن مرة البكري⁵. فأخذ جسّاس يتربص الفرص حتى اغتال كليبا، فثارت تغلب بقيادة المهلهل⁶ لدم كليب،

¹ انظر: مجمع الأمثال: 374/1، رقم المثل: 2028

² بَكْر بن وائل بن قاسط، من بني ربيعة، من عدنان: جدّ جاهلي، من نسله (بنو يشكر) و (حنيفة) و (الدؤل) و (مرة) و (بنو عجل) و (تيم الله) و (ذهل بن شيان).

[انظر: جمهرة الأنساب: 290 و 460؛ معجم قبائل العرب، عمر رضا كحاله، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ، 99-93/1]

³ تغلب بن وائل، من بني ربيعة، من عدنان: جد جاهلي، النسبة إليه تغلبي. كانت منازل بنيه قبل الإسلام في الجزيرة الفرتية تجهات سنجار ونصيبين، أخبارهم في الجاهلية والإسلام كثيرة. وهم قبائل وبطون.

[انظر: معجم قبائل العرب: 120/1-123]

⁴ كُليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: جدّ جاهلي، يُعرف بنوه ببني (مجد).

[انظر: الأعلام: 232]

⁵ جسّاس بن مُرّة بن ذهل بن شيان، من بني بكر بن وائل: شجاع، شاعر، من أمراء العرب في الجاهلية. شعره قليل. وهو الذي قتل كليب بن وائل، فكان سبباً لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة، قتل جسّاس في أواخرها.

[مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق: سعيد محمد، ط1: 1411هـ، دار الفكر، بيروت:

197/2؛ شعراء النصرانية بعد الإسلام، لويس شيخو، دار الفكر، بيروت، 1921م: 246]

⁶ المهلهل: عدي بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة، من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل: شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية. وهو خال امرئ القيس الشاعر. لقب مهلهلاً لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه.

ونشبت الحرب بين الحيين, تغلب وبكر, ولحقت جلييلة بنت مرّة بأبيها وقومها بعد مقتل زوجها كليب وكانت حاملاً فولدت الهجرس فرباه خاله جساس. ولما شب واكتشف نسبه لأبيه كليب قتل جساساً ولحق بقومه تغلب. ثم اعتزل المهلهل الحرب وقال لقومه قد رأيت أن تبقوا على قومكم فإنهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وفني الحيان. وهاجر إلى اليمن ثم عاد بعد زمن وتوفي بين أهله وعشيرته. ولهذه الحرب أيام مشهورة من أيام العرب أشهرها الذنائب, عنيزة, واردات, قضة, التحالق.¹

لدى نرى الميداني يذكر من أهم أيام العرب في ضمن أمثاله.

وكذلك الكثير من الحوادث الإسلامية التي اشتهرت كحادث الاشتهر النخعي² الذي قتل مسموماً, وفرح الأمير المعاوية³ بهذا الخبر, وقال: "الله

كان من أجمل الناس وأفصحهم. سمي (زير النساء) أي جلسهن في صباه بسبب لهوه وتشبيبه بالنساء, ولما قتل جساس أخاه كليياً ثار المهلهل, وانقطع عن الشراب واللهو, وآلى أن يثأر لأخيه.

[انظر: الشعر والشعراء: ص 99؛ جمهرة أشعار العرب, ص 115]

¹ انظر: المنجد في الأعلام: ص 132-133

² مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي, المعروف بالأشتهر: أمير, من كبار الشجعان. كان رئيس قومه. أدرك الجاهلية. وأول ما عرف أنه حضر خطبة (عمر) في الجابية. وسكن الكوفة. وكان له نسل فيها. شهد اليرموك وذهبت عينه فيها. وكان ممن ألب على (عثمان) وحضر حصره في المدينة. وشهد الجمل, وأيام صفين مع علي. وولاه علي مصر فقصدتها, فمات في الطريق عام 37 هـ. وله شعر جيد.

[انظر: الإصابة: ت 8343؛ تهذيب: 11/10؛ المؤلف والمختلف: 28]

³ معاوية ابن أبي سفيان, صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف, القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام, وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. كان فصيحاً حليماً وقوراً. بعد مقتل عثمان رضي الله عنه نشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علي. وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام وإمامة علي في العراق. ثم قتل علي وبويع بعد ابنه الحسن, فسلم الخلافة إلى معاوية سنة 41 هـ. ودامت الخلافة إلى أن بلغ سن

جنود،¹ منها العسل".²

وإذا أمعنا النظر في الأمثال وجدنا أن هناك حوادث ذكر في الأمثال ولم يشر إليها المؤرخون في كتبهم.³

كما احتفظت الأمثال بكثير من شخصيات تاريخية اشتهروا بصفات أحبها العرب أم كرهوها، منهم: "أجود من⁴ حاتم⁵" و "أبلغ من القس⁶" و "أخلف من عرقوب⁷".

الشيخوخة. ومات بدمشق عام 60 هـ. من عظماء الفاتحين، بلغت فتوحاته المحيط الأتلانطيقي.

[انظر: الكامل: 2/4؛ الطبري: 180/6]

¹ انظر: مجمع الأمثال: 11/1، الرقم

² انظر: المنجد في الأعلام: ص 132-133

³ انظر: دائرة المعارف الأردنية: 525/18

⁴ انظر: مجمع الأمثال: 182/1، الرقم: 977

⁵ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيب). شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه (ديوان) صغير. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ.

[تهذيب ابن عساکر: 429-420/3؛ الشعر والشعراء: ص 70؛ خزنة الأدب: 494/1]

⁶ انظر: مجمع الأمثال: 111/1، الرقم: 567

⁷ عرقوب: جاهلي، يضرب به المثل في إخلاف المواعيد. قيل: هو ابن سعد ابن زيد مناة بن تميم؛ وقيل: من الأوس أو الخزرج؛ وقيل: من أهل خيبر أو المدينة. تحكى عنه أخبار، منها أنه وعد أخاه بطلع نخلة، فلما أطلعت قال دعها حتى تُبلح، فلما أبلحت قال دعها حتى ترطب، فلما أرطبت قطفها ولم يعط أخاه شيئاً. قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

[انظر: مجمع الأمثال: 253/1، رقم المثل: 1345؛ معجم البلدان: 497/8؛ الأعلام: 225/4]

أهمية الأمثال ومكانتها عند العرب

لا تخلوا أمة من الأمثال المتوارثة في الأعقاب¹, لكن الشرق وخاصة الشعوب السامية أميل الناس إلى ضرب الحكمة وإرسال المثل. وإذ كان العرب من الشعوب السامية والشرقية نبتت الحكمة على ألسنتهم نبتاً طبيعياً, وانطلق المثل من أفواههم انطلاقاً غنياً, وذلك منذ بداءتهم في الجاهلية إلى عصورهم المتأخرة. زد على ذلك أن العرب احتكوا منذ القديم بالشعوب السامية الأخرى, واحتكوا بالهند - التي أغنت الآداب العالمية بتراتها الحكيم الذي لا يحده حد ولا يحصره نطاق - وفارس وأخذوا عنها من الأمثال والحكم شيئاً كثيراً ضمّوه إلى ثرائهم وغدّوا به أجيالهم جيلاً بعد جيل.

2

وهي تصور أماننا الحياة الإنسانية, وأحوال المعاشرة والهيئة الاقتصادية. الأمثال السائرة, في العصر الجاهلي, توضح لنا مقدار معرفة العرب بطبائع الحيوان سواء كانت من الوحوش والسباع أو من الدواجن وحشرات الأرض.³ وما بلغنا من عدد وفير من الأمثال والحكم الجاهلية هي مستقاة من حياة البدوي وأخلاقه وعاداته, مصطبغة بصبغته الخاصة, ملتصقة بشديد الالتصاق بالصحراء وحيوانها ونباتها وطريقة العيش فيها, ملتصقة بحروب البدو وغزواتهم. وإن حاولنا التعمق في الأمثال والحكم الجاهلية خرجنا بفلسفة بدائية طبيعية مفادها أن الحياة ميدان جلاذٍ وكرامة, وأن الحق فيها للقوة, وأن زينة المرء شرفه ...

¹ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, جرجي زيدان, 57/1

² انظر: العقد الفريد: 63/3

³ انظر: المستقصى في أمثال العرب, مقدمة المؤلف: ص 10

وهكذا تبدو لنا الفلسفة الجاهلية فلسفةً أخلاقيةً عملية، فلسفة مادية روحانية، وروحانية مسحة أخلاقية كريمة؛ وهكذا تبدو لنا تلك الفلسفة أنانية قبلية، تضطرب في حيز ضيق، تحاول أن تعالج حسن التصرف في حياة البادية على أحسن طريقة ممكنة للحفاظ على الحياة الذاتية والقبلية، وللحفاظ على الشرف الذاتي والقبلي، وللحفاظ على الصيت الحسن والحياة الطيبة على ألسنة الناس.¹

نستطيع القول إذن أن الأمثال تكوّن موسوعة كبيرة تعرفنا أحوال العرب في جاهلية وإسلامهم، ومزايا لغة الناطقين بلغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي مرآة تعكس أحوال الناس الاقتصادية والذهنية، وهي تحاكي ميزاناً نزن بواسطته رقي الشعوب وانحطاطها.²

ونكتفي بما قاله ابن عبد ربه³ في كتابه العقد الفريد عن الأمثال وأهميتها: "هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعنى والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف في الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها حتى قيل: أسير من مثل".⁴

ميزة الأمثال على الشعر:

¹ انظر: الموجز في الأدب العربية وتاريخه، 69/1

² انظر: مجمع الأمثال، في تقديم "مقدم الكتاب": 10-9/1

³ ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) (860-940): ولد في قرطبة. من أدباء الأندلس شعراً ونثراً وأدق علمائها. سمّاه المتنبي "مليح الأندلس". له "العقد الفريد".

[انظر: المنجد في الأعلام: ص 11]

⁴ انظر: العقد الفريد: 63/3

وللأمثال من هذه الناحية ميزة على الشعر، ذلك أن الشعر تعبير طبقة من الناس يُعَدُّون في مستوى أرقى من مستوى العامة. فالشعراء يعبرون عن شئون القبيلة التي ارتسمت في أذهانهم الراقية - نوعاً من الرقى - وهم يعبرون بألفاظ مصقولة صقلاً يستوجهه الشعر. أما الأمثال فكثيراً ما تنبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبّر عن عقلية العامة. ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول، أعني أنه لم يتخير لها ألفاظ الأدباء ولا العقلاء الراقين، مثل قوله: "أول ما أطلع ضبّ ذنبه" ¹ وقولهم: "أُمُّ فُعَيْسٍ وَأَبُو فُعَيْسٍ كِلَاهُمَا يَخْلِطُ خَلْطَ الْحَيْسِ" ². وربما كان هذا هو السبب في أن بعض الأمثال العربية يفهم معناها إجمالاً لا تفصيلاً. قال أبو هلال العسكري ³ في كتابه جمهرة الأمثال في شرح "بعين ما أرينك" ⁴: "إن معناه (أعجل)، وهو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعاً من غير أن يدل عليه لفظه، وهذا يدل على أن لغة العرب لم ترد علينا بكما لها، وأن فيها أشياء لم تعرفها العلماء" ⁵. ⁶

الأمثال صوت شعب العرب:

¹ انظر: مجمع الأمثال للميداني: 62/1، الرقم: 304؛ يقال ذلك للرجل يصنع الخير ولم يكن صنّعه قبل ذلك قال: والعرب ترفع أول وتنصب ذنبه على معنى أول ما أطلع ذنبه
² انظر: مجمع الأمثال للميداني: 62/1، الرقم: 302
³ هو أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بنسهل بن سعد، من مؤلفاته: كتاب التبصرة، جمهرة الأمثال، وغيرهما، توفي عام 395هـ.

[انظر: انظر: معجم الأدباء: 233/8]

⁴ انظر: مجمع الأمثال للميداني: 143/1

⁵ انظر: جمهرة أمثال العرب، 236/1

⁶ انظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، ط10، 1969، دار الكتاب العربي، بيروت، ص60-61

إن ما وصل إلينا من الشعر والخطابة ونحو ذلك هو لغة الأدباء المصقولة, لا لغة الشعب والعامية, ولم يصل إلينا من لغة العامة إلا بعض الأمثال.

ولا يعني ذلك أن كل الأمثال ساقطة التعبير غير مصقولة الألفاظ. ولكنها تمثل الشعب بأجمعه, فقد ينبع المثل من طبقة راقياً مصقولاً, وقد ينبع من العامة فلا يكون كذلك. أما الشعر فلا ينبع إلا من طبقة الشعراء, وهم عادة أرقى من الشعب, وهم إن فات بعضهم رقي المعنى فلن يفوته صقل اللفظ, ومن أجل هذا عبر بعضهم عن المثل بأنه "صوت الشعب". ومن أجل هذا أيضاً كانت دلالة الأمثال على لغة الشعب أصدق من دلالة الشعر.¹

الأمثال تدل على ناحية العرب العقلية:

من ناحية دلالة الأمثال العقلية, نستطيع أن نتفهم الدرجة التي وصلت إليها العرب, ونستطيع أن نعرف كثيراً من أخلاقها وعاداتها.

فإن نحن نظرنا إلى أمثال العرب التي نسب إلى الجاهليين وجدنا ... بعضها نظرات للحياة متناقضة, مثل: "سِنَّ كلبك يأكلك"², و "أجع كلبك يتبعك"³; وكثير منها نتيجة تجربة صادقة نظر هادئ حكيم, مثل: "أخو الظلماء أعشى بليل"⁴, و "إن

¹ انظر: فجر الإسلام, ص 60-61

² كان لرجل من طسم كلب يريه رجاء الصيد به فضرى فجاج يوماً فوثب عليه حتى افترسه.

[المستقصى, 121/2]

³ أي: اضطر اللئيم اليك بالحاجة ليقر عندك فإنه اذا استغنى عنك تركك.

[المستقصى من الأمثال, 50/1]

⁴ يضرب لمن يُخطئ حجته ولا يُبصر المخرَج مما وقع فيه.

[مجمع الأمثال, 55/1]

من الحسن شقوة",¹ و "أم الصقر مقالات نزور",² و "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها",³ و "التمرة إلى التمرة تمر",⁴ و "الثكلى تحب الثكلى",⁵ و "الحرب مأيمة",⁶ و "بس العوض من جمل قيذه",⁷ و "بينهم داء الضرائر",⁸ و "ترى الفتيان كالنحل, وما يدريك ما

¹ وذلك أن الرجل ينظر إلى حسنه فيختال فيعدو طوره فيشقيه ذلك ويغضه إلى الناس.

[مجمع الأمثال, 56/1]

² يضرب في قلة الشيء النفيس.

[مجمع الأمثال, 63/1]

³ كانت زبا بنت علقمة الطائي تحت الحارث بن سليل الأسدى وهى شابة وهو شيخ فنظرت ذات يوم إلى شباب فتنفسست الصعداء فقال لها الحارث ذلك أراد أن المرأة الكريمة ترهقها الشدة والضر وتقاسى الجوع والشظف وعتقها يأبى عليها أن تكون ظئرا لقوم على جعالة كراهة العار وإنما ضرب هذا مثلا لها وعيرها إذ رآها قد طمحت إلى الشبان ورفضت موجب الحرية والعتق وقوله ولا تأكل ثدييها.

[المستقصى, 20/2]

⁴ دخل أحبحة بن الجلاح حائطا له فرأى تمرة ساقطة فتناولها فعوتب في ذلك فقال هذه الكلمة يضرب في الحث على استصلاح المال.

[المستقصى, 308-307/1]

⁵ لأنها تأتسي بها في البكاء والجزع.

[مجمع الأمثال, 152/1]

⁶ أي يقتل فيها الأزواج فتبقى النساء أيامى لا أزواج لهن.

[مجمع الأمثال, 214/1]

⁷ أهلك راع جملا لمولاه فأتاه بقيده فقال ذلك يضرب لمن اعتاض عن الشيء الخطير ما لا خطر له

[المستقصى, 2/2]

⁸ يضرب لقوم بينهم شر لا ينقطع.

[المستقصى, 17/2]

الدخل".¹.. الخ

والعرب حقاً أجادوا في هذا النوع من الأدب, وخلفوا لنا ما يدل على عقليتهم أكثر مما يدلنا الشعر والقصص, ويظهر أن سبب ذلك أنه يوافق مزاجهم العقلي, وهو النظر الجزئي الموضوعي لا الكلي الشامل, لأن المثل لا يستدعي إحاطة بالعالم وشغونه, ولا يتطلب خيالاً واسعاً, ولا بحثاً عميقاً, إنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شغون الحياة.

¹ أول من قاله عثمة بنت مطر من بني غامد البجلي وذلك أن أختها لها اسمها خود ذات ميسم وجمال ولب خطبها خمسة إخوة من بني غامد مالك وعمرو وعلقمة وعاصم ومدرك بنو مالك بن علقمة ومشوا بوصيد بابها يتعرضون لها وكلهم جسيم وسيم لم ير في زمنهم مثلهم فرغبت في مدرك فأنكحها أبوها على مائة ناقة معها رعاؤها ومائة حلة وألف شاة فقالت لها أختها عثمة إن شر الغيبة يعلن وخيرها يدفن انكحى في قومك لا يغرك التمام بطول الأجسام فقد ترين الفتیان كالنخل وما يدريك ما الدخل فلم تسمع كلامها وحملوها فلم تلبث فيهم إلا يسيراً حتى صبحهم بنو مالك بن كنانة فانكشفوا وتركوا النساء والأموال فتذكرت قول عثمة وبكت فاذا في بني كنانة رجل أفوه أسود مضطرب الخلق غير أنه بطل فقيل لها لو كنت حليلة هذا لما أسلمك فقالت أليس يمنع الحليلة ويركب الطويلة ويطلب البليلة ويكرم القبيلة قالوا بلى قالت فهذا أجمل جمالا وأكمل كمالا فجعلوها له يضرب لذي منظر لا مخبر عنده.

دلالة الأمثال على حياة العرب الاجتماعية:

تدلنا الأمثال على حياة العرب الاجتماعية التي أجملناها من قبل, فنظرة إلى مجموعة الأمثال التي قيلت في المرأة, تدل على انحطاط منزلتها في نظرهم؛ والتي قيلت في الحياة الاقتصادية, تدل على فقر البلاد وإجداؤها.¹

تأليف العلماء في هذا الفن

نظراً إلى أهمية الأمثال, اهتم العرب بها اهتماماً بالغاً يدل على أن العلماء جعلوا من بين اهتماماتهم جمع الأمثال وتدوينها.

وقد عدّد ابن النديم² في كتابه الفهرست³ عدداً كبيراً من المؤلفات في الأمثال منذ منتصف القرن الأول الهجري. وهكذا ذكر الميداني في مقدمة كتابه بعض المصادر التي استفاد منها في تصنيف كتابه.⁴ كما رتب رودلف زهايم⁵ في كتابه (الأمثال العربية القديمة) كتب الأمثال ترتيباً تاريخياً.⁶ فممن اهتمّ بالأمثال:

¹ انظر: فجر الإسلام, ص 64-66

² هو محمد إسحاق بن محمد بن إسحاق أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم صاحب كتاب "الفهرست", من أقدم التراجم. وهو بغدادى, متوفى 1047م.

[انظر: لسان الميزان, 72/5]

³ انظر: الفهرست, صفحة (60, 67, 84, 85, 90, 91, 108, 109, 112-114, 131, 143, 144, 171, 224).

⁴ انظر: مجمع الأمثال للميداني: 32-29/1

⁵ ما وجدته.

⁶ انظر: الأمثال العربية القديمة: رودلف زهايم, ص 223-225

- حوالي 81هـ / 700م 1- عبید بن شریة¹
- 2- علاقة بن کریم²
- 3- صُحار بن عیاش³
- 4- الشرقي بن القطامي⁴ 158هـ / 775م
- 5 أبو عمرو بن العلاء⁵

¹ عبید بن شریة الجرهمي (م 67 هـ): راوية من المعمرين, إن صح بخره فهو أول من صنّف الكتب من العرب. أدرك النبي p واستحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق, فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم, فحدثه, فأمر معاوية بتدوين أخباره, فأملى كتابين سُمي أحدهما (كتاب الملوك وأخبار الماضين) طبع مع كتاب (التيجان وملوك حمير) تحت عنوان (أخبار عبید بن شریة في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها) والثاني (كتاب الأمثال). وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان.

[انظر: الفهرست: ص 89]

² علاقة بن کریم الكلابي من بني عامر بن كلاب في أيام يزيد بن معاوية عارف بأيام العرب وأحاديثها وهو أحد من أخذت عنه المآثر كتاب الأمثال, وقد رأى ابن ندیم خمسين ورقة من هذا الكتاب.

[انظر: الفهرست: 1/132]

³ صُحار بن عیاش بن شراحيل بن منقذ العبدي, من بني عبد القيس: خطيب مفوه, كان من بايع عثمان. له صحبة, وأخبار حسنة. كان ممن شهدوا فتح مصر, ولما قتل عثمان قام صُحار يطالب بدمه. وشهد (صفين) مع معاوية. سكن البصرة, ومات فيها. وقد ذكره له ابن الندیم (كتاب الأمثال).

[انظر: الإصابة: ت 4036 ؛ الفهرست: 1/132]

⁴ الشرقي بن القطامي: اسمه الوليد بن حصين, الكلبي: عالم بالأدب والنسب, أسند إليه المنصور تاديب ولده المهدي. توفي عام 155هـ. [الأعلام: 8/120؛ مختصر تاريخ دمشق: 1/1457]

⁵ أبو عمرو ابن العلاء: زبّان بن عمار التميمي المازني البصري, أبو عمرو, ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب, وأحد القراء السبعة. ولد بمكة, ونشأ بالبصرة, ومات بالكوفة عام 154هـ.

[انظر: فوات الوفيات: 1/164 ؛ وفيات الأعيان: 1/386]

- 6- المفضل الضبي¹
- 7- يونس بن حبيب² 174هـ / 790م
- 8- أبو فيد مؤرج³ 189هـ/805م
- 9- النضر بن شميل⁴ 205هـ / 820م
- 10- أبو عمرو الشيباني⁵

¹ المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، أبو العباس: راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. هو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. خرج على المنصور العباسي، فظفر به وعفا عنه. لزم المهدي، وصنف له كتابه (المفضليات) وسماه الاختيارات. ومن كتبه (الأمثال) و (معاني الشعر).

[انظر: إرشاد الأريب: 171/7 ؛ الفهرست: 68/1]

² يونس بن حبيب الضبي بالولاء. علامة بالأدب، وكان إمام نحاة البصرة في عصره. أعجمي الأصل. أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم الأئمة. من كتبه: (معاني القرآن) كبير، وصغير، و (اللغات) و (النوادر)، و (الأمثال). [وفيات الأعيان: 416/2 ؛ الفهرست: ص44]

³ مؤرج بن عمرو بن الحارث، السدوسي، أبو فيد: عالم بالعربية والأنساب. من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد. من أهل البصرة. كان له اتصال بالمأمون. رحل معه إلى خراسان، فسكن مدة بمرور، وانتقل إلى نيسابور. من كتبه (جماهير القبائل) و (غريب القرآن) و كتاب (الأمثال).

[انظر: وفيات الأعيان: 130/2 ؛ بغية الوعاة: 400 ؛ إنباه الرواة: 327/3]

⁴ النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرور وانتقل إلى البصرة، فأقام زمنًا. عاد إلى مرو فولي قضاءها. اتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه. توفي بمرور عام 203هـ. من كتبه (الصفات) و (كتاب السلاح) و (المعاني) و (غريب الحديث) و (الأنواء).

[انظر: وفيات الأعيان: 161/2 ؛ طبقات النحويين للزبيدي: 53-60]

⁵ إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء، أبو عمرو: لغوي أديب. سكن البغداد ومات بها عام 206هـ. جاور بني

11- أبو عبيدة¹12- أبو زيد²

220هـ / 835م

13- الأصمعي

14- اللحياني³15- سعدان بن المبارك⁴

شيبان وأدب بعض أولادهم فنسب إليهم. وجمع أشعار نيف وثمانين قبيلة من العرب ودونها، وكان كلما عمل منها قبيلة أخرجها إلى الناس في (مجلد) وجعلها في مسجد الكوفة. وأخذ عنه جماعة كبار منهم أحمد بن حنبل. من تصانيفه: (كتاب اللغات) و (كتاب الخيل) و (النوادر) و (غريب الحديث).

[انظر: وفيات الأعيان: 65/1 ؛ تاريخ بغداد: 369/6 ؛ الأعلام: 296/1]

¹ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، وُلد في البصرة ومات فيها عام 210 هـ. أخذ العلم عن أبي الخطاب الأخفش الأكبر وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عُمر الثقفي. كان أبو عبيد واسع العلم بالشعر وبأنساب العرب وأيامها. من كتبه: كتاب غريب القرآن، كتاب الغارات وغير ذلك.

[انظر: شذرات الذهب: 24/2-25 ؛ وفيات الأعيان 105/2]

² أبو زيد، سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري: أحد أئمة الأدب واللغة، من أهل البصرة، وتوفي بها عام 215 هـ. من ثقات اللغويين. من تصانيفه (النوادر) و (الهمز) و (المطر) و (اللبأ واللبن) و (المياه) و (لغات القرآن) وغيرها.

[انظر: الوافي بالوفيات: 2061/1 ؛ وفيات الأعيان: 207/1 ؛ إنباه الرواة: 30/2-35]

³ أبو الحسن اللحياني علي بن المبارك وقيل: علي بن حازم أبو الحسن اللحياني. أخذ عنه الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي وعمدته علي الكسائي. له كتاب النوادر. سمي اللحياني لعظم لحيته وقيل: بل لأنه من بني لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس.

[انظر: الوافي في الوفيات: 2984/1]

⁴ سعدان بن المبارك (ت 220 هـ) أبو عثمان: أديب، راوية، ضرير. من أهل بغداد. كوفي المذهب في النحو. كان مولى لعاتكة أم المعلى بن طريف وصنف كتباً، منها (خلق الإنسان) و (الأمثال) و (النقائص).

16- أبو عبيد

17- ابن الأعرابي¹

235هـ / 850م

18- التوزي²

19- ابن السكيت

20- محمد بن حبيب³21- الزيادي⁴

[انظر: إرشاد الأريب: 229/4؛ بغية الوعاة: ص254؛ إنباه الرواة: 55/2]

¹ ابن الأعرابي: هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي, وُلد ابن الأعرابي في رجب من سنة 150هـ (767م). كان ابن الأعرابي عالماً ورأساً في كلام الغريب, راوية لأشعار القبائل, غزير الرواية. وهو كوفيّ المذهب, ولكنه مع ذلك يُقارب البصريين. له: كتاب النوادر, كتاب الألفاظ, كتاب النبات.

[انظر: الأعلام: 131/6]

² عبد الله بن محمد بن هارون التوزي ويقال التوجي أبو محمد. مولى قريش. توفي سنة (238هـ). أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وهو من أكابر أئمة اللغة. قرأ على أبي عمر الجرمي كتاب سيويه وكان في طبقتة في غير ذلك من العلوم. قال المبرد: كان التوزي أعلم من الرياشي والمازني. وله من التصانيف: (كتاب الأمثال) و (كتاب الأضداد) و (كتاب الخيل).

[انظر: الوافي في الوفيات: 2484/1]

³ محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي, بالولاء, أبو جعفر البغدادي, من موالي بني العباس: علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر. مولده ووفاته ببغداد. كان مؤدباً. توفي سنة 245 للهجرة. من كتبه: (كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء - ط), و (كتاب (المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام - ط), و (الأمثال على أفعال).

[انظر: الفهرست: ص106؛ إرشاد الأريب: 473/6]

⁴ إبراهيم بن سفيان الزيادي, أبو إسحاق, من أحفاد زياد بن أبيه: أديب, راوية, كان يشبهه بالأصمعي في

- 251هـ/ 865م -22- أبو عكرمة¹
 23- الجاحظ
 24- ابن قتيبة
 25- البرقي²
 26- علي بن مهدي³
 27- المفضل بن سلمة⁴ 282هـ/ 895م

معرفته للشعر ومعانيه. له شعر. وكانت فيه دعابة ومزاح. له من الكتب (النقط والشكل) و (الأمثال) و (تنميق الأخبار) و (أسماء السحاب والرياح والأمطار) و (شرح نكت كتاب سيبويه).

[انظر: بغية الوعاة: 181 ؛ إرشاد الأريب: 62/1 ؛ الأعلام: 41/1]

¹ عامر بن عمران بن زياد، أبو عكرمة الضبي (250هـ): أديب عراقي، من أهل سامراء كان لغويًا إخباريًا، في أخلاقه شراسة. له كتب، منها (الأمثال) و (كتاب الخيل) و (الإبل والغنم).

[انظر: معجم الأدباء لياقوت: 39/12 ؛ بغية الوعاة: ص 274]

² أحمد بن محمد بن خالد، أبو جعفر ابن أبي عبد الله البرقي: باحث إمامي، من أهل برقة (من قرى قم) أصله من الكوفة. له نحو مئة كتاب، منها: (المحسن) و (البلدان) و (اختلاف الحديث) و (الأنساب) و (أخبار الأمم) و (الرجال).

[انظر: الأعلام: 205/1]

³ علي بن مهدي بن المفرج بن عبد الله: أبو الحسن الهلالي الطبيب سمع بدمشق وبغيتها وقرأ شيئاً من الطب والهندسة. توفي عام 552هـ.

[انظر: مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، تحقيق: روحية النحاس ورياض عبد الحميد ومحمد مطيع، ط 1:

1404هـ، دار الفكر، دمشق: 2477/1]

⁴ المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب: لغوي، الم بالأدب. كان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكل. من كتبه (البارع) في اللغة، و (الفاخر) في الأمثال.

[انظر: وفيات الأعيان: 460/1 ؛ الفهرست: 73/1]

| | |
|-------------------------------|------------|
| 28- ثعلب ¹ | |
| 28 أ- الأنباري ² | 297هـ/910م |
| 29- نفطويه ³ | 331هـ/925م |
| 30- ابن الأنباري ⁴ | 328هـ/940م |
| 31- الرياضي ⁵ | |

¹ ثعلب: (200 - 291 هـ / 815 - 904 م) أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار قول بني شيبان, وُلد في بغداد. تلقى ثعلب العلم على الفراء بضع سنوات ثم لازم ابن الأعرابي عشرة سنوات. وأخذ النحو عن سلمة بن عاصم. ومن مؤلفاته: إعراب القرآن, كتاب الفصيح, حدّ النحو, اختلاف النحويين.

[انظر: تاريخ بغداد: ج5, ص204-214]

² محمد بن القاسم بن محمد بن بشار, أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة, ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار. ولد في الأنبار وتوفي في بغداد عام 328هـ. كان يعلم أولاد الخليفة الراضي بالله. من كتبه (الزاهر) و (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و (إيضاح الوقف) و (الأمثال).

[انظر: وفيات الأعيان: 503/1 ؛ بغية الوعاة: 91 ؛ تذكرة الحفاظ: 75/3 ؛ الأعلام: 334/6]

³ نفطويه: إبراهيم بن محمد بن عوفة الأزدي العتكي, أبو عبيد الله, من أحفاد المهلب بن أبي صفرة: إمام في النحو, توفي سنة 893م.

[انظر: وفيات الأعيان, 11/1]

⁴ ابن الأنباري: (884م - 940م) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار, أبو بكر الأنباري, من أعلم أهل زمانه بالدب واللغة.

[انظر: وفيات الأعيان, ج1, ص503]

⁵ أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني, الرياضي البغدادي. وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقي الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقي من الشعراء أبا تمام والبحثري ودعبلا وابن الجهم. وهو الذي أدخل إفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أدبيا ومرسلا بليغا ضاربا في كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته. وله تأليف منها (لقيط المرجان) و (كتاب

| | |
|---------------------------------|------------|
| 32- القمي ¹ | 344هـ/955م |
| 33- حمزة الإصفهاني ² | 359هـ/970م |
| 33 أ- الإصطخري ³ | |
| 34- الخالغ ⁴ | 375هـ/985م |

سراج الهدى) في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه. توفي بالقبروان سنة (298هـ).

[انظر: فنج الطيب في غصن الأندلس الرطيب, للمقري, تحقيق: إحسان عباس, دار الكتاب العربي, بيروت,

1949م: 134/3]

¹ أحمد بن إبراهيم القمي: قيل العمي. توفي عام 350هـ.

[انظر: الأعلام: 85/1؛ إنباه الرواة: 29/1]

² حمزة بن الحسن الأصفهاني: مؤرخ أديب. زار بغداد مرات. كان مؤدباً، وصنف لعضد الدولة ابن بويه كتابه (الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية) تعصب فيه للفارسية. ومن كتبه (تاريخ أصبهان) و (الأمثال الصادرة عن بيت الشعر). نقل عنه الميداني وأبو هلال. و (كتاب الأمثال على أفعل من كذا).

[انظر: إنباه الرواة: 335/1؛ كشف الظنون: 168/1 و 282]

³ إبراهيم بن محمد الفارسي, الاصطخري: جغرافي, رحالة, من علماء اصطخر (إيران). قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند, وبلغ الأوقيانوس, واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي, ولم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره, فألف كتابيه (صور الأقاليم) على اسم كتاب البلخي (مسالك الممالك).

[انظر: الأعلام: 61/1]

⁴ الخالغ: الحسين بن محمد بن جعفر الرافقي, المعروف بالخالغ (388هـ): أديب, له شعر حسن. يقال: إنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان. أصله من الرافقة, قرية في البحرين. سكن بغداد. له كتب منها: (الأودية والجبال والرمال) و (الأمثال) و (تخيالات العرب) و (شرح شعر أبي تمام) و (صناعة الشعر). أخذ عنه الفارسي والسيرافي.

[انظر: اللباب: 340/1؛ بغية الوعاة: 235؛ إرشاد الأريب: 91/4]

- 35- أبو أحمد العسكري¹
 35 أ- أبو بكر الخوارزمي²
 36- أبو هلال العسكري 390هـ/1000م
 36 أ- أبو الندى³ الغندجاني
 37- علي بن الحسن بن هندو⁴ 406هـ/1015م
 38- الطالقاني⁵ 421هـ/1030م
 39- أبو الفضل الميكالي⁶ 437هـ/1045م

¹ الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري, أبو أحمد: فقيه, أديب, انتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء والتدريس في بلاد خوزستان في عصره. من كتبه (الزواجر والمواعظ) و (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم) و (الحكم والأمثال) و (راحة الأرواح) وغيرها.

[انظر: خزنة الأدب: 97/1 ؛ ابن خلكان: 132/1 ؛ إنباه الرواة: 310/1]

² أبو بكر الخوارزمي: (995م) الكاتب الشاعر اللغوي الأديب, الرحالة, صاحب الرسائل المشهورة شخصية عظيمة من الشخصيات التي نهضت بالأدب العربي. يمتاز أسلوبه وتفكيره بميزات لا يمثلها كانت سواه كان يحفظ من آلاف الأبيات من شعر العرب.

[انظر: الوسيط: ص 213]

³ انظر: وقد ذكره الميداني في كتابه مجمع الأمثال, 75/1

⁴ علي بن الحسين بن محمد بن هندو, أبو الفرج: من المتميزين في علوم الحكمة والأدب, وله شعر. كان من كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة. ولبس الدراعة على رسم الكتاب في ذلك العصر. توفي بجرجان عام 420هـ. له كتب, منها (الكلم الروحانية من الحكم اليونانية) و (الرسالة المشرقية).

[انظر: فوات الوفيات: 45/2 ؛ كشف الظنون: 1762]

⁵ هو أبو الحسن علي بن الفضل المؤيدي, قرأ كتابه الذي سماه (رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة) مع تلاميذه في بلخ عام 421هـ. [انظر: الأمثال العربية القديمة: ص 205]

⁶ عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي, أبو الفضل: أمير, من الكتاب الشعراء, من أهل خراسان. صنف الثعالي

| | |
|----------------------------|-------------|
| 40- مؤلف مجهول | 452هـ/1060م |
| 40 أ- القشيري ¹ | |
| 41- الميداني ² | 541هـ/1120م |
| 42- الرمحشري ³ | 529هـ/1135م |

وقد ضاع كثيرٌ من هذه الكتب. مع ذلك وصل إلينا عدد كبيرٌ من تلك المؤلفات, منها:

كتاب الأمثال للمفضل الضبي, وكتاب الأمثال لمؤرج السدوسي, وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام, وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة⁴, وكتاب الأمثال لابن

(ثمار القلوب) لخزانه. وأورد في (يتيمة الدهر) محاسن من نثره ونظمه, ومختارات من كتابه (المخزون) المستخرج من رسائله. وسماه صاحب فوات الوفيات (عبد الرحمن بن أحمد) وأورد من شعره ما يوافق بعضه ما في اليتيمة, مما يؤكد أنهما شخص واحد.

[انظر: يتيمة الدهر: 247/4-268؛ فوات الوفيات: 25/2-27]

¹ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري, زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره, زهداً وعلماً بالدين. أقام بنيسابور وتوفي فيها عام 465هـ. كان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكره. من كتبه (التيسير في التفسير) و (لطائف الإشارات) و (الرسالة القشيرية).

[انظر: الوفيات: 299/1؛ تاريخ بغداد: 83/11]

² أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري, أبو الفضل: الأديب الباحث, صاحب (مجمع الأمثال) لم يؤلف مثله في موضوعه. ولد ونشأ وتوفي في نيسابور, ونسبته إلى ميدان آباد (محلة فيها). من كتبه (نزهة الطرف في علم الصرف) و (السامي في الأسامي) و (الهادي للشادي) و (شرح المفضليات).

[انظر: ابن خلكان: 46/1؛ إنباه الرواة: 121/1؛ بغية الوعاة: 155]

³ انظر: الأمثال العربية القديمة: رودلف زهايم, ص 223-225

⁴ انظر: الموسوعة العربية العالمية: 695/1

الأنباري, وكتاب الأمثال للرياضي, وكتاب الأمثال لحمزة الإصفهاني¹, وكتاب جمهرة
الأمثال لأبي هلال العسكري, وكتاب مجمع الأمثال للميداني, وكتاب المستقصى في
أمثال العرب للزمخشري.

وقد يعدّ مجمع الأمثال للميداني من أكثر هذه المؤلفات دقة وتصنيفاً وشمولاً
وضخامةً مادة.²

¹ انظر: الأمثال العربية القديمة: ص 224

² انظر: الموسوعة العربية العالمية: 695/1

أنواع الأمثال

ذكر الباحثون للمثل أنواعاً ثلاثة:

1- المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي, لا تعمُّل فيه ولا تأنق ولا تقيُّد بقواعد النحو, وإما كتابي صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء الخطباء, كقولهم: "رُب عجلة تهب ريثاً"¹ أو "كالمستجير من الرمضاء بالنار"². ومما جاء من هذا النوع قوله ρ "إن من البيان لسحراً"³ .⁴

وهذا أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة المثل. ويدخل فيه الحكم الموجزة التي شاعت حتى أصبحت أمثالاً مثل "السر أمانة", و "العود أحمد" و "قد أعذر من أنذر". كما يدخل فيه أبيات الحكم. ويدخل في هذا النوع أيضاً الأمثال التي على وزن "أفعل من ... كقول العرب: "أجود من حاتم" و "أبلغ من القس" و "أخلف من عرقوب"⁵.

2- المثل القياسي: سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية, لتوضيح فكرة ما,

¹ كتاب جمهرة الأمثال, 472/1

² يضرب لمن هرب من خلة مكروهة فوقع في أشد منها.

[مجمع الأمثال, 149/2]

³ البخاري, كتاب النكاح, باب الخطبة, رقم الحديث: 4749

⁴ انظر: أمثال الحديث, لعبد المجيد محمود: ص 81

⁵ انظر: الموسوعة العربية العالمية: 697/1

عن طريق التشبيه أو التمثيل¹، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر، لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.²

وهذا النوع يكاد يكون معدوماً في مدونات الأمثال العربية القديمة، ولكنه موجود بكثرة في القرآن الكريم³ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ﴾⁴ وهكذا في الحديث النبوي: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا).⁵

3- المثل الخرافي: هو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان، لغرض تعليمي أو فكاهي وما أشبه ذلك. كقولهم: "أُكَلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثور الأبيض".⁶ أو هو

¹ انظر: الموسوعة العربية العالمية: 697/1

² انظر: أمثال الحديث لعبد المجيد محمود: ص82

³ انظر: الموسوعة العربية العالمية: 697/1

⁴ البقرة: 261

⁵ انظر: البخاري، الشركة، هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث: 2313

⁶ قاله علي رضي الله عنه يعني بالثور الأبيض عثمان رضي الله عنه وأن امره وهن يوم قتله يضرب لرجل يزرأ بأخيه وأصله أنهم يزعمون أنه كان في بعض المروج ثلاثة ثيران أبيض وأسود وأحمر وكن من أرواقهن في حمى لا يرام فخذعن أسد حتى أنسن به وألفنه ثم خلا بالأسود والأحمر منهن وقال لهما هذا الأبيض يدل ببياض لونه

تلك الكلمات الموجزة السائدة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله, ومنها قول الضب حين احتكم إليه الأرنب والثعلب حول تمرة: "في بيته يؤتى الحُكْم".¹ كما نجد ذلك كثيراً في كتاب كليلة ودمنة.

عليكما السبع ولا غناء عنده فخليا بيني وبينه لا يقتلكما شره فأنعما له فافترسه وأكله ثم خلا بعد ذلك بالأحمر وقال له بيني وبينك مناسبة اللون وهذا الأسود يخالفنا في اللون خل بيني وبينه ليكون المرج كله لك فرضي بذلك وافترس الأسود أيضا وأكله ثم لما جاع هم بالأحمر فبكى الأحمر بكاء شديدا وقال أكلت والله يوم أكل الثور الأبيض فذهب كلمته مثلا.

[انظر: المستقصى, 418/1؛ أمثال الحديث لعبد المجيد محمود: ص 81]

¹ انظر: الموسوعة العربية العالمية: 697/1

أثر الحديث النبوي في الأمثال

اختار الله عزّ وجلّ محمداً ﷺ لإيصال دعوة الإسلام إلى الناس وتبيينه لهم. فأدّى النبي ﷺ هذه المهمة أحسن القيام، واستعمل في أداءه عدة أساليب الإيضاح والتعليم، من أهمها أسلوب ضرب المثل.

لم يستخدم رسول الله ﷺ أسلوب المثل لغرض في ليزين به كلامه، كما يفعل ذلك الأدباء، وإنما هدفه كان أرفع منه، وهو تجسيد المعاني الذهنية، وإلباس المعقول لباس المحسوس، حتى يتضح المبهم ويقترّب البعيد.

وكذلك ضرب الأمثال من أساليب التربية، يحمل النفس على الخير، ويحرّضها على العمل الصالح، وينهاها عن المنكر والإثم. وهو كذلك يرفع مستوى العقل وينمّه وينشئه على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.

هذه الأغراض وغيرها من أجلها ضرب النبي ﷺ طائفة من الأمثال في عدّة مواضع وقضايا مختلفة، وأكثر اعتماده على هذا الأسلوب النثري، إذ كان يعرف ﷺ الدور الذي كان يلعبه المثل عند قومه ﷺ، والمنزلة التي كان يحملها المثل، كما كان يتلو آيات الأمثال المضروبة للناس، ويجد أثرها في الرد والتحدي، والترغيب والترهيب، فحظي المثل باهتمامه كوسيلة من وسائل معينة على أداء هذه المهمة.¹

¹ انظر: مقدمة حول الأمثال النبوية: الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net

أثر الحديث النبوي في الأمثال

وإذا تأملنا الأمثال النبوية وجدنا التنويع فيها كصفة ظاهرة. فقد نوع النبي p في المثل كله: في ممثله، وموضوعاته، وأسلوبه، وأقسامه. وفي التالي نتناول كلاً منها بالترتيب.

1- التنويع في الممثل: فقد نوع النبي p في الممثل وضارب المثل نفسه، فتارة

أسند ضرب المثل إلى نفسه، كما ورد في صحيح البخاري¹: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ p مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ.²

وتارة أسند ضرب المثل لله عز وجل كما ورد في سنن الترمذي:

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ³ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ p إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنْفِي الصِّرَاطِ زُورَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنْفِي الصِّرَاطِ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ

¹ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، الحافظ لحديث رسول الله، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، و (التاريخ) و (الضعفاء) في رجال الحديث، و (الأدب المفرد) توفي ام 256 هـ.

[انظر: تذكرة الحفاظ: 122/2 ؛ تهذيب التهذيب: 47/9 ؛ الوفيات: 455/1]

² انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم الحديث: 3270

³ النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر الكلابي، و يقال الأنصاري، صحابي، روى له.

[تهذيب الكمال، 37/30]

حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاِعْظُ رَبِّهِ.¹

وتارة أسند ضرب المثل للملائكة،² كما في حديث البخاري:

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ فَقَالُوا أَوْلُوهَا لَهُ يَفْقَهُهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقُ بَيْنَ النَّاسِ تَابِعُهُ قُتَيْبَةُ عَنْ لَيْثٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ عَنْ جَابِرٍ خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ.³

وتارة حكى ضرب المثل عن نبي من الأنبياء، كحكايته عن يحيى عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا فَقَالَ عِيسَى إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا فَإِذَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِذَا أَنْ أَمُرَهُمْ فَقَالَ يَحْيَى أَخْشَى أَنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرْفِ فَقَالَ

¹ انظر: سنن الترمذي، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب مثل الله لعباده، رقم الحديث 2859، صححه الألباني.

² انظر: مقدمة حول الأمثال النبوية: ص 1-3

³ انظر: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ الرقم 6737

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوْهَنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلَ وَأَدَّى إِلَيَّ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَيَّ غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ وَأَمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَأَمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ فَقَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوَّ فِي آثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرَزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ (...).¹

2- التنويع في الممثل: الدراسة العميقة للأدب النبوي تكشف لنا عن المواهب

الأدبية الإبداعية التي كانت يتمتع بها سيدنا p. فقد نوع النبي p في الممثل، وضرب المثل لعدد كبير من الأشياء. فضرب p المثل للمسلم المؤمن، فمثله تارة بـ (الفرس)، وقال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ عَلَى آخِيَّتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ)²، ومثله p بـ (النحلة) تارة أخرى، وقال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النِّحْلَةِ

¹ انظر: الترمذي، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، 2790، صححه الألباني.

² انظر: مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري، 10907، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

إِنْ أَكَلْتُ طَيْبًا وَإِنْ وَضَعْتُ وَضَعْتُ طَيْبًا وَإِنْ وَقَعْتُ عَلَى عُوْدٍ نَخْرٍ لَمْ تَكْسِرْهُ¹,
وتارة مثله ρ بـ (سبيكة الذهب), وقال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ سَبِيكَةِ الذَّهَبِ إِنْ نُفِخَتْ
عَلَيْهَا احْمَرَّتْ وَإِنْ وُزِنَتْ لَمْ تَنْقُصْ)².

وكأن هذه الأمثال تتناول جميع أفراد المجتمع والأمة, فضرب ρ المثل لنفسه
وللأنبياء,³ وضرب للناس,⁴ وللمسلمين واليهود والنصارى,⁵ وللأمة المسلمة,⁶ والقائم

¹ انظر: كنز العمال, لعلي بن حسام الدين الهندي, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1989م, رقم الحديث:
735؛ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان, محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي, مؤسسة
الرسالة, بيروت, ط2: 1414هـ, تحقيق: شعيب الأرنؤوط, الأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط
عليها, قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

² أيضاً

³ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنه فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون
ويقولون لولا موضع اللبنة. [انظر: صحيح البخاري, كتاب المناقب, باب خاتم النبيين, رقم الحديث: 3270]
⁴ إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة

[انظر: البخاري, كتاب الرقاق, باب رفع الأمانة, رقم الحديث: 6017]

⁵ مثل المسلممين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً إلى الليل فعملوا إلى نصف
النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرِكَ فاستأجر آخرين فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت فعملوا حتى
إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا فاستأجر قوماً فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا
أجرَ الفريقين.

[انظر: البخاري, كتاب مواقيت الصلاة, باب من أدرك ركعة قبل الغروب, 525]

⁶ مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره. [انظر: الترمذي, كتاب الأمثال عن رسول الله, باب
الصلوات الخمس, 2795, قال الشيخ الألباني: حسن صحيح]

على حدود الله،¹ والأمرء،² والجلس الصالح والجلس السوء.³ وضرب المثل للمؤمن والفاجر،⁴ والمؤمن الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ، والمنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ⁵، والمنافق¹، وللصلوات² الخمس، وللمصلي الذي لا يتم ركوعه³، وللبخيل والمنفق⁴، والذي يعتق عند الموت ويتصدق⁵.

1 مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً

[انظر: البخاري، كتاب القسمة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، 2313]

2 قتل رجل من حمير رجلاً من العدو فأزاد سلبه فمنعه خالد بن الوليد وكان والياً عليهم فأتى رسول الله ﷺ عوف بن مالك فأخبره فقال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه قال استكثرت يا رسول الله قال ادفعه إليه فمرو خالد بعوف فجر بردائه ثم قال هل أجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ فسمعه رسول الله ﷺ فاستغضب فقال لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمرائي إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلاً أو غنماً فرعاها ثم تحين سقيها فأوردتها حوضاً فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم

[انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب استحقات القاتل سلب القاتل، 3297]

3 مثل الجليس الصالح والجلس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحك وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة [البخاري، كتاب البيوع، باب في

العطار وبيع المسك، 1959]

4 مثل المؤمن كمثل الحامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفاتتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأرز صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء

[انظر: البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، 5212]

5 مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الریحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظل ليس لها ريح وطعمها مر.

وكذلك ضرب p المثل لأمته وهم يركبون البحر⁶ , , ولصوم المتطوع⁷ , والمجاهد⁸ , ولذاكر¹ , ولنسبة الدنيا إلى الآخرة² , ولابن آدم³ , والذي يتبع السيئات بالحسنات⁴ ,

[انظر: البخاري, كتاب الأطعمة, باب ذكر الطعام, 5007]

¹ مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْعَنَمَيْنِ تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً

[انظر: مسلم, كتاب صفات المنافقين وأحكام, باب, 4990]

² عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا يَبِابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا.

[انظر: البخاري, كتاب مواقيت الصلاة, باب الصلوات الخمس كفارة, 497]

³ مَثَلُ الَّذِي لَا يُتِمُّ زَكْوَعَهُ وَيَنْقُرُ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ الْجَائِعِ يَأْكُلُ التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ لَا تُغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئًا

[انظر: المعجم الكبير, لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني, مكتبة العلوم والحكم, الموصل, ط2:

1404هـ, تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي, 115/4]

⁴ مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جَلْدِهِ حَتَّى تُخْفِي بَنَانَهُ وَتَعْفُو أَثَرَهُ وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ.

[انظر: البخاري, كتاب الرقاق, 6017]

⁵ مَثَلُ الَّذِي يَعْتِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي إِذَا شَبِعَ.

[الترمذي, كتاب الوصايا عن رسول الله, باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت, 2049, وضعه

الشيخ الألباني].

⁶ قَالَ (رسول الله) نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَازَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ نَبِجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ أَوْ

مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ [البخاري, كتاب الاستئذان, باب من زار قومًا فقال عندهم, 5926]

⁷ إِنَّمَا مِثْلُ صَوْمِ الْمُتَطَوِّعِ مِثْلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا

[انظر: النسائي, كتاب الصيام, باب في النية في الصيام, 2283, حسنه الألباني]

⁸ مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ

بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ

بالحسنيات⁴، والهدى الذي جاء به ρ ⁵، والبيت الذي يذكر فيه الله⁶، والقلب⁷، والذي يعين قومه على غير الحق¹، ولكاتم العلم²، ومعلم الناس الخير والناسي نفسه³، والذي يتصدق ثم يرجع⁴.

[انظر: البخاري، الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد ...، 2579]

¹ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت [البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، 5928]

² والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة هذه وأشار (يحيى) بالسبابة في اليم فليظنر بم ترجع

[انظر: مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، 5101]

³ مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون مائة إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت

[انظر: الترمذي، كتاب القدر عن رسول الله، باب ما جاء عن القدرية، 2076، حسنه الألباني]

⁴ إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه ذرعة ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت حلقة أخرى حتى يخرج إلى الأرض

[انظر: مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر، 16669، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن لأنه من رواية عبد الله بن المبارك وسماعه من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير علي بن إسحاق]

⁵ عن النبي ρ قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تئنث كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

[انظر: البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، 6017]

⁶ مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت

[انظر: مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة ...، 1299]

⁷ مثل القلب مثل الريشة ثقيلها الرياح بفلاة.

2- التنوع في موضوعات المثل: فقد نوع النبي ρ في موضوع المثل، وخصّب

المثل بمواضيع متنوعة وأغراض عديدة لم يسبقه أحد فيها، من أمور العقيدة والعبادة، والأخلاق والزهد، والعلم والدعوة، وغير ذلك.⁵

وفي التالي نقدم بعض النماذج التي ساقها - عليه السلام -:

- عن أبي موسى الأشعري⁶ عن النبي ρ قال: ((مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ

[ابن ماجه، المقدمة، في القدر، 85، صححه الألباني]

¹ مَثَلُ الَّذِي يُعِينُ عَشِيرَتَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ مَثَلُ الْبَعِيرِ رُذِي فِي بَيْتِهِ فَهُوَ يَمُدُّ بِذَنبِهِ

[انظر: أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، 3540، تعليق شعيب الأرنؤوط :

إسناده حسن عند من يصحح سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه مطلقا وضعيف عند من يقول إنه لم يسمع منه إلا البسير]

² مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهِ كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنُزُ الْكَنْزَ فَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ

[انظر: المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة، 1415هـ، تحقيق:

طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، 213/1]

³ مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيُنْسِي نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاحِ يَضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ.

[انظر: المعجم الكبير، 165/2]

⁴ مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ فَيَأْكُلُهُ

[انظر: مسلم، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة، رقم الحديث: 1622]

⁵ انظر: مقدمة حول الأمثال النبوية: ص 1-3

⁶ أبو موسى الأشعري (21 ق هـ - 44 هـ) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب، أبو موسى،

من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين.

[انظر: طبقات ابن سعد، 79/4]

رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ رَأَيْتُمُ الْجَيْشَ بَعِيْنِي وَإِيَّيَّ أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالْنَجَا النَّجَاءَ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْبَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَا حَهُمْ)).¹

- ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَعْلِبُنَّهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِمُحْزِرِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا)).²

3- التَّوْبِيعُ فِي الْأَسْلُوبِ: فَقَدْ نَوَّعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَسْلُوبِ الْعَرَضِ وَطَرِيقَةِ ضَرْبِ

الْمَثَلِ، فَاتَّخَذَ لَضَرْبِهِ طَرِيقًا مُتَعَدِّدَةً، وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةً. فَمِنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ اسْتِخْدَامُ الْإِشَارَةِ الَّتِي تَسْتَمِيلُ السَّامِعِينَ وَتُسَاعِدُهُمْ عَلَى الْفَهْمِ. وَفِي هَذَا الْأَسْلُوبِ تَشْتَرِكُ أَكْثَرُ حَاسَةِ فِي عَمَلِيَةِ التَّعْلِيمِ، فَالْمُخَاطَبُ يَرَى الْإِشَارَةَ، وَيَسْمَعُ الْعِبَارَةَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى لِلتَّذَكُّرِ. وَالْمَثَالُ لِهَذَا الْأَسْلُوبِ مَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أُشَارَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِيهِ مُؤَكِّدًا قَرَبَ بَعْتِيهِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ:

قَالَ أَبُو حَازِمٍ³ سَمِعْتُهُ مِنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ⁴ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ

¹ انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم الحديث: 6001

² نفس المصدر، رقم الحديث: 6002

³ أبو حازم: سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج الأفرز التمار المدني القاص الزاهد الحكيم، مولى الأسود بن سفيان المخزومي، من صغار التابعين، توفي في خلافة المنصور.

[تهذيب الكمال، 253/7]

⁴ سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة: (م 91 هـ) صحابي، من مشاهيرهم. من أهل المدينة. عاش نحو مئة سنة. له في كتب الحديث 188 حديثا.

[الإصابة، 200/3]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى. ¹

ومن ذلك أيضاً استعانته ﷺ بالرسم التوضيحي كوسيلة من وسائل التعليم والإيضاح، عندما تحدث عن قضية طول أمل الإنسان، وأجله الذي يحيط به:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ² رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا. ³

ومثال آخر يدل على استعانته ﷺ بالرسم التوضيحي، هو لما تكلم عن قضية اتباع سبيل الله وصراطه المستقيم والتحذير من سبل الشيطان الأخرى: ⁴

(عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخُطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ⁵). ⁶

¹ انظر: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم الحديث: 4889.

² هو عبد الله بن مسعود، وقد مرّت ترجمته من قبل.

³ انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم الحديث: 5938.

⁴ انظر: مقدمة حول الأمثال النبوية: ص 1-3.

⁵ الأنعام: 153.

⁶ انظر: سنن ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم الحديث 11، صححه الألباني.

4- التنوع في أنواع المثل: فقد نوع النبي p في أقسام المثل، وكان ذلك أثراً مباشراً

للقرآن فيه، لأنه p كان متأثراً به أشد التأثر.

وكما مرّ الكلام عن أنواع الأمثال، ومنها كان المثل القياسي، الذي لا يكاد يوجد في مدونات الأمثال العربية القديمة، لكنه موجود بكثرة في القرآن والحديث النبوي،¹ ومن أمثاله:

عَنْ النَّبِيِّ p قَالَ مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَفُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَفْنَا فِي نَصِينَا خَرْفًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ بَجَحُوا وَنَجَحُوا جَمِيعًا.²

وقد حرص p على ضرب المثل في الأحداث والمواقف المتعددة لأهداف تربوية، ففي بعض المواقف كان يكفيه p أن يرد رداً مباشراً لكنه أثر ضرب المثل لما يحمله من توجيه تربوي وسرعة في إيصال المعنى المراد وقد لا يؤدي غيره دوره في هذا المقام، فيراه الصحابة مرة نائماً على حصير وقد أثر الحصير في جنبه فيقولون له: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ: (مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبِ اسْتِظْلَلَتْ تَحْتِ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)³، حتى المشاهد، التي تمر في حياة الناس، فلا يلتفتون إليها، ولا يلقون لها بالاً، يجد فيها p أداة مناسبة للتوجيه والتعليم وضرب الأمثال بها، يمر ومعه الصحابة

¹ انظر: الموسوعة العربية العالمية: 697/1

² انظر: صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، الرقم: 2313

³ انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، الرقم: 2299، قال

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

على سخلة منبوذة فيقول لهم: (أَتَرُونَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا قَالُوا مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَالِدُنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا¹).

هذه الشواهد - وغيرها كثير - تؤكد مكانة الأمثال في السنة النبوية، واهتمام النبي ﷺ بها، وضرورة الاعتناء بالأمثال النبوية جمعاً وتحليلاً ودراسة، والاستفادة المثلى منها في المناهج التعليمية والبرامج التربوية و الدعوية.²

¹ انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، رقم الحديث: 2243، قال أبو عيسى حديث المستورد - أحد رواة الحديث - حديث حسن، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

² انظر: مقدمة حول الأمثال النبوية: ص3

فن الرسائل وتأثره بالحديث النبوي ρ

التمهيد

إن الرسالة هي أضعف الأجناس الأدبية العربية في العصر الجاهلي وأقواها بعد الإسلام. وذلك لأن الأمية هي الطابع الغالب على العرب, ومنهم قلة تعرف الكتابة. فمن الطبيعي أن القدر الذي أنشأه عرب الجاهلية من الرسائل فهو يسير, وما وصل إلينا من ذلك فهو أيسر.

كانت رسائل النبي ρ اللبنة القوية التي قام عليها الصرح الإسلامي الشامخ, فقد بدأت بمعاهدة المشركين ثم قبول دعوته, وفي رسائله كان يأخذ الأمور بالتدرج بيسر وسهولة, ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والرفقة واللين.

ولما هاجر رسول الله ρ إلى المدينة المنورة, وجد هناك قبائل يهودية عدة, فعاهدهم فدخلوا في دولة وفاقية تحت سياسته, وكان أول عمل سياسي حققه بعد الهجرة أن عاهد القبائل التي سكنت بين المدينة وساحل البحر وكانت ديارهم في طريق قريش في رحلتهم الصيفية إلى الشام¹ ومصر² قصدها النبي بمعاونة حلفائه من هذه القبائل, كما عاهد قبائل خزاعة وغيرهم ممن سكنوا حول مكة.

¹ الشام: يراد بها سابقاً سورية على العموم. كانت تقسم إلى سبعة أجناد على أيام العرب: فلسطين والأردن وحمص ودمشق وقنسرين والعواصم والثغور.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص382]

² مصر: دولة عربية في شمال شرقي إفريقيا, عاصمتها القاهرة. يحدها شمالاً البحر الأبيض المتوسط وشرقاً فلسطين وخليج العقبة والبحر الأحمر وجنوباً السودان وغرباً ليبيا.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص665]

ففي هذا الفصل سأتكلم عن الرسالة, ثم عن (الرسائل في العصر الجاهلي), وبعد ذلك سألقي الضوء على الرسائل النبوية, وأخيراً سأتحدث عن أثر الحديث على الرسائل.

فن الرسائل وتأثره بالحديث النبوي ρ

الرسالة لغة:

الترسل أو الرسالة من مادة (الرَّسَلَ أو الرِّسَلَة) وهو الرِّفْق والتُّؤَدَة¹ أو هو الانبعاث على التُّؤَدَة² ويقال ناقة رَسَلَة سهلة السير³ وَجَمَلَ رَسَلٌ كَذَلِكَ⁴ والرَّسَلُ بالفتح : السَّهْلُ من السير يُقَالُ : سِيرَ رَسَلٌ وهو أيضاً : البَعِيرُ السَّهْلُ السَّيْرُ⁵.

والإرسال : التسليط وبه فُسِّرَ قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾⁶ أي سلطوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم. وقيل : مَعْنَاهُ أَنَا خَلَيْتُنَا الشَّيَاطِينَ وَإِيَّاهُمْ فلم نعصمه من القبول منهم ... والميختار الأول .

وقيل : الإرسالُ هنا : الإِطْلَاقُ والتَّخْلِيَةُ ... والإرسالُ أيضاً : الإِهْمَالُ وهو قَرِيبٌ مِنَ الإِطْلَاقِ والتَّخْلِيَةِ... والإرسالُ أيضاً : التَّوْجِيهِ وبه فُسِّرَ إِرسَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَأَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَنْذَرُوا عِبَادِي.

والاسمُ : الرِّسَالَةُ بالكسر والفتح والرَّسُولُ والرَّسِيلُ. والرَّسُولُ بمعنى الرِّسَالَةِ يُوْنِثُ

¹ انظر: اللسان: 281/11

² انظر: مفردات القرآن: 552/1

³ انظر: اللسان: 281/11

⁴ انظر: مفردات القرآن: 552/1

⁵ انظر: تاج العروس: تحت مادة (رسل)

⁶ مريم: 83

والرَّسُولُ أيضاً : المُرْسَلُ⁷ , كما قاله الإمام راغب: والرسول يقال تارة للقول المتحمل ... وتارة لمتحمل القول والرسالة⁸.

وقال قدامة⁹ في اشتقاق الترسل في كتابه نقد النثر:

والترسل من ترسلت أترسل ترسلأ وأنا مترسل كما يقال توقفت أتوقف توقفاً وأنا متوقف. ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر, كما لا يقال تكسر إلا لمن ترد عليه الفعل في الكسر. ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أرسل يرسل إرسالاً وهو مُرسل, والاسم الرسالة. أو راسل يرسل مراسلةً فهو مراسل, وذلك إذا كان هو ومن يرأسله قد اشتركا في المراسلة. وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يرأسل به مَنْ بعد أو غاب, فاشتق له اسم الترسل, والرسالة من ذلك.¹⁰

⁷ انظر: تاج العروس: تحت مادة (رسل)

⁸ انظر: مفردات القرآن: 552/1

⁹ قدامة بن جعفر (ت 948م): كاتب من البلغاء الفصحاء من أهل بغداد. كان مسيحياً وأسلم على أيام المكتفي. وكان من المتقدمين في علم المنطق. توفي ببغداد. من مؤلفاته (الخراج), (نقد الشعر), (نقد النثر).

[انظر: المنجد في الأعلام: ص546]

¹⁰ انظر: نقد النثر, ص92

الفرق بين الرسالة والخطبة والشعر

إن الرسالة والخطبة أسلوبان نثريان مهمّان, تتشابهان في أشياء كثيرة, تتشابهان أيضاً في الألفاظ والفواصل, إذ ألفاظ الخطباء تماثل ألفاظ الكتّاب في السهولة والعدوابة, وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسالة. كما أنّهما تتشاكلان لأن كليهما كلام يخلو من الوزن والقافية, ولا فرق بينهما من هذه النواحي.

قال صاحب الصناعتين يبين الفرق بين الرسالة والخطبة والشعر:

"إن الخطابة يشافه بها, والرسالة يكتب بها, والرسالة تجعل خطبة, والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلمة؛ ولا يتهيأ مثل ذلك في الشعر من سرعة قبله وإحالتة إلى الرسائل إلا بتكلفة؛ وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعراً إلا بمشقة.¹

وتحدث عن مجال كل فن من فنون الكلام, فقال: (ومما يعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنّهما مختصتان بأمر الدين والسلطان ... وليس للشعر بهما اختصاص, أما الكتابة فعليها مدار السلطان والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين؛ لأن الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجماعات, ولا يقع الشعر في أي شيء من هذه الأشياء موقِعاً, ولكن له مواضع لا ينجح عن غيره من الخطب والرسائل وغيرها".²

تعدُّ الخطابة أصعب من الترسُّل, لأن الخطيب لا يكون في فسحة أن يصلح خطاه, يقول في ذلك قدامة:

¹ انظر: الصناعتين: ص130

² نفس المصدر: ص131

والبلاغة في الجميع واحدة, والعبيّ قريب من قريب. إلا أن الخطابة لما كانت مسموعة من قائلها, ومأخوذة من لفظ مؤلفها, وكان الناس جميعاً يرمقونه ويتصفحون وجهه, كان الخطأ فيها غير مأمون, والحصر عند القيام بها مخوفاً ومحذوراً. فأما الرسائل فالإنسان في فسحة من تحكيكها (أي تنقيحها) وتكرير النظر فيها, وإصلاح خلل إن وقع في شيء منه. ثم هي نافذة على يد الرسول أو طيّ الكتاب, فقد كُفي صاحبها المقام الذي ذكرناه, والحصر الذي وصفناه. فلهذا صار الخطيب إذا ساوى المترسّل في البلاغة كان له الفضل عليه, كما كان الفضل للشاعر إذا ساوى المتكلم في تجويد المعاني وبلاغة اللسان. وقد قال عبد الله بن الأهمتم¹: إني لست أعجب من رجل تكلم بين قوم فأخطأ في كلامه أو قصّر عن حجته, لأن ذا الحجا قد تناله الخجلة ويدركه الحصر ويعزّب عنه القول؛ ولكن العجب ممن أخذ دواة وقرطاساً وخلا بفكره وعقله, كيف يعزّب عنه من أبواب الكلام يريد, أو وجه من وجوه المطالب يريد².

¹ عبد الله بن سنان: سمي أبوه الأهمتم بالأهمتم لأن قيس بن عاصم ضرب فمه بقوس فهتم أسنانه. هو خطيب واعظ, كان يدخل على عمر بن عبد العزيز ويعظه ويبيّنه.

[انظر: مختصر تاريخ دمشق: 3648/1]

² انظر: نقد النثر: ص 93

الرسائل في العصر الجاهلي

هذا أمر صعب أن نقف على صورة واضحة صحيحة لرسائل العرب في العصر الجاهلي, وذلك لأن القدر الذي أنشأه عرب الجاهلية من الرسائل يسير جداً, وما وصل إلينا من ذلك القدر فهو أيسر.

والنظر الفاحص فيها يُظهر لنا أن بعض المنقول إلينا هو عن طريق المشافهة لا الكتابة, وهذا النقل يضعف الثقة في صحتها.

من أشهر الرسائل الثرية وأقدمها رسالة المنذر الأكبر¹ إلى أنو شيروان² ملك الفرس في صفة جارية أهداها إليه³, وصحيفة⁴ المتلمس⁵ وطرفة بن العبد. وبعض هذه الرسائل يشبه الوصية المكتوبة, كرسالة⁶ النعمان بن حميضة البارقي⁷

¹ المنذر الأكبر: وهو ابن ماء السماء, وقد مرت ترجمته.

² أنو شيروان: خسرو أنوشيروان أو كسرى الأول: ملك ساساني (531-579م). ابن قباذ. حارب يوستينيانوس واحتل انطاكية ولاذق. أجبر على عقد هدنة مع البيزنطيين 555م. استولى على اليمن عام 570م. أهم مشاريعه: مسح الأراضي وإصلاح نظام الضرائب.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص 589]

³ انظر: تاريخ الطبري: 477/1 ؛ الأغاني: 114/2

⁴ انظر: الأغاني: 232/24 ؛ مجمع الأمثال: 399/1

⁵ المتلمس: اسمه جرير بن عبد المسيح, قيل إنه ولد في أخواله بني يشكره حتى كادوا يغلبون على نسبه, خال طرفة بن العبد. من شعراء الجاهلية المقلين المفلقين.

[انظر: الأغاني: 217/24-220]

⁶ انظر: جمهرة الأمثال: 493-495/1 ؛ جمهرة خطب العرب: 130/1

⁷ النعمان بن حميضة: أبو حميضة بن النعمان البارقي الذي أسلم بعد الردة وكان من قواد سعد بالقادسية.

إلى أكثم بن صيفي¹.

وأجمل ما بلغنا من الرسائل الجاهلية تلك الرسائل المرموزة الملعزة، وفيها ما فيها من دهاء العرب وذكائهم، وحسن تمرسهم بالمعضلات، وقدرتهم على حلّها. ومن أشهر رسائلهم الملعزة رسالة ناشب الأعور العنبري² إلى قومه³.

ومن هذه الرسائل ما كان ينقل مروياً باللسان، لا مكتوباً على الطرس، فمنها رسالة أبي مَرّة جَسَّاس⁴ إلى مهلهل⁵.

نماذج الرسائل في العصر الجاهلي

[انظر: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكن، لعلي بن هبة الله، ط1:

1411هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، 536/2؛ الإصابة في تمييز الصحابة: 130/2]

¹ أكثم بن صيفي (م 9 هـ) أكثم بن صيفي بن رباح التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي ﷺ وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه. وهو المعني بالآية الكريمة (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) أخباره كثيرة.

[انظر: الإصابة، 113/1]

² ناشب وهو الأعور بن بشامة بن نضلة بن سنان بن جندب بن الحارث بن جهمة بن عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وهو من خطب النبي ﷺ أخته (صفية بنت بشامة) ولم يدخل بها، وقد ورد قصته في الأغاني والمزهر.

[انظر: أسد الغابة: 64، 359؛ الطبقات: 154/8؛ المزهر: 444/1]

³ انظر: المزهر في علوم اللغة: 444-445

⁴ مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت أختهم عند كليب.

[انظر: الأغاني: 40/5]

⁵ انظر: الأدب الجاهلي، ص 716-719

1- إن المنذر الأكبر أهدي إلى أنو شروان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغساني بن أبي شمر¹ فكتب إلى أنو شيروان يصفها له وقال:

(إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء قمراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء ثماء زجاء برجاء أسيلة الخد شهية القد جثلة الشعر عظيمة الهامة بعيدة مهوى القرط عيطاء عريضة الصدر كاعب الثدي ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طي البطن خميصة الخصر غرتي الوشاح رداح القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ربا الروادف ضخمة المأكمتين عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرد سموعا لسيد ليست بخنساء ولا سعفاء ذليلة الأنف عزيزة النفر لم تغذ في بؤس حية رزينة حليلة ركيمة كريمة الخال تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها وبفصيلتها دون جماع قبيلتها قد أحكمتها الأمور في الأدب فرأيها رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت تزين البيت وتشين العدو إن أردتها اشتتت وإن تركتها انتهت تحمق عينها وتحمر وجنتها وتذبذب شفتها وتبادرك الوثبة ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست).²

¹ الحارث ابن أبي شمر الغساني: من أمراء غسان في أطراف الشام. كانت إقامته بغوطة دمشق. وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب. ومات في عام الفتح (فتح مكة).

[انظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ابن طولون، تحقيق: محمود أرناؤوط، ط2: 1987م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص32]

² انظر: تاريخ الطبري: 477/1 ؛ الأغاني: 114/2

2- رسالة النعمان إلى كسرى ينصح له فيها بالاعتماد على زيد بن عدي¹, فقد توسّم النعمان في زيد كفاءة أبيه عدي ونجابتة, فاختاره معيناً لكسرى, وقال في تقرّظه:

(إن عديا كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه فأصابه مالا بد منه وانقضت مدته وانقطع أكله ولم يصب به أحد أشد من مصيبي وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلا إلا جعل الله له منه خلفا لما عظم الله له من ملكه وشأنه وقد أدرك له ابن ليس دونه وقد سرحته إلى الملك فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل).²

3- صحيفة ملك الحيرة (عمرو بن هند)³ يأمر عامله في البحرين⁴ أن يقتل المتلمس, ونصّها:

(باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكمّبر⁵ إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس

¹ زيد بن عدي: ابن عدي بن زيد الشاعر الجاهلي, وكاتب كسرى.

[انظر: الأعلام, 220/4]

² انظر: تاريخ الطبري: 476/1؛ الأغاني: 112/2

³ عمرو بن الهند: عمرو بن المنذر اللخمي, ملك الحيرة في الجاهلية, عرف بنسبته إلى أمه هند, تميّزاً له عن أخيه الأصغر. ملك بعد أبيه, واشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغسانيين وأهل اليمامة. صاحب صحيفة المتلمس, وقاتل طرفة بن العبد الشاعر. وفي أيامه ولد النبي ρ . قتله عمرو بن الكلثوم الشاعر.

[انظر: تاريخ ابن خلدون: 265/2؛ الكامل: 154/1]

⁴ البحرين: دولة عربية في الخليج. عاصمتها المنامة. يحدّها شرقاً قطر وغرباً المملكة العربية السعودية. وهي مركز استراتيجي هام. أهم جزرها البحرين.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص118]

⁵ عامل عمرو بن الهند على عمان وبحرين.

[انظر: الأغاني: 231/24]

فأقطع يديه ورجليه وادفنه حياً.¹

4- رسالة النعمان بن حميضة البارقي الى أكثم بن صيفي مثل لنا مثالا نأخذ به فقال: (قد حلبت الدهر أشطره, فعرفت حلوه ومره, عين عرفت فذرفت, إن امامي مالا أسامى, رب سامع بخبري لم يسمع بعذري, كل زمان لمن فيه, في كل يوم ما يكره, كل ذي نصره سيخذل, تباروا فإن البر ينمى عليه العدد, كفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه, إن قول الحق لم يدع لي صديقا. لا ينفع مع الجزع التبقى ولا ينفع مما هو واقع التوقى.....).²

5- رسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه:

جمعت اللهازم لتغير على بني تميم وهم غازون فرأى ذلك ناشب الأعور بن بشامة العنبري وهو أسير في بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال لهم: أعطوني رسولا أرسله إلى أهلي أوصيهم في بعض حاجتي وكانوا اشتروه من بني أبي ربيعة فقالت بنو سعد: ترسله ونحن حضور, وذلك مخافة أن يُنذر قومَه فقال: نعم فأرسلوا له غلاماً مولداً لهم.

فقال لهم لما أتوه به: أتيتموني بأحمق فقال الغلام: والله ما أنا بأحمق فقال الأعور: إني أراك مجنوناً قال: ما أنا بمجنون.

قال: فالتيران أكثر أم الكواكب قال: الكواكب وكل كثير.

وقال آخر: إنه قال له: والله ما أنا بأحمق, فقال الأعور: إن لك لعيني أحمق

¹ انظر: الأغاني: 232/24؛ مجمع الأمثال: 399/1

² انظر: جمهرة الأمثال: 493-495؛ جمهرة خطب العرب: 130/1

وما أراك مبلّغاً عني ! قال بلى لعمري لأبْلَغَنَّ عنك فملاً الأعور كفه من الرمل

فقال: كم في كفي, قال : لا أدري وإنه لكثير لا أُحصيه فأوماً إلى الشمس بيديه
فقال : ما تلك قال : الشمس.

قال : ما أراك إلا عاقلاً شريفاً اذهب إلى أهلي فأبْلَغْهم عني التحيّة وقل لهم:
ليُحْسِنُوا إلى أسيرهم ويُكْرِمُوهُ فإني عند قوم محسنين إلي مكرمين لي وقل لهم: فَلْيَعْرِوا
جملي الأحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني مالك وأخبرهم أن العوسج قد
أورق وأن النساء قد اشتكت وليعصوا همّام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود وليطيعوا هذيل
بن الأحنس فإنه حازم ميمون.

فقال له بنو قيس : ومن بنو مالك هؤلاء قال : بنو أخي

وكره أن يعلم القوم وزعم سليمان بن مزاحم أنه قال : وإذا أتيت أمّ قدامة فقل لها
: إنكم قد أسأتم إلى جملي الأحمر وأنّهكُتّموه ركوباً فاعفوه وعليكم بناقتي الصهباء
العافية فاقْتَعِدوها.

فلما أتاهم الرسول فأبْلَغْهم لم يدّر عمرو بن تميم ما الذي أرسل به الأعور وقالوا
: ما نعرف هذا الكلام ولقد جُنّ الأعور بعدنا

قال هذيل للرسول : اقتص عليّ أول قصته فقصّ عليه أول ما كلمه به الأعور
وما رجعه إليه حتى أتى على آخره

قال هذيل : أبْلَغْه التحيّة إذا أتيتّه وأخبره أنا نَسْتَوْصِي بما أوصى به

فشخص الرسول فنادى هذيل بْلَعْنِبر ! فقال : قد بيّن لكم صاحبكم : أما الرملُ
الذي جعلَ في يده فإنه يُخبركم أنه قد أتاكم عددٌ لا يُحصى وأما الشمسُ التي قد أوماً

إليها فإنه يقول : ذلك أوضح من الشمس وأما جملة الأحمر فهو الصمّان وأما ناقتة العيساء أو قال الصهباء فهي الدهناء يأمركم أن تتحرّزوا فيها وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تُنذروهم ما حدّركم وأن تُمسكوا بجلف ما بينكم وبينهم وأما إيراك العوسج فإنّ القوم قد أكتسوا سلاحاً وأما اشتكاء النساء فإنه يُخبركم أنهن قد عملن لهم عجلاً يَعزُونَ بها والعجل.¹

5- رسالة أبي مرّة أبي جسّاس إلى مهلهل:

(إنك قد أدركت بشارك, وقتلت جسّاساً, فاكفف عن الحرب, ودع اللجاج والإسراف, وأصلح ذات البين, فهو أصلح للحين, وأنكأ لعدوهم).²

¹ انظر: المزهر في علوم اللغة: 444-445/1

² انظر: الأدب الجاهلي: ص718

خصائص الرسائل في العصر الجاهلي

- 1- يظهر من رسائل العصر الجاهلي أنها لها أنواع:
 - أ- نوع مكتوب على طرس (كرسالة المنذر الأكبر إلى أنو شيروان)³, أو (صحيفة المتلمس وطرفة بن العبد)⁴.
 - ب- ونوع روي عن طريق المشافهة, لا الكتاب (كرسالة مرّة أبي جساس إلى مهلهل)⁵.
 - ج- ونوع تراسل به العرب داخل بلاد العرب (كرسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه)⁶.
 - د- ونوع أرسل إلى أجنبي خارج الجزيرة العربية (كرسالة النعمان إلى كسرى)⁷.
- 2- ويظهر من هذه النصوص أن الرسائل في العصر الجاهلي, موجزة, وتعبّر عن الأفكار, بأقل الألفاظ, ومن مظاهر الإيجاز خلوّها من المقدمات, والهجوم على الغرض عادة بلا كلمات تمهيدية.
- 3- التمهيد للغرض بجملة تقليدية مألوفة, هي ذكر اسم الله, وتميزت رسائل قريش بالمقدمة المألوفة (باسمك اللهم).
- 4- تعبير الأفكار بأوضح كلمات, بلا تكلف وصنعة.⁸

³ انظر: تاريخ الطبري: 477/1 ؛ الأغاني: 114/2

⁴ انظر: الأغاني: 232/24 ؛ مجمع الأمثال: 399/1

⁵ انظر: الأدب الجاهلي: ص718

⁶ انظر: المزهر في علوم اللغة: 444-445

⁷ انظر: تاريخ الطبري: 476/1 ؛ الأغاني: 112/2

⁸ انظر: الأدب الجاهلي: ص719

الرسائل النبوية

المراسلة عملية حضارية هامة, ولها أثر في حياة البلاد, وليس هناك أي حاجة إلى أن تدلنا أن شأن هذه العملية انتظم لقيام الدولة الإسلامية. فقد أدرك رسول الله ρ أهمية المراسلة كوسيلة من وسائل الدعوة والإعلام, فاتخذ عدداً كبيراً من الكتاب, وراسل كثيراً من ملوك العرب والعجم, وشيوخ القبائل, وزعماء الأقاليم... يدعوهم إلى الإسلام وإجابة الدعوة الإسلامية.

وتوجد الرسائل النبوية متفرقة في سيرة ابن إسحاق¹ والطبري² والواقدي³ والبلاذري⁴ وطبقات ابن سعد⁵ وكتب الحديث وفي العقد الفريد وصبح الأعشى وسواها

¹ محمد بن إسحاق بن يسار المظلي بالولاء: من أقدم مؤرخي العرب, أول من صنف في علم السير. رئيس أهل المغازي. توفي عام 151هـ.

[انظر: كشف الظنون: 1012/2؛ الأعلام: 28/6]

² محمد بن جرير بن يزيد الطبري: المؤرخ المفسر الإمام, وأوثق من نقل التاريخ, كان مجتهداً مطلقاً, توفي عام (310هـ). له (التاريخ).

[انظر: الفهرست: 326/1؛ الأعلام: 69/6]

³ محمد بن عمر بن واقد السلمي بالولاء, الواقدي: (م 207هـ) من أقدم المؤرخين في الإسلام وأشهرهم, اتصل بحبي البرمكي فولاه القضاء, وهو مع عظمته في العلم ضعيف. من كتبه (تاريخ الفقهاء).

[انظر: الوافي في الوفيات: 534/1]

⁴ أحمد بن يحيى البلاذري: مؤرخ جغرافي, من أهل بغداد, كان يجيد الفارسية, وترجم عنها (عهد أزدشير), أصيب بما يشبه الجنون لأكله حبّ البلاد.

[انظر: الفهرست: 64/1؛ الأعلام: 267/1]

⁵ محمد بن سعد بن منيع الزهري, مولاهم, أبو عبد الله: مؤرخ ثقة, من حفاظ الحديث. ولد في البصرة, وسكن بغداد, فتوفي فيها عام 230 هـ. وصحب الواقدي المؤرخ, زماناً, فكتب له وروى عنه, وعُرف بكتابت

وسواها ؛ ومن أهم هذه المراجع كتاب الطبقات فقد أفرد ابن سعد فيه فصلين ذكر فيهما وفود القبائل إلى النبي والرسائل والعهود التي كتبها لهم، كما جمعها المحقق دكتور محمد حميد¹ الله في مجموعة سماها (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة)².

وتقع هذه العهود في ثلاثة أدوار رئيسية:

الدور الأول

هذا الدور يتدئ بهجرة النبي μ وينتهي بغزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة. نلاحظ في هذه الرسائل:

أنها تخلو من التاريخ وكلها رسائل سياسية، وذلك لأن المركز النبوي في السنوات الأولى من الهجرة كان شاقاً، وكان قصده من مخالفته مع القبائل أن يستعين به على

الواقدي. أشهر كتبه (طبقات الصحابة) يعرف بطبقات ابن سعد.

[انظر: تهذيب التهذيب: 182/9 ؛ الوفيات: 507/1 ؛ الوافي بالوفيات: 88/3]

¹ محمد حميد الله، د. محمد حميد الله (9 فبراير 1908 -- 17 ديسمبر 2002) ينتمي إلى عائلة من العلماء والفقهاء والكتاب والإداريين. عالم هندي شهير فقيه وعالم الإسلام والقانون الدولي الذي كان يعرف من أجل التبرع لبحوث تاريخ الحديث ، وترجمات القرآن ، وتقديم التعليم الإسلامي ، ونشر تعاليم الدين الإسلامي في العالم الغربي. من كتبه الكثيرة: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

[www.wikipedia.org]

² انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها: محمد حميد الله، د. ط6: 1987م،

دار النفائس، بيروت

إضعاف قوة قريش. ولذلك نراه يعقد المعاهدات معهم وهم على حالهم من الإشراف.¹
ومن رسائله في هذا الدور رسالته:

إلى نعيم بن مسعود الأشجعي²:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا حَالَفَ عَلَيْهِ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ رُحَيْلَةَ
الْأَشْجَعِيِّ. حَالَفَهُ عَلَى النَّصْرِ وَالنَّصِيحَةِ مَا كَانَ أَحَدُ مَكَانِهِ. مَا بَلَ بَحْرَ صُوفَةَ، وَكُتِبَ
عَلَيْهِ".³

2- لم يشترط النبي ρ فيها الإسلام على القبائل، وإنما هو معاهدة حربية يراد بها
أراد به أن يقوي مركز المسلمين ضد مشركي قريش.

ومثله العهد الذي كتبه لبي غفار⁴، والذي نرى فيه قبول النبي بمساواة المسلمين
بغير المسلمين⁵، ونصه ما يلي:

"قالوا وكتب رسول الله ρ لبي غفار: إِنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ

¹ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، لأنيس المقدسي، ط5: 1974م، دار العلم للملايين،
بيروت، ص23-24

² انظر: نعيم بن مسعود الأشجعي: صحابي. من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله سرّاً أيام الخندق
واجتماع الأحزاب المجتمعمة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان وقريش، ففترقوا. مات في
خلافة عثمان عام 30 هـ. قيل: قتل يوم (الجمل) قبل قدوم علي رضي الله عنه إلى البصرة.

[انظر: الطبقات: 19/4؛ أسد الغابة: 33/5؛ الإصابة: ت 8781]

³ انظر: الطبقات الكبرى، 274/1

⁴ غفار بن جاسم بن عمليق: جد جاهلي قديم. كانت منازل بنيه بنجد.

[الأعلام، 121/5]

⁵ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص24

وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّ النَّبِيَّ عَقَدَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَلَهُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالظُّلْمِ وَأَنَّ النَّبِيَّ إِذَا دَعَاهُمْ لِيَنْصُرُوهُ أَجَابُوهُ وَعَلَيْهِمْ نَصْرُهُ إِلَّا
مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ - ما بل بحر صوفة - وَأَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَا يَحُولُ دُونَ إِثْمٍ".¹

3- من مميزات رسائل هذا العصر أنها من أقدم ما كتبها الرسول ρ وأكثرها
قصير², ومن أمثلتها: قوله لبني زُرعة³ وبني الربعة⁴ من جهينة: "إِنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَنَّ هُمْ النَّصْرُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ حَارَبَهُمْ إِلَّا فِي الدِّينِ وَالْأَهْلِ
وَلِأَهْلِ بَادِيَّتِهِمْ مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ وَاتَّقَى مَا لِحَاضِرَتِهِمْ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ".⁵
ونهج ρ هذا المنهج في رسائله السياسية الأخرى.

الدور الثاني

¹ انظر: الطبقات الكبرى: 274/1

² انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 25

³ بنو زُرعة: بطن من بني عجلان. يقيم بالديار المصرية. وبنو عجلان: من قبائل العرب في مصر, تنقسم إلى
الأفخاذ الآتية: بنو جابر, قصر, بنو زُرعة, وبنو سمالوس.

[انظر: معجم قبائل العرب: 469/2 و 758]

⁴ بنو الربعة: منسوب إلى الرُّبعة بن رَشْدان بن قيس: بطن من جهينة. وفدوا على النبي ρ وكان يقال لهم: بنو
غيان في الجاهلية, فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: بنو غيان. فقال: بل أنتم بنو رَشْدان. قال: ما اسم واديكم؟
قالوا: عوى. قال: بل هو رَشْد. فلزمتها.

[انظر: معجم ما استعجم: 653/2 ؛ الأنساب, لعبد الكريم السمعاني, تقديم: عبد الله البارودي, ط 1:

1408هـ, دار الكتب العلمية, بيروت: ق 1 / 414]

⁵ انظر: الطبقات الكبرى, 270/1

هذا الدور ما بين السنة الخامسة وفتح مكة سنة 8 للهجرة فغزوة تبوك.¹ وفي هذا العصر أخذ نجم المكيين بالأفول², وبدأ أمر الإسلام يستقر. نلاحظ في رسائل هذا العصر:

1- أن النبي ρ - على العكس مما كان يفعل في رسائل الدور الأول من الميل إلى مخالفة المشركين مع بقاءهم على كفرهم لأجل ضعف مركزه - أصبح في أكثر عهوده يشترط الإسلام على القبائل المهادنة, على أنه لم يشدد في ذلك قبل فتح مكة كما نستدل من ملاينته لقريش عام الحديبية³ (6هـ) فقد عقد مع زعيمهم عهداً هذا نصه:⁴

(بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ هَذَا مَا صَاحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو⁵ اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكْفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ

¹ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 23

² أفل النجم: أي غاب.

[المعجم الوسيط, 21/1, مادة (أفل)]

³ الحديبية: وادٍ قريب من مكة, اشتهر بالبيعة التي حدثت فيه وبالصلح الذي أبرم بين النبي والمكيين.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص 231]

⁴ انظر: تطور الأساليب النثرية, ص 26

⁵ سهيل بن عمرو بن عبد شمس, القرشي العامري, من لؤي: خطيب قريش, وأحد سادتها في الجاهلية. أسر يوم بدر, وافتدي, فأقام على دينه إلى يوم الفتح, بمكة, فأسلم. ثم سكن المدينة. وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية, وجاء في مقدمة كتاب الصلح: (باسمك اللهم. هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو). كان عمر بن الخطاب يخشى موافقه في الخطابة. مات بالطاعون في الشام.

[انظر: الإصابة: ت 3566؛ البيان والتبيين: 1/172]

عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قُرَيْشٍ بِعَيْرٍ إِذْنٍ وَلِيَّهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ تَرُدَّهُ عَلَيْهِ وَأَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ¹ وَلَا إِغْلَالَ وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ).²

فمن هذا الكتاب نرى أن الرسول يوادع قريشاً ويحاربهم رغبة في صرف جهوده عنهم إلى جهة أخرى.

2- نرى بعد ذلك أنه ρ أخذ يبعث السرايا والرسل إلى القبائل قريبا وبعيدها. وفي كتبه إليهم نراه ذا القوة النافذة والكلمة العليا، ونرى الناس بعدها يدخلون في دين الله أفواجا.³ ويتضح هذا في مثال ذكره ابن سعد في طبقاته:

إن العربي⁴ أتاه كتاب رسول الله ρ فرقع به دلوه فقالت له ابنته ما أراك إلا ستصيبك قارعة، أذاك كتاب سيد العرب فرقعت به دلوك. فمرّ به جيش لرسول الله ρ

¹ الإسلال: السرقة.

[المعجم الوسيط، 445/1، مادة (سلل)]

² انظر: تاريخ الطبري: 3/ 1546؛ مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، حديث المسور بن المخرمة، رقم الحديث: 18930، علق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده حسن محمد بن إسحاق وإن كان مدلسا وقد عنعن إلا أنه قد صرح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث فانتفت شبهة تدليسه.

³ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 26

⁴ العربي: هو عبد الله بن عوسجة العربي... كان رسول الله ρ بعثه إلى بني حارثة بن عمرو بن قريظ يدعوهم إلى الإسلام فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فقال النبي ρ أذهب الله عقولهم فهم أهل سفه وعجلة.

[انظر: الإصابة، 202/4]

فاستباحوا كل شيء له فأسلم. وأتى النبي ρ فأخبره فقال له رسول الله ما أصبت من مالك قبل أن يقسمه المسلمون فأنت أحقّ به".¹

ومن رسائله في هذا الدور:

- لبني الجرمر بن ربيعة² وهم من جهينة: "إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِيَلَادِهِمْ وَلَهُمْ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ وَكَتَبَ³ الْمَغِيرَةَ⁴ وَمِنْهَا - إِلَى هُوذَةَ⁵ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا (مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هُوذَةَ بْنِ عَلِيٍّ؛ سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْحُفِّ وَالْحَاغِرِ فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ)."⁶

¹ انظر: الطبقات: 281/1

² منسوب إلى (جرموز بن الحارث: بطن من شنوءة، نم الأزد، نم القحطانية، وهم: بنو جرموز بن الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عُذثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد.

[انظر: معجم قبائل العرب، 183/1]

³ انظر: الطبقات: 272/1

⁴ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله (م 50 هـ): أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. أسلم عام 5 هـ، شهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. له 136 حديثًا، وهو أول من وضع ديوان البصرة.

[انظر: أسد الغابة، 406/4]

⁵ هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي. كان ممن يزور كسرى في المهمات. ولما ظهر الإسلام كتب إليه النبي ρ : (أسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك) فأجاب مشترطاً أن يكون له مع النبي ρ بعض الأمر؛ فلم يجبه وقال: باد، وباد ما في يديه! ولم يعيش بعد ذلك غير قليل.

[انظر: معجم ما استعجم: 407, 1059, 1063؛ الكامل لابن الأثير: 165/1-166]

⁶ انظر: صبح الأعشى: 365/6؛ وفي مجمع الزوائد ان النبي ρ بعث كتاباً إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة

- كتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي¹ ملكي عمان² وهو:

(مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ ابْنِي الْجَلَنْدِيِّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمًا تَسْلِمًا فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَأَقَّةٍ لِأُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّكُمْ إِنِ افْرَرْتُمْ بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتَكُمْ وَإِنْ أُبَيْتُمْ أَنْ تُقَرَّ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ وَخَيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمْ وَتَظْهَرُ نُبُوتِي فِي مُلْكِكُمْ وَكُتِبَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ)³.

- ومثل ذلك كتابه إلى أهل نجران:

مع سليط بن عمرو، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

[للتفصيل انظر: مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب عرض الإسلام والدعاء إليه قبل القتال، رقم الحديث:

9586]

¹ جيفر بن الجلندي العماني والصحابي . كان رئيس عمان هو وأخوه عبد بن الجلندي . أسلما على يد عمرو بن العاص حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى عمان ولم يقدم على النبي ﷺ، ولم يرياه وكان إسلامهما بعد خيبر.

[انظر: الوافي بالوفيات: 1/1565]

² عُمان: سلطنة مستقلة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، تشرف على البحر العربي في الجنوب وعلى خليج عُمان في الشرق.

[انظر: المنجد في الأعلام، ص476]

³ انظر: صبح الأعشى: 6/366؛ نصب الراية لأحاديث الهداية، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، (د.ط): 1357هـ، دار الحديث، مصر، تحقيق: محمد يوسف البنوري، مع الكتاب: حاشية بغية الأملعي في تخريج الزيلعي، 4/501؛ المعجم الكبير، 12/221؛ وفي مجمع الزوائد ان النبي ﷺ بعث عمرو بن العاص إلى جيفر وإلى ابني الجلندا ملكي عمان، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

[للتفصيل انظر: مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب عرض الإسلام والدعاء إليه قبل القتال، رقم الحديث:

9586]

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجَزِيَّةُ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ)¹.

- وكتابه إلى المنذر بن ساوى العبدى² قال الطبري وفيها (سنة 8) بعث رسول

الله ﷺ العلاء بن الحضرمي³ إلى المنذر بن ساوى العبدى وكتب إليه كتابا فيه:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي وَرُسُلَكَ وَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا فَإِنَّهُ مُسْلِمٌ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ قَالَ فَصَالِحُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ عَلَى الْمَجُوسِ الْجَزِيَّةُ لَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ وَلَا تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ)⁴.

¹ انظر: صبح الأعشى: 367/6؛ نصب الراية، كتاب النكاح، فصل، 195/3، قال الزيلعي: حديث مرسل.

² المنذر بن ساوى بن الأحنس العبدى، من عبد القيس، أو من بني عبد الله بن دارم، من تميم: أمير في الجاهلية والإسلام. كان صاحب (البحرين) وكتب إليه النبي رسالة، قبل فتح مكة، مع العلاء بن الحضرمي، يدعو إلى الإسلام، فأسلم، واستمر في عمله. ولم يصح خبر وفوده على النبي. ومات قبل ردة أهل البحرين عام 11 هـ.

[انظر: أسد الغابة: 409/4؛ الإصابة: ت 8218]

³ العلاء بن عبد الله الحضرمي: صحابي، من رجال الفتوح في صدر الإسلام. أصله من حضرموت، سكن أبوه مكة. ولاه رسول الله البحرين سنة 8 هـ. بعد وفاة النبي ﷺ، أقره أبو بكر، ثم عمر، ووجهه إلى البصرة، ومات في الطريق عام 21 هـ. يقال: إنه أول مسلم ركب البحر للغزو.

[انظر: الإصابة: ت 5644]

⁴ انظر: تاريخ الطبري: 145/2؛ صبح الأعشى: 356/6؛ المعجم الكبير، 152/10؛ المصنف في

وفي السنة 9 هـ وفد أهل الطائف على النبي يريدون البيعة والإسلام فأبوا أن يحيّوه إلا تحية الجاهلية وطلبوا منه أن يدع اللات ثلاث سنين وأن يعفيهم من الصلاة¹ لكن النبي أبى ذلك وبعد لأي أسلموا، فكتب لهم كتاباً يقول فيه²:

(إِنَّ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَإِنَّ وَاذِيهِمْ حَرَامٌ عِضَاهُ وَصَيْدُهُ وَظُلْمٌ فِيهِ. وَإِنَّ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ فَبَلِّغْ أَجَلَهُ فَإِنَّهُ لِيَاطُ مُبَرَّأً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنَّ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دَيْنٍ فِي رَهْنٍ وَرَاءَ عُكَاظٍ فَإِنَّهُ يَفُضَى إِلَى رَأْسِهِ وَيُلَاطُ بِعُكَاظٍ). وفي رواية أخرى³ (قَالُوا وَسَأَلْ وَفَدُ تَقِيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُحْرِمَ لَهُمْ "وَجاً" فَكُتِبَ لَهُمْ: (هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عِضَاهُ وَجٌّ وَصَيْدُهُ لَا يُعْضَدُ فَمَنْ وَجَدَ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ النَّبِيَّ. وَهَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ. وَكُتِبَ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ بِأَمْرِ النَّبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدِينَهُ أَحَدٌ فَيُظْلَمُ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ⁴).

3- وفي هذه الرسائل وغيرها، ألزم النبي ﷺ الإسلام أو الجزية من شروط

الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، ط1: 1409 هـ، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: كمال يوسف الحوت، كتاب السير، باب ما جاء في وضع السير، رقم الحديث: 32634؛ مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، بابان في العبادة، رقم الحديث: 64، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده الحسن بن إدريس الحلواني ولم أر أحدا ذكره وهو أيضا من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه.

¹ انظر: تاريخ الطبري: 180/2

² انظر: العقد الفريد: 135/1

³ انظر: الطبقات: 285/1

⁴ انظر: تاريخ الطبري: 179/2؛ المغازي، الواقدي، 973/3؛ البداية والنهاية، 34/5؛ وفي مسند الإمام أحمد و سنن أبي داود بسند ضعيف (إن صيدوج وعضاهه حرم محرم لله) [مسند أحمد، مسند العشرة المبشرة، مسند الزبير بن العوام، رقم الحديث: 1416؛ سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب، رقم الحديث: 2032]

معاهداته.

4- ولما استقرّ أمر المسلمين في المدينة, انصرف النبي ρ إلى نشر دعوة الإسلام

بين القبائل.

5- ثم لعب فتح مكة دوراً كبيراً في هذه الحركة - حركة الدعوة الإسلامية,

فأسلمت القبائل على نطاق واسع, وأصبحت الجزيرة العربية أهم حواضر الجزيرة العربية.¹

الدور الثالث

كتبت معظم رسائل هذا العصر في السنتين الأخيرتين من العهد النبوي وخاصة

بعد غزوة تبوك, ووردت بعضها في تاريخ الطبري في أخبار السنة التاسعة.²

بلغ النبي ρ في هذا الدور أعلى درجات القوة وبدأ يستفيد من مركزه الحربي

والديني, ولم يرض بقبول الإسلام أو الجزية, بل أوجبت الزكاة على القبائل الحلفاء على

أساس الإسلام, وبعث العمال أو الأمراء على الصدقات.³

ومن هذه الرسائل ردّه ρ على رسالة ملوك حمير التي أعلن فيها إسلامه الحارث

بن عبد كلال:⁴

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ وَنَعِيمِ)

¹ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 23-38

² انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 23-38

³ نفس المصدر, ص 23-38

⁴ الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن واستعمله رسول الله ρ أيضاً على صدقات كندة والصدف ثم

ولاه أبو بكر اليمن وهو الذي افتتح حصن النجير بحضرموت مع زياد.

[انظر: الاستيعاب: 456/1]

بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ وَالنُّعْمَانُ قَيْلٌ ذِي رَعِينٍ¹ وَهَمْدَانٌ² وَمَعَاظِرٌ أَمَّا بَعْدُ ذَلِكَ فَأَيُّ أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولِكُمْ مَقْفَلَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ فَبَلَّغَ مَا أَرْسَلْتُمْ وَخَبَرَ مَا قَبْلَكُمْ وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَدَايَتِهِ إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَعَاظِمِ خُمْسَ اللَّهِ وَسَهْمَ نَبِيِّهِ وَصَفِيهِ وَمَا كَتَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرَ مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَكُلُّ مَا سُقِيَ بِالْغَرْبِ نِصْفَ الْعُشْرِ وَفِي الْإِبِلِ فِي الْأَرْبَعِينَ ابْنَةُ لَبُونٍ وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرَ فِي كُلِّ خُمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعَ جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَاها شَاةٌ وَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّ لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَفْتَنُ عَنْهَا وَعَلَيْهِ الْجُزِيَّةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرٌ أَوْ أُتْنَى حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ دِينَارٌ وَاقِفٌ أَوْ قِيمَتُهُ مِنَ الْمَعَاظِرِ أَوْ عَرْضُهُ ثِيَابًا فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ رَسُولَ

¹ قيل: إن النعمان قَيْلٌ ذِي رَعِينٍ والحارث ونعيمًا من ملوك حمير هم الذين بعثوا الكتاب والرَسُول إلى النبي ﷺ وليس النعمان رَسُول ملوك حمير. وقيل: إن النعمان كان من رَسُول حمير.

[انظر: أسد الغابة: 1070 ؛ الإصابة: 499/6]

² همدان بن مالك بن زيد، من قحطان: جدّ جاهلي قديم. كانت منازل بنيهِ في شرقي اليمن. ونزل كثير معهم، بعد الإسلام، في بلاد الحجاز وغيرها. وكانوا أيام اتقاد الفتن بين بعض الصحابة، من شيعة أمير المؤمنين علي.

[انظر: جمهرة الأنساب: 369 ، 445 ، 459 ؛ تاريخ ابن خلدون: 252/2]

اللَّهُ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أُرْسِلَ إِلَى زُرْعَةَ ذِي بَيْنَ أَنْ إِذَا أَتَيْتُمْ رُسُلِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا مُعَاذُ بَنِ جَبَلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَمَالِكَ بْنِ عَبَادَةَ وَعَقْبَةَ بْنِ نَمِرٍ وَمَالِكَ بْنِ مَرَةَ وَأَصْحَابَهُمْ وَأَنْ اجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجَزِيَةِ مِنْ مُحَالِفِيكُمْ وَبَلَّغُوهَا رُسُلِي وَإِنَّ أَمِيرَهُمْ مُعَاذُ بَنِ جَبَلٍ فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ مَرَةَ الرَّهَاطِيَّ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ أَسَلَمْتَ مِنْ أَوَّلِ حِمِيرٍ وَقَتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ فَأَبَشِّرْ بِخَيْرٍ وَأْمُرْكَ بِحِمِيرٍ خَيْرًا وَلَا تَحُونُوا وَلَا تَخَذُلُوا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَوْلَى غَنِيِّكُمْ وَفَقِيرِكُمْ وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَهْلِهِ وَإِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يَتَزَكَّى بِهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَإِنْ مَالِكًا قَدْ بَلَغَ الْخَبَرَ وَحَفِظَ الْعَيْبَ وَأْمُرْكُمْ بِهِ خَيْرًا وَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ صَالِحِي أَهْلِي وَأَوْلِي دِينِي وَأَوْلِي عِلْمِهِمْ فَأْمُرْكُمْ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِمْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.¹

ومن هذه الكتب كتابه² إلى همدان، وكتابه³ إلى أكيدر¹ دومة، وكتابته² إلى وائل

¹ انظر: الطبري: 191/2؛ سنن النسائي، كتاب القسامة، باب ذكر حديث عمرو بن حزم، رقم الحديث: 4853، ضعفه الشيخ الألباني.

² انظر: صبح الأعشى: 360/6؛ من همدان: سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، (د.ط): 1414هـ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب الحيض، باب سجود الشكر، رقم الحديث: 3747؛ قال البيهقي: أخرج البخاري صدر هذا الحديث عن أحمد بن عثمان عن شريح بن مسلمة عن إبراهيم بن يوسف فلم يسقه بتمامه وسجود الشكر في تمام الحديث صحيح على شرطه.

³ انظر: الطبقات: 288/1؛ وورد في رواية بإسناد حسن أحمد (صححه شعيب الأرنؤوط هذا الحديث) أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر وأكيدر دومة يدعوهم إلى الله عز وجل. [للتفصيل انظر: مسند أحمد، مسند

بن حجر³ وأهل حضر موت⁴.⁵

نظرة في لغة هذه الرسائل وأسلوبها

تتميز الرسائل النبوية بمزايا خاصة آتى بملخصها في التالي:

1- التعبير المجرد عن الأفكار والمعاني: إنّ ما يتّضح من مجمل رسائل النبي ρ

أنها تهدف إلى الغرض الرئيسي دون أي مراعاة للمحسنات اللفظية أو الغلوّ في اختيارها.

المكثرين من الصحابة, مسند أنس بن مالك, رقم الحديث: [12378]

¹ أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية. كان شجاعاً مولعاً باقتناص الوحش. له حصن وصيق. وجه إليه النبي ρ خالد بن الوليد في 420 فارساً من المدينة, فلما قارب حصنه رآه في نفر من رجاله يطاردون بقر الوحش, فأحاط به, فاستأسر, فأوثقه خالد وأقبل به على الحصن فافتتحه صلحاً, وعاد خالد بالأكيدر إلى المدينة, فقيل: أسلم, وردّه رسول الله إلى بلاده بعد أن كتب له كتاباً يمنع المسلمين من التعرض لقومه ما داموا يؤدون الجزية. ولما قبض رسول الله نقض أكيدر العهد, فأمر أبو بكر خالداً أن يسير إليه, فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل عام 12 هـ.

[انظر: تاريخ ابن عساکر: 91/3 ؛ اللباب: 554/1]

² انظر: مجمع الزوائد, كتاب المناقب, باب ما جاء في وائل بن حجر, رقم الحديث: 16006, قال الهيثمي:

رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه محمد بن حجر وهو ضعيف

³ وائل بن حجر الحضرمي القحطاني: من أقبال حضر موت, وكان أبوه من ملوكهم. وفد على النبي فرحب به وبسط له رداءه فأجلسه معه عليه. وقال: اللهم بارك في وائل وولده, واستعمله على أقبال من حضرموت. انتقل أحد أحفاده خالد (المعروف بخلدون) إلى الأندلس فكان من ولده (بنو خلدون) بإشبيلية, ومنهم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن محمد.

[انظر: أسد الغابة: 81/5 ؛ البداية والنهاية: 79/5 ؛ الإصابة: ت 9102]

⁴ انظر: صبح الأعشى: 284/6

⁵ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 23-38

فإنه ρ لم يهتمّ إلا أن يوصل إلى الناس كلامه سهل اللفظ, واضح المعنى, جيد السبك, وأن يتحقّق لها حُسن الفهم وسلامة الإدراك لما تحمله من مقاصد سياسية ودينية واجتماعية.

هذا هو الغرض الأساسي الذي كان مطمع نظر النبي ρ عند كتابة هذه الرسائل, وتوجيهها وجهة خاصّة, حتى أن سائر ما تمتاز به من خصائص لغوية أسلوبية نتج عنها وأسهم في تعزيزها.¹

2- الإيجاز والبساطة: إن رسائل النبي ρ كلّها تشهد على أن النبي ρ كان يؤثر الإيجاز واكتفى بأقل الألفاظ, ويتجنّب من الصناعات اللفظية,² فلا يوجد في رسائله ρ أي شكل من أشكال الصنعة والتكلف, مثل تسجيع الألفاظ, وتقسيم العبارات وإعمال التوازن والتقطيع فيها, وما إلى ذلك من ألوان البديع التي أخذت تغزو الكتابة في العصور التالية.³

3- اللغة والتعبير: لغة رسائل النبي ρ وتعبيرها أقرب إلى لغة المحادثة والتخاطب,⁴ فهو يستخدم تعبير الكلمات في معانيها الوضعية, كما أن المعاني ذهنية, وردت محمّلة بالدلالات نفسها التي كانت لها في أصل وضعها اللغوي, وهي لا تجري في صور فنية, ولا تحجبها عن الأذهان أساليب بيانية.⁵

¹ انظر: الأدب العربي, لحبيب يوسف مغنية: ص 312

² انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 37

³ انظر: الأدب العربي, لحبيب يوسف مغنية: ص 312

⁴ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي, ص 37

⁵ انظر: الأدب العربي, لمغنية: ص 312

ونذكر من رسائله ρ الرسالة التي كتبها إلى بني زرعة وبني الربعة من جهينة (أَنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ حَارَبَهُمْ فِي الدِّينِ، وَالْأَهْلِ؛ وَلِأَهْلِ بَادِيَتِهِمْ مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ وَاتَّقَىٰ مَا لِحَاضِرَتِهِمْ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ).¹

4- الأسلوب: إن أسلوب رسائل النبي ρ أسلوب طبيعي عفوي، يبعد كل البعد عن الصور البيانية، التي تبهم مراد الكلام، وتصرف الذهن عن الغرض الأساسي، أو يعيق الفهم عن تدبر المعاني المقصودة وإدراك مراميها بسهولة وبدقة متناهية ووضوح تام.²

5- مناسبتها لحال المخاطب: كان النبي ρ دوماً يكلم عامة الناس وخواصهم في لغة قريش، إلا أنه علّمه ربّه وأدّبّه، وآتاه جوامع الكلم وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم.³

لذا تكثر في الرسائل النبوية كلمات تناسب حال المخاطب - كالعباهلة⁴ والتيعة⁵ والفريش⁶ والسيوب⁷ والوراط¹ وعشرات غيرها من الألفاظ التي يقلُّ أو يندر استعمالها

¹ انظر: طبقات ابن سعد: 270/1

² انظر: الأدب العربي، لمغنية: ص 313

³ انظر: صبح الأعشى: 260/2

⁴ عباهلة اليمن ملوكهم الذين أُفِرُوا على مُلكهم.

[انظر: اللسان: مادة (عبهل)، 422/11]

⁵ التّيعّة: الأربعة من الغنم. [اللسان، مادة (تيع)، 38/8]

⁶ الفريش من النبات ما انبسط على وجه الأرض ولم يقم على ساق.

[انظر: نفس المصدر، مادة (فرش)، 326/6]

⁷ السيوب: الرّكاز.

في غير ذلك.²

6- وضع اللغة: يوجد في الرسائل النبوية أوضاع لغوية خاصة ما لا يوجد في غير

هذه الرسائل, مثل:

ما بَلَّ (ال)بَحْرٌ صُوفَةٌ: من أبديات العرب,³ أي أبداً⁴, أي على الدوام, أو إلى ما

لا يجد من الزمن.

لم آثم مالكم: أي لم أجازكم على مالكم من أعمال تستوجب الجزاء.

لم أضع فيكم منذ سالمت: أي لم أقم بأمر فيه نقض لعهد أو إساءة لكم.

إن لهم سعاية: أي صدقة.

وليقيم فلان: أي ليتول الأمر أو ليقم بالصلاة في الناس وجمع الصدقات.

لا يحاqqه في ذلك أحد: أي لا يدعي ان له حقاً فيه.

من اطلع أهل مقنا بخير: أي من أسدى إليهم معروفاً.

الليل مدٌ والنهار شدٌ: أي يمدّه الليل (بخير) ويشده النهار أي لا ينقص ذلك الخير شيء .

فلاين السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتشم: أن يأكل ما أراد من غير أن

يستأصل ويحمل معه.

وإن الله ورسوله جازٌ على ذلك: أي حليف أو مناصر.

[انظر: نفس المصدر, مادة (سيب), 477/1]

¹ الوراطُ الحديعةُ في الغنم وهو أن يُجمَع بين متفرقين أو يفرَّق بين مجتمعين.

[انظر: نفس المصدر, مادة (ورط), 425/1]

² انظر: تطور الأساليب النثرية: ص 36

³ انظر: اللسان: مادة (صوف), 199/9

⁴ انظر: مجمع الأمثال, 230/2

وأمثال ذلك الأوضاع التي تكاد تنحصر في العهود النبوية.¹

7- جريانها: تتابع العبارات في كثير منها بعطف أو غير عطف دون تكلف

التعادل بينها أو صحف التقسيم فيها كقوله:

(إِلَى مُسَيْلَمَةَ² الْكَذَّابِ - بَلَّغَنِي كِتَابُكَ الْكَذِبَ وَالْأَفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ

يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى).³

وقوله⁴: (هَذَا مَا خَالَفَ عَلَيْهِ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ ... خَالَفَهُ عَلَى النَّصْرِ وَالنَّصِيحَةِ

مَا كَانَ أَحَدٌ مَكَانَهُ مَا بَلََّ بَحْرَ صَوْفَةٍ وَكَتَبَ عَلَيَّ).⁵

وهذا ما جعلها تنساب انسياباً حراً لا يعيق جريانها عوائق من أدوات الربط

والوصل والزوائد اللفظية الأخرى إلا ما كان منها ضرورياً يسهم في وضوحها وسلامتها

¹ تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 37

² مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي: متنبئ، من المعمرين. ادعى النبوة وأنه أشرك مع رسول الله ﷺ الأمر وكتب إليه: ... فإني قد أشركت في الأمر معك وأن لنا نصف الأرض و لقريش نصف الأرض و لكن قریش قوم لا يعدلون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: [... أما بعد فإن الأرض يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين]. قال المسيلمة: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فقال النبي له: لو سألتني هذا العود لعرجون في يده ما أعطيتكه ولئن أدبرت ليعقرنك الله. قتل في خلافة أبي بكر عام 12هـ.

[انظر: تاريخ ابن خلدون: 270/2؛ البداية: 341/6؛ الكامل: 137/2-140]

³ انظر: الطبقات: 273/1؛ مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل الرسل، رقم الحديث: 9599، رواه الطبراني من طريق ابن إسحاق قال: حدثني شيخ من أشجع ولم يسمعه وسماه أبو داود: سعد بن طارق وبقية رجاله ثقات.

⁴ انظر: الطبقات: 274/1

⁵ انظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 37-38

لغويًا ومعنويًا.¹

¹ انظر: الأدب العربي, لحبيب يوسف مغنية: ص 313

خصائص الرسائل النبوية وأثرها على الرسائل العربية

كانت الرسائل أضعف فنون الأدب العربي قبل الإسلام وأقواها بعد ظهوره. وهي مدينة للإسلام يكيانها وبنياتها وعناصرها. فالنبي ρ سنّ فيها سنناً، عمل بها الصحابة، ثم بعدهم المسلمون.

نوع النبي ρ الرسائل وخصّبها بأساليب عديدة في استفتاحها، وافتتاحها، وصدارتها، والسلام، والتحميد بعد السلام، والتشهد بعد التمجيد، والتخلص إلى المقصود، وتحليتها بآي القرآن الكريم، واختتامها بالسلام. وفي التالي نتناول أهمّ خصائص الرسائل النبوية، التي أعطت للرسالة هيكلها، والتي ظلّت فيما بعد مرجع علماء الأدباء والمسلمين:

1- استفتاح الكتب بالبسملة: كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها أو

رسائلها (باسمك اللهم)، ولما جاء الإسلام أبطلها، واستفتح رسول الله ρ كتبه ب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وذلك بعد أن نزل قوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾¹ وصارت سنةً بعده ρ .²

وروى ابن سعد في طبقاته، أن رسول الله ρ كان يكتب كما تكتب قريش (باسمك اللهم) حتى نزل عليه ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾³، فكتب

¹ النمل: 30

² انظر: صبح الأعشى: 211/6

³ هود: 41

(باسم الله), حتى نزل ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾¹, فكتب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ) حتى نزل ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾², فكتب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).³

وله - عليه السلام - أقوال كثيرة في أهمية البسملة, منها: (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ)⁴ أي ناقصة البركة.

2- افتتاح الكتب: لم يقتصر النبي ρ في افتتاح كتبه على أسلوب واحد, وإنما استخدم عدة أساليب. فكان قد يفتتح الكتاب بلفظ (مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ), وقد يفتتح بلفظ (هذا كتابٌ).

واستخدم هذين الأسلوبين في كتبه إلى أهل الإسلام وأهل الشرك كليهما, مثل:

- رسالته إلى خالد ابن وليد⁵ (أهل الإسلام):

(مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ)

¹ الإسراء: 110

² النمل: 30

³ انظر: طبقات ابن سعد: 264/1

⁴ انظر: كشف الخفاء: 959/2, حديث حسن.

⁵ خالد بن الوليد: صحابي مخزومي قاتل المسلمين قائداً. أسلم 6 هـ. من القواد في فتح مكة مع النبي ρ . لُقِّبَ النبي (سيف الله). قائد وفارس شجاع ثقف بفنون الحرب. قاد بحروب الردة وظفر. قاد الجيوش الإسلامية في فتوح فارس والشام. انتصر على فارس واحتل الحيرة, وهزم الروم باجنادين واليرموك. توفي بالمدينة عام 21 هـ.

[انظر: الإصابة: 413/1؛ تهذيب ابن عساکر: 92/5-114؛ وصفة الصفوة: 268/1]

سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا)).¹

- رسالته ρ إلى هرقل² (أهل الكفر):

(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلٍ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى

أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتكَ اللهُ ...).³

- وكرسالته ρ إلى قبيلة همدان⁴ من اليمن:

((هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِمَخْلَافِ خَارِفٍ⁵ وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ

¹ انظر: البداية والنهاية: 98/5 ؛ تاريخ الطبري: 194/2 ؛ صبح الأعشى: 353/6؛ سيرة ابن هشام, 292/5

² هرقل: امبراطور (610-641م) بيزنطية. عرف عهده حروباً كثيرة وتطورات جذرية في الشرق. حمل على الفرس فردهم إلى ما وراء الفرات واحتل تبريز واسترد عود الصليب (22-630م). وعندها بدأ فتح المسلمين وانكسرت جيوش هرقل وخسرت الامبراطورية سورية وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ومصر.

[انظر: المنجد في الأعلام, ص727]

³ انظر: تاريخ ابن خلدون: 266/2؛ صبح الأعشى: 353/6؛ صحيح البخاري, كتاب التفسير, باب سورة آل عمران, رقم الحديث: 4278

⁴ همدان بن مالك بن زيد بن أو سلة، من بني كهلان، من قحطان: جد جاهلي قديم. كانت منازل بنيه في شرقي اليمن. ونزل كثير منهم، بعد الاسلام، في بلاد الحجاز وغيرها.

[انظر: جمهرة الأنساب, ص369]

⁵ خارف: (000 - 000) خارف (واسمه مالك) بن عبد الله بن كثير بن مالك بن جشم، من بني همدان، من قحطان: جد جاهلي. كانت ديار بنيه باليمن، وكتب إليهم النبي ρ كتابا.

[انظر: الأعلام: 293/2]

وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن نمط¹ (...).²

- كرسالته, مع رفاعة بن زيد³ إلى قومه:

(هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفاعةِ بنِ زيدٍ, ...).⁴

وأحياناً افتتح بلفظ (سَلِّمِ أَنْتَ):

- ككتابه إلى المنذر بن ساوى:

(سَلِّمِ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

¹ مالك بن نمط: (000 - 000) مالك بن نمط بن قيس الهمداني الارحبي، أبو ثور: صح أبي شاعر، من رؤساء همدان. استعمله النبي p وعلى من أسلم من قومه (سنة 9 هـ وكان يلقب بذي المشعار، له خطبة بين

يدي النبي صلى الله عليه وآله أوردها ابن عبد ربه في خبر وفود همدان. [انظر: الأعلام: 267/5]

² انظر: صبح الأعشى: 360/6؛ من همدان: سنن البيهقي، كتاب الحيض، باب سجود الشكر، رقم الحديث: 3747؛ قال البيهقي: أخرج البخاري صدر هذا الحديث عن أحمد بن عثمان عن شريح بن مسلمة عن إبراهيم بن يوسف فلم يسقه بتمامه وسجود الشكر في تمام الحديث صحيح على شرطه.

³ رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي، من بني الضبيب. قدم على النبي p في هدنة الحديبية، قبل خيبر، في جماعة من قومه فأسلموا. وعقد له رسول الله p على قومه، وأهدى لرسول الله غلاماً أسود، اسمه مدعم، المقتول بخيبر، وكتب له كتاباً إلى قومه: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد، غني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففي حزب الله، ومن أدير فله أمان شهرين". فلما قدم رفاعة إلى قومه أجابوا وأسلموا.

[انظر: أسد الغابة: 290/2]

⁴ انظر: سيرة ابن هشام: 296/5؛ صبح الأعشى: 367/6؛ المعجم الكبير، 52/5؛ مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب عرض الإسلام والدعاء إليه، رقم الحديث: 9592، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني متصلاً هكذا ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق لم يجاوزهم وفي المتصل جماعة لم أعرفهم وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد.

أما بعد فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ...¹.

كما افتتح بلفظ (أما بعد)، وهذا الأسلوب يخلو الابتداء والتصدير بالسلام

والتحميد:

- ككتابه إلى أهل نجران:

قال بعد البسملة

((أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ...)).²

3- صدارة الكتب: كان رسول الله ﷺ يأتي في صدور الكتب بالسلام. فكان

يقول في خطاب المسلم (سلام عليك)³, كما قال لخالد بن الوليد:

(من تُحَمَّدِ رَسُولَ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)).⁴

وربما قال: (السلام على من آمن بالله ورسوله)¹, كما كتب إلى بني نهد²:

¹ انظر: تاريخ الطبري: 145/2 ؛ صبح الأعشى: 356/6؛ المعجم الكبير، 152/10؛ مصنف ابن أبي شيبة، كتاب السير، باب ما جاء في وضع السير، رقم الحديث: 32634؛ مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، بابان في العبادة، رقم الحديث: 64، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده الحسن بن إدريس الحلواني ولم أر أحدا ذكره وهو أيضا من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه.

² انظر: صبح الأعشى: 367/6؛ نصب الراية، كتاب النكاح، فصل، 195/3، قال الزيلعي: حديث مرسل.

³ انظر: صبح الأعشى: 352/6

⁴ انظر: البداية والنهاية: 98/5 ؛ تاريخ الطبري: 194/2 ؛ صبح الأعشى: 353/6؛ سيرة ابن هشام،

((مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَىٰ بَنِي نَهْدٍ))

السلام على من آمن بالله ورسوله ...)).³

وفي خطاب الكافر, كان يقول: (سَلَامٌ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ),⁴ كرسالته إلى

كسرى أبرويز, ملك الفرس:

((مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ عَظِيمِ فَارِسَ .

سَلَامٌ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ, ...)).⁵

أو كرسالته إلى مسيلمة الكذاب,⁶ أو إلى النجاشي.⁷

¹ انظر: صبح الأعشى: 352/6

² بنو نهد: نهد بن زيد: بطن من قضاة, من القحطانية, وهم: بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة, كانت منازلهم باليمن. كتب إليهم النبي ﷺ.

[انظر: الأنساب للسمعاني: ق 2/572؛ صبح الأعشى: 317/1؛ معجم قبائل العرب: 1197/3]

³ انظر: المثل السائر, 166/1؛ صبح الأعشى: 354/6؛ كنز العمال, وفد بني تميم, رقم الحديث: 30326, لا يصح, فيه مجهولون وضعفاء.

⁴ انظر: صبح الأعشى: 352/6

⁵ انظر: البداية والنهاية: 306/6؛ تاريخ الطبري: 133/2؛ وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى. [مسند أحمد, مسند بني هاشم, مسند عبد الله بن عباس, رقم الحديث: 2184, وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين]

⁶ انظر: الطبقات: 273/1؛ مجمع الزوائد, كتاب الجهاد, باب النهي عن قتل الرسل, رقم الحديث: 9599, رواه الطبراني من طريق ابن إسحاق قال: حدثني شيخ من أشجع ولم يسمعه وسماه أبو داود: سعد بن طارق وبقية رجاله ثقات.

⁷ انظر: البداية والنهاية: 98/5؛ تاريخ الطبري: 194/2؛ صبح الأعشى: 353/6؛ صحيح مسلم,

كتاب الجهاد والسير, باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله, رقم الحديث: 1774

وربما أسقط السلام من صدر الكتاب¹، كرسالته إلى صاحب مصر:

(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرٍ²

أما بعد فإن الله أرسلني رسولا وأنزل علي قرآنا...)³.

4- التحميد بعد السلام: كان قد يأتي ρ في صدور الكتب بالتحميد بعد

السلام. فيقول: (فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)⁴، ككتابه إلى خالد بن الوليد⁵، أو إلى المنذر بن ساوى⁶. وربما ترك التحميد¹، ككتابه إلى بني نهد². (وقد مرّت

¹ انظر: صبح الأعشى: 352/6

² صاحب مصر: هو المقوقس: وهو لقب لكل من ملك مصر والاسكندرية، والمراد به هنا جريج بن مينا بن قرقب، أمير القبط بمصر من قبل ملك الروم (الإصابة، 374/6)

³ صبح الأعشى: 364/6؛ وقال الزيلعي في نصب الراية أخرج البيهقي في "دلائل النبوة" بسند آخر مرسل من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الرحمن ابن عبد القاري أن رسول الله ρ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية بكتاب فقبل الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن نزله وسرحه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة مسروجة وخادمتين: إحداهما أم إبراهيم وأما الأخرى: فوهبها رسول الله ρ لأحد أصحابه. [نصب الراية، كتاب البيوع، باب فصل فيما يكره] وقد ورد في البخاري أن ملك الأيلة (وهو المقوقس المذكور) أهدى إلى النبي ρ بغلة بيضاء... [صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب خرص التمر، رقم الحديث: 1411]

⁴ انظر: صبح الأعشى: 352/6

⁵ انظر: البداية والنهاية: 98/5

⁶ انظر: تاريخ الطبري: 145/2؛ صبح الأعشى: 356/6؛ المعجم الكبير، 152/10؛ مصنف ابن أبي شيبة، كتاب السير، باب ما جاء في وضع السير، رقم الحديث: 32634؛ مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، بابان في العبادة، رقم الحديث: 64، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده الحسن بن إدريس الحلواني ولم أر أحدا ذكره وهو أيضا من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه.

الأمثلة).

5- التشهد بعد التحميد: كان النبي ρ قد يأتي بعد التحميد بالتشهد أيضاً،

كرسالته إلى المنذر بن ساوى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمَنْذَرِ بْنِ سَاوَى سَلَامٍ عَلَيْكَ
فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
أَمَّا بَعْدُ ...).³

وقد لا يأتي به، ككتابه إلى خالد بن الوليد⁴.

6- التخلص إلى المقصود: كان النبي ρ يتخلص من صدر الكتاب إلى المقصود

تارة ب (أما بعد)⁵، ككتابه إلى فروة⁶ بن عمرو:

¹ انظر: صبح الأعشى: 352/6

² انظر: المثل السائر، 166/1؛ صبح الأعشى: 354/6؛ كنز العمال، وفد بني تميم، رقم الحديث: 30326، لا يصح، فيه مجهولون وضعفاء

³ انظر: انظر: عيون الأثر، ابن سيد الناس، مطبعة القدسي والسعادة، القاهرة، 1366هـ: 352/2؛ تاريخ الطبري: 145/2؛ صبح الأعشى: 356/6؛ المعجم الكبير، 152/10؛ مصنف ابن أبي شيبة، كتاب السير، باب ما جاء في وضع السير، رقم الحديث: 32634؛ مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، بابان في العبادة، رقم الحديث: 64، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده الحسن بن إدريس الحلواني ولم أر أحدا ذكره وهو أيضا من رواية أبي عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه.

⁴ انظر: البداية والنهاية: 98/5

⁵ انظر: صبح الأعشى: 352/6

⁶ فروة بن عمر بن النافرة (ت 12 هـ): من بني نفاثة، من جذام: أمير. كان قبيل الإسلام وفي عهد النبوة، عاملاً للروم على قومه بني النافرة (بين خليج العقبة وينبع) وعلى من كان حوالي معان من العرب. ولما ظهر الإسلام، بمكة والمدينة، وحدثت وقعة تبوك، بعث إلى رسول الله ρ بإسلامه وأهدى إليه بغلة بيضاء. وعلمت

(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فِرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُكَ (...).¹

وقد مرت أمثلة غير هذا المثال.

وتارة قصد المقصود بغير (أَمَّا بَعْدُ)²، ككتابه إلى طهفة³ النهدي وقومه:

(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدٍ.

السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ).⁴

7- الاقتباس من القرآن: كما مرّ عن تأثر النبي ρ بالقرآن، واقتباسه منه في

جميع أساليب كلامه ρ من الأمثال والقصة والخطبة.⁵ لذا لا نجد رسالة صدرت منه إلا وفيها آية من آي الذكر الحكيم. فمثلاً رسالته⁶ إلى هرقل:

حكومة (قيصر) باتصاله هذا، فسلطت عليه الحارث (السادس أو السابع) بن أبي شمر الغساني (ملك غسان) فاعتقله وصلبه بفلسطين.

[انظر: ابن خلدون: 256/2؛ البداية والنهاية: 86/5]

¹ صبح الأعشى: 354/6

² انظر: صبح الأعشى: 352/6

³ طهفة بن زهير النهدي: وفد على رسول الله ρ في سنة تسع حين وفد أكثر العرب فكلمه بكلام فصيح وأجابه رسول الله ρ بمثله وكتب له كتاباً إلى قومه بني نهد بن زيد. [انظر: الوافي في الوفيات: 2299/1]

⁴ انظر: المثل السائر، 166/1؛ صبح الأعشى: 354/6؛ كنز العمال، وفد بني تميم، رقم الحديث: 30326، لا يصح، فيه مجهولون وضعفاء

⁵ راجع صفحة () من هذا البحث.

⁶ انظر: البخاري: كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم الحديث: 7؛ مسلم: كتاب الجهاد والسير:

باب كتاب النبي ρ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم الحديث: 1783

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾¹.

ورسالته² إلى النجاشي:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سَلِّمَ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ﴾³ وَأَشْهَدُ أَنَّ عَيْسَى بَنَ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾⁴ الْبُتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بَعِيسَى فَخَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَنَفَرًا مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا جَاءَكَ فَأَقْرِهْمُ وَدَعِ التَّجْبُرَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ فَأَقْبَلُوا نُصْحِي ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ

¹ آل عمران: 64

² انظر: البداية والنهاية: 98/5 ؛ تاريخ الطبري: 194/2 ؛ صبح الأعشى: 353/6؛ صحيح مسلم،

كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله، رقم الحديث: 1774؛ المستدرک على الصحيحين، كتاب (تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين)، باب (كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة)، رقم

الحديث: 4244

³ الحشر: 23

⁴ النساء: 171

الهُدَى ﴿١﴾.

8. تعبيره عن نفسه - عليه السلام: كان يعبر عن نفسه p في أثناء كتبه بلفظ الأفراد: مثل: (أنا) و (لي) و (جاءني) و (وفد عليّ) وما أشبه ذلك, وربما أتى بلفظ الجمع مثل (بلغنا) و (جاءنا) ونحو ذلك.²

9. خطابه المكتوب عليه: يخاطب المكتوب إليه عند الأفراد بكاف الخطاب, مثل: (لك) و (عليك) وتاء المخاطب, مثل: (أنت قلت كذا وفعلت كذا), وعند التثنية بلفظها, مثل: (أنتما) و (لكما) و (عليكما), وعند الجمع بلفظه, مثل: (أنتم) و (لكم) و (عليكم), وما أشبه ذلك.³

10. اختتام كتبه بالسلام: كان يختم كتبه ب (وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) تارة, وربما اقتصر على (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى).⁴

¹ طه: 47

² صبح الأعشى: 351/6-352

³ أيضاً

⁴ انظر: نفس المصدر: 352/6

أثر الحديث على الرسائل

كان الرسول ﷺ أسوة حسنة للصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في جميع شؤون حياتهم.

فنرى الخلفاء الراشدين بعده ﷺ ساروا على منواله - عليه السلام - في كتابة الرسائل, ولم يجيدوا عن سننه مثلما فعلوا في خطبهم الكثيرة التي اقتفوا فيها أثر المصطفى ﷺ.¹

فأبو بكر² الصديق - رضي الله عنه - يقتفي أثر الرسول ﷺ في رسائله. والرسائل التي صدرت عنه تُفتتح بلفظ (من أبي بكر خليفة رسول الله إلى فلان), كما أنه - رضي الله عنه - كان يأتي في صدور كتبه بالسلام, ويعقب السلام بالتحميد, ويتخلص إلى المقصود ب (أما بعد), ويختتم كتابه (بالسلام).

كما أنه - رضي الله عنه - سار على خطى هدي رسول الله ﷺ في خطابه (المكتوب إليه), وخاطب الواحد ب (الكاف) و (تاء المخاطب), والاثنين ب (الثنائية), والجماعة ب (الجمع). وعنوانها (من أبي بكر خليفة رسول) في الجانب الأيمن ثم (إلى فلان الفلاني) في الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المقدم. ككتابه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ :

- (من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام

¹ انظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية, لمحمود حسين. مكتبة الخانجي, القاهرة, 1982, ص310
² عبد الله بن عثمان القرشي التيمي, صاحب رسول الله ﷺ في الغار وفي الهجرة وأول خليفة بعده, له مناقب كثيرة.

على الإسلام أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأقر بما جاء به وأكفر من أبي وأجاهده

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ (...).¹

كذا كان خالد بن الوليد شديد التأثير بأسلوب النبي ρ , فأسلوبه في خطابه إلى خليفة الرسول - أبي بكر رضي الله عنه - وإلى غيره يقلد أسلوب الرسول ρ تمام التقليد:

- كتاب أبي بكر إلى خالد ومن معه باليمامة:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ρ إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بالإحسان.

سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ دِينَهُ، وَأَعَزَّ وَليَّهُ، وَأَذَلَّ عَدُوَّهُ، (...).²

- كتاب خالد إلى أبي بكر بخبر الفتح في أجنادين

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ρ , من خالد بن الوليد سيف الله المسلول

¹ انظر: صبح الأعشى: 270-369/6

² انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها: محمد حميد الله، ط7: 1987، دار

النفائس، بيروت، ص 377؛ السنن الكبرى، كتاب السير، باب إظهار دين النبي ρ على الأديان.

على المشركين. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني
أخبرك، أيها الصديق، أنا التقينا نحن والمشركون (...).¹

- كتاب خالد إلى رؤساء أهل فارس، لما غلب على أحد جانبي السواد

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس:

أما بعد: فالحمد لله الذي حلّ نظامكم، ووَهَنَ كيدكم، وفرّق كلمتكم. ولو لم
يفعل ذلك بكم كان شرّاً لكم. فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونحوز إلى غيركم. وإلاّ
كان ذلك وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قومٍ يحبّون الموت كما تحبّون الحياة).²
ثم جاء الخليفة الثاني العادل عمر الفاروق، ورَتَّبَ ديوان الرسائل الذي أسَّسه
رسول الله ﷺ.

ويلاحظ على رسائل الخليفة عمر - رضي الله عنه - أنها اقتفت أثر الرسول ﷺ
في رسائله وعهوده.

بعد أن تولّى عمر الخلافة قيل: (يا خليفة خليفة رسول الله)، فقال عمر رضي الله
عنه هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل أنتم
المؤمنون وأنا أميركم فسمي أمير المؤمنين.³

فلما تلقّب بأمر المؤمنين أثبت هذا اللقب في كتبه، وزاد في ابتدائها لفظ (عبد
الله) قبل اسمه، فكان يكتب: (من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين). وباقي

¹ انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 394-395

² انظر: تاريخ الطبري: 321/2 ؛ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 383-384

³ انظر: تاريخ الطبري: 569/2 ؛ تاريخ ابن خلدون: 282/1 ؛ البداية والنهاية: 137/7

الكتاب كما مرّ في كتب النبي ρ والصدّيق بعده في التصدير والتعبير عن نفسه بلفظ الإفراد, مثل (أنا ولي وعليّ), وعن المكتوب له بكاف الخطاب, مثل (لك, وعليك), وتاء الخطاب, مثل (قلت, وفعلت). وتبعه الخلفاء على ذلك.¹

كان عمر - رضي الله عنه - يبدأ رسالته بمثل بداية الرسول بالبسملة والحمد لله والثناء عليه, ويختتمها بالسلام, كرسالته إلى أمير الجيش النعمان بن مقرن²:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك).³

وكان قد يحذف الحمد أيضاً, ككتابه الشهير إلى أبي موسى الأشعري⁴ لتوضيح

¹ انظر: صبح الأعشى: 372/6

² النعمان بن مقرن بن عائذ المزني: صحابي فاتح. من الأمراء القادة الشجعان. كان معه لواء (مزينة) يوم فتح مكة. سكن البصرة, ثم تحول عنها إلى الكوفة. هزم الهرمزان. وتقدم إلى تستر, فشهد وقائعها, وعاد إلى المدينة بشيراً فتح القادسية. غزا أصفهان ففتحها, وهاجم نهاوند فاستشهد فيها.

[انظر: الكامل: 211/2؛ تهذيب: 456/2]

³ تاريخ الطبري: 518/2

⁴ عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب, أبو موسى, من بني الأشعر, من فحطان: صحابي, من الشجعان الولاة الفاتحين. وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. قدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم, وهاجر إلى أرض الحبشة. استعمله رسول الله على زبيد وعدن. ولاه عمر بن الخطاب

مهمة القاضي المسلم:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا او أحل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي إعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم إعمد الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقا غائبا او بينة أمدأ ينتهي اليه فان احضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجرما عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم إياك والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافة منه هتك الله سترة وأبدى فعله والسلام عليك).¹

البصرة سنة 17 هـ. توفي في الكوفة عام 44 هـ. له 355 حديثاً.

[انظر: الطبقات: 79/4 ؛ الإصابة: ت 4889 ؛ صفة الصفوة: 225/1]

¹ انظر: البيان والتبيين: 237/1 ؛ تاريخ ابن خلدون: 272/1

كان عمر - رضي الله عنه - في جميع أعماله ورسائله لا يجيد عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قيد أمثلة، بل يسير في ضوء الهدى القرآني وهدى النبي محمد ρ .¹
 من مراسلاته الكثيرة نقدّم مراسلته - رضي الله عنه - مع أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح² كنموذج، لنرى مدى اتباع هذين البطلين الإسلاميين لرسول الله ρ :

- كتاب أبي عبيدة ومعاذ بن جبل إلى عمر على خبر وفاة أبي بكر:
 (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. من أبي عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب. سلام عليك. فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإننا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، وإنك يا عمر أصبحت وقد وُلّيت أمر أمة محمد ρ ، أحمرها وأسودها..... وإنا نذكرك يوم تبلى فيه السرائر، وتكشف فيه العورات، وتظهر فيه المخبات، وتعيد فيه الوجوه لملك قاهر قهرهم بجبروته، والناس له داخرون... والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).³

- كتاب عمر في جواب كتاب أبي عبيدة ومعاذ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ انظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ص 311

² عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة. كان لقبه أمين الأمة. من السابقين إلى الإسلام. شهد المشاهد كلها. ولاء عمر قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد. تعلقت به قلوب الناس لرفقه وأناته وتواضعه. توفي بطاعون عمواس عام 18 هـ. له 14 حديثاً.

[انظر: الإصابة: 486/3؛ الاستيعاب: 239/1]

³ انظر: الوثائق: ص 459-460

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل. سلام عليكمما. فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني أوصيكمما بتقوى الله, وإني لا غنى لي عنكما ولا عن رأيكما ونصحكما. فتعاهداني رحمكما الله بكتابكما. والسلام عليكمما ورحمة الله).¹

وقد خلّف لنا الخليفة الراشد من جراء عمله هذا في توسيع رقعة الدعوة الإسمية وتوطيد البلاد المفتوحة فقهاً كثيراً بسبب اجتهاده, بعد استقائه ما يلزم لكل قضية ومسألة من كتاب الله وسنة المصطفى ρ . وعلى هذا الهدى الراشدي الكريم لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه, سار الفاتحون بعد عمر منظمون معاملة من يدخل في الإسلام, ويضمنون له حقوقه في ضوء الرسائل والعهد التي خلّفها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.²

والخليفة الثالث عثمان³ - رضي الله عنه - أيضاً يتبع أساليب النبي ρ في كتبه, ومن كتبه ما كتب إلى علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - حين خرج علي - رضي الله عنه - إلى الينبع⁴ واختلف الناس على عثمان:

¹ انظر: الوثائق: ص 460-461

² انظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ص 311

³ عثمان بن عفان: تلقب بأمير المؤمنين. و ثالث الخلفاء الراشدين، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام. كنيته ذو النورين. فتحت في أيام خلافته الإسكندرية ثم أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. استشهد في فتنة ظهرت في الفترة الأخيرة من خلافته عام 35 هـ.

[انظر: اللباب: 123/2 ؛ الأعلام: 210/4]

⁴ يَنْبُعُ: حصن به نخيل وماء وزرع, وبها وقوف لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه. تقع بين مكة والمدينة.

[انظر: معجم البلدان: 449/5-450]

(أما بعدُ، فقد بلغ السيلُ الرُّبى وجاوز الحِزام الطُّبَيَّين، وطَمِعَ فيَّ كُلُّ من كان يضعف عن الدفع عن نفسه، ولم يغلبك مثلُ مُعَلَّب، فأقبل إليَّ صديقاً كنتَ أو عدوًّا: .(.....)

ويلاحظ في هذه الرسالة أنها تُفَتِّحُ بلفظ (أما بعدُ)، وهو كما ذكرنا في الأساليب النبوية أن هذا الأسلوب يخلو الابتداء والتصدير بالسلام والتحميد، ويكون الافتتاح فيه بالمقصد.¹

ولما صارت الخلافة إلى علي رضي الله عنه، كانت الأحوال مضطربة، وأراد علي أن يسير بالحزم والعدل،² لكن الظروف العصبية التي مرّت على العرب المسلمين دعت إلى أن توسّع من مجالها فتنيط بها دوراً كبيراً فيما أخذ يشجر بينهم من خلافات حول عدد من الأمور من بينها سياسة عثمان المالية، والخلاف الذي نشب فيما بعد بين علي - رضي الله عنه - من جهة وأصحاب الجمل ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام من جهة أخرى؛ وما استتبع ذلك من أحداث جسام جرت في خضمّها مكاتبات تعدّدت أغراضها، وقيل كلام متشعب المناحي يوجّه إتهاماً أو يدفع اتهاماً.³

من ذلك الكتب كلامه في معنى قتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه: "لو أمرتُ به لكنت قاتلاً. أو نھيت عنه لكنتُ ناصراً. غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه. ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خيرٌ مني. وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع. والله حكم

¹ انظر: صبح الأعشى: 375/6

² انظر: تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ، ص 307

³ انظر: الأدب العربي، مغنية، ص 321-322

واقع في المستأثر والجازع".¹

يردّ علي رضي الله عنه أيّ شبهة تشير إلى أنّ له يدٌ وراء هذا الحادث، أو اشتراك بأمر قتل عثمان رضي الله عنه، أو أنه قصّر في عونه ونصرته... فهو كما يقول لم يأمر بقتل عثمان وإلا كان قاتلاً، ولم يمه عن قتله، أي لم يدافع عنه بسيفه، ولم يأمر غيره بالقتال دونه، وإلا كان ناصراً له.²

ومن رسائله رسالة كتبها لمعاوية رضي الله عنه، يدعو فيه إلى بيعته وطاعته:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد فإن بيعتي لزمك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضها كردهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلي فيك العافية إلا أن تعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك وقد أكثرت في قتل عثمان فادخل فيما دخل في الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها يا معاوية فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم يا معاوية أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم

¹ انظر: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (دت) 75/1-76

² انظر: الأدب العربي، مغنية، ص 322-323

الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله).¹

وكان معاوية قد أرسل إلى الإمام عليّ يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب ولم يبقَ منهم إلا حشاشات أنفس²، ويخوّفه باستواء العدد في رجال الفريقين، ويفتخر بأنه من أمية وهو وهاشم من شجرة واحدة. فأجابه عليّ - رضي الله عنه :

(فأما طلبك الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما قولك إنّ الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار. وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين. وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك إنّنا بنو عبد مناف فكذلك نحن؛ ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب³ ولا المهاجر كالطليق...).⁴

¹ انظر: تاريخ دمشق: 128/59

² حشاشات أنفس (جمع) حُشاشة: وهي بقية الروح.

[انظر: لسان العرب: مادة: حشش]

³ عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد عليّ، وعم النبي ﷺ، وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. وله تجارة كسائر قريش. دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فامتنع خوفاً من أن غيره العرب بتركه دين آباءه، ووعد بنصرته وحمائته، واستمر على ذلك إلى أن توفي عام 3 ق هـ.

[انظر: طبقات ابن سعد: 75/1؛ الكامل: 34/2]

⁴ انظر: نهج البلاغة: 17-16/3

يبدو واضحاً من هذه الرسائل وغيرها أن علياً رضي الله عنه استفاد كثيراً من بلاغة القرآن ومرافقة رسول الله ρ في حلّه وترحاله, لذا بلغ هذا المستوى الرفيع من البيان في صراحة القول, وبلاغة الأداء, وسلامة الذوق,¹ وكان على ذلك يتحلّى بوسائل طبيعية من نير العقل, وثقافة الدين, وسديد المنطق, وذرب اللسان, وحدّة العاطفة,² ما أهّله على التعبير على التعبير عن أفكاره ومعانيه بأسلوب يلتحم به الكلام التحاماً معنئ ومبني؛ بل إن الألفاظ والتراكيب تتكشف بسهولة ويُسّر عن ظلال معنوية واضحة الدلالة, مبرأة من التعقيد والغموض, على الرغم من الأبعاد القصية التي تمتد إليها والعميق الذي تنفذ إليه.³

أسلوب الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية:

كان أسلوبهم على ما تقدّم من الكتب عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعبير, إلا أنه يعبر عن الخليفة بأمر المؤمنين, وربما عبّر عنه بلفظ الإفراد, مثل: (فعلتُ, وأفعلتُ) وما أشبه ذلك. أما الخطاب للمكتوب له, فبكاف الخطاب وتاء المخاطب, مثل (إنك أنتَ قلتَ كذا, وفعلتَ كذا), وما أشبه ذلك. وعنوانها: (عن عبد الله فلانٍ أمير المؤمنين).

ثم هي على أسلوبين:

- إما أن يفتح بلفظ (من عبد الله فلانٍ أمير المؤمنين إلى فلانٍ), كما كتب عبد

¹ انظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه, 372/1

² انظر: الموجز, 371/1

³ انظر: الأدب العربي, مغنية, ص 326

الملك بن مروان¹ إلى الحجاج, وقد بلغه تعرُّضه لأنس بن مالك -رضي الله عنه:

(من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف.

أما بعد, فإنك عبدٌ علتْ بك الأمور فطغيتَ).²

- أو يفتتح الكتاب بلفظ (أما بعد) ويقع الشروع منه في المقصد, كما كتب زيد

بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية, وقد بلغه خلافتهم عليه:

(أما بعد, فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم, ...).

أو كما كتب عمر بن³ عبد العزيز إلى عديّ بن أرطاة⁴:

¹ عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي, أبو الوليد: من أعظم الخلفاء ودهاتم. نشأ في المدينة, فقيهاً واسع العلم, متعبداً, ناسكاً. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن 16 سنة. انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه, فضبط أمورهما وظهر بمظهر القوة, فكان جبراً على معانديه, قويّ الهيبة. واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج. نقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية. توفي في دمشق عام 86هـ.

[انظر: الكامل: 198/4 ؛ الطبري: 56/8]

² انظر: صبح الأعشى: 376/6

³ عمر بن عبد العزيز بن مروان الحكم الأموي القرشي, أبو حفص: الخليفة الصالح, والملك العادل, وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم. ولي الخلافة ولم تطل مدته, سنتان ونصف. أخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة. توفي سنة 101هـ.

[انظر: تهذيب التهذيب: 475/7 ؛ ابن خلدون: 76/3]

⁴ عديّ بن أرطاة الفزاري, أبو وائلة: أمير, من أهل دمشق. كان من العقلاء الشجعان. ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة 99 هـ. فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب, بواسط, في فتنة أبيه (يزيد) بالعراق عام 102هـ.

[انظر: الكامل في اللغة والأدب, للمبرد, تحقيق: زكي مبارك, ط1: 1936م, مكتبة مصطفى الباي الحلبي,

مصر: 149/2]

(أما بعد فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك).¹

ولم يزل الأمر في المكاتبات في الدولة الأموية جارياً على الطريق السابق المسنون، بلاغة طبيعية، وعناية بالغرض المنشود، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك²، فجود القراطيس، وجلل الخطوط، وفخم المكاتبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك، إلا عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد، فإنهما جريا في ذلك على طريقة السلف.

فلما كان آخر الدولة الأموية، وتولى الكتابة كتاب لهم ثقافة فارسية، بجانب ثقافتهم العربية، اتخذت الرسالة العربية اتجاههاً جديداً قائماً على التفصيل والتطويل، وظهر فيها التأثق، وكان رأس هؤلاء الكتاب³ عبد الحميد بن يحيى الكاتب⁴، وكان المثل يضرب

¹ انظر: صبح الأعشى: 377/6

² الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. حكم من 705 حتى 715. امتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية من المغرب الأقصى وإسبانيا غرباً إلى بلاد الهند وتركستان فأطراف الصين شرقاً. من آثار الوليد الخالدة في العمارة الجامع الأموي بدمشق وكان يعد من عجائب الدنيا، ولا يزال حتى اليوم ناطقاً بعظمة الوليد. ومن آثاره عمارة المسجد النبوي والمسجد الأقصى الذي بدأ به أبوه. توفي بدير مروان بغوطة دمشق عام 715م، ودفن في دمشق وكان عمره 48 سنة ومدة حكمه عشر سنوات وبضعة أشهر.

[انظر: الكامل لابن الأثير: 3/5؛ الطبري: 97/8]

³ الفنون الأدبية في العصر العباسي: ص 104

⁴ هو عبد الحميد الكاتب البليغ المشهور، وضرب به المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختم بابن العميد، كان إماماً في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب. وهو أول من استعمل التحميد في فصول الكتب. كان كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية. قتل مع مروان سنة 132.

[انظر: وفيات الأعيان: 228/3-232]

ببلاغة إنشائه في الرسائل, فيقال: (فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد).¹ فكان أسلوبه يتألف من عناصر مختلفة, من عنصر الإطناب وإطالة التحميدات الذي استمدّه من الفرس, وعنصر المنطق والترتيب الذي استمدّه من الروح اليونانية, وعنصر التوضيح والتفصيل الذي أدّت إليه أحوال الدولة وتنظيمها الإداري والسياسي والمالي.²

مع قيام الدولة العباسية, ازداد الاختلاط بالفرس, وزاد معه التطويل والإطناب,³ فبدأ الكتّاب يتقنّون في التحميد والبسمة, وأمر الرشيد أن يكتب كتابة الصلاة على النبي بعد البسمة⁴, والناس على دين ملوكهم, وكل من جاء بعد الرشيد كان يزيد في تلك الصبغ حتى تعقدت الرسائل, وصارت لها تقاليد لا ينبغي الخروج عليها, وقنت لها القوانين, وصارت علماً تجب معرفته لمن أراد أن يكون كاتب إنشاء, وأصبح الترف في كتابة الرسائل كالترف في الحياة العباسية نفسها, إذ كانوا يتفننون في زركشة ملابسهم, وشممة عماراتهم, وتلوين آنياتهم,⁵ وانكماش الأسلوب المرسل وازدهر الأسلوب المقيد, وكثر الاستعارات, والتشبيهات, والكنائيات, والإشارات, والجناس, والاقْتباس والتضمين من القرآن والحديث النبوي, والشعر والنثر بعامة, واقترب بذلك النثر من الشعر في الخيالات.⁶

¹ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, جرجي زيدان, 307/1

² انظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه, 410/1-411

³ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, 433/1

⁴ انظر: العصر العباسي الأول, ص 467

⁵ انظر: الفنون الأدبية في العصر العباسي: ص 105

⁶ انظر: تطوّر الأساليب النثرية في الأدب العربي: ص 207-217

إن العرب وإن أصبح الهبوط في آخر الدولة الأموية وفي الدولة العباسية من ناحية الأسلوب, إذ استحبوا الإطناب على الإيجاز, وآثروا التكلف والتصنع على البساطة والعفوية, غير أننا نرى أثر القرآن والحديث في كتبهم أثراً واضحاً:

1- مع أن هناك فرق بين أسلوب النبي ρ وأسلوبهم من ناحية الإيجاز والإطناب, لكنهم أثبتوا بعضاً من أساليب الاستفتاح والصدارة, منها:

أ- الاستفتاح بالبسملة.

ب- افتتاح أكثر كتبهم بلفظ (من فلان بن فلان), وتارة ب (أما بعد), وربما افتتحوها بغيرها من الحمد أو الدعاء.

إلا أنهم زادوا بعد اسم الخليفة لفظ (الإمام الفلاني) بلقب الخلافة, أو غيرها الألقاب والكنى.

ج- التحميد والسلام.

د- فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التحميد (ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ρ).

الاقتباس من الحديث:

كان الرسول ρ في ذروة البلاغة, ولا شك أن أحاديثه الشريفة أيضاً في ذروة البلاغة. وإذا كان القرآن يمثل القمة البلاغية بإطلاق, فإن السنة النبوية تمثل قمة البيان البشري, إذ كان فيه فصاحة اللفظ, وجودة المعنى, وحسن الأداء. هو جوامع الحكم, وفيه روائع الحكم.

وقد قال الجاحظ في وصف كلامه ρ :

هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن

التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد (وما أنا من المتكلمين) فكيف وقد عاب التشديق وجانب اصحاب التعجير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن المهجين السوقي فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق. وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائاه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفلج الا بالحق ولا يستعين بالخلافة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطن ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا اصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكرم مطلبا ولا احسن موقعا ولا اسهل مخرجا ولا افصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه ρ .¹

فكان طبيعياً أن يستقي الصحابة البلاغة الباهرة من هذا المنبع بجانب الرسول عليه السلام - من بداية دعوته حتى لقاء ربه, إذ يكون الرسول ρ قد فهم كل جانب في الدين والحياة. ومن ذلك الخلفاء الراشدون هم أقرب الصحابة إلى الرسول ρ في الدين والتقوى وفي التعبير لفن القول.

فكان الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم اقتبسوا من كلام سيد المرسلين في جميع أنواع كلامهم خطبة كان أو رسالة. وللمثال نقدم بعض رسائل ما فيها أثر واضح من الحديث الشريف, ونشير إلى الأحاديث المقتبسة فيها:

¹ انظر: البيان والتبيين: 221/1

- فمنها رسالة عمر - رضي الله عنه - إلى أبي موسى الأشعري:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس² في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة³ على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم⁴ حلالا او أحل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي إعرف الامثال والاشباه (...).⁵

دخول المصطلحات الإسلامية الجديدة فيها: من تأثير الحديث النبوي في

الأدب العربي, ومنه الكتب والرسائل, أنه دخلته المصطلحات الإسلامية الجديدة

² انظر: اعلام الموقعين: 85/1 (آس في الناس بين وجهك وعدلك)

³ انظر: سنن الترمذي: كتاب الأحكام: باب أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه, رقم الحديث: 1341, صححه الألباني (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ρ قال في خطبته البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه).

⁴ انظر: الترمذي: كتاب الأحكام: باب ما ذكر في الصلح بين الناس: رقم الحديث: 1352 (الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو حل حراما), صححه الألباني؛ ابن ماجه: كتاب الأحكام: باب الصلح: رقم الحديث: 2353؛ سنن الدارقطني, علي بن عمر الدارقطني البغدادي, تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني, دار المعرفة, بيروت, 1386هـ:

(كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري), 206/4

⁵ انظر: البيان والتبيين: 237/1؛ تاريخ ابن خلدون: 272/1

كالصلاة والزكاة والحج والجهاد والصدقة والمشرک والكافر، والفريضة، والسنة، والنافلة،
والحسنة، والسيئة، والنفاق، وغيرها من الألفاظ الإسلامية والمصطلحات التي لا يعرفها
العرب يمثل ما اصطلح عليه الإسلام. وإن كانت عربية.

الشعر العربي وتأثره بالحديث النبوي ρ

التمهيد

كان الأدب يحتلّ مكانة مرموقة في نفوس العرب. وكان العرب أقوى الأمم شاعرية وأقدرهم على النظم.

ثم لما جاء الإسلام نفى الله عن نبيه الشعرَ في كتابه العزيز في عدّة مواضع, وكذلك ورد في بعض أقواله - عليه السلام - النهي عن الشعر, ما جعل الناس في التباس كأن الله عزّ وجلّ ونبيه نهيّا الأمة الإسلامية عن الشعر مطلقاً.

لكننا نراه - عليه السلام - في الوقت نفسه يستمع إلى كلام بعض الشعراء, ويشجّع عليه بعض الآخرين, فما هو السرّ هناك؟ وما سبيل الجمع بين هذه الأقوال المباركة؟

سأتكلم فيما يلي بالتفصيل عن: الشعر, ونشأته, ومكانته والشعراء, ثم عن موقف الإسلام الحقيقي منه.

الشعر لغةً واصطلاحاً

الشعر لغةً:

شعر به كَنَصَرَ وكرُم شِعْرًا وشِعْرًا وشَعِرَةً وشِعْرَى وشِعْرَى وشِعُورًا وشِعُورَةً ومَشْعورًا ومَشْعورَةً ومَشْعوراء: عَلِمَ به وفِطِنَ له وَعَقَلَه وليت شعري فلانا و له وعنه ما صنع أي ليتني شعرت¹، وشعرت بكذا أشعر شعرا لا يريدونه به من الشعر المبين إنما معناه فِطِنْتُ له وعلمت به ومنه ليت شعري أي علمي²، و أشعره الأمر وأشعره به أعلمه إياه وفي التنزيل: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾³ أي وما يدريكم ... و الشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية ... وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم ... و شعر أجاد الشعر ورجل شاعر والجمع شعراء⁴.

الشعر اصطلاحاً:

وعرف نقاد العرب ما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي من صلة، فقال قدامة بن جعفر: "والشاعر من شَعَرَ يشعُرُ شعراً وهو شاعر، والشعر المصدر. ونظيره الكافل؛ يقال: كفل يكفل كِفْلاً وهو كافل؛ ومنه سَمِّيَ ذو الكفل⁵ ذا الكفل. وإنما سَمِّيَ شاعراً لأنه يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره. وإذا كان إنما

¹ انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،

بيروت (د.ت)، 584/1-585

² انظر: كتاب العين 922/2

³ الأنعام: 109

⁴ انظر: اللسان: 409/4، تحت مادة (شعر)

⁵ نبي عربي ذكر في سورة الأنبياء: 85

[انظر: المنجد في الأعلام: ص 399]

يستحق اسم الشاعر بما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى⁶.

وكان قدامة من أوائل من عرّف الشعر وحدّد معناه، وميّزه عن النثر. وعبارة قدامة في تعريف الشعر تدل على أنه أول من حاول هذا التحديد إذ يقول: "وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى⁷".⁸

ويؤخذ على قدامة بأن تعريفه للشعر ليس مانعاً إذ يدخل في هذا التعريف المنظومات العلمية التي ألفت لتسهيل حفظ قواعدها على المتعلمين، كما أنه يطرأ عليه الغموض لأنه لم يقف طويلاً عند كلمة (المعنى) يحصها، ويدقق في أمرها، حتى يستطيع أن يخرج من الشعر هذه المنظومات العلمية

أما النقص فلا يصح أن يعترض عليه بالمنظومات العلمية؛ لأنها ما كانت معروفة في عصره. والغموض فعذره أنه أول من يقوم بتحديد هذا الفن الجميل من ناحية، وأن تحديد المعنى الشعري صعب دقيق، وربما كان مما يلتمس له من العذر أيضاً أن كتابه كله شرح لخصائص الشعر من ناحية اللفظ والوزن والقافية والمعنى.⁹

وبعد قدامة تعرض العديد من النقاد لتعريف الشعر، لكن المؤلف الذي حدد

⁶ انظر: نقد النثر: ص 77

⁷ انظر: نقد الشعر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1963م، ص 15

⁸ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 113

⁹ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 114-115

الشعر, وكانت هذه المنظومات قد عرفت وشاعت في عصره, فعبد الرحمن بن خلدون, الذي لم يرتض تعريف الأقدمين للشعر, ورآه غير مصور لهذا الفن من القول تصويراً صادقاً. فيقول في مقدمته: فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحثيثة, فنقول:

"الشعر هو الكلام البليغ, المبني على الاستعارة والأوصاف: المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي, مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده, الجاري على أساليب العرب المخصوصة به. فقولنا: الكلام البليغ جنس. وقولنا: المبني على الاستعارة والأوصاف فصل عما يخلو من هذه, فإنه في الغالب ليس بشعر. وقولنا: المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل. وقولنا: مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قلله وبعده بيان للحقيقة, لأن الشعر لا تكون أبياته إلا كذلك, ولم يفصل به شيء. وقولنا: الجاري على الأساليب المخصوصة به فصل عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة, فإنه حينئذ لا يكون شعراً إنما هو كلام منظوم لأن الشعر له أساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب من الأمم عندما يرى أن الشعر يُوجد للعرب وغيرهم ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج إلى ذلك ويقول مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة".¹⁰

وبالموازنة بين هذا التعريف وتعريف قدامة, نرى أن ابن خلدون قد حاول أن يبرز الخصائص الأساسية للشعر أكثر مما فعل قدامة, وإن كان في تحديد ابن خلدون للشعر

¹⁰ انظر: مقدمة ابن خلدون: ص 573

فعل الزمن وتطوره.

فالشعر عنده ليس قولاً، ولكنه قول بليغ، أما (المعنى) الذي أطلقه قدامة فقد خصه ابن خلدون بأنه مبني على الخيال والأوصاف، كما خصه بأن يكون جارياً على أساليب العرب، وهو في ذلك أقرب إلى الحقيقة في تصور الشعر، كما كان العرب يتصورونه، إذ يرونه مؤسساً على الأركان الآتية:

أولاً: الكلام البليغ، لأنهم وجدوه مؤثراً في النفس، ويرتفع بأسلوبه عن الكلام العادي، فهو لا يراد به إيصال المعنى إلى النفس فحسب، ولكن أن يحرك نفس سامعه، ويؤثر في قلبه.

ثانياً: الخيال، وكان الذي يصور الخيال عند العرب المجاز، وما تفرع عنه: من التشبيه والاستعارة.

ثالثاً: الوزن والقافية.

رابعاً: أن يجري على منهجهم في أغراضهم المختلفة، من مدح: وهجاء، ونسيب، ووصف، وألا يخرجوا عن هذا المنهج بالإبعاد في التكلف، والتعمق في التفكير؛ فيخرج الشعر بهذا عن المنهج العربي المؤلف.¹¹

ومن النقد من لا يعدّ الوزن والقافية من عناصر أساسية في الشعر - كجرجي زيدان - الذي اعترض على تعريف ابن خلدون للشعر، فقال: "فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر... وهو تقييد لا باعث له إذ قد ترى في الكلام المنشور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر، وذلك كثير في كلامهم، والحكم فيه للذوق".¹²

¹¹ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 118

¹² انظر: تاريخ آداب اللغة العربية: 53/1

وقال أيضاً: "الشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية. وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر, فقد قال بعضهم: "الشعر كلام وأجوده أشعره" ¹³, ولم يقيده بالوزن ولا القافية. وقال آخر: "الشعر شيء تجيش به صدورنا, فنقذفه على ألسنتنا" ¹⁴. 15

لكن نقاد العرب لا يطلقون كلمة (الشعر) على غير الموزون المقفى, مهما اشتد الشبه بين الكلام المنثور والشعر من ناحية التأثير والأسلوب, كما في الرسائل الأخوانية, ورسائل الوصف, وكلمات التأبين, ومع ذلك لا نجد نقاد العرب يطلقون على شيء منها اسم الشعر أبداً. وذلك يدلنا على أن العرب ونقادهم لا يعرفون الشعر إلا موزوناً مقفى. ¹⁶

نشأة الشعر الجاهلي:

كان ظهور الشعر مع ظهور شعور العرب, وكان الشعر ترجمان نفوسهم, وكان زفرة وابتسامة, ودمعة ومدامة, وكان بوق فخر وسان قتال, وكان حكمة عصور وعبرة أجيال.

نشأ الشعر الجاهلي على ظهر الناقة والفرس. وفي ظل واحات النخيل, فوق رمال الصحراء, وتحت سماء الفيافي الواسعة, موقعاً على نغمات الطبيعة, ورنّة الحوافر

¹³ انظر: الأغاني: ج18, ج21

¹⁴ انظر: البيان والتبيين: 66/1

¹⁵ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية: 54/1

¹⁶ انظر: أسس النقد الأدبي عند العرب, ص119

والأخفاف, حذاءً ورجزاً ثم محوراً مختلفة التفاعيل متباينة الأنساب والأوزان...¹⁷
ولما وصل إلينا الشعر الجاهلي, كان ذا أوزان مستقيمة, ومعان لا تخلو من تفكير
وعمق, وأخيلة وأصباغ لا تخلو من ذوق وفن, ومرامٍ وأهواء لا تخلو من قيمة.
الشعر العربي القديم نتفٌ ومقطوعات وقصائد مبثوثة في تضاعيف المجاميع الأدبية
وبعض الدواوين. والمجاميع هذه وضعت في عصور مختلفة ما بين القرن التاسع والسابع
عشر للميلاد, ومن أشهرها: (ديوان الحماسة) لأبي تمام (القرن التاسع), و (كتاب
الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني (القرن العاشر), و (كتاب الشعر والشعراء) لابن قتيبة
(القرن التاسع), و (الكامل) للمبرد (القرن التاسع), و (خزانة الأدب) للبيهقي (القرن
السابع عشر).¹⁸

¹⁷ انظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه, 93/1

¹⁸ نفس المصدر: 94/1

مكانة الشعر والشعراء عند العرب

مكانة الشعر عند العرب:

إذا كانت شعوب الأرض كلّها تعدّ الشعر فناً من الفنون التي تباهي بها كالرسم والنحت والموسيقا، فإنّ عرب الجاهلية كانوا يعدّونه الفنون كلّها. فيه اجتمعت ثقافتهم، وإليه تناهت عبقريتهم، وبه وحده كان الجاهليون يصوّرون نزوعهم إلى الإبداع، وحب الجمال، والشوق إلى التسامي عن الواقع، بعد أن يصوروا هذا الواقع أدقّ تصوير.¹⁹

كان العرب بفطرتهم مطبوعين على نظم الكلام²⁰، وهم أقوى الأمم شاعرية أقدروهم على النظم في الشعر الغنائي بلا خوف، يدلنا على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة²¹، ولذلك عدة أسباب:

1- إن العرب كانوا متميزين بالصراحة والجرأة في التعبير عما يجيش بصدورهم، وقد كانت الروح الفنية غالبية فيهم، فكانوا يقدرون الكلام الجيد المثير الذي يتميز بالتعبير الجميل، ويحمل الخيال الرائع ويحفظونه ويروونه، وإن كان من كلام الأعداء، وكانوا صادقين أمناء في نقل الكلام، وكان ذلك لشغفهم بالشعر.²²

2- إن العربي بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق وأريحية وأنفة، سريع الطرب، سريع الغضب، فيه بديهة وارتجال، ومن كان هذا شأنه لا يلبث حين يجيش صدره بمعنى أن يلفظه لسانه.. ولذلك كان أكثر شعرهم غنائياً أو موسيقياً، يعبرون به عن

¹⁹ انظر: الأدب الجاهلي، لغازي طليمات وعرفان الأشقر، ص 66

²⁰ انظر: تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، 89/1

²¹ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، 61/1

²² انظر: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والإسلامي)، 89/1

إحساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أحد فواعيل: الرغبة, والرغبة, والطمع, والغلب.²³

3- إن لغتهم شعرية غنائية, لأنها حافلة بمترادفاتهما التي تسعف المعبر, وتوايه بالقافية. وهي دقيقة في دلالاتها, غنية بأساليبها ومجازاتها, ثرية بمفرداتها. وفي كلماتها رنين وجرس يلائم الشعر والموسيقى.²⁴

4- إن العربي من أنطق الأمم ولغته أوسع اللغات ولفظها أدل من سائر الألفاظ وفيها الأمثال والحكم .. وللغة شأن كبير في تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب الواحد. فالعرب مع اشتراكهم في الطبائع والحس ودقة الشعور والشاعرية, يلاحظ أن الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر (المبين) لم ينظموا الشعر - فإن هذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعاً في معظم الجزيرة العربية إلا اليمن ومهرة وعمان. وقد انتشرت الشاعرية بين المتكلمين بهذا اللسان في الحجاز ونجد وإن لم يكونوا عرباً, حتى اليهود والعييد من الزنج والنوبة. واعتبر ذلك بعد الإسلام بانتشار اللغة العربية في الأقطار, فقد نبغ فيها شعراء أصلهم من الروم والفرس والترک والبربر وغيرهم, وذلك من تأثير اللسان.

5- صفاء جوهم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة, فإن أهل الجوّ الصافي تكون أذهانهم صافية, وخصوصاً إذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب .. فيزيدهم الصفاء شاعرية, ولا سيما إذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة أحوال الطبيعة, كما كان العرب في بداوتهم, غير ما بعثهم على قول الشعر من المنافسات والحروب في أيامهم

²³ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, لجرجي زيدان, 61/1

²⁴ انظر: الحياة العربية في الشعر الجاهلي, ص 164

وغيرها.²⁵

مكانة الشاعر عند العرب:

كان للقبيلة عدة شعراء, تقدم واحداً منهم تسميه شاعر القبيلة. وهي تهتم بإعداد الشاعر, كما تهتم بإعداد القائد والخطيب .. فيقال إن قائد القبيلة الفلانية فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان²⁶, لأن الشعراء حماة الأعراض وحفظة الآثار ونقلة الأخبار.

وربما فضلوا نبوع الشاعر فيهم على نبوغ الفارس, ولذلك كانوا إذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة .. أتت القبائل الأخرى فهنأتها به وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزهر كما يصنعن في الأعراس, وتتباشر الرجال والولدان لاعتقادهم أنه حماية لأعراضهم ودفاع عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة لذكورهم.²⁷

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة في الاسترضاء أو الاستعطاف أو يجعلونهم وسيلة لإثارة الحروب, فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عن غرضها وينطق بلسانها. ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها, والقيام بما يحتاج إليه وإكرامه وتقديمه.²⁸

ثم أصبح الشاعر نور وحي وهداية, وأصبح الشعر في الذروة العليا من القيمة والخطر لأنه ديوان الأجداد, وسجل المفاخر والمآثر. وكان الشاعر لسان القوم في الغارات والغزوات, يهيب بهم إلى أخذ الثأر, وإلى حماية الجار, ودفع كل عار؛ وكان في السلم ساحر الجماهير تنقاد له صاغرة؛ وكان على كل حال "حكيم القوم, ومرشدهم,

²⁵ انظر: الحياة العربية في الشعر الجاهلي, 61/1-62

²⁶ انظر: الأغاني, 4

²⁷ انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, لابن رشيق القيرواني, تحقيق: محمد محي الدين, ط3:

1963م, مطبعة السعادة, مصر, 49/1

²⁸ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, جرجي زيدان, 87/1-88

وخطيبهم, ونائبهم المتكلم باسمهم .. ومؤرخهم وعالمهم ... " وكان يعرف أنساب القبيلة وأخبارها القديمة ويقف على مآتي عظمائها, ويعرف ما لها من الحقوق في المراعي وخطوط تخومها. وكان عليه فوق ذلك, بصفته مدركاً لمواطن الضعف النفسي في القبائل التي تنازع قبيلته ولنقائصهم التاريخية, أن يشهر هذه المثالب, ويفضح هذه القبائل, ويجعلها موضوع هزء وسخرية.¹

وهكذا كان صحافي القوم, يخشى جانبه وتسمع كلمته, ويفتخر به,² شأن الصحف الرسمية اليوم .. فإن الصحيفة الرسمية إذا قالت قولاً, علم الناس أن الحكومة تريده. وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة.³

وربما نafs الشاعر رئيس القبيلة, وأوشك ييزه, حتى أصبح كما يقول المستشرق نولدكه: "نبي قبيلته, وزعيمها في السلم, وبطلها في الحرب. تطلب الرأي عنده في البحث عن مرآع جديدة. وبكلمته وحدها تضرب الخيام وتحلّ, كما كان يجدو الرحالة العطاش في التنقيب عن الماء".⁴

وإن أتى الملوك كان سفير قومه لدى الأمراء كالنابغة الذبياني⁵ والأعشى, فتفتح له

¹ انظر: فيليب حتي: تاريخ العرب - مطول - 1 ص 129

² انظر: الموجز في الأدب العربية وتاريخه, حنا الفاخوري, 110/1

³ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية, جرجي زيدان, 88-87/1

⁴ انظر: الأدب الجاهلي, ص 68

⁵ زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري, أبو أمامة: شاعر جاهلي, من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. أحد الأشراف في الجاهلية. كان حظياً عند النعمان بن المنذر, حتى شبب في قصيدة له بالمتجرده (زوجة النعمان) فضغب النعمان, ففر النابغة زمنًا. ثم رضي عنه فعاد. شعره كثير. له ديوان.

[انظر: الأغاني: 3/11 ؛ نهاية الأرب: 59/3 ؛ الشعر والشعراء: 38]

له أبواب القصور, وتوطأ له صدور المجالس, فيؤاكل الكبراء وينادمهم, ويسعى في مصالح قبيلته يستعطف ويستعدي, ويحالف من يتوسم في مخالفته نصرة قومه. فإذا عرّض به أو بقومه أمير, أو حاول انتقاص شرفه ملك تحدّى وتوعد, وثأر لشرفه قبل أن يثلم, كما ثأر عمرو بن كلثوم¹ من عمرو بن هند.

وفي مضمار الحرب يحارب الناس بسلاح واحد, ويحارب الشاعر بسلاحين: سيفه ولسانه. فيكون مثلهم في النزال, ولا يكونون مثله في اللسن. بل قد يدفعه حبّ المفاخرة. وقدرته على تصوير البطولة إلى أن يفوق الناس في العمل كما فاقهم في القول, فيحمي الطعائن حيّاً وميتاً, كربيعة بن مكدّم², ويذود عن الأشراف وهو عبد كعنتر بن شداد.³

¹ عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب, من بني تغلب (م 40 ق هـ): شاعر جاهلي, من الطبقة الأولى. ولد في شمال جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتحوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد. وكان من عز الناس نفساً, وهو من الفتاك الشجعان. ساد قومه (تغلب) وهو فتى, وعمر طويلاً. وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند.

[انظر: تمهيد التهذيب: 92/8]

² ربيعة بن مكدّم بن عامر, من بني كنانة: أحد فرسان مضر المعدودين, في الجاهلية. له أخبار أشهرها حمايته الظعن بعد مقتله. وذلك أنه خرج في ظعن كنانة فلقيتهم نبيشة ابن حبيب السلمى غازياً. فتقدم ربيعة فقاتل نبيشة ومن معه طويلاً, فأصابه سهم, فعاد إلى الظعن وأمه فيه, فشددت على جرحه عصابة, ففكر راجعاً يقاتل والدم ينزفه, فهابه القوم, فاخترت عقبة واتكأ على رمحه وهو على متن فرسه, يرونه فلا يتقدم أحد منهم, ثم رموا فرسه بسهم فقمصت, وانقلب عنها ميتاً, وكان الظعن قد نجا.

[انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب, للآلوسي, تحقيق: محمد بهجة الأثري, ط3: (د.ت) مطابع دار

الكتاب العربي, مصر: 144/1]

³ عنتر بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية, ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشة اسمها زبيبة, سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن عزهم نفساً,

فإذا هدأت الحرب, وأعمدت السيوف, ظل الشاعر مشهور اللسان, ليرثي القتلى, ويضمّد الجرحى, كما رثى عبّيد بن الأبرص¹ قتلى قومه بني سعد² بن ثعلبة. وإذا عصبت العصبية عين العقل بقيت عين الشاعر بصيرة, فلم تقنع من الإبصار بما تبصر العيون, بل شقت سحف الغيب عن المستقبل, وأدركت أنّ الحرب مهلكة للفريقين, وأنطقت صاحبها بالحكمة والموعظة الحسنة, ونقلته من ميدان الحرب إلى محراب السلام, كما فعل زهير بن أبي سلمى في حرب داحس والغبراء.³

وتحدثنا المصادر التاريخية عن المكانة الرفيعة التي كان يتبوأها الشاعر؛ فهو الحكيم صاحب العقل الراجح الذي يقضي بين الناس, ويُسأل عمّا عزّ على الجميع من القوم معرفته؛ وهو الراوية الموثوق, يحدث بما مضى من أخبار قومه, ويحفظ آدابهم وأنسابهم؛ وهو ملاذهم يزعون إليه في الخطوب والحروب, فيقرع النفير, ويحمّس المقاتلين, ويذكي فيهم روح القتال والتضحية. ويتصدّى للأعداء يرد عن أبناء قبيلته ما يرميهم به عدوهم

يوصف بالحلم على شدة بطشه, وفي شعره رقة وعدوبة. شهد حرب داحس والغبراء, وعاش طويلاً, وقتله الأسد الرهيب أو جبار ابن عمرو الطائي. ينسب إليه ديوان شعر.

[انظر: الأغاني: 237/8؛ خزنة الأدب: 62/1؛ الشعر والشعراء: ص75]

¹ عبّيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي, من مضر, أو زياد: شاعر, من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب (المجهرات) المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. وعمّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر عام 23 للهجرة, وقد وفد عليه في يوم بؤسه. له (ديوان الشعر).

[انظر: الشعر والشعراء: ص84؛ الأغاني: 84/19؛ خزنة الأدب: 323/1]

² بنو سعد بن ثعلبة: بطن من ذبيان ابن بغيض, من العدنانية, وهم: بنو سعد بن ثعلبة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان.

[انظر: تاريخ ابن خلدون: 306/2؛ معجم قبائل العرب: 514/2]

³ انظر: الأدب الجاهلي: ص68

من جارج القول وفاحش الهجاء, ويقابله بقول أشدّ إيلاماً, وهجاء أكثر إقداعا, ويشيد بفضائل قومه وبمآثرهم, ويتعنى ببطولاتهم وانتصاراتهم.. بل إن الشاعر في إحدى المراحل التاريخية كان عند العرب قبل الإسلام أرفع قدراً من الخطيب,¹ وربما أنزلوه فيهم منزلة الأنبياء في الأمم. ويظلّ شاعرهم هكذا موضع اعتزازهم وتكريمهم, ويقدمونه عليهم في المجالس, فمنزلته فيهم كانت دائماً تلي منزلة شيخ القبيلة, وقد ينفرد دونه في ترؤس وفودهم إلى القبائل الأخرى. وكان من شدة احتفائهم بالشعر والشعراء أنّ القصيدة إذا ما لاقت في نفوسهم استحساناً لما فيهما من إشادة بهم ومن هجاء خصومهم, خلّدها وتوارثوها عن أكابر, كما فعل بنو تغلب² بقصيدة شاعرهم وشيخهم "عمرو بن كلثوم" التي هدّد فيها قبيلة بكر وتوعّدها, وأشاد بالتغليبين أبناء قومه, وعدّد فضائلهم ومكرماهم, كالشجاعة والقوة والبأس والسطوة؛ وظلّوا يردّدونها إلى ما بعد الإسلام, حتى قال شاعر يهجوهم:³

ألهى بنو تغلب عن كلّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤوم⁴
وفي الواقع أن ما بقي لنا من أخبار عرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم

¹ انظر: البيان والتبيين: 272/3

² منسوب إلى تغلب بن وائل: قبيلة عظيمة تنتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دُعيمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. قبيلة حربية خاضت مع بكر عدة حروب.

[انظر: معجم قبائل العرب: 120/1-121]

³ انظر: الأغاني: 49-49/11

⁴ انظر: الأدب العربي, لحبيب يوسف مغنية, ص 70-71

وأخلاقهم، إنما هو منقول عن أشعارهم،¹ لذا سمي الشعر ديوان العرب في الجاهلية لأنهم كانوا أميين، ولم تكن الكتابة فيهم إلا لأهل الحيرة ومن تعلم منهم. فإنما حُفِظَتْ مآثرها، وأخبارُ أوائلها، ومذكورُ أحسابها ووقائعها، ومستحسن أفعالها ومكارمها بالشعر الذي قيل فيها ونقلته الرواة عن شعرائها. ولولا الشعر ما عُرف جود حاتم طي، وكعب بن مامة²، وهرم بن سنان³ وأولاد جفنة. لكن الذي قيل فيهم من الشعر أشاد بذكرهم وبيّن عن فخرهم، فقال الفرزدق في حاتم طي:

على ساعة لو أنّ في القوم حاتمًا على جوده ضنّت بها نفسُ حاتم⁴

وقال زهير في هرم:

من يلقَ على عِلاته هَرَمًا يلقَ السماحة منه والندی خُلُقًا

لو نال حيّ من الدنيا بمكرمةٍ أفقَ السماء لنالت كُفّه الأفقا⁵

¹ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، 87/1-88

² كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي، أبو داؤد: كريم، جاهلي. يضرب به المثل في حسن الجوار. وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار (إسق أخاك النمري)، من أجواد العرب.

[انظر: مجمع الأمثال للميداني: 109/1، و123؛ الشعر والشعراء: 189 و193]

³ هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان: من أجواد العرب في الجاهلية. يضرب به المثل. وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى. اشتهر هو وابن عمه (الحارث بن عوف بن أبي حارثة) بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان. ومات هرم قبل الإسلام، في أرض لبني أسد، وهو متوجه إلى النعمان.

[انظر: الأغاني: 141/9-143؛ الأعلام: 82/8]

⁴ انظر: طبقات فحول الشعراء، 316/2

⁵ انظر: ديوان طرفة: ص56-57

إلى غير هذا مما قيّد على الأبطال ذكر شجاعتهم, وشهر في الناس ذكرهم وعرفنا به غناءهم في مواقعهم, وآثارهم في وقائعهم. فقال عنتر:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
قول الفوارس: ويك عنتر أقدم!¹

وقال الحارث بن² حلزة يشكري:

وفككنا غلّ امرئ القيس عنه
بعد³ ما طال حبسُ والعناء⁴

وكانوا يهابون الشعراء, ويخافونهم, ويتوجسون منهم شراً خشية أن يتحرك لسان شاعر بهجاء أحدهم فينزل من قدره ويلحق به عاراً لا يسقط عنه أبد الدهر^{5,6}. وقد قيل عن الأعشى أنه ما مدح أحداً إلا رفعه, وما ذم أحداً إلا وضعه, ومما يدل على تأثير الشعر في الذهن العربي ما ورد في الأغاني⁷ عن الأعشى واجتهاد قريش لصفه عن النبي p ومدحه خوفاً من تأثيره شعره.

وقد قال أبو سفيان: (والله لئن أتى محمداً p أو اتبعه ليضرمن عليكم نيران الحرب

¹ انظر: الأغاني: 254/9

² الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد يشكري الوائلي: شاعر جاهلي, من أهل بادية العراب. وهو أحد أصحاب المعلقات. كان أبرص فخوراً, ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك, بالحيرة.

[انظر: الشعر والشعراء: ص53؛ الأغاني: 42/11؛ الأعلام: 154]

³ انظر: الأغاني: 50/11, وكانت غسان أسرت امرأ القيس ابن المنذر ملك الحيرة يوم قتل المنذر, فأغارت بكر على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غسان واستنقذوا امرأ القيس.

⁴ انظر: نقد النثر: ص80

⁵ انظر: الجاحظ, كتاب الحيوان, ت محمد السلام هارون (القاهرة, لا. ت) ج1, ص264

⁶ انظر: الأدب العربي, لحبيب يوسف مغنية, ص70-71

⁷ انظر: الأغاني: 148/9

بشعره).¹

وكانوا إذا أسروا شاعراً أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بنسعة² حتى لا يهجوهم كما صنع بنو تيم بعبد يغوث³ بن وقاص الحارثي حين أُسِرَ يوم الكلاب، فقال:

أقول وقد شدوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا

وإلى ذلك كان الأسياد والأشراف يُعنون بالشاعر أشدَّ العناية رغبةً في مدحه ودفعاً لشتره؛ أو توصلاً إلى مدِّ سلطان وتكوين لرأيِّ عام. وكانوا يبذلون كل ما في وسعهم للإتيان بالشعراء إلى بلاطاتهم ويتنافسون في ذلك أشدَّ المنافسة، ويجزلون لهم العطاء من إبل وملابس وحليّ وقيان، حتى يذيعوا اسمهم في العرب، ويعلوا من قدرهم فيما بينهم، ويخلدوا ذكرهم على مرّ السنين، ويسهلوا لهم طرق الاستيلاء على حركة الأعراب فيأمنوا شرّهم وغاراتهم على التخوم وعلى طرق القوافل التجارية. وهكذا كان الممدوحون حريصين أشدَّ الحرص على مديح الشاعر، ولئن أعتيهم الحيلة ولم يجدوا وسيلة

¹ انظر: تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي والعصر الإسلامي 89/1

² النسعة: القطعة من الحبل يشد بها الأسير.

[انظر: القاموس المحيط: مادة: نسع]

³ عبد يغوث بن صُلاءة بن ربيعة (وفي خزنة الأدب: عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة)، من بني الحارث بن كعب، من قحطان: شاعر جاهلي يمني، وفارس معدود. كان سيد قومه من بني الحارث وقائدهم، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها: (ألا لا تلوماني كفى اللوم مايبا) وأسر في بعض الوقائع، فخير كيف يرغب أن يموت، فاختار أن يشرب الخمر صرفاً ويقطع عرقه الأكلحل، فمات نزعاً عام 40 ق هـ.

[انظر: الأغاني: 69/15-76؛ خزنة الأدب: 317/1]

إلى إرضائه باتوا في كآبةٍ يخشون مغبة الهجاء.¹

إنَّ شهد الشاعر المواسم والأسواق أحاط به الناس يکنفونه بالرعاية ويتسقطون أخباره، ويتناقلون أشعاره، ويخصونه من دون الناس بقبة من آدم، لأنه يخلد مناقب قومه، ويعدد مآثرهم، ويدفع عنهم هجوم الخصوم وافتراء الأعداء، فيغدو كلامه فوق كل كلام، ويصبح رأيه قضاء لا يرد، وحكماً لا يقبل النقض، وتسير أبياته في الآفاق، ترفع وتضع، وتشرف وتحقر.²

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لأنه يدافع عنهم فقط، ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الواقع في نفوسهم .. يدلک على ذلك تعليق المعلقات بأستار الكعبة إجلالاً لها.^{3,4}

وحسبنا دليلاً على منزلة الشاعر أنّ كلّ قبيلة كانت تحرص كلّ الحرص على أن ينبغ فيها شاعرٌ كما تحرص اليوم كل دولة على أن يكون لها إذاعة وصحافة. وأنّه إذا تمّ لها ماتريد أولت الولائم، ودعت الجفلى إلى المآذب، فأتمها الوفود مهنته أو حاسدة، واتقاها الناس خائفين. وأن الرواة كانوا يلازمون الشعراء ليحفظوا ما يقولون، ويتعلموا مما يسمعون، ويتقّفوا صناعة القريض، كما كان زهير بن أبي سلمى رواية أوس⁵ بن حجر.¹

¹ انظر: الموجز في الأدب العربية وتاريخه، حنا الفاخوري، 110/1

² انظر: الأدب الجاهلي، ص 68

³ انظر: العقد الفريد: ج 3

⁴ انظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، 87/1-88

⁵ أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها. في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أمّ زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند، في الحيرة. عمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام. في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب.

وكان غزلاً مغرمًا بالنساء. له ديوان شعر.

[انظر: الأغاني: 70/11 ؛ خزنة البغدادي: 235/2 ؛ طبقات فحول الشعراء: ص81]

¹ انظر: الأدب الجاهلي, ص68

موقف الإسلام من الشعر

فلا شك أن للإسلام موقف مع كل أمر من أمور الحياة إما بالإيجاب أو السلب, فديننا هو دستور حياتنا, وعلى قواعده وأسسها نسير ابتغاء مرضاة ربنا, فيمكن أن يتوضح موقف الإسلام من الشعر بالعودة إلى مصدر التشريع الإسلامي الأول, القرآن الكريم, ثم بمعرفة النهج الذي اتبعه الرسول والخلفاء الراشدون في تعاملهم مع الشعراء.

ما جاء في مدح الشعر:

موقف الإسلام من الشعر كموقفه من الكلام, حسنه كحسن الكلام, وقبيحه كقبيح الكلام,¹ فما جاز في الكلام جاز فيه, وما لم يجز في ذلك لم يجز فيه,² كما ثبت أن النبي μ قال: "الشَّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ".³

القرآن الكريم والشعر:

حتى نتعرف على موقف القرآن من الشعر, لا بدّ من حصر الآيات التي تطرق إليها عن الشعر والشعراء. أشار القرآن الكريم إلى (الشعر) في آية واحدة, وأشار إلى (الشعراء) في خمس آيات.⁴

¹ انظر: تفسير القرطبي, لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي, تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني, دار الشعب, القاهرة, ط2: 1372هـ, 137/13

² انظر: نقد الشر, ص77

³ انظر: الأدب المفرد, كتاب الشعر, باب من الشعر الحكمة, رقم الحديث: 865, صحح الألباني.

⁴ انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم, فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, لبنان, (د.ت), تحت مادة (شعر)

وردت كلمة (الشعر) في سورة ياسين في آية (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ).¹

نزلت هذه الآية لما رأى المشركون للقرآن من الأثر في نفوس كل من يستمع إليه، فاعترضوا عليه أن أثر القرآن في النفوس كأثر الشعر فيها، وليس هو شيء أعلى لا يقدر عليه الإنسان.

فينفي القرآن الكريم أن القرآن شعر وأن يكون الرسول عالماً ينظم القصيد. فما يتلوه ليس شعراً وإنما هو قرآن أنزل لهداية البشر وإنذارهم.²

وهكذا إشارة القرآن إلى الشعراء ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ﴾³ لم تقصد لذاتها، وإنما قصد بها تفنيد افتراءات الكفار من قريش على النبي ﷺ عندما راحوا يشيعون بأن النبي شاعر أو ساحر أو كاهن، وأن ما ينزل عليه إنما هو شعر من وحي الشيطان.

فكان أن نزلت الآيات بتكذيبهم مقررّة أن محمداً إنما هو نبي مرسل وأن ما ينزل عليه إنما هو من الله تعالى، نافية أن يكون شاعراً أو غير ذلك مما يزعمون.

ويصور القرآن الكريم استبداد الحيرة بالكفار وتوزّعهم الفكري والنفسي وعجزهم عن تركيز اتهامهم في أمر واحد. فمرة يقولون بأن ما يأتي به محمد ﷺ من الوحي إن هو إلا رؤيا كاذبة، ومرة سحر، ومرة افتراء، ومرة أخرى يعودون إلى قولهم بأنه شاعر: ﴿بَلْ

¹ يس: 69

² انظر: الأدب العربي (من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي)، ص 76

³ الحاقة: 41-42

قَالُوا أَضَعَّتْ أَحْلَامٌ بَلٍ افْتَرَاهُ بَلٍ هُوَ شَاعِرٌ¹.

ومما نزل في وصف الشعراء بـ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾² ففي هذه الآيات إشارة واضحة إلى موقف القرآن من هذا الفن، وهو أنه لا يحارب هذا الفن الأدبي لذاته، وإنما يحارب فئة خاصة من الشعراء، وهم أولئك الذين أنشدوا شعرهم في هجائه، كما يحارب الغاوين الضالين من الشعراء الذين جعلوا يتغنّون بأشعارهم ويذيعونها بين الناس.

ثم أضاف إلى ذلك الشعراء الذين كانوا يعمهون في طغيانهم، ويتبعون أهواءهم الضالة، وفقدوا صلاحية التمييز بين الحق والباطل، فيهتكون بشعرهم الأعراس، وينشرون الفواحش، ويقذفون المحصنات ويرموهن، ويثنون على من لا يستأهل الشناء، ويذمّون من لا يستحق الذم، وهم فوق ذلك يقولون ما لا يفعلون، ويريدون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا، فيشيدون بالجود مع أنهم لا يفعلونه، ويذمّون البخل وهم يأتونه.

وقد أردف الله عزّ وجل هذه الآيات التي ندّد فيها بضروب من الشعر وأصناف من الشعراء بقوله عزّ وجل:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا
وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا³﴾

فالشعراء الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسوله، وأطاعوه في أقوالهم وأعمالهم، وذكروا الله كثيراً، وتكلّموا بنعمه، أولئك الذي استثناهم القرآن الكريم، أخرجهم من تلك الزمرة —

¹ الأنبياء: 5

² الشعراء: 224-226

³ الشعراء: 227

زمرة (الشعراء الغاوين), ورفع شأنهم على سائر الشعراء, ووصفهم بأنهم ﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾¹.

موقف الرسول ρ من الشعر والشعراء:

بُعث النبي ρ إلى قوم كان الشعر يجري في نفوسهم مجرى الدم, وكان يعرف أهمية الشعر عندهم, وبعده تأثيره في قلوبهم,² حتى قيل فيهم: (لَا تَدْعُ الْعَرَبُ الشَّعْرَ حَتَّى تَدْعُ الْإِبِلَ الْحَنِينِ).³

فالرسول ρ ينظر للشعر على أنه ملكة فنية اشتهر بها قومه وأحبوها وأثرت في نفوسهم وأذواقهم, ثم إن من الشعر كلاماً طيباً رقيقاً يوافق الحق,⁴ وقد روي عنه ρ أنه قال: (الشَّعْرُ كَلَامٌ مِمَّنْزِلَةِ الْكَلَامِ فَحَسَنُهُ حَسَنُ الْكَلَامِ وَقَبِيحُهُ قَبِيحُ الْكَلَامِ).⁵ وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن النبي ρ قال: (إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً).⁶

وتنقل إلينا المصادر التاريخية والأدبية والدينية أنه ρ كان يسمع الشعر واستنشدته

¹ انظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد, عبد الرحمن رأفت الباشا, دار البردى للنشر والتوزيع, السعودية, (د-ط-ت) ص 18-20

² انظر: الأدب العربي, لحبيب مغنية, ص 77

³ نسب هذا القول إلى النبي ρ في: إحياء علوم الدين, محمد بن محمد الغزالي, دار المعرفة, بيروت, 127/3

⁴ انظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه, للدكتور يحيى الجبوري, ط 4: 1414هـ/1993م, مؤسسة الرسالة, بيروت, ص 43

⁵ انظر: كنز العمال, 1039/3, رقم الحديث: 7976, صحيحه لغيره؛ دلائل الإعجاز, عبد القاهر الجرجاني, دار الكتاب العربي, بيروت, ط 1: 1995م, ص 39

⁶ انظر: البخاري, كتاب الأدب, باب ما جاء في الشعر, رقم الحديث: 4357

وأثاب عليه وأنشد في مسجده وعلى منبره.¹

فمما روي عن سماعه الشعر:

عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ² عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمِّيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ³ شَيْءٌ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ هِيَ فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ هِيَ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ هِيَ حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ "... وفي رواية أنه قال "إِنْ كَادَ لِيُسَلِّمَ" وفي رواية قَالَ : فَلَقَدْ كَادَ يُسَلِّمُ فِي شِعْرِهِ.⁴

ويظهر من هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يستمع إلى الشعر ويتمثل به, وإذا راقه عمق أو حكمة أو روعة بيان أظهر إعجابه به. ولم يكن يمنعه ﷺ شدة معاداة أمية له وللدعوة الإسلامية من الإصغاء إلى أبياته شعره التي بلغت المئة بيت في موقف واحد, وبلغ من إعجابه بشعره الحكمي أنه قال⁵: "كاد (أمية بن أبي الصلت) أن

¹ انظر: نقد الشر: ص 77

² عمرو بن الشريد حجازي تابعي ثقة وأبوه (الشريد) من أصحاب النبي ﷺ .

[انظر: معرفة الثقات, أحمد بن عبد الله العجلي, تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي, ط 1: 1405 هـ,

مكتبة الدار, المدينة المنورة: 177/1]

³ أمية بن عبد الله أبي الصلت الثقفي: شاعر جاهلي حكيم, من أهل الطائف. كان مطلعاً على الكتب القديمة, كان ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. سمع آيات من القرآن, فتبعته قريش تسأله عن رأيه, فشهد أن النبي ﷺ على الحق. خرج إلى الشام وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة, وحدث وقعة بدر, عاد أمية من الشام, يريد الإسلام, فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له, فامتنع. مات في الطائف سنة 5 هـ.

[انظر: وفيات الأعيان: 80/1 ؛ نفع الطيب: 377/1]

⁴ انظر: مسلم, كتاب الشعر, باب , رقم الحديث: 4185

⁵ انظر: الأدب العربي, حبيب يوسف مغنية, ص 78

يسلم".¹

وهناك عدّة روايات تدلّ على أنه ρ كان يشجّع الصحابة على أن يدافعوا عنه ρ وعن الإسلام, فمنها:

قوله ρ " اهْجُوا بِالشَّعْرِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ρ بِيَدِهِ كَأَنَّمَا يَنْضَحُوهُمْ بِالنَّبْلِ".²

وعن عائشة أنّ رسول الله ρ قال اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ³ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ⁴ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ قَدْ آتَى لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنبِهِ ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيئَهُمْ بِلِسَانِي فَرِي الْأَدِيمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا وَإِنَّ لِي

¹ انظر: مسند أحمد, مسند الكوفيين, حديث الشريد بن السويد, رقم الحديث: 19482, صححه الأرئوط.

² انظر: مسند أحمد, مسند المكيين, مسند كعب بن مالك الأنصاري, رقم الحديث: 15235, تعليق شعيب الأرئوط: إسناده حسن من أجل عبد العزيز بن محمد الدراوردي وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير علي بن بحر - وهو ابن بري القطان - فمن رجال أبي داود والترمذي وأخرج له البخاري تعليقا وهو ثقة.

³ كعب بن مالك بن عمرو بن القين, الأنصاري السلمي الخزرجي: صحابي, من أكابر الشعراء, من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية, وكان في الإسلام من شعراء النبي ρ. وشهد أكثر الوقائع. ثم كان من أصحاب عثمان, وأنجده يوم الثورة, وحرض الأنصار على نصرته. ولما قتل عثمان قعد عن نصرته علي فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره وعاش (77) سنة. له ديوان شعر.

[انظر: الإصابة: ت 7433؛ رغبة الأمل: 73/2]

⁴ حسان بن ثابت: ولد في يثرب. من الشعراء المخضرمين. اتصل بالغساسنة ومدحهم ولقي في بلاطهم النابغة الذبياني وعلقمة. أسلم وغدا من أنصار النبي ρ. هجا القریشيين. لقب (شاعر النبي). له ديوان.

[انظر: الإصابة: 326/1؛ تهذيب التهذيب: 247/2؛ خزنة البغدادى: 111/1]

فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلْحِصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَحِصَ لِي
 نَسَبَكَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَسْأَلَنَّ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ قَالَتْ عَائِشَةُ
 فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى قَالَ حَسَّانُ:

| | |
|--|--|
| هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ | وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ |
| هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا | رَسُولَ اللَّهِ شَيْمُتُهُ الْوَفَاءُ |
| فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي | لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ |
| تَكَلَّمْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا | تُشِيرُ النَّفْعَ مِنْ كَنَفِي كَدَاءِ |
| يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتِ | عَلَى أَكْتَفَاهَا الْأَسْلُ الْظِمَاءُ |
| تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتِ | تُلَطِّمُهُنَّ بِالْحُمْرِ النِّسَاءُ |
| فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا | وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ |
| وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ | يُعْزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ |
| وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا | يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ |
| وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا | هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ |
| لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدِّ | سَبَابٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ هِجَاءِ |
| فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ | وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ |
| وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا | وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ ¹ |

ومطلع هذه القصيدة:

¹ انظر: مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، رقم الحديث: 4545؛ ديوان

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء¹

ومنها هذا البيت:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع, موعدها كداء²

وجاء فتح مكة, قال عليه الصلاة والسلام: "أَدْخِلُوا الْخَيْلَ مِنْ حَيْثُ قَالَ حَسَّانُ

... يريد ما قاله في البيت السابق, فدخلت الخيل مكة يوم الفتح من باب "كداء"³.

فهل فعل رسول الله ﷺ ذلك إلا إعزازاً للشعر وإكراماً للشعراء؟ !⁴

كما كان ﷺ يُقعد كعب بن زهير على منبره وهو يُنشد:

بانت سعادٌ فقلبي اليوم مبتول متيم إثرها, لم يُفدَ مكبول⁵

فلما سمع شعره, أعجب به إعجاباً بالغاً حتى خلع بردته وألقاها على

كعب بن زهير مكافأة له⁶:

ولما بلغ إلى قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارِمٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ⁷

أشار إلى الناس بالإصغاء إلى قوله.⁸

¹ انظر: ديوان حسان بن ثابت, حسان بن ثابت, دار صادر, بيروت, 1961: ص7

² انظر: ديوان حسان: ص8

³ انظر: البداية والنهاية: 319/2

⁴ انظر: من قضايا الأدب الإسلامي: ص24

⁵ انظر: ديوان كعب: ص60

⁶ انظر: الكامل لابن الأثير, 189/2

⁷ انظر: ديوان كعب: ص67

⁸ انظر: نقد الشر, ص78

وعن جابر بن سمرة¹ قال جالستُ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَنَاشِدُونَ الشِّعْرَ وَيَتَذَكَّرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ سَاكِتٌ فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ مَعَهُمْ.²

وعن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ : (إن الله تعالى قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي ﷺ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ).³

ما جاء في ذم الشعر والجواب عنه:

أما حول ما ورد عن رسول الله ﷺ في قوله :

(لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا)⁴

فهذا الحديث لم يكتمل، وهو جزء من الرواية التي وردت مفصلة في مسند أحمد،

وهي:

¹ جابر بن سمرة بن جنادة السوائي (ت 74 هـ): صحابي، كان حليف بني زهرة. له ولأبيه صحبة. نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في ولاية بشر على العراق. له 146 حديثاً في الصحيحين وغيرهما.

[انظر: تذكرة الحفاظ: 67/1 ؛ تهذيب التهذيب: 38/2 ؛ البداية والنهاية: 93/9-95]

² انظر: سنن الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في إنشاء الشعر، رقم الحديث: 2777، صححه الألباني.

³ انظر: شرح السنة، للحسن بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير، ط2: 1403 هـ، المكتب الإسلامي، بيروت ؛ وفي (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد الجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1960م، 411/1) أنه قال: (يا رسول الله ماذا ترى في الشعر؟ فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه؛ مسند أحمد، مسند القبائل، حديث كعب بن مالك، رقم الحديث: 27218، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁴ انظر: البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدده عن ذكر الله

والعلم والقرآن، رقم الحديث: 5688

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَجَجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لِأَنَّ يَمْتَلِي جَوْفَ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا.¹

ويظهر من هاتين الروايتين أن هذا الشاعر كان يسلك سلوكا غير مهذب، بأن اعترض طريقهم يهجو أو يقول شرا.

أما الشعر الذي خدم الدين أو لم يتعرض للعقيدة الإسلامية بسوء فذلك لا يندرج تحت هذا الحديث، يقول ابن رشيقي² القيرواني " .. إنما هو من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى أشغله عن دينه؛ وإقامة فروضه ومنعه عن ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن.. " ³.

وهذا ما يقوله قدامة بن جعفر: فإن المعقول من معنى الامتلاء أن يشغل المالى للشيء جميع أجزائه حتى لا يكون فيها فضل لغيره. وإن كان هكذا فإنما أراد النبي ﷺ بهذا القول من امتلاء جوفه من الشعر حتى لا يكون فيه موضع للذكر ولا لحفظ القرآن

¹ انظر: مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري، رقم الحديث: 10635، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحنس مولى مصعب بن الزبير فمن رجال مسلم.

² الحسن بن رشيقي القيرواني، أبو علي: أديب، نقاد، باحث. كان أبوه من موالي الأزد. مال إلى الأدب، وقال الشعر. ورحل إلى القيروان ومدح ملكها، واشتهر فيها. حدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بـ (مازر) إحدى مدنها إلى أن توفي عام 463هـ. من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) و (قراضة الذهب) و (الشدوذ في اللغة) و (أمودج الزمان في شعراء القيروان).

[انظر: وفيات الأعيان: 133/1؛ إنباه الرواة: 298/1]

³ انظر: العمدة في صناعة الشعر ونقده، 12/1

ولا لعلم الشرائع والأحكام والسنة في الحلال والحرام. وهذا ظاهر لمن تدبره. ويزيده وضوحاً ما رُوي عنه عليه السلام من أنه سمع قوماً يقولون فلان علامة، فقال: (وما هو علامة) فقليل: يعلم أيام العرب وأشعارها وأنسابها ووقائعها، فقال: (ذلك علم لا ينفع مَنْ عِلْمُهُ وَلَا يَضُرُّ مَنْ جَهْلُهُ، وإنما العلم آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل).¹

ولعل ما يؤيد هذا المعنى، أن البخاري صنف هذا الحديث تحت عنوان "باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن".² ويقول القرطبي³ مفسراً هذا الحديث: قال علماؤنا وإنما فعل النبي ρ هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله أنه اتخذ الشعر طريقاً للتكسب فيفرط في المدح إذا أعطي وفي الهجو والذم إذا منع فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقول من ذلك حرام عليه ولا يحل الإصغاء إليه بل يجب الإنكار عليه.⁴

¹ انظر: نقد الثور، ص 78-79

² انظر: البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن، رقم الحديث: 5688

³ محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي، أبو عبد الله: من كبار المفسرين، صالح متعبد. رحل إلى الشرق واستقر بمِمنية (مصر) وتوفي فيها عام 671هـ. من كتبه (الجامع لأحكام القرآن) 20 جزءاً يعرف بتفسير القرطبي، و (قمع الحرص بالزهد والقناعة) و (الأسنى في شرح أسماء الحسنی) و (التذكار في أفضل الأذكار).

[انظر: نفع الطيب: 428/1]

⁴ انظر: تفسير القرطبي: 137/13

وما زوي عنه ρ من شأن امرئ القيس وقوله - عليه السلام: (ذَلِكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا مَنْسِيٌّ فِي الآخِرَةِ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ لِوَاءُ الشُّعْرَاءِ حَتَّى يُورِدُهُمُ النَّارَ)¹, وهذا القول منه - عليه السلام - خاص في كفّار الشعراء. والدليل على ذلك إجماع الأمة على أن حسّان بن ثابت, وكعب بن زهير وغيرهما من شعراء المؤمنين الذين كانوا يناضلون عن رسول الله ρ بأشعارهم, ويجاهدون معه بألسنتهم وأيديهم, خارجون عن جملة من يرد النار مع امرئ القيس.²

هل قال النبي ρ شعراً:

اتفقت الروايات على أن النبي ρ كان يحب الشعر, ويصغي إليه, وكان الشعر أحبّ إليه من كثير من الكلام, لكنه لا يتأتّى له,³ لكنّها اختلفت في إذا قادراً على رواية الشعر صحيح الوزن وعدمه. وروي أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الشعر ولا يزنه وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلاً كسر وزنه وإنما كان يحرز ρ المعاني فقط, ومن ذلك أنه أنشد يوماً قول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزوده بالأخبار⁴

¹ انظر: فيض القدير, لعبد الرؤوف المناوي, ط1: 1356هـ, المكتبة التجارية الكبرى, مصر, 186/1؛ المعجم الكبير, 100/18؛ مجمع الزوائد, كتاب الإيمان, باب في أهل الجاهلية, 318/1, رقم الحديث:

417

² انظر: نقد الشر, ص78³ انظر: تفسير القرطبي, 48/15⁴ انظر: تفسير القرطبي, 48/15

وفي غير هذه الروايات أنه كان يصيب الوزن أحياناً، ففي ذلك أقوال:

بييت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع¹
 فعند ابن عبد ربه إذا صحت رواية هذه الأبيات فهي إلى النثر أقرب منها إلى الشعر.²
 فقد روي أنه نظم من الرجز والمنهوك، والمشطور، والسريع، كقوله يوم حنين:³
 هل أنتِ إلا إصبع دमितِ وفي سبيل الله ما لقيتِ⁴

وقوله في غيره:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب⁵

وروي:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة⁶

وروي أيضاً:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة⁷

وفي البخاري:

¹ أيضاً

² انظر: الأدب العربي، لحبيب مغنية، ص 80

³ انظر: تفسير القرطبي، 150/13

⁴ انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله، الرقم: 2648

⁵ انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قال خذها وأنا ابن فلان، رقم الحديث: 2815

⁶ انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث: 3791

⁷ انظر: البخاري، كتاب المناقب، باب دعاء النبي ﷺ: أصلح الأنصار والمهاجرة، رقم الحديث: 2801

لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَعَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةَ أَبِيْنَا¹

وقال الخليل: الرجز المشطور والمنهوك ليسا من الشعر، وما جرى على لسان النبي من (المشطور، والمنهوك) لا يكون شعراً.²

واختلف المحققون القدماء في كون ما جرى به لسان النبي ρ شعراً وعدمه. فذهبت طائفة إلى أنه ليس بشعر، ويدين هذا الرأي الرمحشري،³ وذهبت طائفة أخرى إلى أن ما جرى بلسانه ρ شعراً، لكنّ التمثل بالبيت النزر، وإصابة القافيتين وغيره لا يجعله شاعراً ولا عالماً بالشعر، لذا لا يسمى شاعراً باتّفاق العلماء، وهذا كأنّ من خايط خيظاً لا يكون خيظاً.⁴

¹ انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، رقم الحديث: 2625

² انظر: كتاب العين، 64/6-65

³ انظر: الكشاف: 292/3

⁴ انظر: تفسير القرطبي، 48/15

أثر الحديث على الشعر العربي

التمهيد

لقد أحدث الإسلام تغييراً عظيماً في نفوس العرب, وشعورهم, وأفكارهم, وسلوكهم, ومجتمعهم. والشعر العربي كمعبرٍ حقيقي عن وجدان العرب وعاطفتهم وما يجول بين ضلوعهم من الأماني والآمال, وترجماناً لبيئتهم, وموجهاً لمجتمعهم إلى الخير والشرّ, ومسجلاً لمفاخرهم, ومدافعاً عن الأحساب والأنساب ... فلا بدّ أن يسجّل التغيير الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب ومجتمعهم وطريقة حياتهم.

فالحديث النبوي p مصدر أساسي للإسلام بعد القرآن. فمن الطبيعي أنه أثر تأثيراً عميقاً في هذا الجنس الأدبي المهمّ أي في الشعر.

ففي هذا الفصل يدور الكلام حول هذه القضية المهمّة.

أثر الحديث على الشعر العربي

ففي السطور التالية نتاول ذلك التأثير الذي جاء في الشعر من أجل الحديث

النبوي ρ :

1- الإضافة الجديدة في أغراض الشعر: كان العرب قبل الإسلام ينظمون

الشعر في موضوعات مختلفة مثل (الهجاء, والمدح, والوصف, وغيرها). ولما جاء الإسلام نشأت أغراض جديدة غير ما كانوا يألّفونها, مثل: الذبّ عن الدين الإسلامي والحب لنبيه الكريم ρ وظهور أثر الأخوة الإسلامية في عواطفهم ومشاعرهم.¹

ففيما يلي نتناول بعض تلك الأغراض:

أ- التوحيد: خلق الله الإنسان ليعبده واحداً, ولا يشرك به شيئاً, ثم ما تركه

يكتفي على عقله لأن العقل لا يكفيه للتمييز بين الخير والشر, فأرسل الأنبياء إلى البشرية إنقاذاً للأمم من الوثنية والشرك. وتتابع نزول الأنبياء حتى ختمت النبوة بمحمد - صلى الله عليه وسلم.

وقد كان التوحيد ركناً أساسياً من الأركان التي قامت عليها تلك الرسالات.

فالتوحيد هو أهم ما دعا الرسول إليه, وبمكنا أن نرى مشاعر من أسلم وترك الوثنية والشرك وآمن بالله وحده خلال شعره.

فهذا شداد بن عارض الجشمي² - حين هدمت اللات, وحُرقت -, وقف ينهى

¹ انظر: تاريخ الأدب العربي, لمحمد رشيد الحسيني الندوي, ومحمد الرابع الحسيني الندوي, 59/2

² شداد بن عارض الجشمي: صحابي, كان شاعراً مشهوراً.

[انظر: الإصابة: 322/3]

ثقيفاً إلى الإيمان ونبذ الشرك والوثنية, قال³:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها
 إن التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشتعلت
 إن الرسول متى ينزل بلادكم
 يظعن وليس بها من أهلها بشر
 وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
 ولم يقاتل لدى أحجارها هدر

وقال فضالة الليثي⁴ وهو يرى تكسير الأصنام في مكة:

لو ما رأيت محمداً وجنوده بالفتح يوم تكسّر الأصنام
 لرأيت نور الله أصبح بيناً والشرك يغشى وجهه الإظلام⁵

وقال آخر:

سمعتُ بالدين, دين الحقِّ جاء به
 فجنثُ منتقلاً من دين باغية
 محمدٌ, وهو قِرْمُ الحاضرِ البادي
 ومن عبادة أوثانٍ وأندادٍ
 ومن ذبائح أعيادٍ مضلّلةٍ
 نسيكُها غائبٌ ذو لَوثةٍ عادٍ
 عن العمى, والتُّقى من خيرِ أزوادٍ⁶
 إن الهداية للإسلام نائبة

وقال بجير بن زهير⁷ في ذم الأصنام:

³ انظر: السيرة النبوية, لابن كثير, 652/3 ؛ البداية والنهاية: 346/4 ؛ سيرة ابن هشام: 153/5
⁴ فضالة بن شرك (ت 64 هـ): فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد: شاعر, من أهل الكوفة. أدرك
 الجاهلية, واشتهر في الإسلام. شعره حجة عند اللغويين.

[انظر: معجم الشعراء, ص308]

⁵ انظر: أسد الغابة: 364/4

⁶ انظر: معجم البلدان: 116/1

إلى الله-لا العزى ولا اللات-وحده
فتنجدو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم , لا ينجو وليس بمفلت
من النار إلى طاهر القلب مسلم⁸

وكذلك الشاعر ذيان بن الحارث التميمي لما أسلم طلق صنمه "فراضاً", قال:⁹
تبع رسول الله إذ جاء بالهدى
وخلقت فراضاً بدار هوان
شددت عليه شدة فتركته
كأن لم يكن, والدهر ذو حدثان
يقول كعب بن مالك في بدر:¹⁰
فلما لقيناهم وكل مجاهد
شهدنا بأن الله لا ربه غيره
ويقول كعب بن مالك أيضاً:
لأصحابه مستبسلاً النفس صابر
وأن رسول الله بالحق ظاهر¹¹
يقوم الدين معتدلاً حنيفاً
ونسلبها القلائد والشنوفاً¹²
ونسى اللات والعزى وودّ
ويقول الأعشى:

⁷ بجزر بن زهير بن أبي سلمى: كان شاعراً محسناً هو وأخوه كعب. وأما أبوهما فأحد المبرزين الفحول من الشعراء.

[انظر: الوافي في الوفيات: 1/1356]

⁸ انظر: البداية والنهاية: 4/369

⁹ انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 1/342 ؛ ونهاية الأرب: 18/153-154

¹⁰ انظر: سيرة ابن هشام: 3/282

¹¹ انظر: شعراء الرسول ρ في ضوء الواقع والقريض, سعيد الأعظمي الندوي, ط1: 2001م, دار ابن كثير,

بيروت, ص54

¹² انظر: شعراء الرسول ρ, ص92 ؛ سيرة ابن هشام: 5/50

وذا النصب المنصوب لا تنسكته ولا تعبد الأوثانَ والله فاعبدا¹³

ففي سيرة ابن كثير قصة رجل¹⁴ كان يسدن صنماً بقرية كانت تعظمه بنو الصامت وبنو حطامة و مهرة، فعتر يوماً عند الصنم عتيرة - أي الذبيحة - فسمع صوتاً من الصنم عن بعثة نبي في مضر وظهور دين الله الأكبر فيه سلامة من حر سقر، ثم عتر مرة أخرى بعد أيام، فسمع مرة أخرى صوتاً ينبّهه باتباع نبي مرسل جاء بالحق. ثم قدم عليه رجل من الحجاز فقال له: ما الخبر وراءك؟ فقال: ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه: أجيئوا داعي الله.

فقال: "هذا نبأ ما سمعت". فثار إلى الصنم فكسره جذاذا وركب راحلته حتى قدم على رسول الله ﷺ فشرح الله صدره للإسلام فأسلم وقال في ذلك شعراً:

كسرت يا جر أجزاذا و كان لنا ربا نطيف به ضلا بتضلال
 بالهاشمي هداانا من ضاللتنا ولم يكن دينه مني على بال
 يا راكبا بلغن عمرا وإخواتها إني لمن قال ربي يا جر قالي¹⁵

¹³ انظر: ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط 1:

1987م، دار الكتب العلمية، بيروت ص 51

¹⁴ مازن بن الغضوية بن غراب بن بشر الخطامي النبھاني الطائي: جد جاهلي. من الصحابة. من أهل عُمان. وفد على النبي ﷺ وأسلم.

[انظر: الإصابة: ت 7587]

¹⁵ انظر: سيرة ابن كثير: 149/1

ب- تثبيت الرسالة:

يقول حسان بن ثابت:

وقال الله قد أرسلتُ عبداً يقول الحق إن نفعَ البلاءِ
شهدتُ به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاءُ¹⁶

وقال العباس بن مرداس¹⁷ الذي أسلم قبيل فتح مكة، وعلى الرغم من حداثة إسلامه، فإن أثر الإسلام في شعره واضح متميز:¹⁸

يا خاتمَ النبأ إنك مرسل بالحق كل هدى السبيل هُداكا
إن الإله بنى عليك محبةً في خلقه ومحمداً سَمّاكا¹⁹

وقال في قصيدة أخرى:

¹⁶ انظر: ديوان حسان، ص 8-9

¹⁷ العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام. وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم. يُدعى فارس العُبَيد. كان بدوياً قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي صلعم لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ينزل في بادية البصرة، وبيته في عقيقها، كان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية. مات في خلافة عمر. له ديوان شعر.

[انظر: الإصابة: ت 4502 ؛ ابن سعد: 15/4 ؛ الشعر والشعراء: 101]

¹⁸ انظر: شعر المخضرمين، ص 290

¹⁹ انظر: سيرة ابن كثير: 645/3 ؛ الوافي في الوفيات: 2336/1

ولكن دين الله دينٌ محمد
أقام به بعد الضلالة أمرنا
رضينا به فيه الهدى والشرائع
وليس لأمر حمّه الله دافع²⁰

ج- العبادات:

ويقول الأعشى: ²¹

وصلّ على حين العشيات والضحي
وقال آخر: في الصوم:
ولا تحمد الشيطانَ والله فاحمدا

ألا إن شهر الصوم عنكم قد انقضى
وهل فيكم مستوحش لفراقه
فهل مرجع منكم لوشك انصرامه
وما فاته من صومه وقيامه
فلا تغفلوا يا قوم إخراج حقّه
وما شرعت إلا لتكفير لغوه ولم تُقضَ إلا طهراً لصيامه
فقد فاز من زكى وصلّى لربّه
وحاز بشهر الصوم تكفير عامه²²

وفي هذه الأبيات إشارة إلى الحديث التالي: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
فَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَةَ الْفِطْرِ.²³

²⁰ انظر: سيرة ابن هشام: 131/5 ؛ الروض الأنف، 396/1

²¹ انظر: ديوان الأعشى، ص 51

²² انظر: في هذه الأبيات وما بعدها اقتباس من الأحاديث الكثيرة المشهورة في فضائل الصوم، وزكاة الفطر،
وفضائل رمضان، ونزول الكتاب المقدسة فيه.

²³ انظر: البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الحر والمملوك، رقم الحديث: 1415

وقال آخر:

طوبى لعبد صام لله عن مطعومه شهراً ومشروبه
وصان عن قول الخنا صومه ولم يشبهه بأكاذيبه
والتمس الأجر على صومه من ربه في ترك محبوبه
فالصوم لله كما صحّ عن نبيه, والله يجزي به²⁴

والشاعر يشير في الأبيات الفوقانية إلى الحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ يَدْعُ
شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشَرِبَهُ مِنْ أَجَلِي وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ
حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ وَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.²⁵

وقال آخر:

شهر الصيام سيد الشهور كما أتى في الأثر المشهور
ولم يزل في سالف الدهور محترماً ذا بهجة ونور
فيه كما في الخبر المذكور نُزِّلَ بالتوراة يوم الطور
والذكر والإنجيل والزبور فاستكثروا فيه من القصور
في جنة الخلد بلا قصور واجتنبوا اللغو وقول الزور
وانتبهوا للعرش والنشور قبل حلول ظلمة القبور²⁶

²⁴ انظر: الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار, للسيوطي, تحقيق: علي حسين البواب, ط1:

1411هـ, المكتب الإسلامي, بيروت, ص: ص68-69

²⁵ انظر: البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى يريدون أن يدلوا كلام الله, رقم الحديث: 6938

²⁶ انظر: الازدهار: ص69

وللأحاديث التالية أثر واضح في الآيات:

عَنْ فَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَنْزَلْتُ
صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنْزَلْتُ التَّوْرَةَ لِسِتِّ مَضِينٍ مِنْ
رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلَ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ
رَمَضَانَ. 27

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ
طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. 28

وقال آخر:

شهر الصيام مبارك قد خصّه ذو الطول فيه بفضلته واختاره
فإذا أتى فتح الإله جنانه للصائمين له وأغلق ناره 29

والشاعر يتكلم في هذين البيتين عن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب جهنم
للصائم، ما ورد ذكره في الحديث التالي:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ
جَهَنَّمَ وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ. 30

27 انظر: مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث وائلة بن الأسقع، رقم الحديث: 16370، تعليق شعيب
الأرنؤوط: حديث ضعيف تفرد به عمران القطان وهو ممن لا يحتمل تفرده.

28 انظر: البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم الحديث: 1770

29 انظر: الازدهار، ص 68-69

30 انظر: البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً، رقم الحديث:

قال بعضهم:

إذا حاولت صومَ الدهر فاقصد صيام ثلاثة من كلِّ شهر
 وشهر الصبر, إن الصوم فيه يكفّر كل معصية ووژر
 ويجزي الربُّ فعل العبد فضلاً ولطفاً منه واحدةً بعشر³¹

لقد تناول الشاعر عن عدة موضوعات في هذه الأبيات, ما ورد ذكرها في الأحاديث النبوية p, وهي: وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ كَانَ كَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ.³²

وَعَنْ أَبِي عَثْمَانَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ p يَقُولُ شَهْرُ الصَّبْرِ [أي رمضان] وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ.³³

وقال رَسُولُ اللَّهِ p مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.³⁴

د- التوبة:

قال الشاعر:

1766
³¹ انظر: وردت أحاديث في أن من صام ثلاثة أيام من الشهر فقد صام الدهر كله [للحديث انظر: النسائي, كتاب الصيام, باب ذكر الاختلاف ... , رقم الحديث: 2366, صححه الألباني؛ الازدهار: ص90]
³² انظر: الترمذي, كتاب الصوم عن رسول الله, باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر, رقم الحديث: 692, صححه الألباني.
³³ انظر: النسائي, كتاب الصيام, باب ذكر الاختلاف ... , رقم الحديث: 2366 صححه الألباني.
³⁴ انظر: البخاري, كتاب الإيمان, باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان, رقم الحديث: 37

سبحان ذي الكرم العميم على الورى
 أفما ترى ذا اللطف بالإنسان
 يُدني أحبا الذنب الموحد ثم يذ
 كره به ويُقرُّ بالعصيان
 فإذا أقرَّ به وقد رجعتُ به شفقتاه عند الحاكم الديان
 ناداه في الدنيا عليك سترتها واليوم أشفع ذاك بالعُفْران³⁵

لقد تناولت هذه الآيات موضوع الحديث التالي:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرِ الْمَازِنِيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ سَمِعْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ
 كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ
 قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ
 وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.³⁶

وقال آخر:

إن لله عباداً كشفوا فيه القناعا
 هل رأيتم خادماً عا مل مولاة قضاعا
 وسأرويكم حديثاً قد سمعناه سماعا
 من دنا من ربه شب رأاً منه ذراعاً³⁷

³⁵ انظر: الازدهار: ص 57

³⁶ انظر: البخاري, كتاب المظالم والغصب, باب قول الله تعالى أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ, رقم الحديث: 2261

³⁷ انظر: الازدهار: 103-104

وفي هذه الآيات اقتباس الحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَذْكُرْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا.³⁸

وشاعر ثقيف, أبو محجن³⁹, عبد الله بن حبيب, وقد أسلم مع من أسلم من قومه, في السنة التاسعة للهجرة. وقد اشتهر بشربة الخمر, والعكوف عليها في الجاهلية, واستمر على ذلك في الإسلام, وقد حدّه عمر مراراً فلم يكف عنها, حتى اضطر إلى نفيه... وأخيراً تاب منذ ذلك الحين توبة نصوحاً عن معاطاة الخمر.⁴⁰

وقد حكى أبو محجن ما كان من تعلقه بالخمر, وسيطرتها على نفسه, وإنه

³⁸ انظر: مسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب الحث على ذكر الله تعالى, رقم الحديث: 2675
³⁹ أبو محجن: اختلف في اسمه, قيل عبد الله بن حبيب, وقيل: مالك بن حبيب, وقيل اسمه كنيته. صحابي.
من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام. شاعر, منهمك في الشراب لا يكاد يقلع عنه, ولا يردعه حد ولا لوم لائم, جلد مراراً فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه فلما كان يوم القادسية ورأى أن المشركين قد أصابوا من المسلمين فأرسل إلى امرأة سعد أن تخلي سبيله, ففعلت, حتى لحق بالقوم فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله, حتى هزمهم الله ورجع إلى القيود كما كان. فلما عرف سعد قصته أقسم ألا يجلده أبداً, وأقسم أبو محجن أن لن يشرب الخمر أبداً.

[انظر: الاستيعاب: 561/1]

⁴⁰ انظر: طبقات الشعراء: ص 226

يستهيئ حتى بإقامة الحد عليه في سبيلها: 41

ضربت فلم أجزع ولم أك جازعاً
وإني لذو صبر وقد مات إخوتي
رماها أمير المؤمنين بحتفها
ألا سقني يا صاح خمراً فإنني
وُجد لي بها صرفاً لأزداد مأثماً
هي النار إلا أنني نلتُ لذة

لحادث دهر في الحكومة جائر
ولستُ عن الصهباء يوماً بصابر
فخلانها سيكون حول المعاصر
بما أنزل الرحمن في الخمر عالمُ
ففي شربها صرفاً تتم المآثم
وقضيتُ أوطاري وإن لام لائمُ

وذلك كان في عهد الغواية والضلال, والإصرار على المعصية. أما وقد تاب,

فيعاهد الله ألا يعود إليها, ويأمل مغفرة من عند الله, فهو الغفور الرحيم, يقول: 42

أتوبُ إلى الله الرحيم فإنه
ولستُ إلى الصهباء يوماً بعائد
وكيف وقد أعطيتُ ربي موثقاً
سأتركها مذمومةً لا أذوقها

غفورٌ لذنب المرء ما لم يُعاود
ولا تابع قول السفية المعاندِ
أعودُ لها والله ذو العرش شاهدي
وإن رَغِمَت فيها أنوفُ حواسدي 43

هـ- النواهي:

ويقول الأعشى: 44

41 انظر: شعر المخضرمين, ص 188

42 انظر: نفس المصدر, ص 189

43 انظر: ديوان أبي محجن, صنعة أبي هلال العسكري, نشره: صلاح الدين المنجد, ط 2: 1964م, المطبعة

النموذجية, مصر: ص 12

44 انظر: ديوان الأعشى, ص 11-103

فإياك والميتان لا تأكلنها ولا تأخذن سهماً حديداً لتفصدا

يقول أبو محجن - وقد مرّ ذكره - في هجر الخمر:

رأيت الخمر سالحة وفيها مناقب تهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي ولا أشفى بها أبداً سقيماً⁴⁵

ويقول في ذمّها وباطلها:

يقول رجالٌ لي اشرب الخمر إنهما إذا القوم نالوها أصابوا المغانما
فقلت لهم جهلاً كذبتهم ألم تروا إذا شرب المرء الليب مداماً
وأضحى وأمسى مستخفاً مهيماً نفي الدين عنه واستحلّ المحارماً
وحسبك عاراً أن ترى المرء هائماً⁴⁶ فقيلاً في ذم النبيذ:

أما النبيذ فقد يزري شاربه ولا نرى أحداً يزري به الماء
الماء فيه حياة الناس كلهم وفي النبيذ إذا عاقرتة الداء⁴⁷
ويقول الأعشى في ذمّ الزنا:

ولا تقربنّ جارةً إن سرها عليك حرامٌ فانكحن أو تأبداً⁴⁸

ومنها ما حدث لمازن بن الغضوية - الذي مرّ ذكره آنفاً - قال للنبي p بعد أن

⁴⁵ انظر: الأغاني: 3/19

⁴⁶ انظر: ديوان أبي محجن: ص 15

⁴⁷ انظر: تاريخ دمشق: 180/48

⁴⁸ انظر: ديوان الأعشى: ص 103

أسلم: يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب و باللهو إلى النساء و شرب الخمر و ألت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن السراري و ليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد و يأتينا بالحياء و يهب لي ولد.

فقال النبي p : (اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ بِالطَّرْبِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَبِالْحَرَامِ الْحَلَالَ وَ بِالْأَثْمِ وَبِالْعَهْرِ عَقَّةً وَآتِهِ بِالْحَيَاءِ وَهَبْ لَهُ وَلَدًا).

قال فأذهب الله عني ما أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر وحفظت شطر القرآن ووهب لي حيان بن مازن و أنشأ يقول:

إليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج

إلى معشر خالفت في الله دينهم فلا رأيهم رأبي ولا شرحهم شرجي

وكنت امرءا بالخمر و العهر مولعا شبابي حتى آذن الجسم بالنهج

فبدلني بالخمر خوفا وخشية وبالعهر إحصانا فحصن لي فرجي

فأصبحت همي في الجهاد ونيتي فله ما صومي والله ما حجي⁴⁹

و- الأخلاق:

الرفق:

⁴⁹ انظر: سيرة ابن كثير: 149/1؛ انظر: جمع الزوائد، كتاب علامات النبوة، باب فيمن أخبر بنبوته p، رقم الحديث: 13911، وقال الهيثمي: رواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وكلاهما متروك.

الرفق يُمنُّ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ في رفقٍ تلاقٍ نجاحاً
لا خير في حزمٍ بغيرِ رويّةٍ والشكُّ وهنٌّ إن أردتَ سراحاً¹

ففي هذين البيتين ذكر الحديث التالي:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمُ الرَّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ.²

الرحم:

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم من في السماء فباعِدْ عنك وَسْواساً
وقل أعود برب الناس منك إذا لا يرحم الله مَنْ لا يرحم الناس³

وقال آخر: ⁴

بادر إلى الخير يا ذا اللب مغتتماً ولا تكن من قليل العرف محتشماً
واشكر لمولك ما أولاك من نعمٍ فالشكر يستوجب الإفضال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعمهم فإنما يرحم الله من رحماً

تتناول هذه الأبيات الحديث التالي:

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ⁵ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ.¹

¹ انظر: تاريخ بغداد 166/7؛ ديوان النابغة: 28 (طبعة دار صادر)

² انظر: مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 4696

³ انظر: الازدهار: ص 82

⁴ انظر: الازدهار: ص 96-97

⁵ انظر: جرير بن عبد الله البجلي، أبو عمرو: أسلم في السنة التي قبض فيها النبي ﷺ ووجهه رسول الله ﷺ إلى ذي الخلصة فهدمه ونزل الكوفة بعد ذلك وابتنى بها داراً في بجيلة وتوفي بالسراة عام 46 هـ. [الطبقات:

النَّاسَ.¹

وقال آخر:

يا ملوكَ الجمال نحن أسارى في هواكم, وقد عدمنا الغداء
فارحمونا, فإنما يرحم الله ه تعالى من خلقه الرحماء²

ففي هذين البيتين ورد ذكر الحديث التالي:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ³ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ ﷺ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
وَسَعْدُ وَأَبِي نُحَيْبٍ نَحْسَبُ أَنَّ ابْنَتِي قَدْ حُضِرَتْ فَاشْهَدْنَا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا السَّلَامَ وَيَقُولُ إِنَّ لِلَّهِ مَا
أَخَذَ وَمَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى فَلْتَحْتَسِبْ وَلْتَصْبِرِ فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ فَقَامَ
النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْنَا فَرَفَعَ الصَّيِّ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَفْسُهُ جُحِّثُ فَفَاضَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ
سَعْدُ مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا
يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الرَّحْمَاءَ.⁴

العفو والسمح:

[355/6

¹ انظر: البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن), رقم الحديث: 6828

² انظر: الازدهار: ص 97-98

³ أسامة بن زيد بن حارثة: صحابي جليل. نشأ على الإسلام, كان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً. هاجر مع النبي إلى المدينة, وأمره رسول الله, قبل أن يبلغ العشرين. رحل إلى وادي القرى بعد وفاة الرسول, ثم انتقل إلى الشام في أيام معاوية. عاد إلى المدينة وتوفي فيها عام 54 هـ. له 128 حديثاً.

[انظر: الطبقات: 42/4 ؛ تهذيب: 391/2-399 ؛ الإصابة: 29/1]

⁴ انظر: البخاري, كتاب المرضى, باب عيادة الصبيان, رقم الحديث: 5223

قال الشاعر: ¹

إن تُرِدْ أن تكونَ من رحمة اللِّه
فأرحمِ الناسَ رأفةً وأعفُ عنهم
ه قريباً وفي النعيم مقيماً
إنما يرحمُ الرحيم الرحيمَا

وقال الشاعر:

سامِحْ أخاك الدهرَ مهما بدتْ
وارحم لتلقي رحمةً في غدٍ
منه ذنوبٌ وقعها يعظُمُ
فرئنا يرحمُ من يرحمُ ²

ففي هذه الأبيات جاء ذكر الحديثين التاليين:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ³ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ صَلِّ مَنْ
قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ... ⁴
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ. ⁵

¹ انظر: الازدهار: ص 98

² أيضاً.

³ عقبة بن عامر بن عيس بن مالك الجهني: أمير. من الصحابة. كان رديف النبي ﷺ وشهد صفين مع معاوية، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. وولي مصر سنة 44 هـ، وعزل عنها سنة 47 وولي غزو البحر. ومات بمصر عام 58 هـ. كان شجاعاً فقيهاً شاعراً قارئاً، من الرماة. وهو أحد من جمع القرآن.

[انظر: الإصابة: ت 5603]

⁴ انظر: مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني، رقم الحديث: 16810، قال شعيب

الأرنؤوط: إسناده حسن

⁵ انظر: مسند أحمد، من مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث: 2122، صححه

شعيب الأرنؤوط.

ز- الجهاد:

ولما جاء الإسلام لإعادة الإنسانية إلى مسارها الصحيح, لم يكن من اليسير أن ينساب إلى جميع القلوب, وإنما واجه مشاكل كثيرة في تحرير الفكر من الوثنية, واجتثاث رواسب الشرك. وإزاء هذا المسعى كان لا بدّ أن تكون هناك صيغ جديدة في التفاعل والمواجهة مع مشركي قريش بعد أن يصبحوا يشكلون خطراً يترصد بالإسلام ويهدده. فكان تعاليم الإسلام (القرآن والحديث) في هذا الجانب تشكل توجهاً جديداً في أسلوب المعالجة, وطريقاً متميزاً في إلهاب مشاعر المسلمين وإعدادهم لخوض معارك الإسلام.

كان الشعر أيضاً أميناً في استلهاهم تلك التعاليم والمبادئ, وتمثّلها, بعد أن أضحت جزءاً من عقيدة العرب وأخلاقيتهم. فحرص الشعراء المسلمون على إبراز تعاليم الإسلام من قيم الجهاد والإقدام, وعلى بيان مغزى التضحية, واستطابة الموت دفاعاً عن الرسالة, فصوّروا قيمة الشهادة, وما أعدّ الله للشهيد من منزلة وفضل في الآخرة, ومجد مؤثّل في الحياة, ولم يغفلوا عن الإشارة إلى آداب الحرب الإسلامية, مثل رعاية الأسرى, وغيرها من القيم الكريمة.

الجهاد والإقدام:

بعث الله نبيه - عليه السلام - مبشراً ونذيراً, ليبشر من آمن به واتبع ما جاء به, ولينذر من كفر به واتبع هواه. واستمر النبي μ في دعوته, وظلّ يدعو قريشاً في مكة (13) سنة, فما آمن منهم إلا قليل, وظلّ أكثرهم أعداء للإسلام وأهله.

كان الرسول الكريم نموذجاً لصبر, ورمزاً لتحمل جحود المشركين وعنادهم

الأعمى. وكان كلما دعاهم إلى سبيل الله جعلوا أصابعهم في آذانهم, واستكبروا عن الاستجابة للحق والخير, واستمروا في غيِّهم وأوغلوا في اضطهاد المسلمين وتعذيبهم, مما حملهم إلى الهجرة.

ولما أصبحت حرية العقيدة مهددة, فكان لا بد من تغيير سياسة المسالمة التي انتهجها الإسلام, وظهر جلياً ضرورة الدفاع عن النفس ضد أي عدوان, والدفاع عن حرية العقيدة, أذن الله نبيه المرسل والمسلمين للمواجهة مع قوى الشرك بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾¹ وكذلك أكد القرآن على بواعث الجهاد وأسباب, وما أعدَّ الله من أجر وثواب للمجاهدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾² وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾³ وأيضاً قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْبَرَكَاتُ أَكْبَرُ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَحْجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَظِيمٌ﴾⁴

كما هناك عدة أحاديث تمثل صورة الإيمان الصادقة لتحقيق كلمة الله لتكون العليا. فقال عليه الصلاة والسلام: (غَدَوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا

¹ الحج: 39-40

² البقرة: 218

³ الأنفال: 74

⁴ التوبة: 20

فِيهَا)⁵ ولكون الجهاد فرضاً أمره الله تعالى فهو أعلى مراتب العبادة التي يؤديها الإنسان تجاه خالقه, وقد أكد الرسول ρ على هذه الناحية. فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ρ قال: (رِبَاطُ يَوْمٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ)⁶.

إن الجهاد لا يقتصر على حمل السلاح, بل إن الإنفاق في سبيل الله, وتجهيز المجاهدين, ورعاية عوائلهم هو وجه آخر من وجوه الجهاد, فقال ρ : (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ, فَقَدْ غَزَا, وَمَنْ حَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)⁷.

وكما ورد في القرآن شرف المجاهدين وفضلهم, أكد عليه الرسول ρ : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)⁸. وقال ρ أيضاً في شرف الجهاد: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَعَزُّو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَعَزُّو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَعَزُّو فَأُقْتَلُ)⁹.

لقد استقرت قيمة الجهاد في نفوس الصحابة ومن جاء بعدهم, التي دفعتهم إلى الخروج من جزيرة العرب, قوافل هادرة, امتثالاً لأمر ربهم, وكانوا يرون الموت في سبيل ذلك أمنية غالية وعزيزة, وسعادة متناهية لا تعادلها سعادة.

والناطقة الجعدي نموذج للشاعر المجاهد الذي آمن بالجهاد ملبياً للإسلام (القرآن

⁵ مسلم, كتاب الإمارة, باب غدوة أو روحة في سبيل الله, رقم الحديث: 1881

⁶ انظر: مسند أحمد, مسند المكثرين من الصحابة, مسند عبد الله بن عمرو بن العاص, (6366), قال الأرئوط: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف.

⁷ انظر: مسلم, كتاب الإمارة, باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله, رقم الحديث: 3494

⁸ انظر: مسلم, كتاب الإمارة, باب الجهاد والرباط, رقم الحديث: 3502

⁹ انظر: مسلم, كتاب الإمارة, باب الجهاد والخروج في سبيل الله, رقم الحديث: 3484

والحديث), ولم يسمع نداء زوجته, ولم يلتفت لدموعها:¹⁰

باتت تذكّرني بالله قاعدهً والدمعُ ينهلُ من شأنيهما سبلا
يا بنت عمّي¹¹ كتاب الله أخرجني كرهاً وهل أمنعنَّ الله ما فعلا
فإن رجعتُ فربُّ الناس يُرجعني وإن لحقتُ بربي فابتغي بدلا
ما كنتُ أعرجُ أو أعمى فيعذرني أو ضارعاً من ضنّي لم يستطع حولا

فمازن بن الغضوية الطائي بعد أن أسلم وحسن إسلامه, وحفظ شطراً من القرآن الكريم, قال:

فأصبحت همّي في الجهادِ ونيّتي فله ما صومي ولله ما حجّي¹²
خرج عبد الله بن المبارك¹³ وبعث بالأبيات التالية إلى الزاهد الناسيك الفضيل بن عياض, وهو مجاوراً بمكة:
يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا لعلمتَ أنّك في العبادة تلعبُ

¹⁰ انظر: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة 23 هجرية, إعداد: أيهم عباس حمودي, ط1:

1406هـ, مكتبة النهضة العربية, بيروت: ص157

¹¹ انظر: أساس البلاغة, للزمخشري, ط2: 1973م, مصر, مادة (كتب), وفي شعر النابغة الجعدي, يا ابنة عمي

194

¹² انظر: أسد الغابة: 6/5-7

¹³ عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء, التميمي, المروزي أبو عبد الله الرحمن: الحافظ شيخ الإسلام, المجاهد التاجر, صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار, حاجاً ومجاهداً وتاجراً. وجمع الحديث والفقهاء العربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان, ومات بهيمت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم سنة 181 هـ. له كتاب في (الجهاد) و (الرقائق).

[انظر: تذكرة الحفاظ: 1/253؛ حلية الأولياء: 8/162؛ شذرات الذهب: 1/295]

من كان يَخْضِبُ جِدَّهُ بدموعه
 أو كان يُنْعِبُ خَيْلَهُ في باطلٍ
 رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ, ونحن عبيْرنا
 ولقد أتانا من مقالِ نبيِّنا
 لا تستوي أَعْبَارُ خَيْلِ اللهِ في
 هذا كتابُ اللهِ يَنْطِقُ بيننا
 فنحورنا بدمائنا تتخَضَّبُ
 فخيولنا يوم الصبيحة تَتَعَبُ
 وَهَجُ السِّنَابِكِ وَالْعُبَارُ الأَطِيبُ
 قولٌ, صحيح صادقٌ, لا يكذب:
 أنفِ امرئٍ, ودخانُ نارٍ تلهب
 ليس الشهيد بميتٍ لا يكذب¹⁴

فلما قرأ الأبيات ذرفت عيناه ثم قال صادق, ثم ذكر الحديث في فضيلة المجاهد:
 أن رجلا قال يا رسول الله علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال له
 النبي ﷺ هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر وتصوم فلا تفطر فقال يا نبي الله أنا اضعف من
 أن أستطيع ذلك ثم قال النبي ﷺ فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل
 المجاهدين في سبيل الله أما علمت أن فرس المجاهدين ليستن في طوله فتكتب بذلك
 الحسنات.

وفي هذه الأبيات إشارة إلى الحديث الشريف ورد في سنن الترمذي: عن أبي هريرة
 قال: قال رسول الله ﷺ لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ
 وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ.¹⁵

ح- الزهد:

¹⁴ انظر: أسد الغابة: 7-6/5

¹⁵ انظر: سنن الترمذي: كتاب فضائل الجهاد, باب في فضل الغبار في سبيل الله, رقم الحديث: 1557,
 صححه الألباني, قال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الشاعر:

كن زاهداً فيما حَوَتْ أيدي الوري تَضْحَى إلى كلِّ الأنام حبيباً
أو ما ترى الخطّاف حَرَمَ زادهم فغدا ربيباً في الحجور قريباً¹⁶

وقال آخر:

إذا شئت أن تستجلب الودّ دائماً من الناس موثوقاً بكل وثاق
فكن زاهداً فيما حوته أكفهم وفارق مودّات الهوى بطلاق¹⁷

تتناول هذه الأبيات موضوع الزهد الوارد في الحديث التالي:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ¹⁸ السَّاعِدِيِّ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي
عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ.¹⁹

2- عرّف الإسلام الأدب العربي بصنف جديد من الشعر بعد ظهور الإسلام.

لقد نهج الشعراء المسلمون لمدح الرسول ﷺ منهجاً يجمع بين دقة الغزل وقوة المدح
وصدق الوصف, حتى صار مثل هذا المدح فيما بعد غرضاً شعرياً بعينه, سمي في اللغة

¹⁶ انظر: الازدهار, ص48

¹⁷ انظر: الازدهار, ص74

¹⁸ سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري, من بني ساعدة (ت 91 هـ): صحابي, من مشاهيرهم. من أهل المدينة. عاش نحو مئة سنة. له في كتب الحديث 188 حديثاً.

[انظر: الإصابة: ت 3526]

¹⁹ انظر: سنن ابن ماجه, كتاب الزهد, باب الزهد في الدنيا, رقم الحديث: 4092, صححه الألباني.

العربية بـ (النبوية) وبلغات إسلامية أخرى بـ (النعته).²⁰

ولم تؤثر هذا الصنف من الشعر في الشعر العربي فقط، وإنما تأثرت بها لغات أخرى غير العربية، مثل الفارسية والأردية والهندية والبشتو وغيرها من اللغات. والقصائد التي نظمت في مدح النبي ρ فهي كثيرة جداً، غير أننا نذكر بعضاً منها، ونقدم نماذجها:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هِدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ قِرَآنٍ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورُ²¹

يروى أن كعب لما قال هذا البيت (إن الرسول لنور ...) خلع عليه النبي ρ برده، وألقاها على كتفيه، ومن ذلك إطلاق اسم (البردة) على القصيدة.²²

وشاعر الإسلام حسان بن ثابت يقول:

أَغْرُّ عَلَيْهِ لِلنَّبِوَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَاهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدِّنِ أَشْهَدُ
وَشَقَّقَ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفِتْرَةٍ مِنْ الرَّسُولِ وَالْأَوْثَانُ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
فَأَمْسَى سَرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ
وَأَنْذَرْنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ
وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلِكَ مَا عَمَّرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ

²⁰ انظر: تاريخ الأدب العربي، محمد رشيد الحسني الندوي، ومحمد الرابع الحسني الندوي، 60/2

²¹ انظر: ديوان كعب، قصيدة بردة، ص 65-66

²² انظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخ، لحنا الفاخوري، 441/1

تعاليت ربّ الناس عن قول من دعا سواك إلهاً أنت أعلى وأجحدُ
لك الخلق والنعماء والأمرُ كُلُّه فإيّاك نستهدي وإيّاك نعبد²³

3- إن الإسلام دين مكارم الأخلاق والمثل العليا. فقد قال النبي p : "إنما بعثت
لأتمم مكارم الأخلاق".²⁴ وقال الله عز وجل: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.²⁵ وقال أيضاً: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
... 26

وقد عنى الإسلام بالضعفاء، ودعا إلى نصفتهم ومعونتهم، ورفع من شأنهم
وبخاصة النساء والأطفال واليتامى، فمن ضمن حقوقهم في الميراث والزواج، كما عنى
بالحياة المعيشية، فوضع حداً للفروق المادية الواسعة بين المسلمين، فأكد الزكاة وهي في
مصلحة الفقير، كما حث على الإنفاق والصدقة، ونهى عن اكتناز الأموال، من ذهب
وفضة، وحرّم الربا، وكان مستفحلاً في مجتمع مكة وفي المدينة، وبخاصة عند اليهود، وعند
نصارى نجرى.²⁷

أما الحياة الخلقية فقد تناولها الإسلام بالصقل والتهذيب، فوجه الناس نحو الآداب

²³ انظر: ديون حسان: ص 47-48

²⁴ انظر: المستدرک، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء، من کتاب آیات رسول الله، رقم الحديث: 4221،
هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم.

²⁵ آل عمران: 164

²⁶ آل عمران: 159

²⁷ انظر: فتوح البلدان: ص 67 و 75

العامّة، وجعل من خلق المسلم الحياء وغيض الأبصار عن النساء، وحرّم الخمر والميسر والزنا، وأبطل أنواعاً مريبة من الزواج، وجعل الزواج عقداً بين طرفين، فحظ كيان الأسرة وحدد عدد الزوجات، وفضل واحدة.

وحتّى على مراعاة الجار وحفظ حقوقه، وجعل من شيم المسلم الصبر في البأساء، والحلم والتسامح، والعفو عند الاقتدار، والعدل وحفظ الذم، ووفاء العهود والأمانة، والدعوة إلى الإحسان والعمل الصالح، ومحاربة الإثم والعدوان والبغي، وقد جعل الطيش والتهور، والتناصر بالباطل، وحمية الجاهلية وعصبيتها، من رذائل الجاهلية وضلالاتها.²⁸

فكان من الطبيعي أن تمحو المثل الرديئة الضارة التي كانت تسود البيئة الجاهلية والتي جعلت سلوك العرب الجاهليين، مثل الامتيازات القبلية والهجو ووآد البنات وشرب الخمر وغيرها من المثل التي سببت الانحطاط الخلقي في العصر الجاهلي.

وكما أن الأدب مرآة المجتمع، فأثر الإسلام هذا في المجتمع العربي جليّ في شعرهم. فنرى أن كثيراً من أغراض الشعر الجاهلي ضعفت بمجيء الإسلام وحلّت محلّها أغراض إسلامية أخرى.

4- تطهير الشعر من الشرك والوثنية: كان العرب قوماً مشركين، يعبدون

الأصنام. ولما بُعث النبي μ كان حول الكعبة حوالي (360) صنماً. ومن أصنامهم: مناة التي كانت تعظمها الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قرب منهما،²⁹

²⁸ انظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص33

²⁹ انظر: الأصنام، هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط2: 1924م، دار الكتب المصرية،

واللات التي اتخذها أهل الطائف, وكانت قريش وسائر العرب تعظمها,³⁰ والعزى وكانت أعظم الأصنام عندهم,³¹ وكان العرب يطوفون بالكعبة ويقولون: واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى, فإنها الغوانيق العلاء, وإن شفاعتهن لترتجى. وزعموا أنها بنات الله وشفعاؤه إليه, قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾³².

ومن أصنامهم الأخرى: سواع, وود, ويغوث, ويعوق, نسرا. وهذه الأصنام ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾³³.³⁴

والشعر الجاهلي أيضاً حافل بما يشير إلى هذه الوثنية والشرك. وكانت شيمة العرب أن يذكروا الأصنام بأسمائها والافتخار بها, فمن أشعارهم فيها:
يقسم طرفة بالنصب في قوله:

فأقسمت عند النصبِ إني لهالك بمتلفَةٍ ليستِ بَعْبَطُ ولا خفض³⁵

وأقسم المتلمس بالأنصاب وباللات في قوله يهجو عمرو بن المنذر³⁶:

³⁰ انظر: الأصنام: ص 16

³¹ أيضاً

³² النجم: 19-23

³³ نوح: 23

³⁴ انظر: الحياة العربية في الشعر الجاهلي, ص 388

³⁵ انظر: شرح ديوان طرفة: ص 63

أطردتني حذرَ الهجاء , ولا
وأقسم عبد العزى بن وديعة المزني بمناة:³⁷
واللات والأنصاب لا تئمل

إني حلفت يمين صدق برّة³⁸
بمناة عند محل آل الخزرج

على كلّ, فقد كان للوثنية دور هامّ في حياتهم, فكانوا ينذرون أن يذبحوا عند
الأصنام, ويستقسمون عندها ...

ولهم فيها شعر كثيرٌ, منها ما ذكر الجاحظ أن الرجل كان ينذر أن يذبح عند
الأصنام كذا عتيرة, إذا بلغت إبله أو غنمه كذا, فإذا اكتمل العدد استعمل التأويل,
وقال: إنما قلت إني أذبح كذا شاة, والظباء شاء كما أن الغنم شاء, فيجعل قربانه شاء
كله مما يصيده من الظباء³⁹, ولذلك يقول الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته:

أم علينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

عناً بطلا, وظلماً, كما تُعتر عن حُجرة الرّبيض الظباء⁴⁰

³⁶ عمرو بن المنذر اللخمي: ملك الحيرة في الجاهلية. عرف بنسبته إلى أمه هند (عمة امرئ القيس الشاعر) تمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر (ابن أمامة) أما نسبه فهو: عمرو بن المنذر الثالث ابن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود, من بني لحم, من كهلان. ملك بعد أبيه. واشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغسانيين وأهل اليمامة. وهو صاحب صحيفة المتلمس, وقاتل طرفة بن العبد الشاعر. وفي أيامه ولد النبي p. واستمر ملكه خمسة عشر عاماً. وقتله عمرو بن كلثوم الشاعر.

[انظر: ابن خلدون: 265/2 ؛ الكامل: 154/1]

³⁷ انظر: الأصنام: 16

³⁸ نفس المصدر, ص 14

³⁹ انظر: الحيوان: 18/1

⁴⁰ انظر: شرح القصائد العشر 128

وكان كثير منهم يخضع لما تتخيره له قداحه, وللقداح الرأي الفصل, قال شمعة بن⁴¹ أخضر الضبي:

رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح إذا استشارا⁴²

وكان فيهم عباد الشمس, يسجدون لها إذا أشرقت, وإذا توسطت السماء, وإذا غربت, لذا نهي رسول الله ρ عن الصلاة في هذه الأوقات, كما قال طرفة في الأسنان:
بدلته الشمس من منبتا برداً أبيض مصفو الأشر⁴³

فلما جاء الإسلام نفى الشرك بجميع أنواعها في أي صورة كان, لأنه دين التوحيد. وكان الشرك هو الذي من أجله خالف المشركون الإسلام وآذوا النبي ρ والمسلمين.

فنى في القرآن آيات تدم آلهة المشركين, قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ. إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾⁴⁴

فاتبع النبي ρ أسلوب القرآن, فأظهر برائته من هذه الأصنام, فقال - عليه

⁴¹ شمعة بن الأخضر بن هبيرة الضبي: شعر فارس جاهلي. له أبيات يذكر بها مقتل بسطام بن قيس الشيباني, يوم (الشقيقة) بعد البعثة النبوية بقليل. وهو من شعراء (الحماسة) وله فيها أبيات أيضاً.

[انظر: التبريزي: 16/4؛ المؤلف والمختلف: 141]

⁴² انظر: البيان والتبيين: 104/4

⁴³ انظر: ديوان طرفة: 65

⁴⁴ النجم: 19-23

الصلاة والسلام: وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَاللَّهُ لَا أَعْبُدُ أَبَدًا.¹

وعلم p أصحابه أن هذه الأصنام ليست بشيء , وأن يعبدوا الله وحده , فهذا هو يقدم على من سأله عما جاء به قال الرجل:

فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ بِمِ أْتَيْتَنَا بِهِ قَالَ p لَمْ آتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ أَتَيْتُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... وَأَنْ تَدْعُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَأَنْ تَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَأَنْ تَصُومُوا مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا وَأَنْ تَحْجُوا الْبَيْتَ وَأَنْ تَأْخُذُوا مِنْ مَالٍ أَعْنِيَائِكُمْ فَتَرُدُّوهَا عَلَىٰ فُقَرَائِكُمْ قَالَ فَقَالَ هَلْ بَقِيَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْءٌ لَا تَعْلَمُهُ قَالَ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.²

فاجترأ الناس على ذم الأصنام, فمنها قصة من علمه - عليه السلام - أن يعبد الله وحده, ويخلع هذه الأنداد ولا يشرك به شيئاً, ويؤدّي الصلوات الخمس, والزكاة والحج, ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال بمسّت اللات والعزى قالوا مه يا ضمام اتق البرص والجذام اتق الجنون قال ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان إن الله عز وجل قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله إني قد

¹ انظر: مسند أحمد, مسند الشاميين, حديث جابر الخديجة بنت خويلد, رقم الحديث: 17268, تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابه.

² انظر: مسند أحمد, باقي مسند الأنصار, أحاديث رجال من أصحاب النبي, رقم الحديث: 22046, قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناده رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابه.

جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا.¹

فالشعراء أيضاً قالوا في هذه الأصنام ما قالوا من الدم, فهذا بجبير بن زهير يقول:

إلى الله- لا العزى ولا اللات- وحده فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم , لا ينجو وليس بمفلت من النار إلى طاهر القلب مسلم

وكذلك الشاعر ذيان بن الحارث التميمي لما أسلم طلق صنمه "فراضاً", قال:²

تبع رسول الله إذ جاء بالهدى وخلفت فراضاً بدار هوان
شددت عليه شدة فتركته كأن لم يكن, والدهر ذو حدثان

5- كان الرسول ρ أكثر الناس تأثراً بالقرآن الكريم. فالقرآن أثر في روحه ρ

وفكره وشخصيته تأثيراً عميقاً. ونتج عن ذلك أنه ρ كان يقتبس من القرآن كثيراً في حياته اليومية - في خطبه ووعظه

فما لبث أن خطا الصحابة خطواته, وأخذوا يقتبسون من القرآن, متبعين قول الله

عز وجل: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.³

فنرى كثيراً من الشعراء الإسلاميين الذين زينوا شعرهم بألفاظ القرآن ومعانيه, ومن

أمثلتها:

¹ انظر: مسند أحمد, مسند بني هاشم, باقي مسند الأنصار, بداية مسند عبد الله بن عباس, رقم الحديث: 2260, حسنه شعيب الأرناؤوط.

² انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 342/1 ؛ ونهاية الأرب: 153/18-154

³ الأحزاب: 21

قال ابن سناء المملك¹:

رحلوا فليستُ مُسائلاً عن دارهم أنا باخع نفسي على آثارهم²
قال ابن الرومي في الهجاء:

لئن أخطأتُ في مدحِي لك ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاحاتي بوادٍ غيرِ ذي زرع³

وكذلك وردت معانٍ وألفاظ قرآنية في أبيات للحصين⁴ بن الحمام، وهي من قصيدة مطلعها:

وقافية غير أنسية قرضتُ من الشعر أمثالها⁵

وقال:

فلم يبقَ من ذاك إلا التقى ونفسٌ تعالجُ آجالها

¹ هبة الله بن جعفر بن سناء المملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد: شاعر من النبلاء. مصري المولد. توفي في مصر أيضاً عام 608هـ. كان وافر الفضل، رحب النادي، جيد الشعر، بديع الإنشاء. كتب في ديوان الإنشاء بمصر مدة. له (دار الطراز) و (فصوص الفصول) و (روح الحيوان).

[انظر: ابن خلكان: 188/2 ؛ شذرات: 35/5]

² انظر: خزانة الأدب: 457/2

³ انظر: خزانة الأدب: 456/2

⁴ الحُصَيْن بن حُمام بن ربيعة المريّ الذبياني، أبو يزيد: شاعر فارس جاهلي. كان سيد بني سهم بن مرة (من ذبيان) ويلقب (مانع الضيم) في شعره حكمة. هو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. مات قبيل ظهور الإسلام، وقيل: أدرك الإسلام. له ديوان شعر.

[انظر: المؤتلف والمختلف: ص 91 ؛ الشعر والشعراء: ص 247]

⁵ انظر: الأغاني: 14/14-15 ؛ المفضليات: ص 101

أمورٌ من الله فوق السما
 أعوذُ بري من المخزياً
 وخفَّ الموازين بالكافرين
 ونادى منادٍ بأهل القبو
 وسعرتِ النارُ فيها العذا
 بُ وكان السلاسلُ أغلالها¹

6- الاقتباس من الحديث:

المصدر الثاني للإسلام - بعد القرآن - هو الحديث الشريف. والمسلمون هم أكثرهم تأثراً به بعد القرآن. ولا تقتصر أهمية الحديث في كونه مبيّناً للقرآن، ومفصّلاً ومقيّداً له، بل له أهمية أدبية كبيرة. إن الحديث هو كلام الإنسان الذي علّمه ربّه فأحسن تعليمه، وأدّبه فأحسن تأديبه،² والذين أوتي جوامع الكلم³ ومواعظ الحكم. فكانت الصحابة يلقون السمع إلى كلامه، ويحفظونه، ويبلّغونه إلى الغائب. فأدّى ذلك إلى تأثرهم الشديد بكلامه.

فالشعراء في عصره p وبعده أخذوا يقتبسون من الحديث الشريف، وبدأوا يزيّنون أشعارهم بدُررِ كلامه، حتى صار هذا العمل فناً من فنون علم البديع المعروف بـ "الاقتباس".

¹ أيضاً

² انظر: كنز العمال، 534/11؛ (31895)، ضعفه المناوي والسخاوي.

³ انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب في قول النبي p (نصرت بالرعم مسيرة شهر)، رقم الحديث:

وقال أبو جعفر الأندلسي¹:

لا تعادِ الناس في أوطانهم
وإذا ما شئتَ عيشاً بينهم
وقال الصاحب³:

أقول وقد رأيتُ له سحاباً
وقد سحّت غواديها بهطلٍ
قلّما يُرعى غريبُ الوطن
خالق الناس بخلقٍ حسن²
من الهجران مقبلةً علينا
حوالينا الصدودُ ولا علينا⁴

7- الشعر الملتزم:

الالتزام في اصطلاح الأدباء والنقاد فهو أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكرياً محدّداً من الأفكار، أو عقيدة من العقائد، أو نظرية من النظريات أو فلسفة من الفلسفات سواء أكان ما يلتزم به دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً أم نحو ذلك، بحيث يكون أدبه نابعاً مما اعتقده ممثلاً لما اعتنقه، غير حائد عنه، أو خارج عليه.⁵

¹ أبو جعفر الأندلسي (م نحو 772هـ) أديب قوي الإدراك، أجاد في فني النظم والنثر وجرّت له لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات، وله ديوان شعر.

[انظر: تاريخ دمشق: 117/5]

² انظر: خزانة الأدب: 473/2

³ الصاحب: هو إسماعيل بن عباد الطالقاني: لقب بالصاحب لصحته مؤيد الدولة. وزير غلب عليه الأدب. فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديراً.

[انظر: الأعلام: 316/1]

⁴ انظر: خزانة الأدب: 472/2

⁵ انظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص 119

فالشعر الإسلامي ولد على الالتزام, ونبت في منابته منذ انطلقت أول قافية على لسان أول شاعر من شعراء الرسول صلوات الله وسلامه عليه في المدينة, ثم عاش ملتزماً طوال تلك القرون التي خلت, وسيظل ملتزماً - بتوفيق الله - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد أخذنا¹ كيف أرشد النبي ρ أصحابه الشعراء الذين سكتوا عن نظم الشعر لما نزل القرآن في ذمّه, وفهّمهم ما أراد الله به, حتى شجّعهم على نظم الشعر في الدفاع عن الإسلام, واضعاً لهم إطاراً ما إن التزم المسلمون به فمقبول وإلا لا, وهذا الإطار: موافقة الشعر الحق (أي الإسلام), وصاحبه ملتزم به.

فنستمع إلى نوفل بن الحارث² بن عبد المطلب حيث يقول مخاطباً المشركين:³

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| إليكم, إليكم ... إنني لست منكم | تبرأت من دين الشيوخ الأكابر |
| لعمرك ما دين بشيء أبيع | وما أنا إذ أسلمت يوماً بكافر |
| شهدت على أن النبي محمداً | أتى بالهدى من ربه والبصائر |
| وأن رسول الله يدعو إلى التقي | وأن رسول الله ليس بشاعر |
| على ذاك أحيا ثم أبعث موقناً | وأثوي عليه ميتاً في المقابر |

¹ راجع "موقف الإسلام من الشعر" في هذا البحث.

² نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: صحابي, كان من أغنياء قريش وأجوادهم وشجعانهم. أخرجه قومه يوم (بدر) لقتال المسلمين, وهو كاره, فأسر ثم أسلم. ورجع إلى مكة. ثم هاجر أيام الخندق. وشهد فتح مكة. وحضر حينئذ والطائف. وثبت مع رسول الله ρ يوم حنين. وعاش إلى خلافة عمر.

[انظر: الطبقات: 30/4 ؛ الإصابة: ت 8828 ؛ أسد الغابة: 46/5]

³ انظر: الطبقات: 46-45/4

فالشاعر يتبرأ من دين الآباء والأجداد, ويعتق يدين القِيمة, وهو يلتزم بهذا الدين الذي اعتنقه حياً وميتاً, فبه يواجه الناس في الدنيا, ويلقى الله في الآخرة, وعلى شرعته يثوي في المقابر بين الدارين.¹

وكذلك نستمع إلى الشاعر ذِيان بن الحارث السعدي التميمي:²

تبع رسول الله إذ جاء بالهدى وخلّفتُ فرّاضاً بدار هوان
شددت عليه شدّة فتركته كأن لم يكن, والدهر ذو حدثان
فلما رأيت الله أظهر دينه أجبت رسول الله حين دعاني
فأصبحت للإسلام - ما عشت ناصرا وألّقت فيها كلكلي وجراني
فمن مبلغ سعد العشيرة أنني شريت الذي يبقى بآخر فان

لقد قال الشاعر هذه الأبيات بعد أن أسلم وطلّق صنمه "فرّاضاً".

كان الشاعر يسكن مع قومه بني تميم في نجد, فخلّف ديار قومه وراءه ومضى إلى دار النبوة في المدينة, وألقى رحله فيها, وأقام في رحاب النور والهدى, وطفق ينهل من ينابيع الرسالة الخالدة ويعيش في ألق الإيمان.³

وهذا عبد الله بن أنيس الجهني⁴ يفخر, ويعلن التزامه بجهاد المشركين بلسانه ويده

¹ انظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد, ص 126-127

² انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 342/1 ؛ ونهاية الأرب: 153/18-154

³ انظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد, ص 126-127

⁴ عبد الله بن أنيس: أبو يحيى, من بني وبرة, من قضاة, ويعرف بالجهني, وليس بجهني: صحابي, من القادة الشجعان. من أهل المدينة. شهد العقبة. كان حليفاً لبني سلمة من الأنصار, ويقال له الجهني والقضاعي

فيقول:

تركت ابنَ ثور كالحُوار وحوله نوائح تُفري كلَّ جيبٍ مقدّد
أقول له: - والسيف يعجم رأسه - أنا ابن أنيس فارساً غير قعدد
وقلت له: خذها بضربة ماجد حنيفٍ على دين النبي محمد
وكنت إذا همّ النبيُّ بكافر سبقت إليه باللسان وباليد¹

على كلِّ فإن الشعر العربي في هذا العهد صار شعراً ملتزماً بالقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام (القرآن والحديث) والتي التزمها أبناء هذا العهد بتأثير الدين الإسلامي، وصحبة رسوله الكريم محمد ﷺ.

ولكن هذا الالتزام لم يكن يمنع شعراء هذا العهد عن التعبير عن خلجات نفوسهم وخواطر قلوبهم من سرور وحزن ورضا وسخط وعتاب واستعتاب ووصف وحكمة ما دام لا يخرج من إطاره المرسوم.

إذا طالعنا النصوص الشعرية رأينا في نصوص بعضهم جوانب غير إسلامية، فهو إما لأن الأشخاص الذين تأخر دخولهم في الإسلام لم يتلقوا التربية النبوية ﷺ بصورة واسعة، وإما لبعدها أصحابها من مكان صحبة الرسول ﷺ وبيئته الإسلامية المثالية، وإما لأن عوامل ومؤثرات عاطفية خاصة أثرت على نفوس عدد من أصحابها فقصرُوا في الاحتفاظ بالمثالية، ولذلك كله نجد أمثلة للنماذج لم تخضع للسمة الإسلامية بل حادت

والأنصاري والسكّمي. صلى إلى القبلتين وشهد العقبة. دأب على كسر الأصنام في الظلام. وقاد بعض السرايا في العصر النبوي. ورحل بعد ذلك إلى مصر، وإفريقية. وتوفي عام 54هـ في الشام.

[انظر: الإصابة: الترجمة 4541]

¹ انظر: ابن هشام: 358/2 ؛ ونهاية الأرب: 129/17

عن الخط الإسلامي الرزين.¹

8- تحديد الأدب الإسلامي:

لقد كان عهد الرسول ρ وخلفائه الراشدين عهداً أساسياً للأدب الإسلامي تحددت فيه حدوده وظهرت في نماذجه الأولية وانبثقت منها الخطوط العريضة للأدب الإسلامي, ظهرت فيها نماذج نثرية وشعرية كثيرة حملت روح الفكرة الإسلامية وتأثير التربية النبوية ρ في صورها الأدبية المختلفة, وحملت طابع هذا العصر المثالي الإسلامي. غير أن هناك نصوص بعض الشعراء لا تبلغ إلى درجة المثالية الإسلامية, كنماذج شعر الحطيفة, فأعماله التي لم يتمكن فيها الشاعر من الالتزام بالسمة الإسلامية فلا تعد إسلامية, لكن صاحبها يعد إسلامياً لكون غالبية نصوصه صافية وفقاً للنظرة الإسلامية.²

9- تهذيب بعض الأغراض الجاهلية: لما جاء الإسلام أحدث تغييراً عظيماً في

المجتمع العربي الجاهلي وعقلية أهله من خلال المفاهيم التي يحملها كالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار, لا سيما ما يذيعه الوعاظ والنسك سواء في المساجد الجامعة أو عبر الجيوش الغازية. وبذلك أثر الإسلام (القرآن والحديث) في كل أغراض الشعر, فمثلاً:³

- كان العرب قبل الإسلام ينظرون في رثائهم إلى قيمة المرثي الدنيوية, لكنهم بعد

¹ انظر: تاريخ الأدب العربي, محمد رشيد حسني الندوي, ومحمد الرابع حسني الندوي, 60/2-61

² انظر: تاريخ الأدب العربي, محمد رشيد حسني الندوي, ومحمد الرابع حسني الندوي, 60/2-61

³ انظر: شوقي ضيف - عصر الإسلام - ط 7 - 1963, ص 67

الإسلام لم يكونوا ينظرون إليها بقدر ما كانوا يفكرون بمقدار ما يتمثل فيه من إيمان وعقيدة صادقة¹, ككعب بن مالك فقد أخضع رثاءه كما أخضع فنونه الأخرى إلى المقاييس الإسلامية.

وسببه أن مالكا أسلم مبكراً، ونشأ في يثرب - مستقرّ الرسول ρ حيث أتيح له فرصة كبيرة، في أن ينعم بعناية الرسول ρ ، فتحدث بسيرة لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفها، فيها الجهد والتقوى والإسلام، وفيها الخير² والبرّ والوفاء.³

- وكذلك شعر الغزل اتسم بالعذرية فهذا وضاح⁴ اليمن يستغل فكرة الحلال والحرام ويشفعها بفتوى الترخص في اللمم فيقول:

إذا قلت يوماً نوليني تبسّمت وقالت عاذ الله من فعل ما حرّم
فما نولت حتى تضرّعتُ عندها وعلمتها ما رخص الله في اللّمم⁵

- أما الهجاء فلم يخل من التأثير الديني، فجاء بعيداً عن التهتك والطعن في

¹ انظر: ديوان كعب، كعب بن زهير، تحقيق: علي فاعور، ط1: 1407هـ، دار الكتب العلمية، بيروت:

173, 90, 198, 216, 261

² انظر: ديوان كعب: 114

³ انظر: شعر العقيدة: ص238

⁴ وضاح اليمن: شاعر، من أجمل العرب، كان يتشبه النساء، قتل بسبب تشبیهه بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان امرأة الوليد بن عبد الملك وهي أم ابنة عبد العزيز بن الوليد، فبلغ لوليد تشبیهه بها حتى قتل.

[انظر: الأغاني: 240-236/6]

⁵ انظر: نفس المصدر، 240/6

الأعراض منزهاً عن الشتم والإقذاع. غايته الدعوة إلى تذكير من ضلّ عن طريق الحقّ¹ والهداية.²

- كما نرى الشعراء يرمون من يهجون بالنفاق والكذب وانعدام التقوى والصلاح, يقول ذو الرمة ساخرًا:³

أما النبيذ فلا يدعرك شاربه واحفظ ثيابك ممن يشرب الماء

مشمريين إلى أنصاف سوقهم هم اللصوص وهم يُدعون قراء⁴

- وعندما نتجه ناحية المديح نجد الطابع الإسلام واضح المعالم فيه, إذ يصبغ الشاعر قصيدته في ممدوحه بمفاهيم إسلامية كالعدل والتقوى والصيام والصلاة, وغير ذلك,⁵ يقول أيمن⁶ بن خريم في بني هاشم:

نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليلكم صلاةٌ واقتراءٌ

¹ انظر: ديوان كعب: 203, 255, 280

² انظر: شعر العقيدة: ص 238

³ انظر: العصر الإسلامي, شوقي ضيف, ص 68

⁴ انظر: تاريخ دمشق: 180/48

⁵ انظر: العصر الإسلامي, شوقي ضيف, ص 69

⁶ أيمن بن خريد بن فاتك, من بني أسد: شاعر. كان من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر, ثم تحول عنه إلى أخيه بشر بن مروان بالعراق. وكان يشارك في الغزو, وله رأي في السياسة. عرض عليه عبد الملك مالا ليذهب إلى الحجاز ويقاتل ابن الزبير, فأبى. كان يرى اعتزال الفتنة.

[انظر: الشعر والشعراء: ص 214؛ تهذيب ابن عساکر: 187/3]

وليتم بالقرآن وبالتزكي فاسرع فيكم ذاك البلاء¹

¹ انظر: الأغاني: 224/20

الأشعار التي وردت فيها الأحاديث

التمهيد

هذا المبحث يهدف إلى إبراز مدى تأثير الحديث في الشعر العربي. وذلك بذكر الأشعار التي اقتبس فيها حديثٌ أو جزء من حديث. ثم يلي كل شعر الحديث المقتبس في الشعر دون أي شرح للشعر أو للحديث حتى لا يطول الكلام.

الأشعار التي وردت فيها الأحاديث

(1)

يا قلب رفقا احدا منك ذا الكلف أو من كلفت به جاف كما تصف
 وكان في الحق أن يهواك مجتهدا فذاك خير منا الغابر السلف
 أن القلوب لأجنادا مجندة لله في الأرض بالاهواء تعترف
 فما تناكر منها فهو مختلف وما تعارف منها فهو مؤتلف¹

(الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ وَمَا تَنَّاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ).²

(2)

الرفق يمن والأناة سعادة فاستأن في رفق تلاقي نجاحا
 لا خير في حزم بغير روية والشك وهن إن أردت سراحا³

(مَنْ حُرِمَ الرَّفْقُ حُرِمَ الْخَيْرُ أَوْ مَنْ يُحْرَمُ الرَّفْقُ يُحْرَمُ الْخَيْرَ).⁴

(3)

أغيب زيارتك الصديق ق يراك كالشوب استجده
 إن الصديق يمله أن لا يزال يراك عنده⁵

¹ انظر: تاريخ دمشق: 434/12 ؛ ديوان أبي نؤاس: ص 277

² انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم الحديث: 2637

³ البيتان لنصر بن علي الجهضمي، انظر للتفصيل: تاريخ بغداد: 166/7؛ انظر أيضاً: العقد الفريد،

⁴ انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، رقم الحديث: 2592

(4)

لا تكثرن من الزيارة إنها
إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسام دائما
ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا⁶

(5)

تجنى علي كي يقارضني ذنبا
وأبدى عتابا فامتألت له عتبا
فلو لي قلوب العالمين بأسرها
لما تركت لي من معاتبة قلبا
معاتبة السلفين تحسن مرة
فإن أكثر إدمانها أفسدا الحبا
وقد قال في بعض الأقاويل قائل
أراد به العتبي ولم يرد العتبا
إذا شئت أن تقلى فزر متتابعا
وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا⁷

(6)

إني رأيتك لي محبا
والى حين أغيب صبا
فقعدت لا لملالة
حدثت ولا استحدثت ذنبا
إلا لقول نبينا
زوروا على الأيام غبا⁸

⁵ البيتان ليونس بن حبيب. انظر: شعب الإيمان, أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي, تحقيق: محمد السعيد بسيوي زغلول, ط1: 1410هـ, دار الكتب العلمية, بيروت: 327/6

⁶ البيتان لعلي بن الحسن بن العلاء الهلالي الرقي, انظر للتفصيل: شعب الإيمان: 327/6

⁷ وردت على عليب بن أبي طالب رقعة من عثمان بن عفان بخطه, وفيه هذه الأبيات, انظر للتفصيل: تاريخ دمشق: 368/39

⁸ وهذه الأبيات لمحمد بن أبي علي, انظر للتفصيل: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء, محمد بن حبان البستي أبو حاتم, تح: محمد محي الدين عبد الحميد, دار الكتب العلمية, بيروت, 1397هـ, 116/1

(7)

وقد قال النبي وكان برا
وأقلل زور من تهواه تزدد
إذا زرت الحبيب فزره غبا
إلى من زرته مقه وحبا⁹

(8)

لا تضجرن مريضا جئت عائده
بل سله عن حاله وادع الإله له
من زار غبا أحبا دامت مودته
إن العيادة يوم إثر يومين
واقعد بقدر فواق بين حلبين
وكان ذاك صلاحا للخليلين¹⁰

(9)

إذا زرت الصديق يكون غباً
ولا تُدِم الزيارة كل يوم
كذلك للمريض تنال أجره
تُمَلُّ وتنتشي منها مضره¹¹

(زُرْ غَبًا تَزِدُّ حَبًا).¹²

(10)

وسأل رسول الله والحق لازم
فقلنا له جد بن قيس على الذي
لمن سأل منا من تسمون سيدا
رميتم بها جدا وأعلى بها ندا
فقال واي الداء ادوى من التي
نبخله فينا وقد نال سوددا

⁹ البيتان لمحمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي, انظر: المصدر السابق

¹⁰ والأبيات لمحمد بن الجهم, انظر للتفصيل: تاريخ بغداد: 146/5

¹¹ البيتان لأبي محمد الحسن بن الحسين القيسراني, انظر: الازدهار: ص81

¹² انظر: صحيح ابن حبان, كتاب الرقائق, باب التوبة, رقم الحديث: 620, قال شعيب الأرنؤوط:

إسناده صحيح على شرط مسلم.

نسود بشر بن البراء لجوده وحق لبشر ابن البراء أن يسودا
فليس بخاط خطوة لدنية ولا باسط يوما إلى سوءة يدا
إذا جاءه السؤال انهب ماله وقال خذوه انه عائد غدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي على مثلها بشر لكنت المسودا¹³

وفي حديث: (قال رسول الله ﷺ : مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ قُلْنَا جَدُّ بَنِي قَيْسٍ عَلَيَّ أَنَا
نَبِخْلُهُ قَالَ وَأَيُّ ذَاكَ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ مِنْ الْبُخْلِ بَلَّ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ وَكَانَ عَمْرُو عَلَيَّ
أَصْنَامَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَوْمَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ).¹⁴

(11)

حق العيادة يوم بين يومين وجلسة مثل لحظ الطرف بالعين
لا تبرمن مريضا في مسائله يكفيك من ذاك ساك بحرفين¹⁵

(عِيَادَةُ الْمَرِيضِ بَعْدَ ثَلَاثٍ).¹⁶

¹³ انظر: تاريخ دمشق: 413/12 ؛ ديوان حسان بن ثابت: 460/1

¹⁴ انظر: الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، ط3: 1409هـ، كتاب حسن الخلق، باب البخل، رقم الحديث: 296، صححه الشيخ الألباني.

¹⁵ البيتان للفراء، انظر للتفصيل: شعب الإيمان: 6: 543

¹⁶ انظر: شعب الإيمان: 541/6، حديث مرفوع بإسناد غير قوي.

(12)

شفاء العيا حسن السؤال وانما يطيل العيا طول السكوت على الجهل
فكن سائلا عما عندك فانما خلقت أخوا عقل لتسأل بالعقل¹⁷

(فَأَيُّ شِفَاءِ الْعِيِّ السُّؤَالُ): جزء من حديث ورد في سنن أبي داؤد.¹⁸

(13)

أرى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داء أن يصح ويسلما
ولن يلبث العصران يوما وليلة إذا اختلفا أن يدركا ما تيمما¹⁹

(لَوْ لَمْ يَكُنْ لِابْنِ آدَمَ إِلَّا الصَّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ لَكَفَاهُ بِهِمَا دَاءَ قَاتِلِهِ).²⁰

(14)

من طلب العلم للمعاد فاز بفضل من الرشاد
ونال خسران من أتاه لنيل فضل من العباد²¹

(مَنْ تَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).²²

(15)

¹⁷ البيتان لأبي الفضل العباس بن الفرخ الرياشي, انظر للتفصيل: تاريخ بغداد: 193/4
¹⁸ انظر: سنن أبي داؤد, كتاب الطهارة, باب في مجروح يتييم, رقم الحديث: 336, قال الشيخ الألباني:
حسن.

¹⁹ البيتان لحميد بن ثور الهلالي, انظر للتفصيل: تاريخ دمشق: 272/15
²⁰ انظر: كنز العمال, كتاب الأخلاق, باب الإكمال من الصبر على مطلق الأمراض, رقم الحديث: 6722
²¹ البيتان منسوبان للإمام أبي حنيفة, انظر للتفصيل: تاريخ بغداد: 32/2
²² انظر: كنز العمال, كتاب العلم, باب في الترغيب فيه, رقم الحديث: 28855

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّمَا مَثَلُ أَحَدِكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَعَمَلِهِ كَرَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةٌ إِخْوَةٌ فَقَالَ لِأَخِيهِ الَّذِي هُوَ مَالُهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَنَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ مَاذَا عِنْدَكَ فَقَدْ نَزَلَ بِي مَا تَرَى فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ الَّذِي هُوَ مَالُهُ عِنْدِي غِنَاءٌ مَالِكَ عِنْدِي إِلَّا مَا دُمْتَ حَيًّا فَخُذْ مِنِّي الْآنَ مَا أَرَدْتَ فَإِنِّي لَوْ فَارَقْتُكَ سَيُذْهِبُ بِي إِلَى كُلِّ مَذْهَبٍ غَيْرِ مَذْهَبِكَ وَسَيَأْخُذُنِي غَيْرُكَ فَالتَفَتَ النَّبِيُّ فَقَالَ هَذَا أَخُوهُ الَّذِي هُوَ مَالُهُ فَأَيُّ أَخٍ تَرَوْنَهُ قَالُوا لَا نَسْمَعُ طَائِلًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ لِأَخِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ قَدْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ وَحَضَرَ مَا تَرَى فَمَاذَا عِنْدَكَ مِنَ الْغِنَاءِ قَالَ غِنَايَ عِنْدَكَ أَنْ أَمْرِيضَكَ وَأَقُومَ عَلَيْكَ وَأُعِينَكَ فَإِذَا مِتَّ عَسَلْتِكَ وَحَنَطْتُكَ وَكَفَّمْتُكَ ثُمَّ حَمَلْتُكَ فِي الْحَامِلِينَ وَشَيَّعْتُكَ أَحْمَلُكَ مَرَّةً وَأَمِيطُ أُخْرَى ثُمَّ أَرْجِعُ عِنْدَكَ وَأُنِّي بِخَيْرٍ عِنْدَ مَنْ سَأَلَنِي فَقَالَ النَّبِيُّ لِلَّذِي هُوَ أَهْلُهُ أَيُّ أَخٍ تَرَوْنَ هَذَا قَالُوا لَا نَسْمَعُ طَائِلًا يَا رَسُولَ اللَّهِ

ثم قال لأخيه الذي هو عمله ماذا عندك وماذا لديك قال أشييعك إلى قبرك فأونس وحشتك وأكون معك وأجادل عنك وأقعد في كفتك وأنتقل بخطاياك فقال رسول الله أيُّ أخٍ ترون الذي هو عمله فقالوا خيِّر أخٍ يا رسول الله قال فالأمر هكذا.²³
فقام عبد الله بن كرز الليثي فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَقُولَ فِي هَذَا شِعْرًا قَالَ : نَعَمْ.²⁴ فوقف بين يديه واجتمع الناس وأنشأ يقول

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| واني وأهلي والذي قدمت يدي | كداع إليه صحبة ثم قائل |
| لإخوته إذ هم ثلاثة إخوة | أعينوا علي أمر بي اليوم نازل |
| فراق طويل غير مشق به | فماذا لديكم في الذي هو عائلي |
| فقال امرؤ منهم أنا الصاحب الذي | أطبعك فيما شئت قبل الترايل |

²³ انظر: كتاب الأمثال في الحديث النبوي، لابن حبان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط2:

1987م، الدار السلفية، بومباي الهند: ص360؛ أسد الغابة: 666/1

²⁴ انظر: أسد الغابة: 666/1

لما بيننا من خلة غير واصل
 سيسلك بي في مهبل من مهابل
 وعجل صلاحا قبل حتف معاجل
 وأثره من بينهم في التفاضل
 إذا جد الكرب غير مقاتل
 ومثن بخير عند من هو سائلي
 أعين برفق عقبة كل حامل
 وراجع مقرونا بما هو شاغلي
 ولا حسن ود مرة في التبادل
 وليسوا وإن كانوا حراسا بطائل
 أخوا لك مثلي عند كرب الزلازل
 أجادل عند القول رجع التجادل
 تكون عليها جاهدا في التناقل
 عليك شفيق ناصح غير خاذل
 تلاقيه إن احسنت يوم

فإما إذا جد الفراق فإنني
 فخذ ما أردت الآن مني فإنني
 وإن تبقين لا تبقي فاستنفدني
 وقال امرؤ قد كنت جدا أحبه
 غنائي أني جاهد لك ناصح
 ولكنني باك عليك ومعول
 ومتبع الماشين أمشي مشيعا
 إلى بيت مثواك الذي أنت مدخل
 كأن لم يكن بين وبينك خلة
 فذلك أهل المرء ذاك غناؤهم
 وقال امرؤ منهم أنا الأخ لا ترى
 لدى القبر تلقاني هنالك قاعدا
 وأقعد يوم الوزن في الكفة التي
 ولا تنسني واعلم مكاني فإنني
 فذلك ما قدمت من كل صالح

التواصل²⁵

²⁵ انظر: أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ, أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي, تحقيق: أحمد

عبد الفتاح تمام, ط1: 1409هـ, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت: ص112

(16)

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - والله أعلم - في دخوله الغار مع رسول الله ﷺ:

قال النبي - ولم أجزع - يوقرني
لا تخشى شيئاً فإن الله ثالثنا
ونحن في سُدفَةٍ من ظلمة الغار
وقد توكل لي منه بإظهار²⁶

عن أنس قال حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ
آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأْنَا قَالَ مَا ظَنُّكَ بِأَثْنَيْنِ
اللَّهِ تَالِثُهُمَا.²⁷

(17)

إذا أراد الله أمراً بامرئ
وحيلة يعملها في كل ما
وكان ذا رأي و عقل وبصر
يأتي به محتوك أسباب القدر
أغراه بالجهل و أعمى عينه
فسله عن عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه
رد عليه عقله ليعتبر²⁸

(إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ إِنفَاذَ أَمْرٍ سَلَبَ كُلَّ ذِي لُبٍّ لِبِّهِ).²⁹

²⁶ انظر: تاريخ دمشق: 86/30؛ الازدهار: ص36

²⁷ انظر: البخاري، كتاب التفسير، باب سورة براءة التوبة، رقم الحديث: 4386

²⁸ الأبيات لأبي عمرو الزاهد، انظر للتفصيل: شعب الإيمان: 233/1

²⁹ انظر: كنز العمال، كتاب الإيمان، فصل في الإيمان بالقدر، رقم الحديث: 510؛ كشف الخفاء،
272/1، قال في اللآلئ ذكره الحافظان أبو نعيم في تاريخ أصبهان والخطيب في تاريخ مدينة السلام في
ترجمة لاحق بن الحسين المقدسي البغدادي عن ابن عباس ثم قال الخطيب لاحق كان كذاباً يضع الحديث
على الثقات ويسند المراسيل عمن لم يسمع منهم.

(18)

يا نواسي توفّر وتعزى وتصبر
 إن يكن ساءك دهر إن ما سرك أكثر
 يا كبير الذنب عفو ال له من ذنبك أكبر³⁰
 (عَفُوَ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ ذُنُوبِكَ).³¹

(19)

لا تحقرن من الذنوب صغيرا إن الصغير غدا يعود كبيرا
 إن الصغير وقد تقادم عهده عند الإله مسطر تسطيرا

(20)

فازجر هواك عن البطالة لا تكن صعب القياد وشمرن تشميرا
 إن المحب إذا أحب إلهه طار الفؤاد وألهم التفكيرا
 فاسأل هدايتك الإله بنية فكفى بربك هاديا ونصيرا³²

عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ : (يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمَحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ . فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا).³³

³⁰ انظر: تاريخ بغداد: 446/7 ؛ ديوان أبي نواس: 620

³¹ انظر: كنز العمال, كتاب التوبة, باب في فضلها والترغيب فيها, رقم الحديث: 10214؛ مجمع الزوائد, كتاب التوبة, باب ما جاء فيمن يستغفر... , رقم الحديث: 17531, رواه الطبراني في الأوسط وفيه نوح بن ذكوان وهو ضعيف.

³² قيل: إن سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستغفره فأتاه آت في منامه وقال له هذه الأبيات.

[انظر للتفصيل: تاريخ دمشق: 301/21]

³³ انظر: ابن ماجه, كتاب الزهد, باب ذكر الذنوب, رقم الحديث: 4243, صححه الألباني.

(21)

أنبأنا خير بني آدم وما على أحمد إلا البلاغ
الناس مغبونون في نعمتي صحة أبدانهم و الفراغ³⁴

(22)

إن في الموت والمعاد لشغلاً وادكاراً لذي النهى وبلاغاً
فاغتتم خطتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخي والفراغ³⁵
(نَعْمَتَانِ مَعْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ).³⁶

(23)

ومنكر قتل شهيد الهوى ووجهه ينيء عن حاله
اللون لون الدم من خده والريح ريح المسك من خاله³⁷

عن النبي ρ قال (... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ...)³⁸.

³⁴ البيتان لأبي عصمة محمد بن أحمد السجستاني, انظر للتفصيل: شعب الإيمان: 264/7

³⁵ البيتان لعبد الحق بن عبد الرحمن المعروف بابن خراط الإشبيلي, انظر للتفصيل: الوافي في الوفيات:

2548/1

³⁶ انظر: البخاري, كتاب الرقاق, باب ما جاء في الصحة والفراغ, رقم الحديث: 6049

³⁷ البيتان لشمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي, انظر للتفصيل: خزانة الأدب: 472/2

³⁸ انظر: صحيح مسلم, كتاب الإمارة, باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله, رقم الحديث: 3484

(24)

مثل الغزال نظرة ولفتة
 أعذب خلق الله ثغراً فماً
 من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن
 إن لم يكن أحق بالحسن فمن
 الماء والخضرة والوجه الحسن³⁹
 في ثغره وحده وصدغه

(25)

ثلاثة تذهب عنا الحزن
 الماء والخضرة والشكل الحسن⁴⁰
 (ثَلَاثَةٌ يُجْلِيْنَ الْبَصَرَ : النَّظْرُ إِلَى الْخُضْرَةِ وَإِلَى الْمَاءِ الْجَارِيِّ وَإِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ).⁴¹

(26)

قال لي إن رقيبى
 قلت دعني وجهك
 سيء الخلق فداره
 الجنة حفت بالمكاره⁴²

(27)

عن حدّه منع الرقيده
 واهماً لها من جنّة
 ب وبعده داجي عذاره
 حُفَّتْ بِأَنْوَاعِ الْمَكَارِهِ⁴³

³⁹ الأبيات لجمال الدين أبي موسى الهواري, انظر للتفصيل: الوافي في الوفيات: 351/1

⁴⁰ البيت دون نسبة, انظر: كشف الخفاء: 18/2

⁴¹ انظر: كشف الخفاء: 18/2, رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن جابر بالشرط الأول فقط ويسند آخر
 أضعف من الأول بالشرط الثاني؛ كنز العمال, كتاب الطب والرقي والطاعون, باب أشياء متفرقة, رقم
 الحديث: 28313

⁴² انظر: البيت دون نسبة, انظر: خزانة الأدب: 457/2

⁴³ انظر: ديوان ابن نباتة: 253

(28)

قد غدا مستأنساً بالعلم من خالطته زوعة إلهامه
لا ينال العلم جسم رائحٍ حُفَّت الجنة بالمكاره⁴⁴

(29)

ولله في عرض السماوات جنة ولكنّها محفوفة بالمكاره⁴⁵
(حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ).⁴⁶

(30)

قطعت باللحظ من بستان وجنته تفاحة ضرجتها حُمرة الحفر
وقلت: هذا أمان من قطيعته فالشرع قد نصّ أن لا قطع في ثمر⁴⁷

(31)

ومهفهف أبهى من القمر قمر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته فأخذتها منه على غر
فأخافني قوم فقلت لهم لا قطع في ثمر ولا كثر⁴⁸
(لَا قَطَعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثْرٍ).⁴⁹

⁴⁴ البيتان لأبي محمد عبد الله بن عيسى الشليبي، انظر: خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد للأصبهاني، (د.ط.ت)، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 468/2

⁴⁵ البيت لأبي الشمردل وقاص بن مجامع الكندي، انظر: التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، 20/1

⁴⁶ انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم الحديث: 6122؛ وفي مسلم (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب حفت الجنة بالكاره، رقم الحديث: 2822

⁴⁷ انظر: الازدهار: ص41

⁴⁸ الأبيات لصاعد بن الحسن أبي العلاء اللغوي البغدادي، انظر: يتيمة الدهر، 405/1

⁴⁹ انظر: سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب لا قطع في ثمره ولا كثر، رقم الحديث: 1449، صححه الشيخ الألباني.

(32)

ولما أن توليت القضايا وفاض الجور من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وأنا لنرجو الذبح بالسكين أيضا⁵⁰
(مَنْ وُلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ).⁵¹

(33)

طول اللحي زين القضاة وفخرهم وتميز عن غائمة سفهاء
لو كان في قصر بها فخر لها لم يرو فيها سنة الإعفاء⁵²
ورد الأمر بإعفاء اللحي في أحاديث كثيرة، منها ما جاء: (أَهْكُؤا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا
اللُّحَى).⁵³

(34)

أتيه على الخليفة في نواله ويمعني التعفف عن سؤاله
وأعلم أن رزق المرء يأتي كما تأتي المنية لاغتياله⁵⁴
(إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ).⁵⁵

⁵⁰ البيتان لمحمد بن مسعود القسام النحوي، انظر: الوافي في الوفيات: 598/1
⁵¹ انظر: سنن أبي داؤد، كتاب الأفضية، باب في طلب القضاء، رقم الحديث: 3571، صححه الألباني.
⁵² البيتان لأبي الحسن القزويني، انظر للتفصيل: قرى الضيف، لعبد الله بن محمد، تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور، ط1: 1997م، أضواء السلف، الرياض: 34/5
⁵³ انظر: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحي، رقم الحديث: 5554
⁵⁴ البيتان لعبد الرحمن بن يوسف بن خمر تاش، انظر للتفصيل: الوافي في الوفيات: 2619
⁵⁵ انظر: كنز العمال، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر، رقم الحديث: 591، صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الحرص، رقم الحديث: 3238، قال شعيب الأرنؤوط: حديث قوي.

(35)

آه والبين قد أجد بصحبي لو أفاد العزاء تكرارها
يا لواة الديون من غير عسر إن مطل الغني ظلم تناهى⁵⁶

(مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ فَإِذَا أَتَبَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِي فَلْيَتَّبِعْ).⁵⁷

(36)

إذا رأيت عارضا مسلسلا في وجنة كجنة يا عاذلي
فاعلم يقينا أنني من أمة تقاد للجنة بالسلاسل⁵⁸

(عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ).⁵⁹

(37)

طفيليُّ يومَ الخبر أئى رآه , ولو رآه على يفاع
ولا يروي من الأخبار إلاّ أجيبُ ولو دُعيتُ إلى كُراع⁶⁰

(لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِي إِلَى كُرَاعٍ لَقَبِلْتُ).⁶¹

(38)

بُليتُ به فقيهاً ذا جدال يجادل بالدليل وبالدلّال

⁵⁶ البيتان لعبيد الله بن علي بن غلدة، انظر للتفصيل: الوافي في الوفيات: 2814/1

⁵⁷ انظر: البخاري، كتاب الحوالات، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة، رقم الحديث: 2166

⁵⁸ البيتان لعلاء الدين الوداعي، انظر: خزنة الأدب: 305/1

⁵⁹ انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، رقم الحديث: 2848

⁶⁰ البيت دون نسبة، انظر للتفصيل: البديع في نقد الشعر: 258

⁶¹ انظر: البخاري، كتاب النكاح، باب من أجاب إلى كراع، رقم الحديث: 4883

طلب وصاله والوصل حلو فقال نهي النبي عن الوصال⁶²

نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ (إِيَّيَّ لَسْتُ مِثْلُكُمْ إِيَّيَّ أُطْعَمُ
وَأُسْقَى).⁶³

(39)

كن زاهدا فيما حوته يد الورى تبقى إلى كل الأنام حبيبا
وانظر إلى الخطاف حرم زادهم أضحي مقيما في البيوت ربيا⁶⁴

(ارْزُهْدُ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ . وَارْزُهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ).⁶⁵

(40)

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدَّ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فَقَالَ لَهُمْ : أَمِنْكُمْ وَحَرَّةٌ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ يَا
رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَهَا بِيَرِّهَا أُمَّهَا وَهِيَ كَافِرَةٌ الْجَنَّةِ أُغْيِرَ عَلَى حَيْثَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ فَتَرَكَوْهَا وَأُمَّهَا فَحَمَلَتْهَا عَلَى ظَهْرِهَا وَجَعَلَتْ تَسِيرُ بِهَا فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهَا الْحُرُّ
جَعَلَتْهَا فِي حَجْرٍهَا وَحَنَّتْ عَلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى اسْتَنْقَذَتْهَا مِنَ الْعَدَى ...
وقال في ذلك بعض الأشعريين شعرا :

ألا أبلغن أيها المعتدى بني جميعا وبلغ بناقي
بأن وصاتي بقول الإله ألا فاحفظوا ما حيتيم وصاتي
وكونوا كوحرة في برها تنالوا الكرامة بعد الممات

⁶² البيت دون نسبة, انظر للتفصيل: نفحة الأولياء: 34/2

⁶³ انظر: البخاري, كتاب الصوم, باب الوصال, رقم الحديث: 1861

⁶⁴ البيتان لعز الدين غانم الواعظ, المستطرف في كل فن مستظرف, شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح

الأبشيهي, تحقيق: سمفيد محمد قميحة, ط2: 1986م, دار الكتب العلمية, بيروت: 237/2

⁶⁵ انظر: سنن ابن ماجه, كتاب الزهد, باب الزهد في الدنيا, رقم الحديث: 4092, صححه الألباني.

وقت أمها سبرات الرميض وقد أوقد القيظ نار الفلات
 لترضي بهذا شديد القوى وتظفر من ناره بالفلات
 فهدي وصاتي وكونوا لها طوال الحياة رعاة وعاة⁶⁶

(41)

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا
 والعرف من مائة حمد مغبته ما ضاع عرف وإن أوليته حجرا⁶⁷
 (عَلَيْكُمْ بِالْقِنَاعَةِ فَإِنَّ الْقِنَاعَةَ مَالٌ لَا يَنْفَدُ).⁶⁸

(42)

من شاء عيشا رخيا يستفيد به في دينه ثم في دنياه إقبالا
 فليظنن إلى من فوقه أدبا ولينظرن إلى من دونه مالا⁶⁹
 (إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخُلُقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ).⁷⁰

(43)

ولو كانت الدنيا ثواباً لمحسن إذن لم يكن فيها معاشٌ لظالم
 لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبت فيها بطون البهائم⁷¹

⁶⁶ انظر: كنز العمال، كتاب النكاح، باب بر الوالدين، رقم الحديث: 45943

⁶⁷ انظر: كشف الخفاء: 894/2، البيتان لابن المبارك، انظر: الازدهار: ص49

⁶⁸ انظر: المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415 : 84/7؛ مجمع الزوائد، كتاب الزهد، باب القناعة، رقم الحديث: 17869، رواه الطبراني في الأوسط وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي وهو متروك.

⁶⁹ البيتان منسوبان لأبي الفتح البستي، قرى الضيف: 378/4؛ الازدهار: ص54

⁷⁰ انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ... ، رقم الحديث: 6125

⁷¹ أورده ابن النجار في المقاصد الحسنة: ص346؛ الازدهار: ص53

(لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ بَعُوضَةٌ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءً).⁷²

(44)

ليست صروف الدهر ليناً وغلظةً
وجربت حاله على اليسر والعسر
فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى
ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر⁷³

(كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَكُونَ يَسْبِقَ الْقَدْرَ).⁷⁴

(45)

وربّ أنفٍ لصديق لنا
تحديده ليس بمعلوم
ليس عن العرش له حاجب
كأنه دعوة المظلوم⁷⁵

(... إِتِّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ).⁷⁶

(46)

أنظر إلى عارضه فوقه
لحاظه ترسل منها الحتوف
تشاهد الجنة في وجهه
لكنها تحت ظلال السيوف⁷⁷

(وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ).⁷⁸

⁷² انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب هوان الدنيا، رقم الحديث: 2320، صححه الألباني.

⁷³ البيتان لمحمد الوراق، فوات الوفيات: 81/4

⁷⁴ انظر: كنز العمال، كتاب الزكاة، باب الفقر الاضطراري، رقم الحديث: 16682، وقال: في سننه يزيد الرقاشي ضعيف ورواه الطبراني بسند فيه ضعيف عن أنس مرفوعاً.

⁷⁵ البيتان للقاضي أبو الفتح محمد بن إسماعيل بن قادوس، خريدة القصر وخريدة العصر، ص334

⁷⁶ انظر: مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم الحديث: 29

⁷⁷ البيتان لقاضي القضاة شمس الدين، انظر للتفصيل: الوافي في الوفيات: 986/1

⁷⁸ انظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت ظلال السيوف، رقم الحديث: 2663

(47)

حضرت يوماً سماع جزءٍ عالٍ وتحصيله ضروره
 عشقتُ من شقوتي غزلاً بديعٍ قدِّ مليحٍ صوره
 أحلَّ َ قلبي هواه عِشْقاً من غيرِ إذنٍ ولا مشوره
 فلم يكن مالكي مغيثاً بل صار في هجره بريه⁷⁹

هذه الأبيات اقتباس من قصة بريرة ومغيث التي وردت في البخاري.⁸⁰

(48)

أول الحكم في الدماء إذا ما وقف الناس للمليك الجليل
 قال ذلك النبي صلى عليه أبد الدهر مُنزَلُ التنزيل⁸¹

قال النبي ρ (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالِدِّمَاءِ).⁸²

(49)

توكل على الرحمن في كل حالة وأعدِدْ لكلِّ النائباتِ توَكُّلاً
 فإنَّ جنانَ الخلدِ يدخلها غداً بغيرِ حسابِ كلِّ عبدِ توَكُّلاً⁸³

(يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ . . . هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا

⁷⁹ نقله السيوطي من خط الذهبي، انظر: الازدهار: ص55-56

⁸⁰ انظر: البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ρ على زوج بريرة، رقم الحديث: 4979

⁸¹ البيتان دون نسبة، انظر: الازدهار: ص56

⁸² انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، رقم الحديث: 6168

⁸³ البيتان دون نسبة، انظر: الازدهار: ص56

84. يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتُمُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (...).

(50)

يا غافلاً عن برد ماء الكوثر
عند اشتداد الحرّ يوم المحشر
حوض النبي محمدٍ , حصباؤه
من لؤلؤٍ وزبرجدٍ مع جواهر
من تحت عرشِ الله ميزابان
شخّابان فيه بمائة المتفجر
فيه أبارق اللجين وأوّل الشد
رأب منه كلّ أشعثٍ أغبر
والله لو بعث الحياة بشربة
تروي بها من مائة لم تخسر⁸⁵

روي في مسلم في كتاب الفضائل أحاديث في حوض النبي p.⁸⁶

(51)

يقول إذا جاءه زائر فديتكَ , إن العشا متخمه
وإن زارهُ قال: نفسي الغداءُ تعشّ , فترك العشا مَهْرَمَه⁸⁷

(تَعَشَّوْا وَلَوْ بِكَفِّ مِنْ حَشْفٍ فَإِنَّ تَرْكَ الْعُشَاءِ مَهْرَمَةٌ).⁸⁸

(52)

إني لأعسر أحياناً فيدركني بُشرى من الله , أنّ العسر قد زال
يقول خير الورى في سنة ثبتت أنفق ولا تحش من ذي العرش إقلالا⁸⁹

⁸⁴ انظر: مسلم, كتاب الإيمان, باب الدليل على دخول طوائف من السلمين الجنة بغير حساب ولا

عذاب, رقم الحديث: 320

⁸⁵ البيتان دون نسبة, انظر: الازدهار: ص56-57

⁸⁶ انظر: صحيح مسلم, كتاب الفضائل, باب إثبات حوض نبينا p وصفاته

⁸⁷ البيتان لوليد بن معن الموصلي, انظر للتفصيل: البخلاء للخطيب: ص72

⁸⁸ انظر: سنن الترمذي, كتاب الأطعمة, باب فضل العشاء, رقم الحديث: 1856, ضعفه الألباني.

⁸⁹ البيتان لأبي بكر محمد بن يوسف بن جيش, انظر للتفصيل: الازدهار: ص58

(أَنْفِقْ يَا بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَاحًا).⁹⁰

(53)

لا تعاد الناس في أوطانهم قلما ترعى غريب الوطن
وإذا ما شئت عيشا بينهم خالق الناس بخلق حسن⁹¹

(اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ).⁹²

(54)

وصاحبٍ خانٍ ما استودعته , وأتى ما لا يليق بأرباب الديانات
وأظهر السرِّ مختالاً بلا سبب وذاك - والله - من أوفى الجنایات
أما أتاه عن المختار في خبر أن المحالس تُغشى بالأمانات⁹³

(الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مَجَالِسَ سَفْكُ دِمِّ حَرَامٍ أَوْ فَرْجِ حَرَامٍ أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقِّ).⁹⁴

(55)

دارك يا بدر الدجى جنة بغيرها نفسي ما تلهو
وقد روى في خبر أنه أكثر أهل الجنة البله⁹⁵

⁹⁰ انظر: مجمع الزوائد, كتاب الزكاة, باب في الادخار, رقم الحديث: 4699, رواه الطبراني في الكبير وفي

الأولى محمد بن الحسن بن زباله . وفي الثانية طلحة بن زيد القرشي وكلاهما ضعيف.

⁹¹ البيتان لشهاب الدين أبي جعفر بن مالك الأندلسي, انظر: خزنة الأدب: 473/2

⁹² انظر: سنن الترمذي, كتاب البر والصلة, باب معاشره الناس, رقم الحديث: 1910, حسنه الألباني.

⁹³ الأبيات للحافظ أبو القاسم بن العساكر, انظر: الخريدة: 275/1 ؛ معجم الأدباء: 86/13

⁹⁴ انظر: أبو داؤد, كتاب الأدب, باب في نقل الحديث, رقم الحديث: 4969, ضعفه الألباني.

⁹⁵ البيتان للأبله العراقي محمد بن بختيار بن عبد الله المولد, انظر: الوافي في الوفيات: 251/1

(أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَلُّ).⁹⁶

(56)

لا تعب قط طعاماً
إنما العيب أثام
كلّ لما تهوى وما تكره دعه والسلام⁹⁷

(مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ).⁹⁸

(57)

إن المكارم كلها لو حصلت رجعت بجملتها إلى شيئين
تعظيم أمر الله جل جلاله والسعى في إصلاح ذات البين⁹⁹

قال رسول الله ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ).¹⁰⁰

(58)

لا تهجريني يا بنين واحسني
وجافي مليك الناس في البر والبحر
فقد جاء قول عن رجال أتوا به
وجاء به سفيان حقا عن الزهري
وأخبرني به أيضا غير واحد
رووه بإسناد عن الحسن البصري

⁹⁶ انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها

الضعفاء، رقم الحديث: 36

⁹⁷ البيتان لمهذب الدين محمد بن محمد الحاسب الطبري، انظر للتفصيل: الازدهار: ص 63

⁹⁸ انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: 3399

⁹⁹ البيتان لمحمد بن أبيك الأمير صلاح الدين، انظر: الوافي في الوفيات: 246/1

¹⁰⁰ انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم الحديث: 4273، صححه

الألباني.

إذا هجر الإنسان فوق ثلاثة
 قبلك أن راجع ما مضى ويجري
 أخاه تولى الله عنه إلى الحشر
 على الحد الذي لم يزل
 فيا عاذلي في الحب لم تدر ما الهوى
 ولم تدر إذ لم تدر أنك لم تدر¹

(59)

يا سيدي عندك لي مظلمة
 فاستفت فيها ابن أبي خيثمة
 فإنه يرويه عن شيعه
 قال روى الضحاك عن عكرمة
 عن ابن عباس عن المصطفى
 نبينا المبعوث بالمرحمه
 إن صدود الخل عن خله
 فوق ثلاث ربنا حرمه²
 وأنت من شهر لنا هاجر
 أسرفت في الهجران فينا فمه³

(قَالَ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّدُوا
 وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا).⁴ (... لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ
 أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ).⁵

(60)

إذا نقيمت عرسٌ وأنت تحبُّها
 ولا تطمعن الدهر في أن تقيمها
 فدع هجرها رضىً ولا تُثر الموحا
 فقد خلقت في الأصل من ضلع عوجا¹

¹ هذه الأبيات لابن الأعرابي، انظر للتفصيل: تاريخ دمشق: 276-275/11

² هذه الأبيات لمحمد بن الحسن، انظر للتفصيل: روضة العقلاء: ص 207

³ انظر: كشف الخفاء: 2294/2

⁴ انظر: البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، رقم الحديث: 5604

⁵ انظر: البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، رقم الحديث: 5611

(61)

هي الضلع العوجاء لست مقيمها ألا أن تقويم الضلوع انكسارها
أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى أليس عجيبا ضعفها واقتدارها²

(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ
ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ).³

(62)

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى فإنك راء ما عملت وسامع
وأحب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى الحب راجع⁴

(أَحِبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغَضَ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا
عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا).⁵

(63)

¹ البيتان للشهاب المنصوري, انظر للتفصيل: الازدهار: ص93

² البيتان لسليمان بن يزيد العدوي, انظر للتفصيل: كشف الخفاء: 199/2؛ تاريخ بغداد: 129/10

³ انظر: البخاري, كتاب الأنبياء, باب قول الله تعالى, رقم الحديث: 3084

⁴ الأبيات نسبت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه, انظر للتفصيل: كشف الخفاء: 53/1

⁵ انظر: الترمذي, كتاب البر والصلة, باب الاقتصاد في الحب والبغض, رقم الحديث: 1920, هذا الحديث اختلف فيه: قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا ورواه الحسن بن أبي جعفر وهو حديث ضعيف أيضا بإسناده له عن النبي ﷺ والصحيح عن علي موقوف قوله, أما الشيخ الألباني فقد صححه.

من تولى عن الهدى واستغنى
واستلذ السماع والضرب بالأو
فاجتنب يا أخي الغناء وطهر
فاستمع الغناء ينبت في القل
وعباد الرحمن من مرّ باللغ
وتمادى في غيّه وتغنّى
تار فاله عن يا صاح أغنى
منه قلباً حياً وصُن عنه أذنا
ب نفاقاً ويورث المرء حُزنا
و كريماً ولم يحب الزّفنا¹

(الغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ).²

(64)

ألا إن شهر الصوم عنكم قد انقضى
وهل فيكم مستوحش لفراقه
فلا تغفلوا يا قوم إخراج حقه
وما شرعت إلا لتكفير لغوه ولم تُفَضَّ إلا طُهْرَةً لصيامه
فهل مرجع منكم لوشك انصرامه
وما فاته من صومه وقيامه
وأدوا زكاة الفطر عند تمامه
فقد فاز من زكى وصلّى لرّبّه
وحاز بشهر الصوم تكفير عامه³

وفي هذه الآيات إشارة إلى الحديث التالي: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَةَ الْفِطْرِ.⁴

(65)

¹ الآيات دون نسبة في: الازدهار: ص67

² انظر: سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، باب كراهية الغناء والزمر، رقم الحديث: 4279، ضعفه الألباني.

³ هذه الآيات دون نسبة، وفيها اقتباس من الأحاديث الكثيرة المشهورة في فضائل الصوم، وزكاة الفطر،

وفضائل رمضان، ونزول الكتاب المقدسة فيه. انظر: الازدهار: ص68

⁴ انظر: البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الحر والمملوك، رقم الحديث: 1415

طوبى لعبد صام لله عن
 مطعومه شهراً ومشروبه
 وصان عن قول الخنا صومه
 ولم يشبهُ بأكاذيبه
 والتمس الأجر على صومه
 من ربّه في ترك محبوبه
 فالصوم لله كما صحّ عن
 نبيه, والله يجزي به¹

والشاعر يشير في الأبيات فوقانية إلى الحديث التالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ شَهْوَتَهُ
 وَأَكَلَهُ وَشَرِبَهُ مِنْ أَجْلِي وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ
 يَلْقَى رَبَّهُ وَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.²

(66)

شهر الصيام سيد الشهور
 كما أتى في الأثر المشهور
 ولم يزل في سالف الدهور
 محترماً ذا بهجة ونور
 فيه كما في الخبر المذكور
 نُزِّلَ بِالتَّوْرَةِ يَوْمَ الطُّورِ
 والذكر والإنجيل والزبور
 فاستكثروا فيه من القصور
 في جنة الخلد بلا قُصور
 واجتنبوا اللغو وقول الزور
 وانتبهوا للعرش والنشور
 قبل حلول ظلمة القبور³

وللأحاديث التالية أثر واضح في الأبيات:

¹ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص 68-69

² انظر: البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله, الرقم: 6938

³ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص 69

عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَنْزَلْتُ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنْزَلْتُ التَّوْرَةَ لِسِتِّ مَضِينَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلَ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ.¹

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.²

(67)

شهر الصيام مباركٌ قد خصّه
ذو الطول فيه بفضلته واختاره
فإذا أتى فتح الإله جنانه
للصائمين له وأغلق ناره³

والشاعر يتكلم في هذين البيتين عن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب جهنم للصائمين، ما ورد ذكره في الحديث التالي:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَعُغِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ.⁴

(68)

¹ انظر: انظر: مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع، رقم الحديث: 16370، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث ضعيف تفرد به عمران القطان وهو ممن لا يحتمل تفرده.

² انظر: البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، الرقم: 1770

³ البيتان دون نسبة في: الازدهار: ص 69

⁴ انظر: البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً، رقم

الحديث: 1766

إذا حاولت صومَ الدهر فاقصد
صيام ثلاثةٍ من كلِّ شهر
وشهر الصبر, إن الصوم فيه
يكفِّر كل معصية ووزر
ويجزى الربُّ فعل العبد فضلاً
ولطفاً منه واحدةً بعشر¹

لقد تناول الشاعر عن عدة موضوعات في هذه الأبيات, ما ورد ذكرها في الأحاديث النبوية, وهي: وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ كَانَ كَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ.²

وعن أبي عثمان أن أبا هريرة قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ شهرُ الصَّبرِ [أي رمضان] وثلاثةُ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ.³
وقال رسولُ الله ﷺ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.⁴

(69)

إذا ما سمعت أذاناً فقل
كقول المنادي وسل مسأله
وقابل تشهده بالرضى
وحوقل إذا بلغ الحيعله
وسل حين يفرغ للمصطفى ال
وسلة من فضل من أرسله
فقد صحَّ في ذاك يا إخوتي
أحاديثُ لم تأتينا مُرسله⁵

(إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى

¹ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص90

² انظر: الترمذي, كتاب الصوم عن رسول الله, باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر, رقم الحديث: 692, صححه الألباني.

³ انظر: النسائي, كتاب الصيام, باب ذكر الاختلاف على أبي عثمان, رقم الحديث: 2366, صححه الشيخ الألباني.

⁴ انظر: البخاري, كتاب الإيمان, باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان, رقم الحديث: 37

⁵ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص70

اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ.¹

(70)

أما في ثمانين وقيتها عذير وإن أنا لم أعتذر
فكيف وقد جُرَّها صاعداً مع الصاعدين بتسع أحر
وقد رفع الله أرقامه عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة وألحد في دينه أو كفر
وإني لمن أسراء الإله في الأرض نُصِبَ صروفِ القدر
فإن يقض لي عملاً صالحاً أثاب وإن يقض شرّاً عَفَرَ²

عن أنس بن مالك قال : (إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا مِنَ الْجُنُونِ وَالْبَرَصِ وَالْجُدَامِ وَإِذَا بَلَغَ الْخُمْسِينَ كَيَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ حِسَابَهُ وَإِذَا بَلَغَ السِّتِينَ رَزَقَهُ اللَّهُ إِنَابَةً يُجِبُّهُ عَلَيْهَا وَإِذَا بَلَغَ السَّبْعِينَ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَإِذَا بَلَغَ الثَّمَانِينَ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ حَسَنَاتِهِ وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَإِذَا بَلَغَ التِّسْعِينَ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَسُمِّيَ أَسِيرَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَشُقِّعَ فِي أَهْلِهِ).³

(71)

من رحم الناس أثير رحمة من ربه لموعده لا يخلف

¹ انظر: مسلم, كتاب الصلاة, باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ,

رقم الحديث: 11

² الأبيات للحسين بن الضحاك, انظر للتفصيل: الأغاني: 243/7-244

³ انظر: مسند أحمد, مسند المكثرين, مسند عبد الله بن عمر, رقم الحديث: 5369, وعلق عليه شعيب

الأرنؤوط بقوله: إسناده ضعيف جدا لضعف فرج بن فضالة وله شواهد لا يفرح بها.

ومن صفات المؤمنين إلفهم مثلهم, فالخير فيمن يؤلف¹
 (الْمُؤْمِنُ مُؤَلَّفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤَلَّفُ).²

(72)

وأخ مسه نزولي بفرح مثل ما مسني من الجوع قرح
 بت ضيفا له كما حكم الد هر وفي حكمه على الحر قبح
 فابتداني يقول وهو من السد كرة بالهم طافح ليس يصحو
 لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
 سافروا تغنموا فقال وقد قال تمام الحديث صوموا تصحوا³

(صُومُوا تَصَحُّوا)⁴ أو (اعْزُوا تَغْنَمُوا وَصُومُوا تَصَحُّوا وَسَافِرُوا تَسْتَعْنُوا).⁵

(73)

روينا حديثاً في الصحيحين: سبعة يظلهم المولى بخير ظلال
 يظلهم في ظله الله يوم لا سوى ظله ظل, فهاك مقالي
 إمام له عدل, ومن في عبادة نشأ بالتقى لله لا بضلال
 ومن قلبه يهوى المساجد دائماً تعلقه فيها بغير زوال
 وشخصان في الله الكريم تحاببا بحال افتراق منهما ووصال

¹ البيتان للحافظ بن حجر, انظر للتفصيل: الازدهار: ص76

² انظر: مسند أحمد, مسند المكثرين من الصحابة, مسند أبي هريرة, رقم الحديث: 8831, قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

³ نسبت هذه الأبيات لابي الفرج بن أبي حصين القاضي الحلبي, تاريخ دمشق: 335/13

⁴ انظر: كنز العمال, كتاب الصوم, فصل في فضل الصوم, رقم الحديث: 23605

⁵ انظر: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد, كتاب الصيام, باب في فضل الصوم, رقم الحديث: 5070, وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

وإني أخاف الله من قال عندما
 دعيت عالٍ منصبٍ وجمال
 ومصدقٍ أحمى التصدق لم يكن
 بما أنفقت يُمناه علمُ شمال
 ومن ذكر الربّ المهيمن خالياً
 ففاضت به عيناه خوفَ نكال
 فأكرم بهم من سبعةٍ طيبي الثنا
 وأكرم بها في القوم سبع خصال¹

(74)

إمامٌ محب ناشئ متصدق
 مصلٍ، وبالك خائفٌ سطوةً الناس
 يظلمهم الله العظيم بظله
 إذا كان يوم الحشر لا ظلّ للناس²

(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ
 وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ
 طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنْ أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا
 تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ).³

(75)

يموت من في الأنام طرا
 من طيب كان أو خبيث
 فمستريح و مستراح
 منه كما جاء في الحديث⁴

إن رسول الله ﷺ : مَرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ
 (مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ) قَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا

¹ الأبيات للشيخ عفيف الدين الياضي، انظر: الازدهار: ص 79-80

² البيتان للشيخ شهاب الدين بن العماد، انظر: الازدهار: ص 80؛ الضوء اللامع: 49/2

³ انظر: البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم الحديث: 620

⁴ البيتان لأبي الحسن الحصري، انظر للتفصيل: نفع الطيب: 154/2

إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَّوَابُّ).¹

(76)

إِنَّ زَمَانًا ذُلَّ أَهْلَ الْهُدَى فِيهِ زَمَانٌ مَظْلَمٌ مُؤْمٌ
وَدِينُنَا عَادَ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، كَذَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ²
(بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ).³

(77)

الرَّاحِمُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُهُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَبَاعِدْ عَنْكَ وَسْوَاسًا
وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْكَ إِذَا لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَا⁴

(78)

بَادِرْ إِلَى الْخَيْرِ يَا ذَا اللَّبِّ مَعْتَمِنًا وَلَا تَكُنْ مِنْ قَلِيلِ الْعَرَبِ مُحْتَشِمًا
وَأَشْكُرْ لِمَوْلَاكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نَعْمٍ فَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الْإِفْضَالَ وَالْكَرْمَا
وَارْحَمْ بِقَلْبِ خَلْقِ اللَّهِ وَارْعَهُمْ فَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ رَحِمَا⁵

(79)

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْحَمُ الْمَسْكِينَ إِذَا عَدِمَا وَلَا الْفَقِيرَ إِذَا يَشْكُو لَكَ الْعَدَمَا
فَكَيْفَ تَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ رَحْمَتَهُ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا⁶

¹ انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم الحديث: 6147

² البيتان لعلاء الدين بن غانم، انظر: الازدهار: ص 81-82

³ انظر: مسلم، كتاب الإيمان، بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم الحديث: 208

⁴ البيتان لأحمد بن عبد الله الكتبي، انظر للتفصيل: الازدهار: ص 83

⁵ الأبيات للحافظ أبي القاسم بن عساكر، انظر: الازدهار: ص 96-97

⁶ البيتان للحافظ زين الدين العراقي، انظر: الازدهار: ص 97

(80)

إِنَّ مَنْ يَرْحَمُ أَهْلَ الْأَرْضِ قَدْ جَاءَنَا , يَرْحَمُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ
فَارْحَمِ الْخَلْقَ جَمِيعاً , إِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ الرُّحَمَاءِ¹

(81)

الْحُبُّ فِيكَ مَسْلَسٌ بِالْأُولِ فَايْنُ , وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الْعُدْلِ
ارْحَمْ عِبَادَ اللَّهِ يَا مَنْ قَدْ عَلَا مِنْ يَرْحَمِ السُّفْلَاءِ يَرْحَمُهُ الْعَلِيُّ²

(82)

يَا مَلُوكَ الْجَمَالِ نَحْنُ أَسَارِي فِي هَوَاكُم , وَقَدْ عَدِمْنَا الْفِدَاءَ
فَارْحَمُونَا , فَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ هُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ الرَّحْمَاءِ³

(83)

أَخْلِقْ بِمَنْ يَظْلَمُ أَنْ يُظْلَمَا وَبِالَّذِي يَرْحَمُ أَنْ يُرْحَمَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَرْحَمُ بِالْقَلْبِ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَمْ يَرْحَمْهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ⁴

(84)

إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُ قَرِيباً وَفِي النِّعِيمِ مُقِيمَا
فَارْحَمِ النَّاسَ رَأْفَةً وَاعْفَ عَنْهُمْ إِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحِيمُ الرَّحِيمَا⁵

¹ البيتان للحافظ بن حجر, انظر للتفصيل: كشف الخفاء: 181/1

² البيتان للشهاب المنصوري, انظر: الازدهار: ص97

³ البيتان للشهاب المنصوري, انظر: الازدهار: ص97

⁴ البيتان للشهاب المنصوري, انظر: الازدهار: ص98

⁵ نفس الشاعر ونفس المصدر

(85)

سَامِحٌ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَهْمَا بَدَتْ
 مِنْهُ ذُنُوبٌ وَقَعَهَا يَعْظُمُ
 وَارْحَمَ لَتَلْقَى رَحْمَةً فِي عَدٍ
 فَرُبُّنَا يَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ¹

(ارْحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ).²

(86)

لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا
 فِيهِتَكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
 اذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا
 وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ³

(... مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).⁴

(87)

إِنْ خَيْرَ الذِّكْرِ تَسْبِيحُ
 وَتَكْبِيرُ وَحَمْدُ
 ذَاكَ ذِكْرٌ يَمْحِي عَن
 كُ بِهِ خَطْءٌ وَعَمْدُ
 فَهُوَ صِلْحٌ وَهُوَ رُبْحٌ
 وَهُوَ بُحْجٌ هُوَ سَعْدُ
 وَدَلِيلُ الْقَوْلِ مَتَّى
 مَا رَوَاهُ لَكَ سَعْدُ
 وَبِهِ يَنْجِزُ مَنْ رَدَّ
 لَكَ فِي الْجَنَاتِ وَعَدَّ
 فَهِيَ الْحَمْدُ عَلَى الْإِزْ
 عَامٌ مِنْ قَبْلِ وَبَعْدُ⁵

¹ البيتان لأبي الفتح محمد بن أحمد الكندي، انظر للتفصيل: الازدهار: ص 97-98

² انظر: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، التوبة والإنابة، رقم الحديث: 7631، قال النيسابوري: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، وصححه الذهبي في التلخيص.

³ انظر: روضة العقلاء: ص 128

⁴ انظر: البخاري، كتاب المظالم، باب المسلم لا يظلم المسلم...، رقم الحديث: 2310

⁵ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص 85

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عَلَّمَنِي كَلَامًا
أَقُولُهُ قَالَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ
اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قَالَ فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي قَالَ
قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي.¹

(88)

وَقُمْ بالنصح إنَّ النصح دينٌ به تُجزى الجزيلَ من العطاء
فقد أوصى النبيُّ به ثلاثاً فقدّمه لدى كشفِ الغطاء²

(عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ
وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ).³

(89)

متى صدق العبدُ الإلهَ رأى له من الضيقِ والضنكِ الأليمين مخرجاً
كأصحابِ هذا الغار أصبح منهم أخو الأيدِ مما تغشاه مخرجاً
وقال اصدقوا ربَّ السماء فصدقكم يعود بكم من ضيقِ ذا السجن مخرجاً
فنادوا بأسرارِ لها الصدق شاهد فراحوا فراحاً بالسلامة والنجا⁴

¹ انظر: مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التهليل والتسبيح والدعاء، رقم الحديث:

4862

² البيتان دون نسبة في: الازدهار: ص86

³ انظر: مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 95

⁴ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص86

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى اوا المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب قبلهما أهلاً ولا مالاً فنادى بي في طلب شيء يوماً فلم أرخ عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أعقب قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثت والقذح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئاً لا يستطيعون الخروج قال النبي ﷺ وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسي ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوضوع عليها فأنصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي ﷺ وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إليّ أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرفيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا بمشون¹.

(90)

¹ انظر: البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره ... ، رقم الحديث: 2152

| | |
|----------------------------|----------------------------------|
| لا تقف يا ذا مع الصور | في مجال الطرف والبصر |
| كم أخو طمرٍ له شرف | قد علا فيه على الحبر |
| وله الإبرار في قسم | حققته صحة الخبر |
| أقسموا والبرّ يعضدهم | منةً من مُنزل السُّور |
| ونجا من أقسموا لهم | بعد ما أشقوا على الخطر |
| فأتى ابنُ النضر يقسم لا اق | تصّ منها سيدُ البشر |
| فعفا أهل القصاص بإل | هـام علاّم ومقتدر |
| فاعتكف بالباب فهو لدى ال | وزر مروية إلى الوزر ¹ |

تذكر هذه الأبيات قصة الربيع بنت النضر حين كسرت ثنية جارية لها. وأمر النبي ρ بالقصاص، فأقسم أخوها أنس ألا يُقتصّ منها، فأبرّ الله قسمه.²

(91)

| | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| وسؤالاً عما عملتم وصحفا | رقمتها الحفاظ بالأقلام |
| وجحيماً قد سعّرت | وأحاطت عن يمين ويسرة وأمام |
| فاتقوها ولو بشق من التـمـ | ر وإلا بطيب لفظ الكلام |
| هكذا قاله المرسل الصادق المبـ | عوث فينا بشرعه الإسلام ³ |

(اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).⁴

¹ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص 87

² انظر: البخاري, كتاب الصلح, باب الصلح في الدية, رقم الحديث: 2556

³ الأبيات دون نسبة في: الازدهار: ص 87

⁴ انظر: البخاري, كتاب الزكاة, باب اتقوا النار ولو بشقّ تمرة ..., رقم الحديث: 1351

(92)

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها فإتما الدنيا لهم معبر
الخيرُ مما ليس يخفى هو ال معروف والشُرُّ هو المنكر
والموعد الموت, وما بعده ال حشر, فذاك الموعد الأكبر
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يُقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفةً آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو, ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره فيكل ما يُقضى وما يُقدر¹

(93)

لا تسألن من ابن آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب²
(مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَعْضَبْ عَلَيْهِ).³

(إذا أراد الله بعبد خيراً جعل صنائعه ومعروفه في أهل الحفاظ وإذا أراد بعبد شراً جعل
صنائعه ومعروفه في غير أهل الحفاظ)⁴ فقال حسان بن ثابت :

(94)

¹ الأبيات لأبي العتاهية في ديوانه: ص178 ؛ الكامل للمبرد, ص

² البيتان دون نسبة في المستطرف: 116/2

³ انظر: الترمذي, كتاب الدعوات, باب منه, رقم الحديث: 3373, حسنه الشيخ الألباني.

⁴ انظر: كنز العمال, كتاب الزكاة, فصل في آداب الصدقة, رقم الحديث: 16233, قال المناوي في

فيض القدير (254/1) فيه خلف بن يحيى قال الذهبي: عن أبي حاتم كذاب فمن زعم صحته فقط غلط.

إن الصنوعة لا تكون صنوعة
حتى يصاب بها طريق المصنع¹
فقال ρ : صدق.²

(95)

شهدنا بأنَّ إلهَ السماء
يجبُك يا أكرمَ الناسِ حالا
لقولِ نبيِّ الهدى: إنه
تعالى جميلٌ يُحبُّ الجمالا³
(عن عبد الله بن مسعود عن النبي ρ قال: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
مِنْ كِبَرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ
يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ).⁴

(96)

تجَبُّ قرينَ السوءِ لا تصحبته
فكلَّ سفيهٍ يقتدي بسفيه
ومن كان ذا وجهين بين صحابه
فذلك عند الله غير وجهه⁵
(المرءُ على دينِ خليله فليَنظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ).⁶

(97)

عِفٌّ ولا تسألُ أخا حاجةً
تكن على العينين والرأس
واستغنِ عَمَّنْ شئت من ذا الورى
فلا غنى إلا غنى النفس¹

¹ البيت لحسان بن الثابت في ديوانه: ص493؛ معجم الشعراء: ص143؛ روضة العقلاء: ص254

² انظر: تذكرة الموضوعات: 470/1

³ انظر: ديوان ابن نباته: ص155

⁴ انظر: مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، رقم الحديث: 147

⁵ البيتان للشهاب المنصوري، للتفصيل انظر: الازدهار: ص92

⁶ انظر: مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 8015، قال شعيب

الأرنؤوط: إسناده جيد رجاله ثقات رجال الشيخين غير موسى.

(لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ).²

(98)

رأيت البلاء كقطر السماء وما تنبت الأرض من ناميه
فلا تسألن إذا ما سألت إلهك شيئاً سوى العافية³
(لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللّٰهَ الْعَافِيَةَ).⁴

(99)

لم أر مثل الرفق في لينه أخرج للعدراء من خدرها
من يستعين بالرفق في أمره سيخرج الحية من جحرها⁵

في الحث على الرفق أحاديث كثيرة. منها: (إِنَّ اللّٰهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)⁶ (مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ)⁷.

(100)

إن عاد يوماً رجلاً مسلم أحياناً له في الله ، أو زاره
فهو جديرٌ عند أهل النهي بأن يحطّ الله أوزاره⁸

¹ البيتان للشهاب المنصوري، للتفصيل انظر: الازدهار: ص93

² انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم الحديث: 6081

³ البيتان لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، انظر للتفصيل: معجم السفر، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة، (دت).

⁴ انظر: البخاري، كتاب التمني، باب كراهية تمني لقاء العدو، رقم الحديث: 6810

⁵ البيتان للأصمعي، للتفصيل انظر: الازدهار: ص94

⁶ انظر: مسلم، كتاب البر، باب فضل الرفق، رقم الحديث: 2593

⁷ نفس المصدر، رقم الحديث: 2592

⁸ البيتان للحافظ جمال الدين المزي، انظر: الازدهار: ص94؛ الدرر الكامنة: 4/461

(عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَبِي أَحَبُّهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَلْيَبْتَئِرْ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتَهُ فِيهِ).¹

(101)

لا تدعون المغرب العشا ولا تدعُ العشاء عَتَمَةً ذا نُقْلًا²
 ولا تسمّ طيبةً بيثرب فإنها طيبة بالطيب³
 ولا تقل: إني نسيت أياه فالنهي عن ذا صح في الرواية⁴
 ولا تقل: قد خبثت نفسي وقل قد لَقِسْتِ, تلفظاً بما حُمِلَ⁵

¹ انظر: مسلم, كتاب البر والصلة, باب فضل الحبّ في الله, رقم الحديث: 2567

² في البخاري (أن النبي ﷺ قال: لا تغليكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب) قال وتقول الأعراب هي العشاء.

[انظر: البخاري, كتاب مواقيت الصلاة, باب من كره أن يقال للمغرب العشاء, رقم الحديث: 538]

³ إن النبي ﷺ قال من قال للمدينة يثرب فليقل استغفر الله ثلاثا هي طيبة هي طيبة هي طيبة.
 [انظر: مصنف عبد الرزاق, كتاب الأشربة, باب سكنى المدينة, رقم الحديث: 17167؛ مسند أبي يعلى, لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى, دار المأمون للتراث, دمشق, ط1: 1404هـ, تحقيق: حسين سليم أسد, الأحاديث مذيّلة بأحكام حسين سليم أسد عليها, قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف]

⁴ قال النبي ﷺ: (بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي).

[انظر: البخاري, كتاب فضائل القرآن, باب استذكار القرآن وتعاهده, رقم الحديث: 4744]

⁵ عن النبي ﷺ قال (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقسيت نفسي).

[انظر: البخاري, كتاب الأدب, باب لا يقل خبثت نفسي, رقم الحديث: 5825]

ولا تقل عقيقة لما نُحِر
 عن ولد ففيه نهي قد ذكر¹
 ولا تُسمِّ الكرم أشجارَ العنب
 فالكرم قلبُ المسلم العالي الرتب²
 لا تدعُ من لا حجَّ بالصروره
 لنهي آثار بدت مأثوره³
 قوس السحاب لا تقل قوس قزح
 لكن قوس الله قل قد أوضح⁴
 وبالرفاء والبنين لا تكن
 مهنتاً بزوجة فالنهي سُنَّ⁵

(102)

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ
 وقد جلسا حَجْرَةً يلعبانِ
 ففَدَّاهما ثم حَيَّاهما
 وكانا لديه بذاك المكانِ

¹ سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال " لا يجب الله العقوق " كأنه كره الاسم وقال " من ولد له ولد فأحب أن ينسك عنه فلينسك عن الغلام شاتان مكافتتان وعن الجارية شاة " ... [سنن النسائي, كتاب العقيقة, باب العقيقة عن الغلام, رقم الحديث: 4212, صححه الألباني]
² (عن النبي ﷺ: قال لا تسموا العنب الكرم فإن الكرم الرجل المسلم) أو قال (لا تقولوا كرم فإن الكرم قلب المؤمن).

[انظر: مسلم, كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها, باب كراهية تسمية العنب كرماً, رقم الحديث: 2247]
 الأبيات لإبراهيم بن عبد الله القيراطي في الازدهار: ص 95
³ عن النبي ﷺ أنه كان يقول : لا ضرورة في الإسلام.

[انظر: مسند أحمد, من مسند بني هاشم, مسند عبد الله بن عباس, رقم الحديث: 2845, قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف]

⁴ لا تقولوا قوس قزح فإن قزح هو الشيطان ولكن قولوا قوس الله وهو أمان لأهل الأرض.

[انظر: كشف الخفاء: 2040/2]

⁵ تزوج عقيل بن أبي طالب امرأة من بني جثم فقبل له بالرفاء والبنين قال قولوا كما قال رسول الله ﷺ بارك الله فيكم وبارك لكم.

[انظر: سنن النسائي, كتاب النكاح, باب كيف يدعى للرجل إذا تزوج, رقم الحديث: 3371, صححه الشيخ الألباني]

فَرَاخًا وَتَحْتَهُمَا عَاتِقَاهُ فَنَعَمَ الْمَطِيئَةُ وَالرَّاكِبَانِ¹

(عن جابر قال : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ حَامِلٌ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ يَمْشِي بِهِمَا فَقُلْتُ : نَعَمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَنَعَمَ الرَّاكِبَانِ هُمَا).²

(103)

نُبِئْتُ أَنَّكَ مَوْلَى لَا يُوَاصِلُنِي وَقَدْ رُمِيتُ بِحَجَرٍ مِنْكَ قَدْ حَدَّثَا

فَلَا تَفِي النَّذْرَ مَنْ آلَى بِمَعْصِيَةِ هَذِي مَقَالَةٌ مِّنْ بِالْحَقِّ قَدْ بُعِثَا³

(عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ).⁴

(104)

أَيُّهَا الْعَاذِلُ الَّذِي بَعْدَابِي تَوَكَّلَا

عَدْ صَاحِبِحَا مُسْلِمًا لَا تَعَيِّرْ فَتَبْتَلِي⁵

(قال رسول الله ﷺ : مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ).⁶

(105)

¹ الأبيات للسيد الحميري إسماعيل بن محمد بن يزيد, انظر للتفصيل: الأغاني: 279/2

² انظر: كنز العمال, كتاب الفضائل من قسم الأعمال, باب الحسنين رضي الله عنهما, رقم الحديث: 37693, رواه الهيثمي في مجمع الزوائد, في كتاب المناقب, باب فيما اشترك فيه الحسن والحسين... , رقم

الحديث: 15079, وقال: رواه الطبراني وفيه مسروح أبو شهاب وهو ضعيف.

³ البيتان لنعمان بن ميمون الخولاني, انظر للتفصيل: الوافي في الوفيات: ص3355

⁴ انظر: البخاري, كتاب الأيمان والنذور, باب النذر والطاعة, رقم الحديث: 6318

⁵ البيتان لابن الفراء في: نفع الطيب: 382/3

⁶ انظر: سنن الترمذي, كتاب صفة القيامة والرقائق والورع, باب, رقم الحديث: 2505, قال أبو عيسى

هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل.

إذا رأيت العبد فاحكم على مولاه من ظاهر مولاه
 دليل حال المرء عبداًه والعبد من طينة مولاه¹
 (طِينَةُ الْمُعْتَقِ مِنْ طِينَةِ الْمُعْتَقِ).²

(106)

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
 وفي بصري غض وفي منطقي صمت
 فحظي إذن من صومي الجوع والظماً
 وإن قلت إني صمت يومي فما صمت³
 (مَنْ لَمْ يَدْعَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ).⁴

(107)

إن لله عباداً كشفوا فيه القناعا
 هل رأيتم خادماً عا مل مولاه فضاعا
 وسأرويكم حديثاً قد سمعناه سماعا
 من دنا من ربه شب راء دنا منه ذراعاً⁵

(عن رسول الله ﷺ أنه قال قال الله عز وجل أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهُ لَكَ أَفْرُحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْقَلَاةِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا

¹ الأبيات لأبي أحمد عبد العزيز بن خيرة، انظر للتفصيل: الازدهار: ص101

² انظر: كنز العمال، كتاب العتاق، فصل في الترغيب فيه، 29579، رواه ابن لال والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً ورواه ابن شاهين عن ابن عباس سمعت العباس فذكره . وسنده منقطع كما قال الذهبي.

³ البيتان لأبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي في: معجم السفر، ص50

⁴ انظر: البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم الحديث: 1804

⁵ الأبيات بدون نسبة في: الازدهار: ص103-104

تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ
إِلَيْهِ أَهْرُولُ¹.

(108)

جالس كل عطار وجانب كل جزار
ففوح المسك مبذول وإن أحرزه الجار
وما إن يجبس الكبير إلا شرر النار²

قال رسول الله ﷺ (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ
الْحَدَّادِ لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِلَّا مَا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ
بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً)³.

(109)

روينا حديثاً بالأسانيد مثبتاً وفي النسئي يلقاه من يتصفّح
على مائة مع مثلها ألف مرة لصاحب دُنيا درهمُ الفقير يرجح
إذا جاء ذا من درهمين بواحدٍ ومن عرضٍ مالٍ ذاك في تلك يسمح⁴

(سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ قَالُوا وَكَيْفَ قَالَ كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا
وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عَرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا)⁵.

¹ انظر: مسلم، كتاب التوبة، باب في الحظ على التوبة والفرح بها، رقم الحديث: 2675

² الأبيات بدون نسبة في: الازدهار: ص104

³ انظر: البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة السماحة في الشراء والبيع ... ، رقم الحديث: 1995

⁴ الأبيات للشيخ عفيف الدين اليافعي، انظر للتفصيل: الازدهار: ص105

⁵ انظر: النسائي، كتاب الزكاة، باب جهد المقل، رقم الحديث: 2527، حسنه الألباني.

(110)

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خبير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء¹

(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ التُّبُّوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ).²

(111)

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قُسمت بين العباد مع الآجال أرزاقُ
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ولا يضُرُّ مع الإقبال إنفاقُ³
(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ . . .).⁴

(112)

حافظ على الأنفاس والساعاتِ وأخرج النفس من العادات
وأت التكاليف بلا تكلفٍ فقرّة العينين في الطاعات
وما تقرّب امرؤ بقربةٍ مثل أداء الفرض في الأوقات
والزم فعال النفل من عبادةٍ تخلع عليك أشرف الصفات
ولا تجرّد عملاً من نية فإنما الأعمال بالنيات⁵

¹ انظر: ديوان أبي تمام: 276/4 ؛ روضة العقلاء: ص 57

² انظر: البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف...، رقم الحديث: 3296

³ البيتان لعلي بن ذكوان، للتفصيل انظر: الازدهار: ص 107

⁴ انظر: مسلم، كتاب البر، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث: 2588

⁵ الأبيات للشيخ كمال الدين الشمني في: الازدهار: ص 108

(إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ).¹

(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مِمَّا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).²

(113)

كرم الفتى التقوى وقوته
محض اليقين ودينه حسبه
والأرض طيبته، وكل بني
حواء فيها واحدٌ نسبه³

(كَرَّمَ الرَّجُلِ تَقْوَاهُ وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ).⁴

(كَرَّمَ الرَّجُلِ دِينَهُ وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ).⁵

(114)

¹ انظر: البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث: 6137

² انظر: البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي، رقم الحديث: 1؛ مسلم، كتاب الإمامة،

باب قوله ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ... ﴾، رقم الحديث: 1907

³ انظر: ديوان أبي العتاهية: 61؛ الازدهار: ص 108

⁴ انظر: كنز العمال، كتاب الأخلاق، باب الإكمال من التقوى، رقم الحديث: 5648

⁵ انظر: مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 8759، قال شعيب

الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

عِيَالُ اللَّهِ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَبْنَهُمُ الْمَكَارِمُ فِي عِيَالِهِ
وَلَمْ نَرِ مِثْلِيَا فِي ذِي فِعَالٍ عَلَيْهِ قَطُّ أَفْصَحُ مِنْ فِعَالِهِ¹

(115)

الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَا لَ اللَّهُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
فَأَحْبَبُهُمْ طَرَا إِلَيْهِ هَ أَبْرَهُمْ لِعِيَالِهِ²

(الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ).³

(116)

وَأَحْسَنُ عِبَادِ اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لَهُمْ رَوَاهُ مِنَ الْأَصْحَابِ كُلِّ فُقَيْهِ
وَإِنْ آلَهُ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ يَعِينُ الْفَتَى مَا دَامَ عَوْنُ أَخِيهِ⁴

(... وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...).⁵

(117)

بَادِرٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَأَعْمَلُ بِهَا فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَمَالِهِ
لَا بَدَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ جَاهِهِ كَمِثْلِ مَا يُسْأَلُ عَنْ مَالِهِ⁶

(لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ)

¹ انظر: كشف الخفاء: 200/2 ؛ ديوان أبي العتاهية: 366

² انظر: كشف الخفاء: 200/2 ؛ ديوان أبي العتاهية: 371

³ انظر: مسند أبي يعلي، مسند ثابت البناني عن أنس، رقم الحديث: 3315، قال حسين سليم أسد: إنساده ضعيف.

⁴ البيتان للطبي الصغير، انظر للتفصيل: كشف الخفاء: 200/2

⁵ انظر: مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى

الذكر، رقم الحديث: 2699

⁶ البيتان لسيد الناس، انظر: الازدهار: ص109

وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ¹.

(118)

لم ترفع القصر وتبنيه
وتجمع المال وتقنيه
اسمع حديثاً قاله المصطفى
بوجه إعلام وتبنيه
من حسن إسلام المرء تركه
مجتنباً ما ليس يعنيه²
(مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)³.

(119)

دَعُ ما يرييك واسأل
عنه إلى ما لا يرييك
فليأتينك إن كند
ت موقراً منه نصيبك⁴
(دَعُ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ ...)⁵.

(120)

كفى بالموت وعظماً لو عقلنا
فكيف وبعده هول فظيع
أخي مهَّدْ لنفسك من بعيدٍ
فإن الموتَ مصرعُه سريع
لعلك أن تفوزَ بخير عيشٍ
بدار الخلد, ساكنها رفيع⁶

¹ انظر: سنن الترمذي, كتاب صفة القيامة والرقائق, باب في القيامة, رقم الحديث: 2417, صححه الشيخ الألباني.

² الأبيات منسوبة إلى أبي عمرو عثمان بن محمد البقالي, انظر للتفصيل: الازدهار: ص 110

³ انظر: سنن ابن ماجه, كتاب الفتن, باب كف اللسان في الفتنة, رقم الحديث: 3976, صححه الشيخ الألباني.

⁴ البيتان بدون نسبة في: الازدهار: ص 112

⁵ انظر: سنن الترمذي, كتاب صفة القيامة والرقائق والورع, باب , رقم الحديث: 2518, صححه الشيخ الألباني.

⁶ الأبيات للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني في: الازدهار: ص 113

(كَفَى بِالذَّهْرِ وَاعِظًا وَبِالْمَوْتِ مُفْرَقًا).¹

¹ انظر: كنز العمال, كتاب الموت, باب في ذكر الموت وفضائله, رقم الحديث: 42115, رواه العسكري بسند فيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

نتائج البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ρ وعلى آله وصحبه
أجمعين, وبعد؛

وبحمد الله وكرمه الغزير فقد استطعت أن أكمل بحثي, ومع قلة زادي في هذا
السفر الشاق, قد استنتجت بعد المطالعة والاستقصاء النتائج التالية:

كلف الله عز وجل نبيه ρ بمهمة تبيين الإسلام, فقام النبي ρ بها أحسن
القيام, واستخدم بلاغة شتى أساليب الإيضاح والتعليم.

لم يستعمل النبي ρ هذه الأساليب والأجناس الأدبية لغاية فنية في تزيين
الكلام وتحسينه, وإنما استعمله لهدف أسمى, وهو إبراز المعاني في صورة مجسمة
لتوضيح الغامض, وتقريب البعيد, وإظهار المعقول في صورة المحسوس, وتربية
النفوس وحضها على البر, ودفعها إلى الفضيلة, ومنعها عن المعصية والإثم.

الأساليب الأساسية التي اصطنعها رسول الله ρ لتبليغ الإسلام, هي:

1- الخطابة: كان الشعر في العصر الجاهلي يسود على الأجناس الأدبية
كلها. وذلك لأن العرب قبل الإسلام قد ألفوا أن التأثير العميق في قلوب السامعين
يكون للشعر دون النثر. لكن تغيرت هذه الحالة بعد نزول القرآن وبعثة النبي ρ لما
استطاع القرآن والحديث أن يصلوا إلى ذلك التأثير.

فالخطابة هي من أساليب النثر, ومن أهمها, والتي اعتمد عليها النبي ρ
وأصحابه في الدعوة والتبليغ. فمن المبادئ التي رسخها لنا رسول الله ρ والتي ما زال
المسلمون يمارسونها ولن يزلوا, هي: براعة افتتاح خطبه ρ وبدايته المثيرة, واقتباسه
 ρ من القرآن, والتنويع في موضوعات الخطب كالتوحيد, والتقوى, وتشبث رسالته,
والجهاد, وذكر الموت, والعبادة...., وطريقة ختامه ρ بالدعاء وغيره, والتكرار

للتوضيح والتأكيد، والتوقف بعد الأفكار المهمة، وإشراك الجمهور في عملية الاتصال، والبعد عن الهجاء الجاهلي، وعدم إطالة الخطبة، وتعيين أوقاتها، مراعاة أحوال السامعين، وغيرها

2- قصة: وكما مرّ أنه ρ لم يعرض القصص بمختلف أنواعها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية، وإنما الهدف الأساسي لسرد النبي ρ تلك القصص هو الدعوة والتبليغ، لأنه ρ من أجله بعث ومن أجله اصطنع الأساليب الكثيرة.

فاستهدف ρ ، لدرجة الأولى والآخرة، موضوعات دينية كقيم الإسلام وقضايا العقيدة والرسالة، ومن بعض أغراض قصصه: الدعوة، وبناء العقيدة، والتربية: بالترغيب والترهيب، أو التربية عن طريق التعليم، أو بالموعظة، أو بالتوبة، أو بالتسرية عن المسلمين.

ويوجد في الحديث النبوي ثروة كبيرة للقصص، ويصل عددها إلى (139).

ثم هذه القصص متنوعة جداً، تنقسم من حيث أنواعها الجامعة إلى: القصص الواقعة للنبي ρ ، والقصص التمثيلية، والقصص الغيبية. والقصص الغيبية تنقسم إلى: القصص التاريخية، وقصص المستقبل، وقصص البعث واليوم الآخر، وقصص من عالم الغيب.

لقد أثرت القصة النبوية في القصة العربية تأثيراً بليغاً، فمن هذا التأثير:

- نسخ تلك القصص التي لم تلائم التعليمات الإسلامية، كالأوابد، التي لم يبق منها إلا قليل. فهذا كان توجيهاً إيجابياً من قبل الإسلام - القرآن والحديث- أن يطهر الأدب الإسلامي مثل هذه السلبيات، ووجهه إلى الإيجابية التي تعتمد على الواقعية والهدف.

لم يكتف الإسلام بنسخ القصص المضادة لتعليماته، وإنما وقر ثروة كبيرة للقصص التي يصل عددها إلى (139) قصة. نتعلم منها أنها:

- لا تخلوا من هدف، تستهدف موضوعات دينية كقيم الإسلام وقضايا العقيدة والرسالة وغيرها.

- وتعتمد على الواقعية أي أنها تخبر عن أمور حدثت، وشخصيات وجدت، وأنه ليس اختراع للشخصيات، أو تلفيق للحوادث، وهي واقعية في طريقة تناولها للموضوعات وعرضها للشخصيات.

ومن أمثلة تأثير القصة النبوية في القصة العربية، تأثير قصة (الإسراء والمعراج). فأثر هذه القصة جلي في القصة العربية، ك (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، وفي (الفتوحات الإسلامية) لمحي الدين العربي، ورحلة روحية لأبي زيد البسطامي.

لم يقتصر تأثير (قصة الإسراء والمعراج) على الأدب العربي فقط، وإنما نرى شواهد على الآداب الأجنبية كالأدب الفارسي:

- فنرى أثرها واضحاً في الشاعر الكبير (سنائي) حيث نجده يكتب رحلة خيالية يصور فيها مقامات المتصوفين وأحوالهم ...

- وأيضاً نجد أثر هذه القصة في الأدب الإيطالي في قصة (كوميديا دانتي الإلهية). لقد اختلف كثير من المستشرقين حول تأثر دانتي بقصة المعراج وعدم تأثره، إلى أن ينتهي الأمر إلى تأكيد من قالوا بتأثره بهذه القصة.

3- المثل: كما لم يستخدم النبي ρ الأجناس الأدبية الأخرى لغاية فنية، لم

يستخدم كذلك المثل إلا لدفع النفوس إلى الخير ومنعها من الشر، وتربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.

فأكثر ρ الاعتماد على هذا الأسلوب, لأنه كان يعرف دور المثل ومكانته عند قومه. كما كان يتلو آيات الأمثال المضروبة للناس, ويجد أثرها في الردّ والتحدّي, والترغيب والترهيب. فحظي المثل باهتمامه ρ كوسيلة من وسائل معينة على أداء هذه المهمة.

فراه ينوع:

1- في الممثل وضارب المثل نفسه:

أ- وتارة أسند ضرب المثل إلى نفسه.

ب- وتارة أسند ضرب المثل لله عزّ وجلّ.

ج- وتارة أسند ضرب المثل للملائكة.

2- وينوع في موضوعات المثل: فقد خصّب المثل بمواضيع متنوعة.

3- وينوع في الأسلوب: فاتخذ لضربه طرقاً متعددة.

4- وينوع في أنواع المثل.

4- الرسالة: إن الرسالة هي أضعف الأجناس الأدبية في العصر الجاهلي وأقواها في العصر الإسلامي. وسبب قوتها يرجع إلى ما أعطتها نبي الإسلام ρ من أهمية.

لقد استخدم الرسول ρ هذا الجنس الأدبي في المهادنة مع القبائل والدعوة إلى الإسلام والمعاهدات مع القبائل التي سكنت بين المدينة وساحل العرب.

على العكس من الأجناس الأدبية الأخرى, كانت ملامح الرسالة غير واضحة حتى العصر النبوي, بسبب ضعف هذا الجنس وقلة استعمالها في العصر قبل الإسلام, فراه ρ يضع لنا مبادئها ب:

- استفتاح رسائله ρ بالبسملة.
- وافتتاحها بعدة أساليب, إما ب (من رسول الله إلى فلان), أو (هذا كتاب ...), أو ب (سَلِّم أنت), أو ب (أما بعد).
- بأن يأتي في صدور الكتب بالسلام. كان يقول في خطاب المسلم (سلام عليك), وربما قال (السلام على من آمن بالله ورسوله), وفي خطاب الكافر كان يقول (سلام على من اتبع الهدى).
- كان يأتي في صدور الكتب بالتحميد بعد السلام, فيقول (فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو).
- وربما يأتي بالتشهد بعد التحميد ك (فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله...).
- وقد يتخلص من صدر الكلام إلى المقصود ب (أما بعد).
- كان النبي ρ أكثر الناس تأثراً بالقرآن, لذا لا نجد رسالة صدرت منه ρ إلا وفيها آية من آي الذكر الحكيم.
- فنرى الخلفاء الراشدين (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي) رضي الله عنهم اتبعوه ρ اتباعاً كاملاً في رسائلهم.
- ثم نرى بعد ذلك الخلفاء الأمويين والعباسيين - وإن انحرفوا قليلاً عن سنة رسولهم ρ بالتطويل والتفنن والزخرفة والسجع والمغالاة والتكلف بكثرة الاستعارات والتشبيهات والكنائيات والجناس والاقْتباس... , غير أننا نرى أثر القرآن الحديث واضحاً في رسائلهم ك:
- إثبات الاستفتاح بالبسملة.
- وافتتاح أكثر كتبهم تارة ب (أما بعد), وتارة ب (من فلان بن فلان).....

- التحميد والسلام.
- الاقتباس بشيء من القرآن والحديث.
- وكذلك كثرة الاقتباس من الحديث توضح لنا مدى تأثير الحديث في رسائلهم في العصور المتأخرة.

5- الشعر: موقف الإسلام من الشعر كموقفه من الكلام, حسنه كحسن الكلام, وقبيحه كقبيح الكلام, وما جاز في الكلام جاز فيه, وما لم يجز في ذلك لم يجز فيه. أما اجتناب النبي ρ من هذا الجنس الأدبي - من أهم الأجناس الأدبية عند العرب - وورود الذم في القرآن والحديث عليه, فله عدة أسباب:

- فقد سادت في العصر الجاهلي اعتقادات غريبة عن الشعراء, منها أنهم يصابون بما يشبه الجنون, وأنهم يتصلون بالشياطين الذين يمدونهم بالمعاني ويلهمونهم سبل التعبير عنها شعراً. فقد استغل أعداء النبي ρ هذا الاعتقاد فأشاعوا بأنه شاعر. فردّ القرآن على ذلك.

- وكذلك من الشعراء من كفروا وهاجوا النبي ρ وافتروا عليه بالباطل, من هؤلاء الشعراء: أبو عزة الجمحي, وعبد الله بن الزبيري, ومسافح بن عبد مناف, وأمّية بن أبي الصلت. فقرر القرآن أن من كفر من الشعراء فلا يتبعهم إلا من ضلّ عن الهدى.

- إن العرب في العصر الجاهلي كانوا قد ألفوا أن التأثير العميق في قلوب السامعين يكون للشعر دون النثر. فوصول القرآن - وهو ليس بشعر - إلى ذلك التأثير كان إعجازاً له.

فاتضح أن الذم الوارد في القرآن والحديث ليس بعيب في الشعر نفسه, وإنما كان لنفي القرآن عن كونه شعراً, أو كون صاحبه ρ شاعراً يتلقى القرآن من الجن

أو الشيطان, وللنهي عن كونه ρ كاهناً يتدع الكلام ويختلقه, لأنه يلعن الشياطين ويسبهم, وينفي عن كونه شاعراً.

فتبين إذن أن الإسلام (القرآن والحديث) لا يحرم الشعر بجميع اتجاهاته. أما الشعراء المؤمنون فقد أشاد بهم القرآن لقوله فيهم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا¹﴾.

وعلى العكس ما ورد في الحديث من الذم في الشعر, كان النبي ρ يعجب أيضاً بشعر أمية بن أبي الصلت الحكمي, ويؤيد ما ورد في الأشعار موافقاً للإسلام, كقوله عليه السلام (أصدق كلمة قالتها العرب قوله لبيد):

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وكذلك كان يشجع الشعراء المسلمين على الدفاع عن الإسلام, كحسان بن ثابت, وكعب بن مالك الأنصاري, والنابغة الجعدي, وغيرهم.

مع أن النبي ρ لم يصطنع الشعر أسلوباً لدعوته وتبليغ رسالته, لكن عنايته به كفته أن يؤثر فيه كتأثيره في الأجناس الأدبية الأخرى كالخطابة والرسالة والقصة والمثل.

فنرى في الشعر العربي ظهور الأغراض الجديدة لا عهد لها في الماضي, كالتوحيد, والرسالة, والجهاد, والتقوى, والقرآن, والعقيدة, والصلاة, والصوم, والملائكة, وغيرها.

كما نرى أن الإسلام (القرآن والحديث) طهر الشعر من الشرك والوثنية وغيرها من الموضوعات المضادة لتعليمات الإسلام التي كانت شائعة في الشعر الجاهلي.

¹ الشعراء: 227

وكذلك نرى تهذيب بعض الأغراض الجاهلية كالمهجاء مثلاً، فهدّبه الإسلام،
فبدأ الشعراء يرمون من يهجون بالنفاق والكذب وانعدام التقوى والصلاح.
الاقتباس من الحديث النبوي صار فناً مهمّاً من فنون البلاغة العربية.

خاتمة البحث

وفي الختام أحمد الله عزوجل أن وفقني لإتمام هذا البحث المتواضع المخفوف بكثير من الصعوبات, لأن مباحثه مبثوثة في بطون كتب الأحاديث النبوية الشريفة والأدب العربي حيث لا يسهل جمعها, وقد ساعدتني في اجتياز هذه الصعوبات ودفعتني إلى اجتيازها كلما اعتراني الفتور ففكرة هذا البحث يدور في فلك الحديث النبوي, فقد آنس روعي بمصدر الإسلام الثاني أن تكرر هذه الأوقات الطيبة في حياتي مرات ومرات فليس هناك أفضل من العيش في رحاب الحديث الشريف (بعد القرآن), فلن أضع القلم حتى أتوجه إلى الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم, وأن ينال رضا أستاذي الذي أشرف على عملي ورعاه, ولم يكن لهذا البحث أن يخرج بهذه الصورة لولا عناية الله عز وجل ثم رعاية أستاذي الفاضل الدكتور نصيب دار الذي غمرني بفضله وعلمه, وأدعو الله له بدوام العافية وأن يطيل في عمره, كما أتقدم بالشكر لعمتي الجليلة الدكتورة مسرت جمال بجامعة بشاور (بشاور) بقسم اللغة العربية, والصديق الحميم الفاضل أمان الله الهلالي, وقد استفدت منهما كثيرا في دراستي وخلال كتابة هذا البحث, وأشكر أيضاً إلى كل من مدّ لي يد المعونة في كل كبيرة وصغيرة وأسهموا في إنجاز هذا البحث وإتمام هذا العمل فلهم مني جميعاً جزيل شكري وخالص عرفاني, واني لأرجو الله أن أكون قد حققت ما كنت آمله من هذا الجهد لكتابة في هذا الموضوع ولا أدعي أن هذا البحث بلغ الكمال, فالكمال لله وحده, لأني على يقين بأن الباحث لا بد أن يعتري عمله النقص, إذا النقص من طبيعة البشر, ولكن حسبي من ذلك ما بذلت من جهد وتعب, فإنه إن كان ما كتبتة صواباً فمن عند الله عز وجل وله الحمد والشكر والثناء والرجاء, ومن توجيهات أستاذي الجليل, وإن كان خطأ فمن نفسي

ومن الشيطان, وأستغفر الله تعالى ما زلّ به قلّمي أو أخطأ به لساني, وصلى الله
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث مُرسَل فرمان

مرحلة الدكتوراه

قسم اللغة العربية, جامعة بشاور

فهرس الآيات القرآنية

| الصفحة | الآية | السورة | ت |
|--------|---------|----------|----|
| 225 | 26 | البقرة | 1 |
| 120 | 44 | البقرة | 2 |
| 113 | 187 | البقرة | 3 |
| 380 | 218 | البقرة | 4 |
| 250 | 261 | البقرة | 5 |
| 50 | 136-134 | آل عمران | 6 |
| 308 | 64 | آل عمران | 7 |
| 124 | 159 | آل عمران | 8 |
| 386 | 159 | آل عمران | 9 |
| 386 | 164 | آل عمران | 10 |
| 88 | 54-51 | النساء | 11 |
| 49 | 28 | النساء | 12 |
| 193 | 28 | النساء | 13 |
| 99 | 146 | النساء | 14 |
| 88 | 165 | النساء | 15 |
| 308 | 171 | النساء | 16 |
| 118 | 33 | الأنعام | 17 |
| 329 | 109 | الأنعام | 18 |

| ت | السورة | الآية | الصفحة |
|----|-------------|-------|--------|
| 19 | الأَنْعَام | 153 | 263 |
| 20 | الأَعْرَاف | 199 | 124 |
| 21 | الأَنْفَال | 74 | 380 |
| 22 | التَّوْبَة | 20 | 381 |
| 23 | يُونُس | 12 | 50 |
| 24 | هُود | 41 | 299 |
| 25 | يُوسُف | 3 | 140 |
| 26 | يُوسُف | 111 | 192 |
| 27 | الرَّعْد | 11 | 50 |
| 28 | إِبْرَاهِيم | 45 | 228 |
| 29 | الإِسْرَاء | 83 | 49 |
| 30 | الإِسْرَاء | 110 | 300 |
| 31 | الكَهْف | 60 | 56 |
| 32 | مَرْيَم | 83 | 268 |
| 33 | طه | 47 | 308 |
| 34 | الأنبياء | 5 | 349 |
| 35 | الحج | 40-39 | 380 |
| 36 | المؤمنون | 3 | 47 |
| 37 | النور | 115 | 47 |
| 38 | النحل | 125 | 178 |

| الصفحة | الآية | السورة | ت |
|--------|----------|----------|----|
| 47 | 72 | الفرقان | 39 |
| 116 | 214 | الشعراء | 40 |
| 349 | 237 | الشعراء | 41 |
| 349 | 226 ,224 | الشعراء | 42 |
| 299 | 3 | النمل | 43 |
| 300 | 30 | النمل | 44 |
| 114 | 6-1 | القصص | 45 |
| 140 | 11 | القصص | 46 |
| 47 | 55 | القصص | 47 |
| 228 | 28 | الروم | 48 |
| 228 | 59 | الروم | 49 |
| 48 | 9 | السجدة | 50 |
| 393 | 21 | الأحزاب | 51 |
| 205 | 8-7 | سبأ | 52 |
| 205 | 78-77 | يس | 53 |
| 220 | 13 | يس | 54 |
| 348 | 69 | يس | 55 |
| 48 | 11 | الصفافات | 56 |
| 118 | 36 | الصفافات | 57 |
| 69 | 23 | ص | 58 |

| الصفحة | الآية | السورة | ت |
|--------|-------|---------|----|
| 116 | 3 | الزمر | 59 |
| 113 | 13 | الحجرات | 60 |
| 388 | 23-19 | النجم | 61 |
| 391 | 23-19 | النجم | 62 |
| 308 | 23 | الحشر | 63 |
| 120 | 3-2 | الصف | 64 |
| 4 | 4 | التحريم | 65 |
| 220 | 11 | التحريم | 66 |
| 117 | 4 | القلم | 67 |
| 348 | 42-41 | الحاقة | 68 |
| 49 | 21-19 | المعارج | 69 |
| 388 | 23 | نوح | 70 |
| 56 | 11 | الضحى | 71 |
| 129 | 3-1 | القارعة | 72 |

فهرس الأحادس النبوة ρ

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|-------------------------|----|
| أ | لا يشكر الله من ... | 1 |
| أ | من صنع إليه معروفاً ... | 2 |
| و | بعثت بجوامع الكلم | 3 |
| ز | أجب عني ... | 4 |
| و | إن من البيان ... الحكمة | 5 |
| ز | أهج المشركين ... معك | 6 |
| و | الشعر بمنزلة ... الكلام | 7 |
| ز | اللهم ... القدس | 8 |
| 4 | أكرموا ... أدهم | 9 |
| 4 | فطفق ... الأنصار | 10 |
| 4 | ما نحل ... حسن | 11 |
| 7 | إن هذا ... مآدبه | 12 |
| 8 | إن لله ... عكا | 13 |
| 9 | إن هذا ... استطعم | 14 |
| 9 | مثله ... المأدبة | 15 |
| 10 | ليس ... القرآن | 16 |
| 10 | لأن يؤدب ... بصاع | 17 |
| 26 | أدبني ... تأديبي | 18 |
| 26 | ورجل كانت ... تأديبها | 19 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|-------------------------|----|
| 47 | إن من القول عيالا | 20 |
| 47 | كل كلام ابن آدم ... | 21 |
| 50 | من رأى منكم منكراً ... | 22 |
| 56 | يا رسول الله ... الحديث | 23 |
| 56 | إن خياطاً ... يومئذ | 24 |
| 57 | إنما ... بالنيات | 25 |
| 57 | لا يصلين ... قريظة | 26 |
| 58 | كان النبي ... المرسلة | 27 |
| 58 | كان ... القطط | 28 |
| 60 | من كذب ... في النار | 29 |
| 61 | نزل القرآن ... أحرف | 30 |
| 66 | أنّ رسول الله ... ذكوان | 31 |
| 67 | المسلم أخو المسلم | 32 |
| 67 | لا ضرر ولا ضرار | 33 |
| 67 | إذا حكم الحاكم ... أجر | 34 |
| 67 | السفر ... العذاب | 35 |
| 67 | نعم ... يعصيه | 36 |
| 67 | أنا أفصح ... قريش | 37 |
| 68 | إذا ... فليغتسل | 38 |
| 68 | اطلبوا العلم ... بالصين | 39 |
| 68 | لا ضرر ولا ضرار | 40 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|---------------------------------|----|
| 70 | لا يؤمن ... ولده | 41 |
| 71 | الولاء حُمة ... يورث | 42 |
| 71 | سمعت رسول الله ... بالطور | 43 |
| 75 | لولا أن أشق ... صلاة | 44 |
| 77 | لولا أن أشق ... صلاة | 45 |
| 78 | فر ... الأسد | 46 |
| 78 | لا ... طيرة | 47 |
| 78 | لا ... مصح | 48 |
| 79 | كنت نهيتكم ... فوزها | 49 |
| 100 | من أعطى الله ... استكمل الإيمان | 50 |
| 110 | إن الله حبس ... بعدي | 51 |
| 111 | أتدرون ... حرام | 52 |
| 112 | فإن خلق نبي الله ... القرآن | 53 |
| 112 | أحسن الحديث ... | 54 |
| 112 | إن الله أذهب ... | 55 |
| 113 | لهن عليكم حق ... | 56 |
| 116 | يا بني فلان ... شديد | 57 |
| 116 | اشتروا لأنفسكم ... | 58 |
| 116 | أشهد ألا إله ... | 59 |
| 117 | إنما بعثت ... الأخلاق | 60 |
| 120 | يؤتى برجل ... | 61 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|--------------------------------------|----|
| 121 | أقول قولي هذا ... | 62 |
| 121 | اللهم ... الأنصار | 63 |
| 121 | والسلام عليكم ... | 64 |
| 122 | حمي الوطيس | 65 |
| 123 | رويدك ... القوارير | 66 |
| 123 | لا ينتطح عنزان | 67 |
| 123 | مات حتف أنفه | 68 |
| 123 | المضعف ... الركب | 69 |
| 123 | هدنة على وحن | 70 |
| 124 | إن الرفق ... شأنه | 71 |
| 125 | المؤمن مألوفة ... يؤلف | 72 |
| 126 | إن طول ... سحرا | 73 |
| 126 | إن رسول الله كان يقرأ ... على المنبر | 74 |
| 129 | إن بني هاشم استأذنوا ... | 75 |
| 129 | قولوا لا إله ... تفلحوا | 76 |
| 130 | التقوى ههنا ... | 77 |
| 130 | والله لا يؤمن ... | 78 |
| 130 | آذرتكم ... النار | 79 |
| 131 | يوم الخلاص ... الخلاص | 80 |
| 131 | ألا أنبئكم ... سكت | 81 |
| 132 | أتدرون ... ربكم | 82 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|---------------------------|-----|
| 132 | كنت ردف النبي ... | 83 |
| 133 | هل تدري ... يعذبهم | 84 |
| 134 | أرايتكم لوأخبرتكم ... | 85 |
| 134 | ألا هل بلغت ... | 86 |
| 135 | كان رسول الله إذا خطب ... | 87 |
| 135 | صلى لنا النبي ... | 88 |
| 135 | قبح الله هاتين اليدين ... | 89 |
| 165 | إن خرافة من ... | 90 |
| 179 | عرضت علي ... حساب | 91 |
| 179 | يصاح برجل ... البطاقة | 92 |
| 180 | مثلكم ومثلي ... أشياء | 93 |
| 180 | كان فيمن ... بصدرة | 94 |
| 181 | مثل القائم ... جميعا | 95 |
| 182 | بينمأنا في الحطيم ... | 96 |
| 184 | إني لأعلم ... منزلة | 97 |
| 186 | رأى عيسى بن مريم | 98 |
| 186 | اشترى رجل ... تصدقا | 99 |
| 187 | إن لله ملائكة ... | 100 |
| 188 | كان النبي إذا صلى ... | 101 |
| 190 | هل تدرون ... الدار | 102 |
| 192 | كان داؤد ... المصرخية | 103 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|------------------------------|-----|
| 193 | كان فيمن ... الجنة | 104 |
| 193 | بادرني عبدي بنفسه ... | 105 |
| 195 | شكونا إلى رسول الله ... | 106 |
| 196 | كان فيمن قبلكم قتل ... | 107 |
| 196 | كان الرجل ... تستعجلون | 108 |
| 199 | كانت حاضنتي ... الشام | 109 |
| 200 | لله ... الفرح | 110 |
| 201 | مثل القائم على حدود الله ... | 111 |
| 202 | إن ثلاثة ... صاحبك | 112 |
| 203 | إن يأجوج ... لحومهم | 113 |
| 204 | يا محمد أترى ... | 114 |
| 206 | يسمعهم الداعي ... | 115 |
| 206 | بينظهراني جهنم ... | 116 |
| 206 | هل امتلأت ... | 117 |
| 206 | يلقى على أهل النار ... | 118 |
| 206 | يا أيها الناس ... مسئولون | 119 |
| 207 | ألست في ... | 120 |
| 207 | يؤتى بالموت ... | 121 |
| 207 | إن عبداً ... بها | 122 |
| 208 | إذا تكلم الله بالوحي ... | 123 |
| 208 | لما خلق ... الحق | 124 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|------------------------------|-----|
| 216 | ثلاثة كانوا في كهف ... | 125 |
| 217 | على أن يطأها ... | 126 |
| 247 | إن الغناء ... القلب | 127 |
| 249 | إن من ... سحرا | 128 |
| 250 | مثل القائم على حدود الله ... | 129 |
| 252 | اهجوا بالشعر ... | 130 |
| 252 | اهجوا قريشاً ... | 131 |
| 253 | مثلي ... اللبنة | 132 |
| 254 | جاءت ... النبي | 133 |
| 254 | إن الله أمر ... | 134 |
| 256 | مثل المؤمن كمثل النحلة ... | 135 |
| 259 | أنا النبي ... المطلب | 136 |
| 259 | اللهم إنه ... المهاجرة | 137 |
| 260 | اللهم لا ... المهاجرة | 138 |
| 261 | مثلي ومثل من ... | 139 |
| 261 | إنما مثلي ومثل الناس ... | 140 |
| 262 | خط النبي خطأً ... | 141 |
| 262 | بعثت ... الوسطى | 142 |
| 262 | مثل القائم ... جيمعاً | 143 |
| 263 | خط النبي خطأً ... | 144 |
| 264 | مالي ... أهلها | 145 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|--|-----|
| 264 | أترون هذه هانت ... | 146 |
| 282 | إلى نعيم بن مسعود الأشجعي ... | 147 |
| 283 | إِنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ ... | 148 |
| 283 | إِنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... | 149 |
| 284 | بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ هَذَا مَا صَاحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ... | 150 |
| 286 | إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِيَلَادِهِمْ ... | 151 |
| 287 | مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جِيفِرٍ ... | 152 |
| 288 | بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ ... | 153 |
| 288 | مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْدَرِ ... | 154 |
| 289 | إِنَّ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَإِنَّ وَاوَدِيهِمْ ... | 155 |
| 291 | مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ ... | 156 |
| 295 | أَنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ... | 157 |
| 297 | إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ ... | 158 |
| 297 | هَذَا مَا خَالَفَ عَلَيْهِ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ ... | 159 |
| 300 | كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ ... | 160 |
| 300 | مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ... | 161 |
| 301 | مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلٍ ... | 162 |
| 301 | هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِمُخَالَفٍ ... | 163 |
| 302 | هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةَ ... | 164 |
| 302 | سَلِّمِ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ ... | 165 |
| 303 | مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ... | 166 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|---|-----|
| 304 | مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى ... | 167 |
| 305 | مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرٍ ... | 168 |
| 306 | بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ ... | 169 |
| 307 | مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو ... | 170 |
| 307 | مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدٍ ... | 171 |
| 307 | بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ... | 172 |
| 308 | مِن مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النِّجَاشِيِّ ... | 173 |
| 319 | إِنَّمَا ... طِيبٌ | 174 |
| 347 | الشَّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ ... | 175 |
| 350 | الشَّعْرُ كَلَامٌ ... | 176 |
| 350 | إِنَّ ... حِكْمَةٌ | 177 |
| 351 | هَلْ مَعَكَ ... فِي شَعْرِهِ | 178 |
| 352 | كَادَ أُمِيَّةٌ أَنْ يَسْلَمَ ... | 179 |
| 355 | جَالَسْتُ النَّبِيَّ ... | 180 |
| 355 | إِنَّ ... أَنْزَلَ | 181 |
| 356 | خَذُوا ... شَعْرًا | 182 |
| 356 | لَأَنْ يَمْتَلِئَ ... شَعْرًا | 183 |
| 358 | ذَلِكَ مَنْسِيٌّ ... أَمْرِي الْقَيْسِ | 184 |
| 360 | لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... | 185 |
| 367 | فَرَضَ النَّبِيُّ ... | 186 |
| 368 | الصَّوْمُ لِي ... | 187 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|-------------------------------|-----|
| 369 | من لم يدع قول الزور ... | 188 |
| 369 | إذا دخل ... الشياطين | 189 |
| 370 | من صام ثلاثة أيام ... | 190 |
| 370 | من صام رمضان ... | 191 |
| 370 | يقول ... صوم الدهر | 192 |
| 371 | بينما أنا أمشي ... | 193 |
| 372 | أنا عند ... باعاً | 194 |
| 375 | اللهم ... ولداً | 195 |
| 376 | من حرم الرفق ... | 196 |
| 377 | لا يرحم الله ... الناس | 197 |
| 377 | إن الله ... الرحماء | 198 |
| 378 | صل من ... ظلمك | 199 |
| 379 | اسمح ... لك | 200 |
| 381 | غدوة أو روحة في ... | 201 |
| 381 | من جهّز ... غزا | 202 |
| 381 | أي الناس أفضل ... | 203 |
| 381 | والذين ... فأقتل | 204 |
| 383 | إن رجلاً قال يا رسول الله ... | 205 |
| 383 | فو الذي ... الحسنات | 206 |
| 383 | لا يلج ... جهنم | 207 |
| 384 | دُلّني ... يحبوك | 208 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|-------------------------|-----|
| 386 | إنما ... الأخلاق | 209 |
| 391 | لم آتكم ... خبير | 210 |
| 392 | بئست اللات ... مسلماً | 211 |
| 404 | من حرم الرفق ... | 212 |
| 404 | الأرواح ... اختلف | 213 |
| 406 | زر غباً ... حباً | 214 |
| 407 | عيادة المريض ... ثلاث | 215 |
| 407 | من سيدكم ... إذا تزوج | 216 |
| 408 | فإنما ... السؤال | 217 |
| 408 | لو لم يكن ... قاتلاً | 218 |
| 408 | من تفقه ... لا يحتسب | 219 |
| 409 | يا أيها الناس ... هكذا | 220 |
| 411 | إنّ الله ... لبّ لبه | 221 |
| 411 | ما ظنك ... ثالثهما | 222 |
| 412 | عفو الله ... ذنوبك | 223 |
| 412 | يا عائشة ... طالباً | 224 |
| 413 | والذي نفس محمد بيده ... | 225 |
| 413 | نعمتان ... الفراغ | 226 |
| 414 | ثلاثة ... الحسن | 227 |
| 415 | حجبت ... المكاره | 228 |
| 415 | لا قطع ... كثر | 229 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|--------------------------|-----|
| 416 | إن الرزق ... أجله | 230 |
| 416 | انهكوا ... اللحي | 231 |
| 416 | من ولي ... سكين | 232 |
| 417 | عجب الله ... السلاسل | 233 |
| 417 | لو دعيت ... لقبلت | 234 |
| 417 | مطل الغني ... فليتبع | 235 |
| 417 | ازهد في الدنيا ... يجبوك | 236 |
| 418 | إني لست ... وأسقي | 237 |
| 418 | قدم على رسول الله ... | 238 |
| 419 | إذا نور ... منه | 239 |
| 419 | عليكم ... لا ينفذ | 240 |
| 420 | اتق ... حجاب | 241 |
| 420 | كاد الفقر ... القدر | 242 |
| 420 | لو كانت الدنيا ... ماء | 243 |
| 420 | واعلموا ... السيوف | 244 |
| 421 | أول ما ... بالدماء | 245 |
| 421 | يدخل ... يتوكلون | 246 |
| 422 | تعشوا ولو بكف | 247 |
| 423 | اتق الله ... حسن | 248 |
| 423 | أنفق ... إقلا | 249 |
| 423 | المجالس ... بغير حق | 250 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|--------------------------|-----|
| 424 | أكثر ... البله | 251 |
| 424 | ألا أخبركم ... الخالقة | 252 |
| 425 | إياكم ... إخواناً | 253 |
| 426 | استوصوا ... بالنساء | 254 |
| 426 | أحب حبيبيك ... يوماً ما | 255 |
| 427 | فرض النبي صدقة الفطر ... | 256 |
| 428 | الصوم ... المسك | 257 |
| 428 | أنزلت ... رمضان | 258 |
| 429 | من لم يدع قول الزور ... | 259 |
| 429 | إذا دخل ... الشياطين | 260 |
| 430 | من صام رمضان ... | 261 |
| 430 | إذا سمعتم المؤذن ... | 262 |
| 430 | شهر الصبر ... الدهر | 263 |
| 431 | إذا بلغ ... أهله | 264 |
| 431 | المؤمن ... يؤلف | 265 |
| 432 | اغزوا تغنموا ... | 266 |
| 432 | صوموا تصحوا ... | 267 |
| 433 | سبعة يظلمهم الله ... | 268 |
| 433 | مرّ عليه بجزاة ... | 269 |
| 433 | العبد ... دواب | 270 |
| 434 | بدأ ... للغرباء | 271 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|---------------------------|-----|
| 435 | ارحم ... السماء | 272 |
| 436 | قل لا إله ... وارزقني | 273 |
| 436 | من ستر ... القيامة | 274 |
| 437 | انطلق ... يمشون | 275 |
| 437 | الدين النصيحة ... وعامتهم | 276 |
| 439 | اتقوا النار ... تمرة | 277 |
| 440 | إذا أراد ... الحفاظ | 278 |
| 440 | من لم ... عليه | 279 |
| 441 | لا يدخل ... الناس | 280 |
| 441 | ليس الغني ... النفس | 281 |
| 441 | المرء ... يخالط | 282 |
| 442 | إن الله ... سواء | 283 |
| 442 | لا تتمنوا ... العافية | 284 |
| 442 | إن رجلاً زار أخاً له ... | 285 |
| 444 | نعم الجمل ... هما | 286 |
| 445 | من نذر ... فلا يعصه | 287 |
| 445 | من عيّر أخاه ... | 288 |
| 446 | طينة ... المعتق | 289 |
| 446 | أنا عند ظن عبدي | 290 |
| 447 | مثل الجليس ... خبيثة | 291 |
| 447 | سبق درهم ... بها | 292 |

| الصفحة | الحديث | ت |
|--------|-------------------------------|-----|
| 448 | إن مما أدرك الناس ... شئت | 293 |
| 448 | ما نقصت صدقة من مال ... | 294 |
| 448 | إن الله قال ... | 295 |
| 449 | كرم ... خلقه | 296 |
| 449 | إنما الأعمال بالنيات ... إليه | 297 |
| 449 | كرم ... خلقه | 298 |
| 450 | الخلق ... عياله | 299 |
| 450 | لا تزول ... أبلاً | 300 |
| 450 | والله ... أخيه | 301 |
| 451 | دع ... يربيك | 302 |
| 451 | كفى ... مفرقاً | 303 |
| 451 | من حسن ... يعنيه | 304 |

فهرس المصادر والمراجع

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|---|--|---|
| 1 | القرآن الكريم | |
| 2 | الإحكام في أصول الأحكام | علي بن أحمد بن حزم الأندلسي, ط1: 1404هـ, دار الحديث, القاهرة |
| 3 | إحياء علوم الدين | محمد بن محمد الغزالي, (د.ط.ت), دار المعرفة, بيروت |
| 4 | الأدب الإسلامي: إنسانية وعالميته | عدنان علي رضا, ط1: 1987م, دار النحوي, السعودية |
| 5 | الأدب الجاهلي | غازي طليمات وعرفان الأشقر, ط1: 2001م, دار الفكر, دمشق |
| 6 | أدب الخلفاء الراشدين | جابر قميحة, ط1: (د.ت), دار الكتاب المصري |
| 7 | الأدب العربي (من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي) | حبيب يوسف مغنية, ط1: 2002هـ, دار ومكتبة الهلال, بيروت, لبنان |
| 8 | الأدب المفرد | محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري, دار البشائر الإسلامية, بيروت, ط1: 1409هـ, تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي, الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها |
| 9 | إرشاد الأريب | شهاب الدين ياقوت الحموي, ط2: 1923م, مطبعة هندية, مصر |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|--|---|
| 10 | الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار | السيوطي, تحقيق: علي حسين البواب, ط1: 1411هـ, المكتب الإسلامي, بيروت |
| 11 | أساس البلاغة | الزحشري, ط2: 1973م, مصر |
| 12 | الاستيعاب في معرفة الأصحاب | ابن عبد البر, تحقيق: علي محمد الجاوي, مكتبة نخضة مصر, القاهرة, 1960م |
| 13 | أسد الغابة في معرفة الصحابة | عز الدين أبي الحسن بن الأثير الجزري, طبع القاهرة: 1386هـ |
| 14 | أسس النقد الأدبي عند العرب | أسس النقد الأدبي عند العرب, لأحمد أحمد بدوي, ط2: 1960م, مكتبة نخضة مصر |
| 15 | الإصابة في تمييز الصحابة | أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني, تحقيق: علي محمد الجاوي, ط1: 1412 هـ, دار الجيل, بيروت |
| 16 | الأصنام | هشام بن محمد الكلبي, تحقيق: أحمد زكي باشا, ط2: 1924م, دار الكتب المصرية, القاهرة |
| 17 | أصول البزدوي - كنز الوصول الى معرفة الأصول | علي بن محمد البزدوي الحنفي, (د.ت), مطبعة جاويد بريس, كراتشي |
| 18 | أصول الحديث علومه ومصطلحه | محمد عجاج الخطيب, ط4: 1401هـ, دار الفكر, بيروت |
| 19 | الأعلام | خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي, ط5: 2002م, دار العلم للملايين, بيروت |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|---------------------------------------|--|
| 20 | إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين | ابن طولون, تحقيق: محمود أرناؤوط, ط2: 1987م, مؤسسة الرسالة, بيروت |
| 21 | أعلام المحدثين | محمد بن محمد أبو شهبة, (د.ط.ت), مطابع دار الكتاب العربي, مصر |
| 22 | إعلام الموقعين | ابن قيم الجوزية, تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد, دار الجيل - بيروت, 1973م |
| 23 | الإعلام واتصال بالجماهير والرأي العام | سمير محمد حسين, القاهرة: عالم الكتب, ط1: 1984م |
| 24 | الأغاني | أبو الفرج الأصفهاني, تحقيق: سمير جابر, ط: 2 (د.ت), دار الفكر, بيروت |
| 25 | الإكمال في رفع الارتباب | علي بن هبة الله, ط1: 1411هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 26 | ألفية الحديث | جلال الدين السيوطي, تحقيق: أحمد شاكر, طبع عيسى البابي الحلبي, القاهرة, 1353هـ |
| 27 | الأمالي | إسماعيل بن محمد القالي, (د.ط): 1962م, دار الفكر, القاهرة |
| 28 | أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ | أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي, تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام, ط1: 1409هـ, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت |
| 29 | الأمثال العربية القديمة | رودلف زهايم, ترجمة رمضان عبد التواب, ط4: 1987م, مؤسسة الرسالة, بيروت |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|------------------------------------|--|
| 30 | إنباه الرواة على أبناء النحاة | جمال الدين القطفي, تحقيق: محمد أبو الفضل, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1973م, دار الكتب, القاهرة |
| 31 | الأنساب | عبد الكريم السمعاني, تقديم: عبد الله البارودي, ط1: 1408هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 32 | البداية والنهاية | إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء, مكتبة المعارف, بيروت |
| 33 | بغية الوعاة | السيوطي, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, الطبعة الأولى, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاء, 1384هـ. |
| 34 | البلاغة | عز الدين إسماعيل وآخرون, طبع وزارة التربية, مصر, 1396هـ/ 1976م |
| 35 | البلاغة والنقد | حسن شاذلي فهدود د. وآخرون, ط4: 1401هـ, دار المعارف, السعودية |
| 36 | بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب | الآلوسي, تحقيق: محمد بهجة الأثري, ط3: (د.ت) مطابع دار الكتاب العربي, مصر |
| 37 | البيان والتبيين | أبو عثمان عمرو بن بحر, تحقيق: عبد السلام هارون, ط1: 1367هـ, مطبعة لجنة التألي والترجمة والنشر, القاهرة |
| 38 | تاج العروس من جواهر القاموس | سيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي, تحقيق د. عبد العزیز مطر, التراث العربي, (د.ط.ت) الكويت |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|--|---|
| 39 | تاريخ ابن خلدون | عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون, ط4: (د.ت), دار إحياء التراث العربي, بيروت |
| 40 | تاريخ آداب العرب | مصطفى صادق الرافعي, ط1: 2003, دار الكتاب العربي. بيروت |
| 41 | تاريخ آداب اللغة العربية | جرجي زيدان, (د.ط): 1992م, منشورات مكتبة الحياة, بيروت, لبنان |
| 42 | تاريخ الأدب العربي | أحمد حسن الزيات. (د.ط ت) دار نشر الكتب الإسلامية, لاهور باكستان |
| 43 | تاريخ الأدب العربي | بروكلمان, مترجم: عبد الحلیم النجار, ط3: 1962م, دار المعارف, بيروت |
| 44 | تاريخ الأدب العربي | عمر فروخ, ط5, بيروت 1985م |
| 45 | تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي والعصر الإسلامي | محمد واضح رشيد الحسني الندوي, و محمد الرابع الحسني الندوي, تقديم: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي, دار ابن كثير, ط1: 1423هـ/2002م, دمشق, بيروت |
| 46 | تاريخ الأمم والملوك | محمد بن جرير الطبري, دار الكتب العلمية, بيروت, ط: 1, 1407هـ |
| 47 | تاريخ بغداد | الخطيب البغدادي, تحقيق: مصطفى عبد القادر, ط1: 1417هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 48 | تاريخ دمشق الكبير | ابن عساكر, هذبه: عبد القادر بدران, ط2: 1399هـ, دار المسيرة, بيروت |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|---|---|
| 49 | تتمة الأعلام للزركلي | محمد خير رمضان يوسف, ط1: 1418هـ, دار ابن حزم, بيروت |
| 50 | تدريب الراوي | عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف, (د.ط.ت) مكتبة الرياض الحديثة, الرياض |
| 51 | تذكرة الحفاظ | شمس الدين عبد الرحمن الذهبي, طبعة الهند, 1357هـ, الهند |
| 52 | ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة | الطاهر أحمد الزاوي, (د.ط): 1979م, دار الكتب العلمية. بيروت لبنان |
| 53 | تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي | أنيس المقدسي, ط5: 1974م, دار العلم للملايين, بيروت |
| 54 | تفسير القرطبي | محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي, تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني, دار الشعب, القاهرة, ط2: 1372هـ |
| 55 | تفسير الكشاف | الزمخشري, ط1: 1397هـ, دار الفكر, بيروت |
| 56 | تقريب التهذيب | أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني, تحقيق: محمد عوامة, ط1: 1406هـ, دار الرشيد, سوريا |
| 57 | تهذيب التهذيب | أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, دار الفكر, بيروت, ط: 1, 1404 هـ |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|------------------------------------|---|
| 58 | تهذيب اللغة | أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى. تحقيق: رياض زكي قاسم, (د.ط.ت) دار المعرفة, بيروت, لبنان |
| 59 | توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار | محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني, تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, المكتبة السلفية - المدينة المنورة |
| 60 | تيسير علوم الحديث | محمود طحان, (د.ت.ط), دار نشر الكتب الإسلامية, لاهور |
| 61 | الثقات | محمد بن حبان, تحقيق: السيد شرف الدين, ط: 1395هـ, دار الفكر |
| 62 | ثمار القلوب في المضاف والمنسوب | أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط: 1965م, دار المعارف - القاهرة |
| 63 | جامع الأصول من أحاديث الرسول | أبو السعادات مبارك بن محمد الجزري, مطبعة أنصار السنة المحمدية, القاهرة, 1368هـ |
| 64 | الجامع الصحيح | محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي, دار ابن كثير, اليمامة, بيروت, ط: 3: 1407 - 1987, تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة, جامعة دمشق |
| 65 | الجامع الصحيح سنن الترمذي | محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي, دار إحياء التراث العربي, بيروت, تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون, الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|---|---|
| 66 | جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام | القرشي, تحقيق: علي محمد الجاوي, ط1: 1967م, مطبعة لجنة البيان العربي, مصر |
| 67 | جمهرة الأنساب في الجاهلية والإسلام | ابن حجر الأندلسي, تحقق: ليفي بروفنسال, مطابع دار المعارف, مصر, 1948م |
| 68 | جمهرة اللغة | ابن دريد, (د.ط.ت), دار الفكر, مصر |
| 69 | جمهرة أمثال العرب | أبو هلال العسكري, ط2: 1988م, دار الفكر, دار الفكر, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش |
| 70 | جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة | لأحمد زكي صفوت, ط2: 1933م, مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, مصر |
| 71 | الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ | سعيد بن علي, وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد, السعودية, 1417هـ |
| 72 | حجة الله البالغة في أسرار الأحاديث وعلل الأحكام | أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي, (د.ط.): 1322هـ, المطبعة الخيرية, مصر |
| 73 | حلية الأولياء | أبو نعيم, ط4: 1405هـ, دار الكتاب العربي, بيروت |
| 74 | حلية الأولياء وطبقات الأصفياء | أحمد بن عبد الله الأصبهاني, ط: 4, 1405 هـ, دار الكتاب العربي, بيروت |
| 75 | الحياة العربية من الشعر الجاهلي | أحمد محمد الحوفي, ط4: 1962م, دار القلم, بيروت |
| 76 | خريدة القصر وجريدة العصر | الأصبهاني, مكتبة البابي الحلبي, مصر (د.ت) |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|---|---|
| 77 | خزانة الأدب | عبد القادر بن عمر البغدادي, محقيق وشرح عبد السلام محمد هارون, (د.ط.ت), مكتبة الخانجي القاهرة, دار الرفاعي, الرياض |
| 78 | خصائص الخطبة والخطيب | نذير مكتبي, ص 11-15, ط 1: 1409هـ, دار البشائر الإسلامية, بيروت |
| 79 | خصائص القصة الإسلامية | مأمون فريز جرار, ط 1: 1408هـ, دار المنارة, جدة |
| 80 | الخطابة وإعداد الخطيب | عبد الجليل شلبي, ط 2: 1982م, دار القلم, الكويت |
| 81 | الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب | محمد أبو زهرة، الإمام. دار الفكر العربي, 1934م |
| 82 | خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً | لأمير بن محمد المدري, (لا. ط. ت) www.saaid.net , السعودية |
| 83 | دائرة المعارف الإسلامية (اردو) | ط 1: 1966م. دانش كاه بنجاب لاهور. باكستان |
| 84 | دائرة المعارف الإسلامية (العربية) | أحمد السننواوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس. مراجعة: محمد مهدي. (د.ط.ت) |
| 85 | دائرة المعارف الإسلامية (العربية) | بطرس بستاني. (لا.ط.ت) دار المعرفة بيروت لبنان |
| 86 | دراسات في أدب الدعوة الإسلامية | محمود حسين. مكتبة الخانجي, القاهرة, 1982م |
| 87 | ديوان أبي العتاهية | إسماعيل بن قاسم أبي العطاية, دار صادر, بيروت, |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|----|--|---|
| | | 1964 |
| 88 | ديوان أبي تمام | حبيب بن أوس, طبع نظارة المعارف, شرح محي الدين |
| 89 | ديوان أبي محجن | أبو محجن, صنعة أبي هلال العسكري, نشره: صلاح الدين المنجد, ط2: 1964م, المطبعة النموذجية, مصر |
| 90 | ديوان الأعشى الكبير | ميمون بن قيس, شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين, ط1: 1987م, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 91 | ديوان حارث | حارث بن حلزة, ط1: 1987م, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان |
| 92 | ديوان حسان | حسان بن ثابت, دار صادر, بيروت, 1961 |
| 93 | ديوان طرفة, شرح | طرفة بن العبد, تقديم: سيف الدين و أحمد عصام, (د.ط): 1989م, دار مكتبة الحياة, بيروت |
| 94 | ديوان كعب | كعب بن زهير, تحقيق: علي فاعور, ط1: 1407هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 95 | ديوان لبيد | لبيد بن ربيعة, ط1: 1987م, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 96 | الرسائل النبوية الشريفة | شرف يتيه على الزمان - مجدي إبراهيم |
| 97 | رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار | محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني, تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني, ط1: |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|----------------------------|--|
| | | 1405هـ، المكتب الإسلامي، بيروت |
| 98 | الروض الأنف | أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، طبع الجمالية، 1332هـ، مصر |
| 99 | روضات الجنات | محمد باقر الخوانساري، تحقيق: محمد أسد الله، مكتبة إسماعيليان، طهران، إيران |
| 100 | روضة العقلاء ونزهة الفضلاء | محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1397هـ |
| 101 | زهر الآداب | أبو إسحاق القيرواني، ط4: 1972، دار الجيل، بيروت |
| 102 | زهر الآداب | الحصري، تحقيق: زكي مبارك، المكتبة التجارية، القاهرة، 1344هـ |
| 103 | السنة قبل التدوين | محمد عجاج، ط2: 1408هـ، طبع أم القرى للطباعة والنشر، السعودية |
| 104 | سنن ابن ماجه | محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط.ت) دار الفكر، بيروت، والأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها |
| 105 | سنن أبي داؤد | سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|--------------------|--|
| 106 | سنن البيهقي الكبرى | أحمد بن الحسين البيهقي, تحقيق : محمد عبد القادر عطا, مكتبة دار الباز - مكة، 1414 - 1994 |
| 107 | سنن البيهقي الكبرى | أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي, (د.ط): 1414هـ, مكتبة دار الباز, مكة المكرمة، تحقيق : محمد عبد القادر عطا |
| 108 | سنن الدارقطني | علي بن عمر الدارقطني البغدادي, تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني, دار المعرفة, بيروت، 1386هـ |
| 109 | سنن الدارمي | عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي, دار الكتاب العربي, بيروت, تحقيق : فواز أحمد زمري , خالد السبع العلمي, ط1: 1407 هـ, دار الكتب العلمية, الأحاديث مزيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها |
| 110 | سير أعلام النبلاء | محمد بن أحمد الذهبي, تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد, ط4: 1406هـ, موسوعة الرسالة, بيروت |
| 111 | السيرة النبوية | ابن هشام, تحقيق: مصطفى السقا والأبياري وعبد الحفيظ, مطبعة مصطفى الحلبي, 1355هـ |
| 112 | السيرة النبوية | ابن كثير, مطبعة عيسى البابي الحلبي, القاهرة, 1385هـ |
| 113 | شذرات الذهب | ابن العماد دمشقي, ط2: 1399هـ, دار ابن |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|--|---|
| | | كثير, دمشق بيروت |
| 114 | شرح السنة | الحسن بن مسعود البغوي, تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير, ط2: 1403هـ, المكتب الإسلامي, بيروت |
| 115 | شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر | أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني, طبع مصطفى البابي الحلبي, 1368هـ, القاهرة |
| 116 | شعب الإيمان | أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي, تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول, ط1: 1410هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 117 | شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة 23 هجريّة | أيهم عباس حمودي, ط1: 1406هـ, مكتبة النهضة العربية, بيروت |
| 118 | شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه | يحيى الجبّوري, ط4: 1414هـ/1993م, مؤسسة الرسالة, بيروت |
| 119 | الشعر والشعراء | ابن قتيبة الدينوري, تحقيق: أحمد محمد شاکر, (د.ط): 1386هـ, دار المعارف بمصر, (د.ط): 1386هـ |
| 120 | شعراء الرسول ρ في ضوء الواقع والقريض | سعيد الأعظمي الندوي, ط1: 2001م, دار ابن كثير, بيروت |
| 121 | شعراء النصرانية بعد الإسلام | لويس شيخو, دار الفكر, بيروت, 1921م |
| 122 | صبح الأعشى في صناعة الإنشاء | أحمد بن علي القلقشندي, شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين, ط1: |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|--------------------------------|--|
| | | 1407هـ/1987م, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 123 | الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية | الجوهري. تح: أحمد عبد الغفور عطار. (د.ط): 1386هـ دار العلم للملايين بيروت |
| 124 | صحيح مسلم | مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري, تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, بيروت |
| 125 | صفة الصفوة | عبد الرحمن بن علي أبو الفرج, تح: محمود فاخوري ومحمد رواس, ط2: 1399هـ, دار المعرفة, بيروت |
| 126 | الصناعتين في الكتابة والشعر | أبو هلال العسكري, تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل, ط1: 1952م, مطبعة عيسى البابي الحلبي, مصر |
| 127 | الضوء اللامع | السخاوي, دار الحياة, مصر, 1354هـ |
| 128 | الطبقات الكبرى | محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري, (د.ط.ت) دار صادر, بيروت |
| 129 | طبقات اللغويين والنحويين | الزبيدي, تحقيق: محمد أبو الفضل, ط2: (د.ت), دار المعارف, مصر |
| 130 | طبقات المفسرين | عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, تحقيق: علي محمد عمر, ط1: 1396هـ, مكتبة وهبة, القاهرة |
| 131 | طبقات فحول الشعراء | محمد بن سلام الجمحي, تحقيق: محمود محمد شاكر, (د.ط.ت) دار المدني, جدة |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|------------------------------------|--|
| 132 | العصر الإسلامي | شوقي ضيف, ط7: 1963م, دار المعارف بمصر |
| 133 | العصر العباسي الأول | شوقي ضيف, ط8: 1982م, دار المعارف, مصر |
| 134 | العقد الفريد | ابن عبد ربه, (د.ط): 1965م, لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة |
| 135 | علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) | أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري, ط1: 1984م, مكتبة الفارابي |
| 136 | العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده | ابن رشيح القيرواني, تحقيق: محمد محي الدين, ط3: 1963م, مطبعة السعادة, مصر |
| 137 | عن اللغة والنقد والأدب | محمد أحمد الغرب, المركز العربي للثقافة والعلوم, بيروت |
| 138 | عنترة وعبلة | إعداد: أنطوان القوّال, ط1: 1992م, منشورات جروس برس, لبنان |
| 139 | عيون الأثر | ابن سيد الناس, مطبعة القدسي والسعادة, القاهرة, 1366هـ |
| 140 | عيون الأخبار | ابن قتيبة, (د.ط): 1963م, وزارة الثقافة والإرشاد, مصر |
| 141 | غريب الحديث | القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد, تحقيق: محمد عبد المعيد, ط1: 1396هـ, دار الكتاب العربي, بيروت |
| 142 | فتاوى ابن تيمية | أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية, تحقيق: عبد الرحمن النجدي, ط1: 1382هـ, طبع الرياض |
| 143 | فتح المغيـث شرح ألفية | شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي, ط1: |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|---------------------------------|--|
| | الحديث | 1403هـ, دار الكتب العلمية, لبنان |
| 144 | فتوح البلدان | البلاذري, دار الكتب العلمية, بيروت, 1398هـ |
| 145 | فجر الإسلام | أحمد أمين, ط10, 1969, دار الكتاب العربي, بيروت |
| 146 | الفريد | ابن عبد ربه, (د.ط): 1965م, لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة |
| 147 | فن القصة | أحمد أبو سعيد, (د.ط): 1959م, دار الشروق الجديد, بيروت |
| 148 | فن القصة | محمد يوسف نجم, (د.ط.ت), دار الثقافة, بيروت |
| 149 | الفن ومذاهبه | شوقي ضيف, ط10: 1960م, دار المعارف, بيروت |
| 150 | الفنون الأدبية في العصر العباسي | شعبان محمد مرسى, ط2: 1995م, دار الثقافة العربية, القاهرة |
| 151 | الفهرست | محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم, شرح وتعليق: يوسف علي, ط1: 1996م, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان |
| 152 | فوات الوفيات | ابن شاکر, تحقيق: إحسان عباس, دار صادر, بيروت, 1973م |
| 153 | في أصول الأدب | أحمد حسن الزيات, (د.ط.ت) شركة الخزندار للتوزيع, السعودية |
| 154 | في الأدب الجاهلي | طه حسين, ط2: 1927م, دار المعارف, بيروت |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|------------------------------|---|
| 155 | في التاريخ فكرة ومنهاج | سيد قطب, ط8: 2001م, دار الشروق, القاهرة |
| 156 | في التعريب والمغرب | عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري, تحقيق: إبراهيم السامرائي, (د.ط): 1405هـ, مؤسسة الرسالة, بيروت |
| 157 | فيض القدير | عبد الرؤوف المناوي, ط1: 1356هـ, المكتبة التجارية الكبرى, مصر |
| 158 | القاموس المحيط | الفيروز آبادي, إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي, دار إحياء التراث العربي, بيروت (د.ت) |
| 159 | قرى الضيف | عبدالله بن محمد, تحقيق: عبدالله بن حمد المنصور, ط1: 1997م, أضواء السلف, الرياض |
| 160 | القصة والرواية | عزيزة, دار الفكر, بيروت, (د ت) |
| 161 | القصص في الحديث النبوي | عمر بن حسن الزبير, ط1: 1398هـ, المكتبة السلفية, القاهرة |
| 162 | قفو الأثر في صفوة علوم الأثر | رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي, تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة, ط2: 1408هـ, مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب |
| 163 | الكامل في التاريخ | ابن الأثير, دار صادر للطباعة والنشر, بيروت, 1960م |
| 164 | الكامل في اللغة والأدب | المبرد, تحقيق: زكي مبارك, ط1: 1936م, مكتبة مصطفى البابي الحلبي, مصر |
| 165 | كتاب الأمثال في الحديث | ابن حيان, تحقيق: د.عبدالعلي عبدالحמיד حامد, |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|---------------------------------------|--|
| | النبوي | ط2: 1987م, الدار السلفية , بومباي الهند |
| 166 | كتاب الحيوان | الجاحظ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, (د.ط): 1363هـ, دار الفكر, القاهرة |
| 167 | كتاب العين | الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي. تصحيح: أسعد الطيب, (د.ط.ت), دار ومكتبة الهلال, بيروت |
| 168 | كشف الخفاء | إسماعيل بن محمد العجلوني, (د.ط.ت), مكتبة التراث العربي, حلب |
| 169 | كشف الظنون | حاجي خليفة, منشورات مكتبة المثنى, بيروت |
| 170 | كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال | علي بن حسام الدين المتقي الهندي, مؤسسة الرسالة, بيروت, (د.ط) 1989م |
| 171 | الكواكب الدراري | شرح صحيح الإمام البخاري المعروف بشرح الكرماني, ط2: (د.ت) دار إحياء التراث العربي, بيروت |
| 172 | اللباب في تهذيب الأنساب | عز الدين ابن الأثير الجزري, طبع دار صادر, بيروت, 1400هـ |
| 173 | لسان العرب | محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري, ط1: (د.ت), دار صادر, بيروت |
| 174 | لسان الميزان | ابن حجر العسقلاني, تحقيق: دائرة المعارف النظامية, الهند, ط3: 1406هـ, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|---|--|
| 175 | اللمع | أبو نصر السراج الطوسي, تحقيق: عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي سرور, (د.ط.ت), دار الكتب الحديثة, مصر |
| 176 | المؤتلف والمختلف | الآمدي, تصحيح ونشر: فريس كرنكو د. مكتبة القدس, القاهرة, 1961هـ |
| 177 | المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر | أبو الفتح الموصلي, ط1: 1979م, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 178 | مجالس ثعلب | ثعلب, (د.ط.ت), دار الفكر, بيروت |
| 179 | المتجني من السنن | أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي, تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة, ط2: 1406هـ, مكتب المطبوعات الإسلامية, حلب |
| 180 | مجمع الأمثال | أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري, تح: محمد محي الدين عبد الحميد, دار المعرفة, بيروت |
| 181 | مجمع الزوائد ومنبع الفوائد | نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي, (د.ط): 1412 هـ, دار الفكر, بيروت |
| 182 | مجمّل اللغة | ابن فارس. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان, (د.ط.ت), مؤسسة الرسالة, عراق |
| 183 | مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة | جمعها: محمد حميد الله, ط7: 1987, دار النفائس, بيروت |
| 184 | المحكم والمحيط الأعظم في اللغة | لابن سيده, ط1: 1391هـ, نشر البابي الحلبي, مصر |
| 185 | محيط المحيط | بطرس بن يوسف البستاني, مكتبة لبنان ناشرون, |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|--|--|
| | | بيروت, 1993م |
| 186 | المحيط في اللغة | إسماعيل بن عبّاد, تحقيق: شيخ محمد حسن آل ياسين, ط1: 1994, عالم الكتب, بيروت |
| 187 | مختار الصحاح | محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي, تحقيق: محمود خاطر, طبعة جديدة, 1415هـ, مكتبة لبنان, بيروت |
| 188 | مختصر تاريخ دمشق | ابن منظور, تحقيق: روحية النحاس ورياض عبد الحميد ومحمد مطيع, ط1: 1404هـ, دار الفكر, دمشق |
| 189 | مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية | إعداد عبد الرحمن المصطاوي, ط1: 2002م, دار المعرفة, بيروت, لبنان |
| 190 | المزهر في علوم اللغة وأنواعها | عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, تحقيق: فؤاد علي منصور, ط1: 1998م, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 191 | المستدرك على الصحيحين | محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري, تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا, ط1: 1411هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 192 | المستطرف في كل فن مستظرف | شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي, تحقيق: د. مفيد محمد قميحة, ط2: 1986م, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 193 | المستقصى في أمثال العرب | أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, ط2: |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|--|---|
| | | 1987م, دارالكتب العلمية, بيروت |
| 194 | مسند الإمام أحمد بن حنبل | أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني, (د.ط.ت), مؤسسة قرطبة, القاهرة, الأحاديث مزيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها |
| 195 | مشكاة المصابيح | محمد بن عبد الله التبريزي, تحقيق: سعيد محمد, ط1: 1411هـ, دار الفكر, بيروت |
| 196 | المصباح المنير في غريب الشرح الكبير | لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي, (د.ط.ت) المكتبة العلمية, بيروت, لبنان |
| 197 | المصنف في الأحاديث والآثار | أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي, ط1: 1409هـ, تحقيق: كمال يوسف الحوت, مكتبة الرشد, الرياض |
| 198 | معجم الأدباء | ياقوت, دار إحياء التراث العربي, بيروت (د.ت) |
| 199 | المعجم الأوسط | سليمان بن أحمد الطبراني, تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد, عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, دار الحرمين, القاهرة, 1415هـ |
| 200 | معجم البلدان | ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله, دار الفكر, بيروت |
| 201 | معجم السفر | أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي, تحقيق: عبد الله عمر البارودي, المكتبة التجارية, مكة, (د.ت) |
| 202 | معجم الشعراء | المرزباني, تحقيق: عبد الستار أحمد, مطبعة إحياء الكتب العربية, القاهرة, 1960م |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|---|---|
| 203 | معجم المؤلفين | عمر رضا كحاله, (د.ط.ت), دار إحياء التراث, بيروت |
| 204 | المعجم المفصل في الأدب | محمد التونجي، الدكتور, ط1: 1413هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 205 | المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم | فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, لبنان, (د.ت) |
| 206 | المعجم الوسيط | مجمع اللغة العربية بالقاهرة, أخرجه: فهمي مصطفى هارون وآخرون, القاهرة, 1380 - 1381 هـ |
| 207 | معجم قبائل العرب | عمر رضا كحاله, دار العلم للملايين, بيروت, 1388هـ |
| 208 | معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع | عبد الله بن عبد العزيز, تحقيق: مصطفى السقا, ط3: 1403هـ, عالم الكتب - بيروت |
| 209 | معجم مصطلحات نقد الرواية | لطيف زيتوني, ط1: 2002م, دار النهار للنشر, بيروت |
| 210 | معرفة الثقافات | أحمد بن عبد الله العجلي, تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي, ط1: 1405هـ, مكتبة الدار, المدينة المنورة |
| 211 | مفردات القرآن | الراغب الإصفهاني، الإمام, تحقيق نديم مرعشلي, مكتبة المرتضوية, (د.ت) |
| 212 | مقاييس اللغة | لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تح: عبد السلام هارون. ط2: (د.ت), مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|--------------------------------|--|
| 213 | المقدمة | ابن خلدون, المكتبة التجارية الكبرى, (د ط ت), القاهرة |
| 214 | مقدمة حول الأمثال النبوية | الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net |
| 215 | من قضايا الأدب الإسلامي | صالح آدم بيلو, ط1: 1405هـ, دار المنارة للنشر, جدة |
| 216 | المنار شرح كشف الأسرار | أبو البركات النسفي, ط1: 1406هـ, دار الكتب العلمية, بيروت |
| 217 | المنجد في الأعلام | المكتبة الكاثولية, ط10: 1980م, دار المشرق, بيروت |
| 218 | منهج الفن الإسلامي | سيد قطب, ط6: 1403هـ/1983م, دار الشروق, بيروت |
| 219 | منهج النقد في علوم الحديث | نور الدين عتر, (د.ط): 1392هـ, دار الفكر, بيروت |
| 220 | الموجز في الأدب العربي وتاريخه | حنا فاخوري, ط2: 1411هـ, دار الجليل, بيروت |
| 221 | الموسوعة العربية العالمية | مؤسسة أعمال الموسوعة, ط2: (د.ت), رياض |
| 222 | الموسوعة العربية الميسرة | محمد شفيق غربال, (د.ط): 1959, دار إحياء التراث العربي, مصر |
| 223 | موطأ الإمام مالك | مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي, ط1: 1413هـ/1991م, دار القلم, دمشق, تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة |
| 224 | النجوم الزاهرة في ملوك مصر | جمال الدين أبي الحسن يوسف بن تغري الأتابكي, |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|-------------------------------------|--|
| | والقاهرة, | (د.ط.ت), طبع دار الكتاب, بيروت |
| 225 | نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد | عبد الرحمن رأفت الباشا, (د.ط.ت), دار البردى للنشر والتوزيع, السعودية |
| 226 | نخبة الفكر | أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني, طبع المكتبة الفاروقية |
| 227 | نزهة النظر شرح نخبة الفكر | أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني, طبع مكتبة الفاروقية |
| 228 | نصب الراية لأحاديث الهداية | عبدالله بن يوسف الزيلعي, (د.ط): 1357هـ, تحقيق: محمد يوسف البنوري, دار الحديث, مصر, مع الكتاب : حاشية بغية الأملعي في تخريج الزيلعي |
| 229 | نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث | عبد المجيد محمود, مكتبة البيان, الطائف |
| 230 | نظرية الأدب الإسلامي | عبد الباسط بدر, ط1: 1405هـ, دار المنارة, جدة |
| 231 | نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب | أحمد بن محمد المقرئ, تحقيق: إحسان عباس, دار الكتاب العربي, بيروت, 1949م |
| 232 | النقد الأدبي أصوله ومناهجه | سيد قطب, ط8: 2003م, دار الشروق, القاهرة |
| 233 | نقد الشعر | أبو الفرج قدامة بن جعفر, تحقيق: كمال مصطفى, الناشر: مكتبة الخانجي بمصر, ومكتبة المثني ببغداد, 1963م |
| 234 | نقد النثر | أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي, تحقيق: |

| ت | اسم الكتاب | مصنف |
|-----|-------------------------------------|--|
| | | طه حسين, وعبد الحميد العبادي, مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية, ط4: 1938م, القاهرة, مصر |
| 235 | نهاية الأرب | النويري, طبعة دار الكتاب, القاهرة |
| 236 | النهاية في غريب الحديث والأثر | أبو السعادات المبارك, تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي, (د.ط): 1399هـ, المكتبة العلمية, بيروت |
| 237 | نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب | جمعه: محمد الرضي, تحقيق: صبحي صالح, ط5: 1412هـ, منشورات دار الهجرة, قم, إيران |
| 238 | الوافي بالوفيات | صلاح الدين الصفدي, ط2: 1381هـ, انتشارات جهان, طهران, إيران |
| 239 | الوسيط في الأدب العربي وتاريخه | أحمد إسكندراني ومصطفى عناني, دار صادر, بيروت |
| 240 | وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان | شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان, تح: إحسان عباس, ط2: 1364هـ, دار الفكر, القاهرة |
| 241 | يتيمة الدهر | الثعالبي, ط1: 1399, دار الفكر, بيروت |
| 242 | | The Encyclopaedi of Islam, New Edition, By a number of Orientalists, Vol: 1, pg: 175; First Encyclopaedia of Islam, Vol: 1 |

| الرقم | المجلات العربية |
|-------|--|
| 1 | تطور القصة العربية وأثرها على القصة الغربية, لمحمد إسحاق منصور, د. مجلة (الثقافة الإسلامية), العدد الثالث, 2004م, مركز الشيخ زايد الإسلامي |

| | |
|--|---|
| القصة في القرآن, لثناء الله حسين, مجلّة (الدراسات الإسلامية), العدد الأول, والمجلّد (40), الربيع (يناير-مارس) 2005م, مجمع البحوث الإسلامية, الجامعة الإسلامية العالمية, إسلام آباد | 2 |
|--|---|

| No. | <u>الشبكات الدولية</u> |
|-----|---|
| 1. | www.saaid.net |
| 2. | http://www.suhuf.net.sa |
| 3. | www.islamweb.net |
| 4. | www.wikipedia.org |

فهرس محتويات البحث

| رقم الصفحة | عنوان |
|------------|--|
| أ - ج | كلمة الشكر |
| د-ل | المقدمة: |
| 82-1 | الباب الأول: الأدب |
| 32-1 | الفصل الأول: الأدب لغةً واصطلاحاً وتاريخاً |
| 3 | معنى كلمة "الأدب" اللغوي |
| 11 | الاختلاف في اشتقاق كلمة "الأدب" |
| 24 | تطور كلمة "الأدب" |
| 33 | تعريف الأدب الاصطلاحي |
| 36 | تاريخ الأدب |
| 39 | أقسام الأدب |
| 53-40 | الفصل الثاني: الأدب الإسلامي |
| 40 | الأدب الإسلامي |
| 44 | مجالات الأدب الإسلامي |
| 46 | خصائص الأدب الإسلامي |
| 52 | مصادر الأدب الإسلامي |
| 82-54 | الفصل الثالث: الحديث وأقسامه |

| رقم الصفحة | عنوان |
|------------|---|
| 327-83 | الباب الثاني: أثر الحديث النبوي في النشر ودوره في تطوره |
| 138-83 | الفصل الأول: أثر الحديث النبوي في الخطابة |
| 83 | الخطابة: لغةً واصطلاحاً |
| 88 | تاريخ الخطابة |
| 92 | أنواع الخطب |
| 95 | أركان الخطابة |
| 108 | أثر الحديث على الخطابة |
| 217-139 | الفصل الثاني: الحديث النبوي وأثره في القصة |
| 140 | القصة: لغةً واصطلاحاً |
| 142 | العناصر الفنية لبناء القصة |
| 146 | القصص والعرب |
| 154 | أنواع القصة |
| | القصة والحديث النبوي: |
| 178 | أغراض القصة النبوية |
| 198 | أنواع القصة في الحديث النبوي |
| 210 | أثر الحديث على القصة |
| 265-218 | الفصل الثالث: الأمثال العربية وأثر الحديث عليها |
| 219 | المثل: لغةً واصطلاحاً |

| رقم الصفحة | عنوان |
|------------|--|
| 225 | الهدف من ضرب الأمثال |
| 225 | أهمية الأمثال ومكانتها |
| 234 | ميزة الأمثال على الشعر |
| 235 | الأمثال صوت شعب العرب |
| 235 | الأمثال تدل على ناحية العرب العقلية |
| 238 | دلالة الأمثال على حياة العرب الاجتماعية |
| 238 | تأليف العلماء في هذا الفن |
| 249 | أنواع الأمثال |
| 252 | أثر الحديث النبوي في الأمثال |
| 327-266 | الفصل الرابع: فن الرسائل وتأثره بالحديث النبوي ρ |
| 268 | الرسالة لغةً واصطلاحاً |
| 272 | الرسائل في العصر الجاهلي |
| 280 | الرسائل النبوية ρ |
| 298 | خصائص الرسائل النبوية |
| 310 | أثر الحديث على الرسائل |
| 451-328 | الباب الثالث: الشعر العربي وتأثره بالحديث النبوي ρ |
| 360-328 | الفصل الأول: الشعر العربي |
| 329 | الشعر لغةً واصطلاحاً |

| رقم الصفحة | عنوان |
|------------|---|
| 333 | نشأة الشعر الجاهلي |
| 335 | مكانة الشعر والشعراء عند العرب |
| 347 | موقف الإسلام من الشعر |
| 402-361 | الفصل الثاني: أثر الحديث على الشعر |
| 451-403 | الفصل الثالث: الأشعار التي وردت فيها الأحاديث |
| 452 | نتائج البحث: |
| 460 | خاتمة البحث: |
| | الفهارس الفنية: |
| 462 | فهرس الآيات القرآنية |
| 466 | فهرس الأحاديث النبوية |
| 481 | فهرس المصادر والمراجع |
| 506 | فهرس محتويات البحث |